معالم بغداد الادارية والعمرانية

دراسة تخطيطية

الدكتور صالح احمد العلي

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٨٨

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٨



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

شيد ابو جعفر المنصور بغداد بعد دراسة واسعة لاختيار موقعها وعناية دقيقة في تخطيطها ، وراعى في اختيار الموقع ان تكون طيبة الهواء ، سالمة من الاوباء لتؤمن سلامة السكان ، وخصبه لتؤمن لهم المعاش،وحصينة لتحقق الامن ، ولها طرق سهلة تؤمن الاتصال بمختلف اطراف دولته الواسعة . ووضع بنفسه تخطيطها بما يحقق غرضه الاول من بنائها ان تكون مقراً له ولاسرته وحاشيته ورجال الادارة الذين يعتمد عليهم ثم حرسه وجنده المقيمين معه . وكانت لهذه الجماعات اهمية اساسية في التنظيم الاول لبغداد وفي تأمين السلم والاستقرار والازدهار في الدولة ، لذلك عنى في تخطيطها بتأمين توزيع مساكنهم بما يؤمن التناسق والانسجام وبالصورة التي توائم افكاره في السياسة والادارة . وظلت لهذه الجماعات المكانة المتميزة في هذه المدينة .

غير ان الاحوال ادت الى تطورات سريعة واسعة الى نمو هائل تجاوز حدود تصوره ، وصارت بعد تأسيسها كما يقول اليعقوبي «المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبرا،وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ، ولانه سكنتها من اصناف الناس واهل الامصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع اهل الافاق على اوطانهم ، فليس أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف فاجتمع فيها ما ليس في مدينة في الدنيا ، فتكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من ارض الاسلام وغير ارض الاسلام ، فانه يحمل اليها من سائر البلدان حتى يكون بها من تجارات تلك البلدان اكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ويكون مع ذلك اجود وامكن ، حتى كأنما سيقت اليها خيرات الارض وجمعت فيها ذخائر الدنيا وتكاملت بها بركات العالم .

وفّرت السياسة التي سار عليها الخلفاء العباسيون الاولون جوا للعمل والتفكير الحر الواسع فيسر لاهلها اذكاء نشاطهم وفتق اذهانهم واستخدام مواهبهم في الابداع والنمو حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات

والمكاسب والحذق بكل مناظرة وإحكام كل مهنة واتقان كل صناعة» . وكان من اثار ذلك انها اتسعت بشكل هائل في عدد سكانها ورقعتها ، فلم تقتصر على الجانب الغربي الذي اختاره المنصور ، وانما امتدت الى الجانب الشرقي ايضا حتى اصبح هذا الجانب اوسع الجانبين لكثرة الاسواق والتجارات . ولقيت القطائع والشوارع والدروب والسكك التي رسمت في ايام المنصور تطورات واسعة ، وتغيرت «ومات المتقدمون من اهلها ، وملكها قوم بعد قوم ، وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع ، وملك قوم ديار قوم وانتقل الوجوه والجلة والقواد واهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى ، ثم اتصل بهم المقام في ايام الواثق والمتوكل ، ولم تخرب بغداد ولا نقصت اسواقها لانهم لم يجدوا منها عوضا» .

ولا ريب في ان نموها السريع وازدهارها العظيم لا يرجع الى مجرد طيب هوائها وكثرة خيراتها وتيسر اتصالاتها ، وانما يرجع كثير منه الى الجو الذي هيأه المهيمنون على توجيه سياستها وتنظيم ادارتها من خلفاء واداريين ، ومهما كانت كثرة الوجهاء فيها وتميز النخبة من ابنائها ، فان الدور الاكبر ظل للخلفاء وكبار رجال الحكم والادارة ، بما كانت لهم من مكانة متميزة ، وثروة كبيرة ، فكانوا من دعائم الاستقرار ومراكز الاشعاع فدراسة مواضع منازلهم ، وخطط سكناهم يساعد على توضيح ما مرت به من تطور ، ومدى اثر الهيئات التي بيدها مقاليد الامور على هذا التطور وتوزيعه .

يضم هذا الكتاب ابحاثا عن منازل هذه الهيئات ومواضع خططها وبعض جوانب مكانتها ، وقد اعدت خلال الدراسة الواسعة التي نشرناها في «بغداد مدينة السلام» فهي متناسقة معها ، مكملة لها ، وهي ترمي الى اظهار بعض مراكز الاشعاع العمراني والحضاري ، وكانت قد نشرت متفرقة في عدة مجلات ، وخلال عدة سنوات ، فجمعها في كتاب واحد ييسر الافادة منها للعدد الاكبر ، وهو ما نبغيه . والله من وراء القصد .

الدكتور صالح احمد العلي

الفصل الأول

منازل الخلفاء وقصورهم في بغداد في العهود العباسية الاولى

ندرس في هذا المقال الاماكن التي كان يقيم فيها الخلفاء العباسيون في بغداد قبل انتقال الخلافة الى سامراء . وتشمل هذه الدراسة ايضا معرفة هذه الاماكن وتحديد رقع كل منها ، ومدى فخامة بنائه ، ومن كان يقيم فيه دائميا مع الخليفة ، والوظائف والاعمال التي كانت تتم فيه بجانب مقام الخليفة ، وبالتالي الدلالات والاهمية الاجتماعية والسياسية والادارية لكل منها .

ولاريب في ان انتقال الخلافة الى سامراء في اوائل عهد المعتصم ، هو حدث مهم في تاريخ بغداد ، اذلم تعد بعد هذا الانتقال مكانا يقيم فيه الخلفاء ، بل لم يزرها منهم احد الا المستعين والمعتمد ، كما انها لم تعد مركز ادارة الدولة الاسلامية ومحل الدواوين ، ولم تعد تصلها جبايات الاقاليم ، هذا فضلا عمن هاجر منها الى سامراء من ابناء الاسرة العباسية ومن «الوجوه والجلة والقواد واهل النباهة الى سائر الناس» . غير ان بغداد رغم ما فقدته من الخلفاء وذوي الكفاءة ، والادارة والاموال ، فانها «لم تخرب ولا نقصت اسواقها»[1] بل ظلت تنعم بمستوى من الازدهار المادي والفكري لا يقل ، ان لم يزد، عما هو في العهود التي كان يقيم فيها الخلفاء . ومن الطبيعي ان هذا الازدهار لا يرجع الى الخلفاء اذ كانوا بعيدين عنها .

ولما عادت الخلافة الى بغداد في سنة ٢٨٠ كانت لها اوضاع تختلف كثيرا عن الاوضاع الاولى ، فقد استقر مقام الخلفاء طوال القرون الاربعة التالية ، اي حتى زوال الخلافة العباسية على يد المغول ، في دار الخلافة التي كانت في الاصل قصرا للحسن بن سهل ثم اضيفت اليه قصور وابنية محدودة العدد ومتقاربة ، وذات خصائص عمرانية وحضارية واجتماعية ، ثم احيطت بسور يميزها عن غيرها[2] وقد انحصرت الخلافة في نطاق ضيق ، فقد تتابع ثلاثة اخوة على الخلافة اما الباقون فكان كل منهم يعقب اباه في الخلافة . وقد خصص الخلفاء العباسيون لهم مدافن خاصة ذات ابنية بارزة ، ومع ان سلطانهم كان اقوى مما كان إبان بقائهم في سامراء ، الا انهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بالسيطرة ، ومن تحديات المتغلبين في الاقاليم حتى تمكن البويهيون والسلاجقة من السيطرة على بغداد التي عانت من التدهور المالي والاقتصادي والاجتماعي .

ولما استعادت الخلافة العباسية سلطانها في اواخر القرن السادس ، كانت الاوضاع السائدة في العالم الاسلامي لا تتيح للخلفاء بسط سلطانهم الا على منطقة محدودة استقرت فيها تقاليد اقوى من ان تستطيع الخلافة تبديلها .

ان شمول البحث مواقع المنازل ووصف بنائها والهيئة فيها ودورها ودلالاتها الاجتماعية والسياسية والحضارية يتطلب، بجانب الاهتمام بالطوبوغرافية والاثار وهي اساس الدراسة ، دراسة النظم والاتجاهات الاجتماعية والسياسية التي سار عليها الخلفاء العباسيون الاولون والعلاقات التي كانوا يحرصون على تثبيتها وتنميتها . فالبحث يهدف توضيح الاوضاع الطوبوغرافية والهندسية التي معلوماتنا عنها ضئيلة جدا ، وكذلك معرفة حقيقة الاوضاع والاتجاهات الاجتماعية والسياسية للخلافة العباسية في مراحلها الاولى وكما عبر عنها في المساكن والاستيطان بصرف النظر عن الافكار والاراء التي تكونت عنها نتيجة الاعتماد على الاشارات التي في المراجع الادبية والتاريخية والفقهية والفلسفية .

ومن المعلوم انه لم تجر حتى الان دراسات اثارية واسعة على ارض بغداد ، التي لم يبق فيها من المعالم الاثارية العباسية الا قليل من الاماكن والابنية غير كافية لتحديد مواقع الاماكن المندثرة ، خاصة وان كثيرا من هذه الاماكن كانت مبنية بالطين واللبن السريع الاندثار ، وان نهر دجلة التي تقع عليه او قرب شواطئه كثير من الاماكن ، قد بدل مجراه في بغداد في عدة اماكن .

ثم ان الابنية الآثارية في العراق التي ترجع الى العصر العباسي الاول وقبله قليلة جدا ، اما الابنية الباقية في سامراء فمع كثرتها نسبياً ، الا انها بنيت بعد الفترة التي ندرسها ، ولعلها تأثرت بتطورات فنية واجتماعية يجعل من الخطر اعتبارها مشابهة كليا لما سبقها من الابنية .

والحق ان عددا غير قليل من الابنية والاثار العمرانية المنشأة قبل تولي العباسيين الخلافة ، ما يزال قائما في عدة اماكن من بلاد الشرق الاوسط ، وكانت هذه الاثار موضع دراسات علمية رائعة ، غير انه لا يمكن الجزم بان ابنية بغداد الاولى كانت تقليدا حرفيا لواحد معين منها ، اذ ان المصادر تذكر ان المنصور «وجه في احضار المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين حين اختط مدينته المعروفة بمدينة ابي جعفر ، واحضر البنائين والفعلة ، والصناع من النجارين والحدادين والحفارين ، فلما اجتمعوا وتكاملوا أجرى عليهم الارزاق واقام لهم الاجرة ، وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من البناء ، فحضره مائة الف من اصناف المهن والصناعات . خبر بهذا جماعة من المشايخ ان ابا جعفر المنصور لم يبتدىء البناء حتى تكامل له من الفعلة واهل المهن مائة الف ثم اختطها»[٣] . فالذين شاركوا في بناء بغداد كان عددهم كبيرا ، وقد جاؤوا من

مختلف البلاد ، ولابد ان كلا منهم جاء معه بالتقاليد والاساليب التي كانت سائدة في بلده ، وبذلك تجمعت خبرات واساليب منوعة بتنوع البلاد .

ومن المحتمل ان بعض الابنية التي شيدت في بغداد عند تأسيسها كانت تقليدا حرفيا لطراز معين سائد في مكان ما ، الا ان المؤرخين لم يشيروا الى وجود مثل هذا التقليد والاقتباس الحرفي . ويلاحظ ان طراز «الحيرى ذي الكمين بالرغم من انتشاره في الحيرة ، وملاءمته للاحوال المناخية والمعاشية في العراق ، لم يدخل في الابنية الاسلامية حتى زمن المتوكل[٤] . فالراجح اذا انه لم يتبع في بغداد وابنيتها الاولى طراز واحد معين ، بل تم اختيار عناصر من كل طراز ، وان هذا الاختيار لم تكن عناصره بنسبة واحدة ، وانه تم بشكل يحدث انسجاما وتناسقا عاما .

ويلاحظ ان الخليفة ابا جعفر المنصور كان له دور في تخطيط بغداد وبنائها ، فمن المعروف انه اختار بنفسه موقع المدينة ، وان النص الذي اوردناه اعلاه يذكر بصراحة انه استدعى المهندسين وغيرهم بعد ان خط المدينة . اي انه كان المرجع الاول في تخطيط المدينة ، ولعله كان له رأي في اختيار ظرز البناء ايضا . ومن المعلوم ان هذا الخليفة تميز بتفكير عميق وعقل راجح وخبرة واسعة اكتسبها من تجواله وعمله في بلاد متعددة قبل توليه الخلافة ، فهو لم يكن مقلدا يريد ان يجعل مدينته نسخة حرفية لما في الاماكن الاخرى . ولعل من ابرز مظاهر تأثيره الشخصي في تخطيط بغداد هو اختياره الشكل المدور الذي لم يكن شائعا حتى عده البعض من خصائص بغداد وحدها وكذلك بناءه الاسوار والخنادق حولها وجعل اوضاع هذه الاسوار تتحكم في مواقع واتجاهات بعض الابنية وخاصة المسجد الجامع الذي اصبحت قبلته بسبب ذلك منحرفة قليلا عن الوجهة الصحيحة ، هذا فضلا عن تفاصيل الشوارع والخطط التي تختلف كليا عن تخطيط الكوفة والبصرة .

لم يبق من قصور بغداد في العصور العباسية الاولى وابنيتها ، او حتى من اسسها ، ما نستطيع الحكم منه على سعتها وزخرفتها . وهذا بالاضافة الى المتعلقات الاجتماعية والسياسية التي نحاول دراستها ، يحملنا على اللجوء الى المصادر الادبية للبحث عن جواب بعض الاسئلة والمشاكل التي تواجهنا .

المصادر :

والمصدر الرئيسي لبحثنا هو كتب الخطط التي يمكن تصنيفها الى ثلاثة اصناف رئيسة يتمثل اولها في ما كتبه اليعقوبي في كتاب «البلدان ، ويتمثل الثاني في المادة المتشابهة الموجودة في كل من تاريخ الطبري ، وكتاب البلدان للهمداني ، وفي الفصل الذي كتبه الخطيب في

الجزء الاول من كتابه «تاريخ بغداد» . اما الصنف الثالث فيتمثل في الكتب التي تحدثت عن انهار بغداد وابرزها الفصل القيم المفصل في كتاب عجائب الاقاليم لسهراب والذي نقله الخطيب حرفيا تقريبا[٥].

فاما اليعقوبي فانه ذكر في كتابه معلومات مفصلة عن المدينة المدورة وأسوارها وطاقاتهاوسككها والقطائع التي وزعها المنصور في ارباضها المحيطة بها ، كما بحث اقطاعات الجانب الشرقي واشار الى بعض انهار بغداد ، والمواد المستعملة في البناء ثم قال «وهذه القطائع والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على ما رسمت في ايام المنصور ووقت ابتدائها ، وقد تغيرت ومات المتقدمون من اصحابها ، وملكها قوم بعد قوم وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع ، وملك قوم ديار قوم وانتقل الوجوه والجلة والقواد واهل النباهة من الناس مع المعتصم الى سر من رأى»[٦]. وواضح من هذا النص ان اليعقوبي قصر كلامه على وصف ما كان من الابنية والقطائع في زمن ابي جعفر المنصور ، والحق انه لم يذكر كثيرا من الابنية والمعالم المشهورة التي بنيت بعد زمن ابي جعفر .

ويلاحظ ان وصف اليعقوبي لبغداد لا ينطبق كله على ما كانت عليه في زمن المنصور ، فقد ذكر في المدينة المدورة سكة إبن بريهة وهو ابراهيم بن عيسى بن المنصور ، الذي لم يكن من قواد المنصور ولعله لم يكن عند بناء المدينة قد ولد بعد .

وذكر اليعقوبي سكة القواريري وسكة الزيادي وقال عنهما «وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريري قد ذهب عني اسم صاحبها . . وسكة تعرف اليوم بالزيادي وقد ذهب عني اسم صاحبها»[٧]. اي انه ليس كل ما ذكره ينطبق كليا على احوال بغداد في زمن المنصور . وقد نص اليعقوبي ان وصفه غير مستوعب حيث قال «وفي هذه الارياض والقطائع ما لم نذكره ، لان كافة الناس بنوا القطائع وغير القطائع»[٨].

كما انه ذكر التطورات التي حدثت في ملكية بعض القطائع ، ومن ذلك قطيعة صاحب الركاب «وهي الدار التي صارت لاسحق بن عيسى بن علي الهاشمي ، ثم اشتراها كاتب لمحمد بن عبدالله بن طاهر يقال له طاهر بن الحارث»[٩] و«قطيعة الفضل بن جعونه الرازي وهي التي صارت لداود بن سليمان الكاتب ، كاتب ام جعفر المعروف بداود النبطي»[١٠] و«قطيعة خالد بن الوليد التي صارت لابي صالح يحيى بن عبدالرحمن الكاتب صاحب ديوان الخراج في ايام الرشيد فتعرف بدور ابي صالح»[١١]، كما ذكر «دار نجيح مولى المنصور التي صارت لعبدالله بن طاهر» و«دار حفص التي صارت لاسحق بن

ابراهيم»[١٢].

وذكر في كلامه عن سويقة ابراهيم «وبلغني ان السويقة ايضا قد خربت»[١٣] مما يدل على انه كتب الكتاب وهو بعيد عن بغداد .

وقد قدم اليعقوبي لاهل القطاعين الشمالي والشمالي الشرقي من ارباض المدينة المدورة ، وصفا يثير كثيراً من التساؤلات عن مدى صحته او على الاحوال في زمن المنصور . وكان كلام اليعقوبي مقتضبا جدا عن القصور المنشأة في زمن ابي جعفر .

ولابد من الاشارة الى ان كتاب البلدان طبع على نسخ ناقصة ، ولم تكتشف بعد مخطوطات جديدة للكتاب ، وان بعض بحثه عن بغداد نقله الحميري في الروض المعطار ، ولكنه لا يصلح المخطوط ، كما ان الخطيب اقتبس منه نصوصا صرح بنقل بعضها عنه[١٤]. ولكنه لم يصرح بنقل عنه في الخطط .

اما الصنف الثاني من المؤلفات عن خطط بغداد فيظهر في المادة الموجودة في تاريخ الطبري والبلدان للهمداني وتاريخ بغداد للخطيب ، وهي مادة متشابهة وتعتمد فيما يظهر على مؤلف كتب في اواخر القرن الثالث الهجري ، واعتمد بدوره على عدة رواة يرجعون بسندهم الى رجال عاشوا في اوائل العصر العباسي . وتشترك الكتب الثلاثة في بعض النصوص ، غير انها تختلف في مقدار النصوص ، فقد اورد الخطيب نصوصا اكثر من غيره ، وهي تشمل ابواب المدينة ، وبعض خطط أرباضها وسككها ومقابرها ، وجوامعها كما فصل في الكلام عن دار المملكة ويقصد بها دار الخلافة . وقد اضاف ابن الفقيه في فصله عن بغداد ما كتبه البلاذري في فتوح البلدان ، وهو من اقدم ما وصلنا عن خطط بغداد رغم اقتضابه ، كما نقل كثيرا عن ، وربما كل ، كتاب فضائل بغداد ليزجرد بن مهبنداذ .

اما الخطيب فقد نقل ايضا فصلا قيما عن انهار بغداد الغربية والشرقية ، ومعلوماته تطابق ما ورد عن الموضوع في كتاب عجائب الاقاليم السبعة لسهراب . وللانهار علاقة وثيقة بدراستنا ، فان وصف مجراها وذكر ما عليها من معالم ، يساعد تحديد مواقع تلك المعالم واحيانا على مدى اهميتها . ولذا اعتبرناها صنفا ثالثا .

ويمكن ان نضيف الى هذه الاصناف الثلاثة ، صنفا رابعا هو كتب التاريخ والادب التي اشارت في معرض كلامها عن الاحداث الى بعض المعالم الآثارية والى قصور الخلفاء ومنازلهم ، ومنازل بعض افراد اسرهم ، وزمن تشيدها ووصفها ومدى بقائها .

التعابير :

ان جملة المعلومات التي في المصادر الانفة الذكر قليلة وغامضة وغير متماسكة وبالاضافة الى ذلك فان بعض التعابير المستعملة في هذه المصادر غير واضحة الحدود ، ونورد فيما يلي مثلين يتصلان ببحثنا هما القطائع والقصور .

فاما القطائع فهي جمع قطيعة ، ويقصد بها الارض التي تكون ملكا عاما (للمسلمين) او للسلطان فيمنحها لشخص ، وتصبح بذلك ملكا صرفا يستطيع الشخص التصرف بها والتمتع بالحقوق التي يعطيها القانون للمتملك . والقطيعة في المدن غير مشروطة بالاستثمار . وتتفق المصادر ان ابا جعفر المنصور وزع اقطاعات كثيرة في بغداد ، غير انها لم تقدم تفاصيل وافية عنها . فيذكر الخطيب ان المنصور «اقطع اصحابه خمسين في خمسين»[١٥] .

غير ان اليعقوبي ذكر اقطاعات يدل وصفها على انها كانت اوسع من ذلك الحجم ، فهو يذكر ان عبدالوهاب بن ابراهيم الامام كان في اقطاعه ربض وسويقة وقصر ،[١٦] وان العباس بن محمد بن علي اقطع العباسية «الجزيرة التي بين الصراتين» وان ازهر بن ازهر بن زهير كان في قطيعته «دار ازهر وبستان ازهر»[١٧] وان «قطيعة اسحق بن عيسى بن علي وقصوره ودوره شارعة على الصراة»[١٨] .

يتبين مما تقدم ان بعض الاقطاعات كانت واسعة لدرجة امكن انشاء مزارع وبساتين فيها ، كما ان بعض الاقطاعات كان يقيم فيها المقطع ومواليه وحشمه الذين ذكر ان بعضهم كثيري العدد ، فيروي ياقوت ان المنصور زار عمه عيسى بن علي في قطيعته ومعه اربعة الاف رجل ، ثم اراد ان يأخذ القصر ، فقال عيسى بن علي «ان فيه من حرم امير المؤمنين ومواليه اربعة الاف نفس ، فان لم يكن بد من اخذه فليأمر لي بفضاء يسعني ويسعهم فيه مضارب وخيما انقلهم اليها الى ان ابني لهم ما يواريهم»[١٩] ويدل ما اوردناه اعلاه على ان القطائع كانت متباينة في سعتها ، غير ان المصادر لم تذكر سعة القطائع او الارض التي كانت للخليفة واقربائه ، كما انها لم تذكر ما كان يشغله البناء منها ، وماذا يعمل بالاجزاء الخالية من البناء منها ، هذا فضلا عن انها لم تذكر ان كل او بعض المقطعين كان لهم حشم واتباع وموالي يعيشون في اقطاعهم او مبانيهم .

وذكر اليعقوبي في وصفه قطائع الجانب الشرقي «وبين القطائع منازل الجند وسائر الناس من التناء ومن التجار ومن سائر الناس»[٢٠] اي ان القطائع لم تكن متصلة متماسكة بل كان بينها في الجانب الشرقي فسح من الارض اشغلها العامة .

اما الجانب الغربي فان المصادر تتفق على ان قصر الخليفة المنصور كان محاطا بساحة ليس فيها الا ظلة للحرس وبيوت لصغار اولاد الخليفة ، وانه لم يسمح لاحد الا كنى فيها . وفيما عدا ذلك فان المصادر لم تذكر فيما اذا كانت مثل هذه القيود قد فرضت على بقية قصور المنصور واولاده او قصور الخلفاء الاخرين ، او فيما اذا كانوا قد سمحوا ، كما حدث في الجانب الشرقي ، بسكن الجند وسائر الناس قرب قصورهم ، ام انهم سمحوا لنخبة مختارة بالسكن قرب منازلهم ، وخاصة في العهود الاولى .

والمثل الاخر للتعابير الغامضة في الكتب هو الكلمات التي استعملوا لوصف المساكن فقد استعملوا عدة تعابير «قصر ، دار ، منزل ، بيت ، اباد» .

فاما اباد فلم تستعمل في بغداد الا وصفا لمنطقة واحدة هي عيساباد ، علما بان اسم صاحبها (عيسى) يدل ان تسميتها عباسية وانها لا ترجع الى العصر الساساني .

اما القصر فقد اطلق على معظم الابنية التي شيدها واقام فيها الخلفاء العباسيون الاولون وبعض اولادهم واقاربهم ، الامر الذي يدل على ان الكلمة تطلق على نوع خاص من الابنية ، غير ان المصادر لم تحدد خصائص البناء الذي يسمى «القصر» ، فقد ذكر ابن منظور ان «القصر من البناء معروف ، وقال اللحياني هو المنزل ، وقيل كل بيت من حجر «قرشية» سمى بذلك لانه تقصر فيه الحرم اي تحبس»[21] ويذكر ياقوت «القصر هو البناء المشيد العالي المشرف ، مشتق من الحبس»[22]. وليس في هذا التعريف عن خصائص القصر سوى انه مرتفع الجدران وانه مقام ثابت للنساء . وهو لا يذكر سمة مميزة لموقعه او مساحته او ضخامته او طراز بنائه .

وقد ذكرت المصادر مساحة قصر الذهب والجامع الملاصق له ، واشارت الى ان جامع الرصافة اوسع من جامع المنصور ، ولكنها لم تذكر شيئا عن مساحة بقية القصور والابنية في بغداد . ويلاحظ ان الذي لفت انظار المؤرخين في قصر الذهب هو ايوانه المرتفع وقبته الخضراء ، وليس مساحة ارضه او فخامة بنائه .

وليس لنا دليل نستدل منه على مساحة القصور ببغداد ، فالاقطاعات فيها كانت متباينة المساحة ، وقد اصبحت ملكا خاصا لاصحابها لا يجوز التجاوز عليه الا بتعويض او بمبرر قانوني . ومن المعلوم ان معظم الاقطاعات كانت لمتنفذين او ذوي جاه ومكانة .

لقد كانت بعض قصور المنصور التي اقام بها عدد من الخلفاء بعده ، وكذلك قصور اولاده ، في الرقعة الضيقة المحصورة بين اسوار المدينة المدورة وشاطىء دجلة ؛ كما ان

بعض قصور الجانب الشرقي كانت على شاطىء دجلة ايضا . ومن المعلوم ان مجرى نهر دجلة في بغداد لم يبق ثابتا بل حدث فيه بعض التبدلات اشار المؤرخون الى عدد منها ، فقد ذكر ابن عبدالحق اثار تبدل مجرى دجلة في اعلى بغداد على بعض الاماكن التي كانت مشهورة بازدحام السكان في العصور الاولى ، فقد ذكر عن قطيعة ام جعفر ان «اثار المحلة باقية في جرف دجلة»[٢٣] وان الحريم الطاهري «قد قرض دجلة اكثرها»[٢٤] وقال عن دير درتا الذي كان في الجانب الغربي يحاذي باب الشماسية «وكأنه مما اخذ الماء هناك فانه لا اثر له»[٢٥].

وذكرت المصادر ايضا الجزر التي ظهرت في دجلة ببغداد ، فذكر الصولي «جزيرة بحيال قصر عيسى»[٢٦] وذكر مسكويه «الجزيرة التي بازاء المخرم»[٢٧]، و«الجزيرة التي بين يدي اصطبل مربط الجمال وخزانة الفراش ويعرف اليوم بدار الفيل[٢٨] ، غير ان اشهر جزيرة هي التي كانت بحذاء دار ابن طاهر في الحريم الطاهري ، فقد تردد ذكرها في حوادث الحرب بين المعتز والمستعين وكانت مركزا لتجمع الناس والجيش والسفن[٢٩]، وذكر ابو يوسف «الجزيرة التي امام بستان موسى» والى عدم جوازالبناء في هذه الجزر ، لان ذلك ، برأيه ، اضرار بالابنية الاصلية[٣٠]، ومن الطبيعي ان ظهور الجزر في جهة ما من شاطىء دجلة يستلزم حدوث تأكل او تجاوز النهر في مناطق اخرى ، غير ان المصادر لم تذكر ان قصرا من قصور الخلفاء واولادهم ، ومعظمها على شاطىء دجلة ، تجاوز عليه ماء النهر . ولا يرجع سبب بقاء القصور على شاطىء دجلة الى ثبات مجرى هذا النهر بقدر ما يرجع الى المسنيات التي كانت تبنى لصيانة القصور الشاطئية من تجاوزات الماء . وقد ذكرت المصادر بعض المسنيات في بغداد ، ولكن لا توجد اشارة الى مسنيات لقصور الخلفاء العباسيين الاولين .

مواد البناء :

اما المواد المستعملة في البناء فان المصادر ذكرت ما استعمل منها في بعض الابنية الاولى في بغداد . فقد استعمل اللبن في بناء اساس الاسوار ، وكان من اللبن العظام او الجعفري وهو ذراع في ذراع[٣١]، ووزن الواحدة في قول اليعقوبي مائة رطل[٣٢]وفي قول الخطيب ١١٧ رطل[٣٣]. ولم يذكر استعمال الصخر الا في فرش الرحبة الداخلية[٣٤].

واستعمل الاجر والجص في بناء عقود الدهاليز التي عند ابواب المدينة المدورة[٣٥]، والتي عند الرحبة العظمى[٣٦]، وفي عقود الطاقات التي عند الرحبة[٣٧]، كما استعمل في بناء الاعمدة التي اقيمت عليها السقيفة التي كان يقيم فيها صاحب الشرطة قرب قصر

الذهب[٣٨] وفي عقد القنطرة القديمة[٣٩] . واستعمل الاجر والصاروج للقنوات[٤٠] .

وكان مسجد مدينة المنصور مبنيا باللبن والطين ، ثم اعاد الرشيد بناءه بالجص والاجر[٤١] اما الرصافة فيروي الخطيب عنها انه «كان بناء المهدي بالرهوص الا ما كان يسكنه هو»[٤٢] و(الرهص الطين الذي يجعل بعضه على بعض فيبنى به)[٤٣] .

ان النصوص التي اوردناها اعلاه ، وهي كل ما استطعنا الوقوف عليه فيما يتعلق بابنية العهود العباسية الاولى ، تظهر قلة استعمال الحجارة في بغداد ، وكثرة استعمال الطين ، ثم الجص والاجر ولابد ان الجص كان يستورد من المناطق المجاورة لان منطقة بغداد خالية من الكلس الذي يصنع منه الجص . اي ان معظم البناء في بغداد اعتمد على المواد المتوفرة محليا .

وفيما عدا اشارة في الطبري يمكن ان يستدل منها ان قصر الذهب بني بالجص والاجر[٤٤] فانه لا توجد اشارة الى المواد التي بنيت منها قصور الخلفاء العباسيين الاولين ببغداد . كما انه لا توجد اشارة الى زمن انهدام تلك القصور ، ما عدا رأس القبة الخضراء ثم القبة نفسها . ولا ريب في ان معرفة تاريخ الانهدام يساعد على معرفة مدى مقاومة البناء وقد يدل على المادة التي بني بها القصر .

ذكرت المصادر تعابير تتعلق بعمارة قصور وابنية بغداد في العهود العباسية الاولى كالباب والطاق ، والرواق ، والايوان ، والازاج ، والقبة . وذكرت المصادر ايضا ان ابا جعفر في تخطيطه وبنائه الاول لمدينته ، لم يدخل فيها انهارا وترعا ولم يزرع فيها حدائق وبساتين . وقد لفتت هذه النقائص نظر بطريق الروم الذي زار بغداد بعيد بنائها ، فنبه عليها المنصور الذي سارع في جر القنوات اليها لتزويدها بالماء . غير ان المصادر لم تذكر غرس البساتين في المدينة المدورة ، كما لم تذكر وجود حدائق في داخل قصور الخلفاء او حولها ، ما عدا عيساباد .

وقد ذكرت المصادر وجود بركة في قصر الخلد ، وذكرت انتهاء نهر المهدي بقصر الرصافة ، كما ذكرت عددا من القصور على انهار بغداد في جانبيها الشرقي والغربي . ويلاحظ انه فيما عدا قصر الذهب ، فان كافة قصور الخلفاء الاولين واولادهم كانت تقع اما على دجلة او على الانهار الصغيرة الاخرى ، ولاريب في ان هذه الانهار كانت تفيد في تجميل القصور بكلفة قليلة فضلا عن تزويدها القصور بما تحتاجه من ماء الشرب والغسيل وارواء الحدائق والبساتين .

وقد ذكرت المصادر الوسيلة التي ابتدعها ابو جعفر للتبريد ، فيروي علي بن محمد بن سليمان الهاشمي ان اباه حدثه «ان الاكاسرة كان يطين لها في الصيف سقف بيت في كل يوم فتكون قائلة الملك فيه ، وكان يؤتي باطنان القصب والخلاف طوالا غلاظا فترصف حول البيت ، ويؤتي بقطع الثلج العظام فتجعل ما بين اضعافها ، وكانت بنو امية تفعل ذلك . وكان اول من اتخذ الخيش المنصور .

وذكر بعضهم ان المنصور كان يطين له في اول خلافته بيت في الصيف يقيل فيه ، فاتخذ له ابو ايوب الخوزي ثيابا كثيفة تبل وتوضع على سبائك فيجد بردها ، فاستظرفها وقال ما احسب هذه الثياب ان اتخذت اكثف من هذه الا حملت من الماء اكثر مما تحمل ، وكانت ابرد ، فاتخذ له الخيش ، فكان ينصب على قبة ، ثم اتخذ الخلفاء بعده الشرائح ، واتخذها الناس»[٤٥] اما الرشيد فانه «كان يخيش البيت الذي هو فيه ، لانه كان يؤذيه ، ولكنه كان يدخل عليه برد الخيش ولا يجلس عليه ، وكان اول من اتخذ في بيت مقيله في الصيف سقفا دون سقف ، وذلك انه لما بلغه ان الاكاسرة كانوا يطينون ظهور بيوتهم في كل يوم من خارج ليكف عنهم حر الشمس ، فاتخذ ه سقفا يلي البيت الذي يقيل فيه»[٤٦]. ولابد ان هذه القصور كانت مزخرفة ومنقوشة ومطلية بالجص والاصباغ غير ان المصادر لم تصف شيئا من ذلك عنها .

اما الزمن الذي يستغرقه البناء ، فقد ذكرت المصادر ان مدينة المنصور المدورة بديء بخطها في سنة ١٤٥ ، وانتقل اليها سنة ١٤٦[٤٧]، غير ان الاسوار لم تكمل حتى سنة ١٤٩[٤٨] ومن الطبيعي ان هذا يشمل كافة ابنية المدينة بما في ذلك القصر والجامع . اما الرصافة فيذكر الشروي انه بدأ ببنائها سنة ١٥١[٤٩]، ويذكر الحارث بن ابي أسامة ان بناءها استتم سنة ١٥٤، غير ان جامع الرصافة استتم مع السور والحائط سنة ١٥٩[٥٠] ولابد ان قصر الرصافة استتم بعد هذا التاريخ ، لانه بني بعد الجامع ، كما سنذكر فيها بعد .

اما القصور فلم يذكر الزمن الذي استغرقه بناؤها سوى الخلد الذي بديء ببنائه في سنة ١٥٧[٥١]، وتم البناء في السنة التالية[٥٢]، اي ان البناء استغرق سنة واحدة .

اجـور العمال :

اشتغل ببناء بغداد عمال وصناع احرار جلبوا من مختلف البلدان ، وكانوا يعملون باجرة يومية ، وقد ورد عن مقدار الاجرة نصان : ذكر اولها الطبري حيث قال ان «الاستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة ، والروزجاري بحبتين الى ثلاث حبات»[٥٣] وذكر النص الثاني الخطيب حيث قال ان «الاستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط الى خمس

حبات ، والروزجاري بحبتين الى ثلاث حبات وذكر ايضا . . والرجل يعمل بالروزجار في السور كل يوم بخمس حبات»[٥٤].

وذكر الطبري في مكان اخر اجرة استاذ بناء خمسة دراهم ، غير ان القصة التي ورد فيها هذا الرقم لا توضح فيما اذا كان هذا الرقم هو اجرة عمل يوم واحد ام انها اجرة عمل الف لبنة .

لقد اتفق الطبري والخطيب ان الروزجاري ، الذي يبدو من سياق النص انه العامل غير الماهر ، كانت اجرته حبتين الى ثلاث حبات ، ولكنهما اختلفا في التعبير عن اجرة الاستاذ ، فذكر الطبري ان اجره اليومي قيراط فضة ، وذكر الخطيب ان اجرته «قيراط الى خمس حبات» ، ويدل سياق هذا الكلام ان القيراط اقل من خمس حبات .

لا نعلم مقدار الحبة التي وردت في هذا النص ، اي في بغداد في عهد ابي جعفر ، اذ من المعلوم ان مقدار الحبة يختلف باختلاف البلدان ، وان الدرهم يتكون في بعض البلدان من ٤٨ حبة ، وفي اخرى من ٦٠ حبة[٥٥] .

اما القيراط فهو شرعا ١ / ٢٠ من المثقال ، اي خمس حبات ولكنه كثيرا مايتكون من ثلاث حبات[٥٦]، وعلى اي حال يدل نص الخطيب على انه كان اقل من خمس حبات .

ويقول البوزجاني ان الدرهم «بالعراق وكور الاهواز ونواحي فارس فهو ثماني واربعون حبة ، وستون عشيرا ، وستة وتسعون فلسا ، وهو عند اهل بغداد اثنا عشر قيراطاً» ويقول ايضا ان الدينار «هو بنواحي السواد عشرون قيراطا ، وستون حبة ، وستون عشيرا ، فاما بالبصرة والاهواز ونواحي فارس فهو اربعة وعشرون قيراطا ، واثنان وسبعون حبة ، فيكون القيراط في الوجهين جميعا ثلاث حبات ، وتكون حبة فضة العراق مثل ثلاثة ارباع حبة خراسان والشام ، وهي مثلها ومثل ثلثها ، وحبة ذهب العراق نصف وثلث حبة البصرة والاهواز وفارس ، وهي مثلها ومثل خمسها . وحبة الفضة هي مثل سبعة اثمان حبة الذهب . . فاما بالبصرة وكور الاهواز وفارس فان حبة الفضة هي حبة الذهب ومثل نصف عشرها»[٥٧].

يتبين من كلام البوزجان ان قيراط الدرهم في العراق يساوي اربع حبات ، اما قيراط الدينار فيساوي ثلاث حبات ، وان حبة الفضة تساوي سبعة اثمان الذهب .

ان نص الطبري عن اجرة الصناع عند بناء بغداد يدل على ان المقصود هو قيراط الدرهم،وقد يؤيد هذا ان العملة السائدة في العراق انذاك هي الدرهم الفضي . غير انه اذا

كان الامر كذلك فتكون اجرة الاستاذ حوالي ١/١٢ من الدرهم (قيراط) الى ١/١٠ درهم (٥ حبات) في حين ان اجرة الروزجاري تكون بين ١/٢٤ و١/١٦ من الدرهم = ٢ ـ ٣ حبات) وهو مقدار قليل جدا بالرغم من تأكيد الخطيب على رخص الاسعار انذاك . لذلك من الاصوب ان نفترض ان القيراط والحبة المذكوران في نص الطبري والخطيب ، هما من الدينار، وبذلك تكون اجرة الروزجاري تكون بين ١/٣٦ و١/٢٣ من الدينار (١ ـ ٣ حبة) وهو يعادل ما يتراوح بين ٥/٩ الى ٥/٦ الدرهم باعتبار سعر الصرف انذاك ١/٢٠ وتكون اجرة الاستاذ ١/٢٠ من الدينار اي حوالي درهم .

اما مستوى الاسعار في زمن المنصور ببغداد فيروي الخطيب بسند عن داود بن صغير البخاري انه قال «رأيت في زمن ابي جعفر كبشا بدرهم ، وحملا باربعة دوانق ، والتمر ستين رطلا بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم ، والسمن ثمانية ارطال بدرهم» .

ويروي الخطيب عن الفضل بن دكين انه «كان ينادي على لحم البقر في جباتة كنده (بالكوفة) تسعين رطلا بدرهم ، ولحم الغنم ستين رطلا بدرهم ، ثم ذكر العسل فقال عشرة ارطال بدرهم ، والسمن اثني عشر رطلا»[٥٨] .

ذكر الخطيب ان بناء بغداد كلف المنصور ٤٨٨٣ درهم[٥٩] وقد نقل ابن الجوزي هذا النص مؤكدا دقة نقله الرقم ، غير انه مهما كان رخص الاسعار ، ومهما بلغ تدقيق المنصور في الصرف فلا يعقل ان تبلغ كلفة الابنية الكثيرة ببغداد مثل هذا المبلغ القليل . ولعل الاصح هو ما رواه الطبري والهمداني حيث ذكر الطبري ان الكلفة بلغت ٤/٨٣٣/٠٠٠ درهم[٦٠]وهي تساوي ١٢٣ مليون فلسا .

وتجدر الاشارة هنا ان الى المنصور كان مشهورا بحرصه على تدقيق الحسابات ويذكر خالد بن الصلت ، وكان قد ولي النفقة على احد ارباع المدينة وهي تبنى «لما فرغت من بناء ذلك الربع رفعت اليه جماعة النفقة عليه ، فحسبها بيده ، فبقي علي خمسة عشر درهما ، فحبسني بها بحبس الشرقية اياما حتى ادبتها»[٦١] . غير ان ضبط الحساب يخفض النفقة عن طريق منع السرقة ، ولكنه لا يمس الاجور . ولم يرو احد ان ابا جعفر ارغم احدا على العمل باجور تقل عن المألوف في عصره . فانخفاض تكاليف البناء يرجع الى انخفاض الاجور والاسعار بالدرجة الاولى .

غير ان معظم النفقات المذكورة اعلاه صرفت على بناء اسوار المدينة وابوابها وطاقاتها التي يحتاج بناؤها الى عدد اكبر من العمال غير الماهرين والمنخفضة اجورهم . اما الابنية

الفخمة في مدينة المنصور المدورة فكانت مقصورة على القصر والجامع . لذلك فان الاعتماد على هذه النفقات وحدها في تقدير القصور وخاصة التي بنيت في اواخر خلافة المنصور او بعده ، قد يكون مضللا ومجانفا للواقع .

وقد ذكر الطبري ان الخليفة المهدي انفق على عيساباذ خسين الف الف درهم(٦٢)، ومن المعلوم ان عيساباذ كان فيها قصر الطين وقصر السلامة ، بالاضافة الى ابنية وحدائق لابد انها كانت واسعة لدرجة ان انفردت باسم (اباد) .

ان اوسع ما وردنا عن نفقات القصور هي المعلومات التي وردت عن تكاليف القصور التي بنيت في سامراء في عهد المتوكل الذي كان مولعا بالبناء . وقد اورد هذه المعلومات كل من ابن حمدون ، والغزولي، وياقوت . وذكر الغزولي انه نقل معلوماته عن ابي الفرج الاصبهاني حيث قال «حدثني بذلك جماعة منهم ابو عثمان يحيى بن عمر : قال في بعض الدواوين ان المتوكل انفق على ابنيته وقصوره والمسجد الجامع ومنتزهاته في خلاوته بسر من رأى واعمالها من الاموال(٦٣).

وكانت ابنية المتوكل مختلفة في تكاليفها ، فقد بلغت النفقة على الماحوزة خمسين مليون درهم(٦٤) وعلى قصر العروس(٦٥) ثلاثين مليون ، وعلى البهو خمسة وعشرين مليونا(٦٦) وعلى بركوارا عشرين مليون(٦٧)، وبلغت تكاليف الوحيد(٦٨) مليونان والفرد مليون(٦٩)، والجوسق في ميدان الصخر نصف مليون ، والقلائد خمسين الف دينار(٧٠) (حوالي مليون ومائة الف درهم) .

غير ان خمسة من قصور المتوكل بلغت تكاليف كل منها عشرة ملايين درهم ، وهي الجعفري المحدث ، والغريب ، والشيدان(٧١)، والبرج ، وقصر بستان الايتاخية(٧٢)، وخمسة اخرى بلغت تكاليف كل منها خمسة ملايين درهم ، وهي المختار ، والصبح ، والمليح ، والتل ، واللؤلؤة .

ويذكر ياقوت ان الابنية في زمن المتوكل بلغت مائتين واربعة وتسعون مليون درهم (٧٣) ولابد ان تكاليف القصور في بغداد في العهود العباسية الاولى كانت اقل من تكاليف قصور المتوكل لان الاسعار كانت ارخص ، ولان المتوكل كان مشهورا ببذخه وبقلة تدقيقه .

وذكر المسعودي ان المعتضد «انفق على قصره المعروف بالثريا اربعمائة الف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ(؟)(٧٤).

ملكية الابنية :

ولا ريب في ان كثرة القصور وجمالها مرتبطان بالتقدم الفني والوضع المالي والترف المادي . ومن المعلوم ان بعض الخلفاء العباسيين الاولين كانوا ذواقين للفن وميالين للترف ، وخاصة المهدي والرشيد والامين ، وكان المؤمل ان يبذلوا الاموال لهذا الغرض ، غير ان الواقع ان الاخيرين لم يبنيا قصرا لهما ، وقد اكتفى الامين ببناء عدد من الابنية الصغيرة للهوه وأنسه .

وكان الوضع المالي للخلفاء خسنا ، لان العصر العباسي الاول لم تحدث فيه الاضطرابات والازمات المالية التي اخذت تتكرر بعد رجوع الخلفاء من سامراء ، فكانت موارد الجبايات كبيرة والضياع الخاصة واسعة وغنية وتدر اموالا كبيرة بامكانهم استغلالها وصرفها بالشكل الذي يريدون ابان خلافتهم .

واملاك الخليفة مرتبطة بالمنصب لا بالشخص ، فالخليفة يستطيع التمتع بهذه الاملاك كما يريد طالما هو في منصب الخلافة ، فاذا خلع من منصبه فانه لا يحتفظ بتلك الاملاك ، ويفقد حق الاستفادة منها ، واذا مات فان هذه الاملاك لا تقسم بين اولاده بموجب قواعد الارث الاسلامية بل تبقى للخليفة الذي يعقبه في الخلافة . ولعل اوضح ما يتجلى كلامنا هو في الجواهر والتحف والنفائس التي كانت للخلفاء ، فقد كانت توضع في قصر الخليفة الذي يقيم فيه ، فاذا نقل مقامه الى قصر اخر فانها تنقل معه الى القصر الجديد . ويظهر ان له الحق في ان يهب منها في حياته ، غير انه اذا مات فانها ترجع الى الخليفة الجديد . ولم يكن محبذا بيع هذه النفائس الا في حالات الضرورة القصوى . وقد ساعد وجود مقدار كبير من هذه النفائس عند الخلفاء العباسيين منذ مجيئهم الخلافة ، الى اعمار القصور التي يقيمون فيها . والى سرعة تدهور القصور التي يخلونها ، لان القصور القديمة ستجرد من التحف ، اما الجديدة فستعمر بها .

غير ان بعض القصور كانت تعتبر ملكا شخصيا للخليفة يرثها اولاده ، فيروي الطبري ان المنصور عند وفاته اوصى المهدي باشياء منها قوله «وهذا القصر ليس هو لك ، هو لي ، وقصري بنيته بمالي فاحب ان يصير نصيبك منه لاخوتك الاصاغر ، قال نعم»[٧٥] اي ان المنصور ذكر ان القصر ملك شخصي له ، فلا يرث منه المهدي الا شخصا ، وقد طلب المنصور من المهدي ان يتنازل عن هذا الشخص .

اورد الصابي ميزانية ضخمة ودقيقة في تبويبها لمصروفات دار الخليفة وبلاطه في سنة ٣٠٤ ، كما ذكرت المصادر ان البويهيين حددوا للخليفة مصروفه . ولكن يلاحظ ان كلتا

الحالتين جاءتا في زمن اضطراب مالي وعجز في الميزانية ، اما في العهود الاولى حيث كانت الموارد كبيرة فيبدو ان الصرف لم يكن مقيدا ، ولكنه ربما كان منظما ، وان لم يكن جامدا ، اي انه كان يوجد مجال لاضافة ابواب جديدة ، وتعديل المخصص لكل باب . غير ان المصادر لم تذكر تنظيم الادارة المالية لقصر الخليفة في العصر العباسي الاول .

ومما يقرر فخامة القصور وطرز تخطيطها وسعتها ، الوظيفة التي تؤديها والهدف المقصود من بنائها ، وعقلية شاغليها ونظمهم الاجتماعية . ومن المعلوم ان هذه الامور لم تكتب ولم تشرح ليستطيع المرء دراستها وتحليلها واستنباط اثارها في تكييف اوضاع واحوال قصور العباسيين الاولين ، فمعرفتها لا تتم الا بالاستنباط من مجرى الحوادث ومن الاخبار والمعلومات المتناثرة . واذا كانت لهذه الاخبار والمعلومات فائدة في تصور حياة القصور ونظمها ، فان دراسة القصور بدورها تفيد في معرفة كثير من الاوضاع السياسية والادارية والاجتماعية السائدة والتي قد تختلف عن الصورة التي في ذهننا عنها .

ومن المعلوم ان المنصور تدخل بنفسه في اختيار موقع مدينته وفي تخطيطها وتصاميمها ، وذلك لكي تحقق الاغراض التي كان ينشدها والتنظيمات التي كان يريدها للدولة الجديدة . وان ما كان يتمتع به ابو جعفر من خبرة واسعة وعقل راجح وشخصية قوية ، يحملنا على القول بان تنظيمه في تخطيط وبناء بغداد هو اكثر تعبيرا عن افكاره السياسية والادارية من النصوص المكتوبة التي وردت في الكتب عنه وعن خطبه ووصاياه . فابنيته تعبر عن خبراته وتجاربه وافكاره المستمدة من روح عصره ومن المثل العليا التي كان يريد تحقيقها للدولة الجديدة التي بدأت دعائمها ترسخ وكان الوقت قد حان لبلورة السياسة التي ينبغي ان تسير عليها لضمان بقائها .

غير انه بالرغم من قوة شخصية المنصور وخاصة في فرض تنظيماته ، فان الحكومة والمجتمع تعرضا لتطور اقتصادي وفكري وحضاري سريع انعكس بعضه على حياة الخلفاء الخاصة في القصور ، فحدث فيها تطور كان للخليفة القائم دور في توجيهه تبعا لقوة شخصيته واتجاهاته ومزاجه ضمن نطاق القواعد العامة القائمة على اسس الاسلام والمصلحة العامة .

والمفروض ان القصر يقيم فيه صاحبه مع عائلته . ونواة العائلة في الاسلام هي الرجل وزوجته وبناته واولاده القاصرون الذين لم يبلغوا سن الرشد . غير ان التقاليد والاوضاع الاجتماعية قد تقضي بسكن آخرين مع صاحب القصر في قصره ، ومن هؤلاء

اولاده البالغون قبل الزواج وبعده احيانا ، وقد يتزوج الرجل باكثر من زوجة واحدة ، او قد يتسرى من ينجبن اولادا تكون لهم في قلب ابيهم مكانة طيبة او يكون لهم دور في الحياة العامة كأن يكونوا اولياء عهود او يتولوا مناصب واعمالا مهمة في ادارة الدولة . وقد تقتضي الظروف ان يقيم في القصر اخوة صاحب القصر وحدهم او مع عوائلهم .

ويزداد مجال صلة القصر بالناس اذا كانت زوجة صاحبه من اسرة تقيم ببغداد ، اما امهات الاولاد فكان وجودهن يضعف صلة القصر بالناس ، اذ ان اغلب الجواري كن مستوردات من بلاد اخرى ، فليس لهن في بغداد اقارب . والواقع ان المصادر لم تذكر احدا من اقارب جواري او أمهات اولاد الخلفاء العباسيين الاولين سوى الغطريف ، وهو اخو الخيزران ، وكانت له قناطر في بغداد .

لم تذكر الكتب مدى قوة وسعة تكتل الاسرة العباسية وعوائلها في العهود العباسية الاولى ، فكتب التاريخ والنسب اقتصرت على ذكر اسم الخليفة وزوجاته وبعض جواريه ، وأمهات اولاده وأولاده ، واشارت الى المناصب التي اشغلها بعضهم والى ثرواتهم . غير ان كتب الخطط ذكرت اقطاعات لعدد غير قليل من افراد الأسرة العباسية موزعة في الاطراف الخارجية الجنوبية والشرقية من المدينة المدورة في الجانب الغربي ، وكذلك عدد من اقطاعات العباسية في الجانب الشرقي . والمفروض ان اصحاب الاقطاعات كانوا يقيمون في اقطاعاتهم ما داموا في بغداد . ويلاحظ ان عدد أفراد الاسرة العباسية عند تأسيس دولتهم لم يكن كبيرا ، وان كثيرا منهم اشغلوا في عهد الخلفاء الاولين مناصب ادارية في المدن والاقاليم خارج بغداد ، ولابد انهم كانوا ينقلون معهم اسرهم الى مراكز فتبقى دورهم وقصورهم في بغداد شبه خالية .

كان لأولاد الخلفاء ، وخاصة المنصور والرشيد ، عدد من القصور ، كما كانت لبعض النساء من بناتهم قصور بعيدة في موقعها عن قصر الخليفة ومقامه ، مما يقدم دليلا على مدى سعة الرابطة العائلية انذاك .

ولعل اهم ما يتطلبه بناء القصر والدار وزخرفتها وتأثيثها هو المال . فاما الخليفة فكانت تحت تصرفه اموال واسعة من جبايات الدولة ومن الصوافي والضياع الخاصة ، فبامكانه الصرف عليها . اما اولاد الخليفة واخوته فلا نعلم لهم رواتب معينة ، فكانت ماليتهم تتوقف على ما يمنحهم الخليفة . وقد ذكرنا في بحث اخر المقادير الكبيرة من الاموال التي اغدقها المنصور على اعمامه[٧٦] ولابد انه اعطى اخوته واولاده مبالغ قد لا تقل عنها .

اما المهدي المعروف بسخائه وتبذيره وتبديده ما جمع ابوه ، فلابد انه اغدق على اولاده واهله مبالغ لا تقل ان لم تزد على ما اغدقه المنصور عليهم . غير اننا لا نعلم مقدار ما اصاب كلا منهم ، اذ لم تذكر المصادر سوى ثروة الخيزران التي بلغت ١٦٠ مليون درهم فيما يذكر المسعودي[٧٧] .

ومن المعلوم ان كثيرا من افراد الاسرة العباسية ، ومن اولاد الخلفاء ، اشغلوا مناصب ادارية وجنوا منها ثروات جلبوها معهم الى بغداد بعد انتهاء مدة عملهم ، وقد رددت عدة مصادر ان ثروة محمد بن سليمان كانت عند وفاته خمسين مليون درهم[٧٨] .

وقد مكنت هذه الموارد ابناء الاسرة العباسية ، وابناء الخلفاء من تشييد القصور . وقد ادى كل ذلك الى ان لا يكون قصر الخليفة هو البناء «الملكي» الوحيد في بغداد ، بل قامت بجانبه وفي اماكن متعددة من بغداد قصور ودور اخرى يسكنها المتصلون به ومنهم اولاده ، فزاد ذلك في عوامل تقليص قصر الخليفة في الحجم والاهمية .

غير اننا نسجل عدم وجود اشارة الى قوات عسكرية او «موالي» كانوا يتبعون ايا من افراد الاسرة العباسية ، عدا ما كان لعيسى بن علي[٧٩] ، او كانوا يتبعون احد اولاد الخليفة . فقصور ابناء الخلفاء وافراد الاسرة العباسية كان يقيم بها صاحب القصر وعائلته وخدمه وحشمه فحسب .

لقد كانت للخليفة ابي جعفر المنصور ، عندما بنى بغداد ، زوجة واحدة هي أروى بنت منصور الحميري ، وكانت قد اشترطت عليه الا يتزوج عليها ولا يتسرى في حياتها ، وقد انجبت له ولدين هما محمد المهدي الذي كان ولي عهده ، وجعفر الاكبر الذي ولاه الموصل ثم مات في حياة المنصور[٨٠] . وكان المنصور قد أعد الشرقية ثم الرصافة ليقيم فيها المهدي عند وجوده ببغداد علما بان المهدي قضى سنوات كثيرة في الري وفي بلاد اخرى يقوم بقيادة الجيوش وادارة الاقاليم . اما جعفر الاكبر فكان ابان ولايته الموصل قد استصحب معه زوجته التي ولدت له زبيدة في الموصل . وقد اقطع المنصور ابنه جعفر قطيعة على شاطىء دجلة صارت فيما بعد لابنته ام جعفر[٨١] ، لذلك يصح الافتراض بان المهدي وجعفر لم يعيشا في قصر ابيهما بل كان كل منهما يقيم في منزل خاص به .

اما اولاده الاخرون فهم سليمان ، وعيسى ، ويعقوب ، وعبدالعزيز[٨٢] ، وأمهم فاطمة بنت محمد الطلحية ، وجعفر الاصغر وأمه كردية ، وصالح المسكين وأمه ام ولد[٨٣] . ومن اولاده ايضا القاسم ولم تذكر هوية امه ، والعالية وامها من بني امية وتزوجت

اسحق بن سليمان بن علي[٨٤].

لم تذكر المصادر لاي من زوجات المنصور اقطاعا او ملكا سوى ام القاسم الذي يذكر الطبري انه كان «لها بباب الشام بستان يعرف ببستان ام القاسم»[٨٥] غير ان المصادر لم تذكر لها فيه منزلا ، كما انها لم تذكر متى وكيف حصلت ام القاسم على هذه البستان .

اما اولاده فقد ذكرنا اعلاه قطيعتي المهدي وجعفر، وذكرت المصادر قطائع ودور عدد من بقية اولاده .

فاما سليمان فان قطيعته وداره يتكرر ذكرهما في المصادر ، فيقول اليعقوبي «فاذا جاوز موضع الجسر فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة للجسر ، فاذا جاوزت ذلك فاول القطائع قطيعة سليمان بن ابي جعفر في الشارع الاعظم على دجلة منسوب الى سليمان بن ابي جعفر» . ويذكر الخطيب «درب سليمان منسوب الى سليمان بن ابي جعفر المنصور»[٨٧] ويذكر ايضا «وكانت دار سليمان بن ابي جعفر قطيعة لهشام بن عمرو الفزاري»[٨٨] «يفهم من كلام الخطيب ان سليمان حصل على الارض التي بني عليها داره مؤخرا ، غير ان المصادر لم تذكر فيما اذا كان ذلك ، ان صح ، قد تم في عهد ابي جعفر ام بعده . ونرجح عدم صحة كلام الخطيب ، لانه لا يعقل ان يقطع المنصور اولاده ما عدا سليمان .

اما صالح المسكين فيذكر الخطيب «الصالحية لصالح المسكين»[٨٨] ويذكر «دار صالح المسكين أقطعه اياها ابو جعفر»[٨٩] ويذكر اليعقوبي «والى جانب قطيعة سليمان في الشارع الاعظم قطيعة صالح بن امير المؤمنين المنصور ، وهو صالح المسكين ، مادة الى دار نجيح مولى المنصور التي صارت لعبدالله بن طاهر»[٩٠] ويذكر الطبري «دار خالد البطين على شاطيء دجلة ملاصقا لدار صالح المسكين»[٩١] ويذكر الجهشياري «وكان المنصور يحب ابنا له يقال له صالح ويرق عليه وكان اقطع اولاده جميعا قطائع خلاه ، وكان يقول هذا المسكين لا شيء له ، فلقب صالح المسكين»[٩٢]. ويتبين من كلام الجهشياري ان المنصور أقطع جميع اولاده وأن قطيعة صالح المسكين كانت آخر القطائع .

اما عيسى فيذكر الخطيب ان اقطاعه كان «قرب قصر عيسى على شاطيء دجلة»[٩٣] ويذكر اليعقوبي «تنعرج من الشرقية مارا الى قطيعة جعفر بن المنصور على شط دجلة وبها دار عيسى بن جعفر وتقرب منها دار جعفر بن جعفر[٩٤].

ولم تذكر المصادر اقطاعا لاي من يعقوب ، والعباس ، وعبدالعزيز ، والقاسم علما بان القاسم كان مقربا من ابيه ، اذ يذكر الطبري ان ابا جعفر لما حج حجته الاخيرة كان

القاسم «يسير بين ابيه وبين صاحب الشرطة»(٩٥).

وذكر الخطيب «طاق اسماء بنت المنصور»(٩٦)، وهذا الطاق مشهور حتى ان المنطقة المجاورة له سميت «محلة باب الطاق» لكن كتب النسب لم تذكر للمنصور بنتا اسمها اسماء .

اما المهدي فقد ذكرت المصادر اسماء ثلاث من زوجاته هن ريطة ابنة ابي العباس السفاح وقد ولدت عليا وعبدالله ، والخيزران وقد ولدت له موسى وهارون وليي عهده ، ومنصور وسليمان وهما ابنا البحترية بنت الاصبهبذ . وكانت له امهات اولاد ولدن له يعقوب ، واسحق وابراهيم ابن شكله .

لم تذكر المصادر قصورا او دورا لاي من اولاد المهدي . ما عدا ابراهيم الذي اعلن نفسه خليفة وأيده أهل بغداد بعد ان لبس المأمون الخضرة في خراسان وولي علياً الرضا عهده «وكانت داره التي بويع فيها بالخلافة في سوق العطش»(٩٧). غير اننا لا نعلم متى حصل ابراهيم على هذه الدار وسكن فيها ، اي هل في عهد ابيه ام بعد ذلك ؟

ويلاحظ ان المهدي سكن في عيساباذ التي يذكر ياقوت انها سميت باسم عيسى ابن المهدي الذي لم يشتهر في التاريخ حتى ان كثيرا من كتب النسب لم تذكر للمهدي ولدا اسمه عيسى .

ولبعض زوجات المهدي وبناته مكانة لم تحصل عليها مثيلاتهن في عهد اي خليفة اخر ؛ فاما زوجته الخيزران فقد كانت ذات مكانة عظيمة ، وخاصة في عهد ولديه موسى وهارون وقد سميت بها المقبرة التي دفنت فيها «وهي أقدم المقابر»(٩٨). ومن الغريب ان ريطة ابنة ابي العباس وزوجته لم تذكر لها المصادر اقطاعا او دارا» .

اما ابنته البانوقة فقد ذكر الخطيب ان لها دارا ، وهي تقع على احد فروع نهر موسى ، فان نهر موسى بعد ان يصل مقسم الماء ينقسم الى ثلاثة اقسام «فيمر الاول منها الى باب سوق الدواب ، ويجتاز باب عمار ، ويحمل منه هناك نهر يمر الى دار البانوجة ويفنى هناك»(٩٩).

وكانت البانوقة فتاة برزه ، فلما زار المهدي البصرة كان يعبر «والبانوقة تسير بينه وبين يديه وبين صاحب الشرطة في هيئة الفتيان عليها قباء اسود ومنطقة وشاشية متقلدة السيف»(١٠٠) وقد حزن عليها المهدي عند وفاتها .

اما العباسة فقد سميت بها احدى مقابر الجانب الشرقي . وقد ذكر الخطيب سويقة

العباسة ، ودار العباسة بالمخرم[101]. ومع ان الخطيب لم يقدم معلومات عن التي سميت بها السويقة والدار ، الا اننا نرجح انها بنت المهدي . وقد اشتهرت علية بنت المهدي بصوتها الجميل وكانت من اشهر المغنيات .

يظهر مما ذكرناه آنفا مدى الحرية الواسعة ، والمكانة الكبيرة التي تبوأتها المرأة في زمن المهدي . والواقع اننا لا نجد خليفة اخر برزت فيه من النساء الى المكانة التي كانت لها في زمن هذا الخليفة . ومن اكبر العوامل في وصول المرأة هذه المكانة هو شخص الخليفة نفسه فيذكر الطبري ان المنصور قال للمهدي في وصيته «واياك ان تدخل النساء في مشورتك في أمرك وأظنك ستفعل»[102] وقد اتهم عبدالسلام الخارجي المهدي بقوله «وتنوقت في بناتك»[103].

اما موسى الهادي فقد كان له من الاولاد جعفر ، والعباس ، وعبدالله ، واسحق ، واسماعيل ، وسليمان ، وموسى ، وكلهم من امهات اولاد[104] . ويذكر الطبري لموسى ابنتين احداهما أم عيسى تزوجها المأمون ، والاخرى أم العباس . ولم تذكر المصادر اقطاعا او دارا لاي منهما كما لم تذكر مكان اقامتهم ببغداد ، علما بان قليلا منهم أشغل مناصب ادارية ،

أما الرشيد فقد تزوج زبيدة ، وقد غلب عليها اسم ام جعفر ، وهي بنت جعفر بن ابي جعفر ، وقد ولدت له الامين . كما تزوج العباسة ابنة سليمان بن ابي جعفر ، وأم محمد بنت صالح المسكين ، وعزيزة ابنة الغطريف .

وكان له عدد من الجواري اصبح منهن امهات اولاد : مراجل ، وقصف ، وحارده ، وأمه العزيز ، ورئم ، وعرابه ، وشذره ، وخبث ، ودواج ، وحلوب ، ورحيق ، وشجر ، وحزن ، وحلي ، وأيمن ، وسمند ، وزينة ، وغصص ، وكتمان ، وحملونه

وكان له من امهات اولاده عبد الله المأمون ، والقاسم ، ومحمد المعتصم ، ومحمد ابو علي ، ومحمد ابو احمد ، ومحمد ابو سليمان ، وعلي ، وصالح . وله ايضا عدة بنات منهن اما عن اماكن اعراسه وولادة اولاده ، فقد ذكرت المصادر انه تزوج زبيدة سنة ١٦٥» في دار محمد بن سليمان التي صارت بعد للعباسة ثم صارت للمعتصم»[105] ولا نعلم سبب اعراسه في هذه الدار ، علماً بأنها ليست دار زبيدة ولا دار ابيها ولا هي دار الرشيد وقد تزوج ابنة صالح المسكين في الرقة . وقد ذكر ان زبيدة انتقلت مع الرشيد الى

الرقة ، فلما توفي عادت منها الى بغداد[106].

لم يذكر في بغداد قصر لأيّ من اولاد الرشيد ما عدا المأمون والمعتصم . فأما المأمون فقد كان له ببغداد قصر يقيم فيه ابان حربه مع الامين ،ابنـاه عن امهما ام عيسى بنت الهادي[107]، ولكن المأمون عندما عاد الى بغداد بعد توليه الخلافة لم يقم في ذلك القصر بل «اقام بالرصافة الى ان اكمل بناء قصر له قرب قصره الاول»[108].

وقد امتلك المأمون في بغداد قصر المأموني الذي اقيم في موضعه قصر التاج ، وهو اهم قصور دار الخلافة بعد عودة الخلفاء العباسيين من سامراء . غير ان هذا القصر لم يشيده المأمون وقد ذكر ياقوت تاريخ هذا القصر فقال «كان اول ما وضع من الابنية في هذا المكان قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . . وأتقن بناءه وأنفق عليه الاموال الجمة» ثم ذكر ياقوت ان جعفراً البرمكي اهدى هذا القصر للمأمون ، واضاف «وكان الى ذلك يسمى القصر الجعفري ، ثم انتقل الى المأمون فكان من احب المواضع اليـه واشهاهـا لديه ، واقتطع جملة من البرية عملها ميدانا لركض الخيل واللعب بالصوالجة وحيرا لجميع الوحوش ، وفتح له بابا شرقيا الى جانب البرية ، واجري فيه نهرا ساقه من نهر المعلى وابتنى مثله قريبا منه منازل برسم خاصته واصحابه سميت «المأمونية» وهي الى الان الشـارع الاعظم فيما بين عقدي المصطنع والزرادين وكان قد اسكن فيه الفضل والحسن ابني سهل ثم توجه واليه واليه (؟) بخراسان» وذكر ياقوت ان الحسن بن سهل نزل هذا القصر لما ولي بغداد وكان يعرف بالمأموني[109].

اما المعتصم فقد كان له قصر قرب قصر المأمون[110] ولا نعلم فيما اذا كان هذا القصر هو نفس القصر الذي كان لمحمد بن سليمان ثم صار للعباسة ثم للمعتصم[111].

ولابد ان المأون والمعتصم حصلا على قصريهما في حياة ابيهما الرشيد ، أي قبل خلافة الامين ، وأن كلا منهما كان يقيم في قصره ابان حياة الرشيد ، حيث ان المأمون كان ابان خلافة الامين في خراسان ، ويلاحظ ان المصادر لم تذكر ان أيا منهـما أقام في قصـر من القصور التي كان يقيم فيها الخلفاء الاولون بما في ذلك قصر الخلد .

ثم ان المصادر لم تذكر استصحاب الرشيد كافة او بعض زوجاته وامهات اولاده الى الرقة التي اتخذ مقامه فيها في السنين الاخيرة من حكمه ، وفي حالة بقاء بعض نسائه في بغداد فأين كن يقمن في بغداد ؟ واين كان يقيم بقية اولاده ؟ وهل كانت كل من أم المأمون وأم المعتصم تقيم في قصر ولدها ببغداد أم ان كلا منهما كانت تصحب ولدها ، عند سفره ؟

لم يذكر من زوجات الرشيد من كانت لها املاك غير زبيدة ، فقد كان لها «الزبيدية التي بين باب خراسات وبين شارع دار الرقيق . . وكذلك الزبيدية التي اسفل مدينة السلام في الجانب الغربي»[112]. ويقول الخطيب ان زبيدة «صارت لها سويقة يحيى بن خالد ، ثم اقطعها المأمون طاهراً»[113] ولابد ان سويقة يحيى صارت لها بعد نكبة البرامكة ، وربما في عهد خلافة ابنها الامين .

اما الشطر الثاني من هذا النص فيدل على ان المأمون قبض السويقة من زبيدة ثم أقطعها طاهراً بن الحسين .

وكان لأم حبيب بنت الرشيد قصر «مشرف على شارع الميدان ، وكان اقطاعا من الرشيد لعباد بن الخصيب ، ثم صار جميعه للفضل بن الربيع ، ثم صار جميعه لأم حبيب بنت الرشيد في ايام المأمون ، ثم صار لبنات الخلفاء الى ان صرن يجعلن في قصر المهدي بالرصافة»[114].

وام حبيب هي اخت المعتصم لابيه وأمه[115] وقد توفيت سنة ٢٦٧[116]، وقد أقام في قصرها المستعين ابان الفتنة بينه وبين المعتز[117]، وظل هذا القصر مسكن النساء العباسيات ، اذ يذكر الصابي في كلامه عن مصروفات المعتضد «جارى ولد الواثق والمهتدي بالله والمستعين ، وسائر اولاد الخلفاء ومن في قصر ام حبيب . .»[118] ولا نعلم متى اخلي القصر او انهدم .

قصور الخلفاء

قصر المنصور :

لما استقر رأي المنصور على البقعة التي اختارها لتبنى عليها مدينته ، وضع بنفسه صورة تخطيط معالمها ، ثم استدعى «المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين فمثل لهم صفتها التي في نفسه»[119]. وجعل تخطيط مدينته ذا طابع خاص يميزها ، فلم تكن تقليدا حرفيا لاي مدينة كانت آنذاك . وقد لفت هذا الطابع المميز انظار الناس فقال الجاحظ «قد رأيت المدن العظام والمذكورة بالاتقان والاحكام بالشامات وبلاد الروم وفي غيرها من البلدان ، فلم ار مدينة قط ارفع سمكا ، ولا اجود استدارة ، ولا أنبل نبلا ، ولا اوسع ابوابا ، ولا اجود فصلا من الزوراء ، وهي مدينة ابي جعفر المنصور ، كأنما صبت في قالب ، وكأنما افرغت افراغا»[120]. وقد ادعت بعض

المصادر انه «لا يعرف في اقطار الدنيا كلها مدينة مدورة سواها»[١٢١] ولكن الواقع ان الاستدارة هي ليست الصفة التي ميزت تخطيط بغداد على غيرها ، فان عددا غير قليل من المدن كانت مستديرة ايضا . بل ان تميزها كان في مجموعة من المظاهر الخططية لعل من ابرزها هو ان المدينة المدورة يقع في وسطها قصر الخليفة ثم بني المسجد الجامع بجانبه . ولا ريب في ان الجامع ودار الامارة كانا في وسط الامصار التي انشأها المسلمون كالبصرة والكوفة والفسطاط . غير ان بغداد تختلف عن هذه الامصار من حيث ان القصر بني اولا ، ثم بني الجامع عليه ، ولذلك جاءت قبلة الجامع مزورة قليلا[١٢٢] .

وتحيط القصر والجامع رحبة وصفها اليعقوبي فقال «فاذا خرج من الطاقات خرج الى رحبة ، ثم دهليز عظيم أزج معقود بالآجروالجص ، عليه بابا حديد ، يخرج من الباب الى الرحبة العظمى ، وكذلك الطاقات الاربعة على مثال واحد . وفي وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب ، والى جنب القصر المسجد الجامع .

وليس حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن الا دار من ناحية باب الشام للحرس وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص ، يجلس في احداهما صاحب الشرطة وفي الاخرى صاحب الحرس ، وهي اليوم يصلي فيهما الناس .

وحول الرحبة كما تدور منازل اولاد المنصور الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده ، وبيت المال ، وخزانة السلاح ، وديوان الرسائل ، وديوان الخراج ، وديوان الخاتم ، وديوان الجند وديوان الحوائج ، وديوان الاحشام ، ومطبخ العامة ، وديوان النفقات»[١٢٣] .

ويذكر الخطيب «وكان لا يدخل احد من عمومته ، يعني عمومة المنصور ، ولا غيرهم من هذه الابواب الا راجلا ، الا داود بن علي عمه ، فإنه كان منقرسا ، فكان يحمل في محفة ، ومحمد المهدي ابنه . وتكنس الرحاب في كل يوم يكنسها الفراشون ويحمل التراب الى خارج المدينة[١٢٤] .

ان تخطيط المدينة المدورة ، ووضع القصر في مركزها يعبر عن الطابع الاساسي الذي ينشده ابو جعفر . فهو المركز والقلب ، وهو على بعد واحد عن الجميع لان مدينته مدورة «والمدورة لها معان سوى المربعة ، وذلك ان المربعة اذا كان الملك في وسطها كان بعضها اقرب اليه من بعض ، والمدور من حيث قسم كان مستويا لايزيد هذا على هذا ، ولا هذا على هذا»[١٢٥] والخليفة هو المحور ، وقصره هو الاساس بل حتى الجامع تكيف تبعا

لتخطيط القصر وليس العكس .

والمحور في الدولة هو شخص الخليفة وليس اسرته ، فأولاده لايقيمون معه بل في بيوت صغيرة يفصلها عن قصره الرحبة التي لا يجوز لأُحد ، حتى كبار افراد اسرته ، ان يجتازها الا سيرا على الاقدام .

والخليفة منعزل عن الناس ، وحول قصره رحبة تحيطها أبنية بيوت اولاده والدواوين وليس بقربه الا الحرس الخاص والدواوين ، ولم يسمح لأُحد السكنى بقربه .

واقتصار قصر الخليفة على سكناه فقط دون اسرته ودواوينه وحرسه ادى الى عدم ضرورة بناء قصر واسع ، لعدم وجود حاجة للسعة ، وادى ايضا الى فصل مراكز الادارة والدواوين عن مقام الخليفة والى تثبيت مفهوم هو ان الخليفة الرأس الاعلى المسؤول عن حفظ الدولة وتوجيهها ، وأن الدواوين المسؤولة عن جزئيات الادارة ليست أعلى مكانة من المؤسسات الاخرى في الدولة .

ثم ان عدم تجمع افراد الاسرة العباسية وغيرهم من كبار رجال الدولة والاداريين بالقرب من الخليفة أدى الى تفرقهم في السكنى ، فاذا افترضنا ان منازل هؤلاء هي مراكز اشعاع حضاري ، فان بغداد اصبح فيها عدة مراكز للاشعاع الحضاري منبثة في أرجائها ، ويعمل اهل هذه المراكز ايضا على ضبط الامن والنظام وعلى تفكيك اية محاولة للثورة ضد السلطة المركزية . والواقع ان قطاعات المدينة التي كان ينزلها افراد الاسرة العباسية وكبار رجال الدولة لم تحدث فيها الاضطرابات او الاتجاهات المنحرفة التي حدثت في المناطق التي لم يسكنها هؤلاء كالكرخ والحربية .

سمي هذا القصر المركزي في بعض المصادر «قصر ابي جعفر»[١٢٦] . وقد سمي بابه باب الذهب[١٢٧] . وقد امتدت هذه التسمية الى القصر كله فسمي في بعض المصادر قصر باب الذهب ، فقد ذكر الخطيب ان المنصور قتل يحيى بن زكريا المحتسب بباب الذهب[١٢٨] . وذكر في مكان اخر ان جعفرالرازي جاء الى «باب الذهب» فاستأذن الحاجب في الدخول على المنصور[١٢٩] . وروى الطبري انه «لما قدم بختيشوع الاكبر على المنصور من السوس دخل عليه في قصره بباب الذهب»[١٣٠] ، وفي حصار طاهر بن الحسين بغداد كان ابراهيم بن المهدي «نازلا مع محمد اي المخلوع في مدينة المنصور في قصره بباب الذهب»[١٣١] وأن الامين عندما حوصر وتسلل عنه اصحابه» قعد في الجناح الذي كان عمله على باب الذهب»[١٣٢] وأن بعض القتلى في فتنة المستعين دفنت في قصر باب الذهب[١٣٣] .

ان هذا القصر سمي ايضا قصر الذهب ، فقد ذكر الخطيب ان المنصور «أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب . .»[134] وروي عن وكيع «كان ابو جعفر المنصور جعل المسجد الجامع بالمدينة ملاصق قصره المعروف بقصر الذهب . .»[135] وذكر الطبري ان اولاد البعيث في سنة ٢٣٥ «حبسوا ببغداد في قصر الذهب»[136] وان المعتز بعد انتصاره في سنة ٢٥٤ تتبع اولاد عبيدالله بن طاهر فذكر انه حبس في قصر الذهب من ولده واصحابه خمسة عشر انسانا ، وفي المطبق عشرة»[137].

والظاهر ان تسمية القصر او بابه بالذهب راجعة الى انه كان مذهّبا ، ومن المعلوم ان التذهيب كان ابرز الزخارف في بغداد ، فيروي الخطيب قول الامام علي سيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة ، يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب»[138] ويروي الطبري عن علي بن زيد انه عندما حاصر طاهر بن الحسين بغداد «كان محمد أعطى بنقض قصوره ومجالسه الخيزرانية بعد ظفر الغزاة الفي الف درهم ، فحرقها اصحاب طاهر كلها ، وكانت السقوف مذهبة»[139].

نقل الخطيب عن وكيع أوسع ما وصلنا في وصف هذا القصر حيث قال «وكانت مساحة قصر المنصور اربعمائة في اربعمائة ذراع ، ومساحة المسجد الاول مائتين في مائتين . . تحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا»[140].

ويقول ايضا «وكان في صدر قصر المنصور ايوان طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا .

وفي صدر الايوان مجلس عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ، وسمكه عشرون ذراع ، وسقفه قبة ، وعليه مجلس مثله فوقه القبة الخضراء . وسمكه الى حد عقد القبة عشرون ذراعا ، فصار من الارض الى رأس القبة الخضراء ثمانين زرعا وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس . وكانت القبة الخضراء ترى من اطراف بغداد»[141]ويقول اسماعيل الخطبي ان القبة الخضراء كانت «تاج بغداد ، وعلم البلد ، ومأثرة من مآثر بني العباس عظيمة»[142].

وفي السابع من جمادي الاخرة سنة ٣٢٩ «حدث مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد ، فسقط رأس القبة الخضراء . » فكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة[143]. وقد اغتم لسقوطها بنو العباس[144].

لا نعلم مقدار ما سقط من القبة الخضراء ، غير انه من المؤكد ان قاعدتها ظلت

باقية ، وقد دفن عندها عدد من احفاد المهتدي[١٤٥].

وقد اصبحت بعد توسيع جامع المنصور مجاورة لـه ، ثم سقطت كليـا في سنة ٦٥٣[١٤٦].

كان قصر الذهب هو القصر الوحيد الذي ذكرته المصادر في المدينة المدورة ، وقد شيده المنصور ليكون المقر الرسمي له ، وابرز ما فيه الايوان والقبة الخضراء التي عـلى الايوان . ومساحة الايوان غير كبيرة نسبيـا . فكأنها اعـدت لاستقبال عـدد محدود من الرجال . ولم يبن المنصور في بغداد غير هذا القصر وقصر الخلد .

وقد اورد الطبري وصفا لغرفة نوم المنصور وهي «حجرة صغيرة وفيها بيت واحد ورواق بين يديه في عرض البيت وعرض الصحن على اسطوانة ساج ، قد سدل على وجه الرواق البواري كما يصنع بالمساجد . . ليس فيه شيء غيره الا فراشه ومرافقه ودثاره[١٤٧].

لم تذكر المصادر ان احدا من الخلفاء سكن قصر الذهب بعد ابي جعفر المنصور ، سوى الخليفة محمد الامين ، فان ابن الجوزي يذكر انه لما وصل خبر وفاة الرشيد بغداد «كان الامين نازلا ببغداد في الخلد ، فتحول الى قصر المنصور بالمدينة»[١٤٨] ويذكر الطبري انه في اليوم التالي لبيعة الامين «أمر ببناء ميدان حول قصر ابي جعفر في المدينة للصوالجة واللعب . .»[١٤٩].

وفي قصر ابي جعفر سجن محمد الامين وأمه زبيدة مدة يومين قبيل تقدم طاهر بن الحسين لحصاره[١٥٠]، كما حبست فيه زبيدة بعد مقتل الامين فترة ثم نقلت الى الخلد[١٥١]، وقد حبس فيه ايضا اولاد البعيث[١٥٢]، كما حبس المعتز فيه خمسة عشر رجـلا من اولاد واصحاب عبيدالله بن طاهر[١٥٣].

ذكر اليعقوبي انه «الى جانب القصر المسجد الجامع»[١٥٤] وذكر الخطيب «كـان ابو جعفر المنصور جعل المسجد الجامع بالمدينة ملاصق قصره بقصر الذهب ، وهو الصحن العتيق»[١٥٥] ويقول الطبري ان قبلة مسجد المدينة على غير صواب «وان المصلي فيه يحتاج الى ان ينحرف الى باب البصرة قليلا . . لان مسجد المدينة بني على القصر»[١٥٦].

لقد كان الجامع مبنيا باللبن والطين ، ثم أمر هارون الرشيد بنقضه واعادة بنائه بالآجر والجص . ويذكر الخطبي «هدم مسجد ابي جعفر المنصور ، وزيد في نـواحيه ، وجدد بناؤه وأحكم ، وكان الابتداء به في سنة اثنتين وتسعين (ومائة) والفراغ منه في سنه ثلاث وتسعين (ومائة)» وقد كتب اسم البناء والنجار وتاريخ ذلك عـلى الجدار خـارج

المســجد مما يلي باب خراسان ، وظلت هذه الكتابة ظاهرة الى اوائل القرن الرابع[١٥٧].

لم تحدد المصادر زيادة الرشيد «في نواحيه» ويبدو ان بعضها كان من جهة خراسان ، وظلت هذه الجهة قائمة دون ان يزاد فيها ، وكانت فيما يظهر غير بعيدة عن باب خراسان ، لان صفوف المصلين كانت تصل احيانا الى ذلك الباب ، كما ان بعض المصلين كانوا يصلون في سميرياتهم في النهر في تلك الجهة . ومعنى هذا ان زيادة الجامع في زمن الرشيد لم تمس قصر ابي جعفر .

وفي خلافة المعتضد جرى توسيع جديد للجامع باضافة مساحة من ارض القصر اليه . وقد أورد الخطيب عن الزيادة معلومات مفصلة حيث قال : «كانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، وكانت قديما ديوانا للمنصور ، فامر مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت اليه وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ٢٦٠ او ٢٦١ .

ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول ، وهو قصر المنصور ووصله بالجامع ، وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا ، منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة ، وحول المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد»[١٥٨].

ان هذه المعلومات التي اوردها الخطيب هي اوسع ما وصلنا عن وصف الجامع والقصر وما مر عليهما من تطورات ، وهي المصدر الرئيس الذي اعتمد عليه الباحثون المحدثون من مؤرخين واثاريين في دراسة خطط هذين البنائين .

غير ان معلومات الخطيب رغم سعتها ، فيها كثير من الغموض الذي لا تزيله المعلومات الاضافية القليلة في المصادر الاخرى . وكان هذا الغموض سببا للاختلاف بين الاثاريين المحدثين في كتاباتهم ، وابرزهم هرزفيلد ، وكريسويل ، والاستاذان مصطفى جواد واحمد سوسة[١٥٩].

فاما هرزفيلد فقد افترض ان الجامع يقع على الحائط الجنوبي للقصر ، وافترض كريسويل انه يقع على الحائط الشمالي مقابل باب خراسان ، وافترض احمد سوسة ومصطفى جواد ان الجامع يقع على الطرف الايمن من الحائط الشمالي . ولاريب في ان الجامع كان يقع على الحائط الشمالي ، لان الخطيب يذكر ان صفوف المصلين كانت تمتد عندما يضيق المسجد بهم ، الى باب خراسان ، وان بعض الناس كانوا يصلون الجمعة في السميريات[١٦٠].

غير ان قول الخطيب ان ضلع الجامع في زمن المنصور كان مائتي ذراع ، اي نصف طول ضلع القصر ، واقتصاره في وصف زيادة الرشيد على ما «زيد في جوانبه» دون اي تفصيل عن مقدار الزيادة ؛ اجل ان هذا يضع احتمالات كثيرة عن موقعه من حائط القصر ، اي هل كان الجامع على الجانب الايمن ام الايسر من حائط القصر ، ام كان يقع في وسط هذا الحائط تاركاً فراغين على الجانبين الايمن والايسر منه . وقد ناقش لسنر هذه الاحتمالات ، كما ناقش احتمالات حجم وموقع زيادة الرشيد والمعتضد للجامع ، مفترضا ضرورة حفظ تلك الزيادات لموضع الجامع في القصر ، وحفظها الانسجام الفني الضروري لمثل هذه الابنية الرئيسة(١٦١).

الخلد ومقام الرشيد

وفي سنة ١٥٧ قام المنصور ببناء قصر الخلد ، واتم بناءه في سنة واحدة(١٦٢). ويقع قصر الخلد على شاطىء دجلة ، قرب الجسر ، في خارج المدينة المدورة . وقد ورد في تحديد موقعه نصان : فأما الخطيب فيقول «وأما شاطىء دجلة من قرن الصراة الى الجسر ، ومن حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ثم صارت لاحمد بن اسرائيل ثم هي اليوم بيد خاقان ثم أوطنه الامين(١٦٣). اما اليعقوبي فيقول «الربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعد ذلك بازائها الخلد ، وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض ، وقصر يشرع على دجلة لم يزل ابو جعفر يلزمه ، كان فيه المهدي قبل ان ينتقل الى قصره بالرصافة الذي في الجانب الشرقي من دجلة»(١٦٤). ومن الواضح ان القصر الذي كان ينزله المهدي هو الذي يشرع على دجلة وليس الخلد . غير ان كلام اليعقوبي يدل على ان الخلد بين باب خراسان والجسر ، اما كلام الخطيب فيدل على ان الخلد جنوبي الجسر ، بينه وبين الصراة .

يذكر الطبري انه عندما قرر المنصور بناء بغداد ، كان في موضع الخلد دير(١٦٥)، ويروي عن حماد التركي ان المنصور وحاشيته «وقع اختيارهم على موضع بغداد ، قرية على شاطىء الصراة مما يلي الخلد ، وكان في موضع بناء الخلد دير ، وكان في قرن الصراة مما يلي الخلد من الجانب الشرقي ايضا قرية ودير كبير كانت تسمى سوق البقر ، وكانت القرية تسمى العتيقة ، وهي التي افتتحها المثنى بن حارثة الشيباني»(١٦٦).

بني المنصور الخلد بعد ان نقل اهل السوق من المدينة المدورة الى الكرخ(١٦٧). وفي تلك السنة ايضا عقد المنصور الجسر بباب الشعير(١٦٨)، وهو يربط الكرخ بالجانب

الشرقي ، ونقل اهل السوق الى الكرخ ، فأزال عن المدينة المدورة العناصر التي قد تحدث الاضطراب والشغب فيها ، كما ان جسر باب الشعير يؤمن اتصال اهل الاعمال في الجانبين الشرقي والغربي دون الحاجة الى المرور بالمدينة المدورة او بقربها .

وقد بني الخلد بعد ان تم بناء الرصافة ونزول الناس بها . وقد كان لموقعه اهمية خاصة فهو عند الجسر الاعلى الذي يربط الارباض الشمالية من المدينة المدورة في الجانب الغربي ، مع الجانب الشرقي . ومن المعلوم ان الرصافة انشئت في الاصل لاقامة شطر كبير من جيش المنصور ، كما ان الحربية التي في الاطراف الشمالية من مدينة المنصور كانت تقطنها القوات العسكرية ايضا ، فللخلد موقع ستراتيجي مهم ، اذ يهيمن على وسيلة الاتصال بين القوتين العسكريتين في بغداد .

ثم ان موقع الخلد ذو خصائص طبيعية ، فيذكر الطبري ان هذا الموقع كان خاليا من البق[١٦٩]. ويقول الخطيب «انما سمي قصر المنصور الخلد تشبيها له بجنة الخلد وما يحويه من كل منظر رائق ، ومطلب فائق ، وغرض غريب ، ومراد عجيب[١٧٠]» .

وانتقال المنصور الى الخلد بالقرب من الجسر يؤمن له حرية الانتقال والحركة ، ويمكنه من الاستفادة من جنده الذي اصبح موزعا على الجانبين الشرقي والغربي . ولعله في هذا الوقت جعل مركز الشرطة عند الجسر ، ليكون قريبا من مكان اقامة الخليفة الذي زاد اعتماده على الشرطة في ضبط الامن في المدينة[١٧١].

غير ان المنصور لم يطل مقامه في الخلد ، فقد توفي في السنة التي تم فيها بناء ذلك القصر ، واتخذ المهدي الذي خلف ابا جعفر المنصور مقامه في الرصافة ثم في قصر السلامة . ولم يستوطن الخلد .

اما موسى الهادي فانه لما ولي الخلافة كان في جرجان فعاد مسرعا الى بغداد «فلما قدمها نزل القصر الذي يسمى الخلد ، فاقام به شهراً ثم تحول الى بستان ابي جعفر ثم تحول الى عيساباذ[١٧٢]» وقد استقر في عيساباذ طيلة خلافته القصيرة الامد ثم توفي ودفن فيها .

كان الرشيد يقيم في الخلد قبل ان يلي الخلافة ، وكان يسكن معه انذاك في الخلد يحيى البرمكي فيقول الطبري «وماتت ام يحيى وهي في الخلد ببغداد ، لان هارون كان ينزل الخلد ويحيى معه ، وهو ولي العهد ، نازل في داره يلقاه في ليله ونهاره»[١٧٣]. وقد ظل يقيم في الخلد في الاوقات التي كان يقيم فيها ببغداد[١٧٤].

وفي الخلد دخل الرشيد على زبيدة في سنة ١٦٥ عندما كان ولي عهد[١٧٥]، وفيه ايضا ولد المعتصم سنة ١٨١[١٧٦]، ولما اودع زمام الامور لجعفر البرمكي «أنزله الخلد بالقرب من قصره»[١٧٧].

ولما ولي الرشيد الخلافة نقل مقره الى الخلد، ولعله لم يرد الاقامة في المكان الذي كان يقيم فيه اخوه موسى الهادي الذي ضايقه عندما حاول اجباره على التنازل عن ولاية العهد.

وجدير هنا ان نذكر ان الرشيد كان يريد الأنتقال عن بغداد، وقد اظهر عزمه على ذلك بعد فترة قصيرة من تسنمه الخلافة. ففي سنة ١٧٢، اي بعد سنتين من توليه الخلافة، شخص الى مرج القلعة مرتادا بها منزلا ينزله. يقول الطبري «ذكر ان الذي دعاه الى الشخوص اليها انه استثقل مدينة السلام، فكان يسميها البخار، فخرج الى مرج القلعة فاعتل بها، فانصرف وسميت تلك السفرة سفرة المرتاد»[١٧٨].

ومرج القلعة تقع على طرف الهضبة الايرانية، وهي تبعد ١٦ فرسخا عن قرميسين، وفي منتصف المسافة بينهما الزبيدية[١٧٩]، اي انها تقع شرقي حلوان[١٨٠]، وبينهما تقع ماذروستان «فيه ايوان عظيم، وبين يديه دكة عظيمة واثر بستان خراب بناه بهرام جور[١٨١]. وبالقرب منها تقع الطرز التي بقربها ايضا ما سيذان ومهر جانقذق واريوجان ويخرج منها نهر الى البندنيجين[١٨٢]. وتبعد الطرز عن نهاوند بضعة وعشرون فرسخا[١٨٣].

وقد اشتهرت مرج القلعة في الفتوح الاسلامية الاولى حيث وضع المسلمون فيها قوة من جيشهم قبيل معركة نهاوند[١٨٤]. ولما تقدم قحطبة في الجيش العباسي الى العراق مر بنهاوند ومرج القلعة وحلوان[١٨٥].

ويذكر ياقوت ان عُلَيّة بنت المهدي كانت قد خرجت الى خراسان بصحبة أخيها الرشيد فاشتاقت الى بغداد، فكتبت على مضرب اخيها شعرا «فلما وقف عليه الرشيد قال: حنت علية الى الوطن، وأمرها بالرجوع الى بغداد»[١٨٦]. فاذا كان ياقوت يشير الى خروج الرشيد سنة ١٧٢، فمعناه ان الرشيد استصحب في هذه السفرة أهله ايضا.

وفي سنة ١٧٤ «خرج الرشيد الى باقردى وبازبدي، وبني بباقردى قصرا فقال الشاعر في ذلك.

بقردى وبازبدى مصيف ومربع
وغب يحاكي لسلسبيل برود

وبغـداد مَّا بغـداد امـا تـرابهـا
فخـرء امـا حـرهـا فشـديـد[١٨٧]

ولاريب في ان بناء القصر يدل على بقائه مدة غير قصيرة ، وقد يدل على تفكيره بالبقاء فيها واتخاذها دارا . وهذا يؤيده الشعر الذي يذم بغداد .

ويذكر الطبري «ان مسرور الكبير قال : سألني المعتصم اين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر ببغداد ، قلت بالقاطول ، وكان قد بني هناك مدينة آثارها وسورها قائم وكان قد خاف من الجند ما خاف للمعتصم ، فلما وثب أهل الشام وعصوا ، خرج الى الرقة فأقام بها وبقيت مدينة القاطول لم تستتم»[١٨٨] . ويذكر البلاذرى في كلامه عن سامراء «ونزلها امير المؤمنين المعتصم بالله ، ثم شخص عنها الى القاطول ، فنزل قصرا للرشيد كان ابتناه حين حفر قاطوله الذي دعاه ابا الجند لقيام ما يسقى من الارضين بأرزاق الجند»[١٨٩] . اما ياقوت فيذكر في كلامه عن سامراء «واراد الرشيد ايضا بناءها ، فبنى بحذائها قصرا ، وهو بازاء أثر عظيم قديم كان للاكاسرة ، ثم بناها المعتصم»[١٩٠] ولم تذكر المصادر سنة حفر القاطول وبناء المدينة ، ولكن النص يظهر ضجر الرشيد من بغداد .

ويـلاحظ ان الرشيـد حج بـالناس ست مـرات من السنوات التسع الاولى من خلافته ، ومن الطبيعي ان كل حجة كانت تستغرق مدة لا تقل عن ثلاثة اشهر .

وفي سنة ١٧٩ اعتمر الرشيد في شهر رمضان ، غير انه لم يعد الى بغداد اذ انه «لما قضى عمرته انصرف الى المدينة فاقام بها الى وقت الحج ثم حج بالناس . . ثم انصرف على طريق البصرة»[١٩١] ويذكر الطبري ان الرشيد عاد من البصرة في اواخر المحرم «فقدم مدينة السلام ، ثم شخص الى الحيرة فسكنها وابتنى بها المنازل ، واقطع من معه الخطط ، واقام نحوا من اربعين يوما فوثب به اهل الكوفة واساؤوا مجاورته ، فارتحل الى مدينة السلام ، ثم شخص من مدينة السلام الى الرقة ، واستخلف بمدينة السلام حين شخص الى الرقة محمد الامين ، وولاه العراقين» واضح من كلام الطبري ان الرشيد منذ ان بدأ عمرته كان يفكر بترك بغداد ولعل بقاءه في المدينة والبصرة كان لغرض التحقق من امكان اتخاذها مركزا بديلا لبغداد . اما إقامته وبناؤه في الحيرة فهو تعبير واضح عن رغبته باتخاذها مقاما له .

وفي الحوادث التي جرت في السنة السابقة لعمرته وحجه ، اي في سنة ١٧٨ جرى حدثان قد يفسران دوافع الرشيد في هجر بغداد . فيذكر الطبـري ان الفضل بن يحيى

شخص الى خراسان والياً عليها في سنة ١٧٨ وأنه «اتخذ بخراسان جندا من العجم سماهم العباسية ، وجعل ولاءهم له ، وان عدتهم خمسمائة الف رجل ، وأنه قدم منهم بغداد عشرون الف رجل، فسموا ببغداد الكرنبية ، وخلف الباقي منهم بخراسان على اسمائهم ودفاترهم»[١٩٢]. ويذكر الطبري ايضا انه في سنة ١٧٨ «فوض الرشيد اموره كلها الى يحيى بن خالد البرمكي»[١٩٣].

ان الجند الجديد قد يدل على اضطراب الجند ببغداد على الرشيد وعلى عدم تأييد اهلها له ، مما حمله على ان يفوض الامور الى يحيى . وان تعيين ابنه محمد الامين لولاية العراقين دليل على عزمه على هجر بغداد وجعلها ولاية تابعة وليست دارا متبوعة . وفي هذه السنة سار الرشيد الى الموصل فهدم سورها «ثم مضى الى الرقة فنزلها واتخذها وطنا»[١٩٥].

وللرقة صلة بالعباسيين فيروي اليعقوبي ان أبا العباس السفاح اراد اتخاذها مقرا له قبل ان ينزل الانبار[١٩٦].

ويذكر الطبري ان المنصور عزم على بناء مدينة قرب الرقة ، فعارض اهلها اولا[١٩٧]، غير ان المنصور لم يرضخ لتلك المعارضة ، ففي سنة ١٥٥ «وجه المنصور ابنه المهدي لبناء مدينة الرافقة ، فشخص اليها ، فبناها على بناء مدينة بغداد في أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها ، وسور سورها وخندقها ، ثم انصرف الى مدينته»[١٩٨]، وقد استغرق بناء الرافقة ثلاث سنوات ، وتم في سنة ١٥٨ التي يذكر الطبري ان «فيها انصرف المهدي الى مدينة السلام من الرقة ، فدخلها في شهر رمضان»[١٩٩].

ويقول البلاذري «قالوا : ولم يكن للرافقة اثر قديم انما بناها امير المؤمنين المنصور رحمه الله سنة ١٥٥ على بناء مدينة بغداد ورتب فيها جندا من اهل خراسان وجرت على يد المهدي وهو ولي عهد . ثم ان الرشيد بني قصورها ، فكان بين الرقة والرافقة فضاء ومزارع ، فلما قدم علي بن سليمان بن علي واليا على الجزيرة نقل اسواق الرقة الى تلك الارض ، فكان سوق الرقة الاعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق ، ثم لما قدم الرشيد استزاد من تلك الاسواق فلم تزل تجبى مع الصوافي»[٢٠٠]. وقد نقل ياقوت كلام البلاذري غير انه حذف الجملة الاخيرة وأورد بدلها «وكان يأتيها ويقيم بها ، فعمرت مدة طويلة»[٢٠١].

ظلت الرافقة مقام الرشيد طيلة السنوات العشرة الاخيرة من خلافته . وقد حج خلالها ثلاث مرات ، وغزا مرتين ، وسافر الى خراسان مرة ، وفي خلال ذلك لم يقدم

بغداد الا مرتين : الاولى منها في سنة ١٨٤ حيث قدم «في جمادي الاخرة منصرفا اليها من الرقة في الفرات في السفن ، فلما صار اليها أخذ الناس بالبقايا»[٢٠٢] ثم غادرها في السنة التالية الى الرقة على طريق الموصل[٢٠٣].

وفي رمضان من سنة ١٨٦ شخص الرشيد من الرقة للحج «فمر بالانبار ولم يدخل مدينة السلام ، ولكنه نزل منزلا على شاطيء الفرات يدعى الدارات ، بينه وبين مدينة السلام سبعة فراسخ»[٢٠٤].

وفي سنة ١٨٩ حج الرشيد ، ثم شخص من مكة الى الري ، فلما مر ببغداد «عسكر بالنهروان»[٢٠٥]. ولما عاد من الري «ادركه الاضحى بقصر اللصوص ، فضحى بها ودخل مدينة السلام يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، فلما مر الجسر أمر بأحراق جثة جعفر بن يحيى ، وطوى بغداد ولم ينزلها ، ومضى من فوره متوجها الى الرقة فنزل السيلحين»[٢٠٦].

وفي سنة ١٩٢ ، وافى الرشيد من الرقة في السفن مدينة السلام يريد الشخوص الى خراسان لحرب رافع ، وكان مصيره ببغداد يوم الجمعة لخمس ليالي بقين من شهر ربيع الاخرة ، ثم شخص عن مدينة السلام عشية الاثنين لخمس خلون من شعبان بعد صلاة العصر من الخيزرانية ، فبات في بستان ابي جعفر ، ثم سار من غد الى النهروان فعسكر هناك «واستخلف ابنه محمدا بمدينة السلام»[٢٠٧]. ويقول الازدي ان الرشيد في سنة ١٩٢ «شخص عن الرقة يريد خراسان ، فقدم بغداد فأقام بها اياما ، وخرج نحو خراسان . . واستخلف محمد الامين على بغداد»[٢٠٨]. .

يروي الطبري ان الرشيد لما مر ببغداد في سنة ١٨٩ قال «والله اني لاطوي مدينة ما وضعت بشرق ولا غرب مدينة ايمن ولا ايسر منها ، وانها لموطني وموطن ابائي ، ودار مملكة بني العباس ما بقوا وحافظوا عليها . ما رأى احد من ابائي سوءا ولا نكبة منها ، ولا سيء بها احد منهم قط ، ولنعم الدار هي . ولكن اريد المناخ على ناحية اهل الشقاق والنفاق والبغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة ـ يعني بني امية ـ مع ما فيها من المارقة والمتلصصة ومخيفي السبل ، ولولا ذلك ما فارقت بغداد ما حييت ولا خرجت عنها ابدا»[٢٠٩]

لا ريب في ان منطقة الجزيرة التي تقع فيها الرقة ، كانت مركز بعض الحركات المناوئة للعباسيين ، ومن ذلك حركات السفيانيين ، بالاضافة الى حركات الخوارج . غير

ان معظم هذه الحركات اخمدت قبل تولي الرشيد الخلافة . اذ انه عندما ولي الخلافة كانت حركات الخوارج قد صفيت وكان اهل الشام مفككين ولم يكونوا مصدر خطر على الدولة العباسية .

ثم ان الرشيد ترك بغداد بحثا عن منزل جديد منذ ان ولي الخلافة ، وقد فتش عن هذا المنزل في المناطق الشرقية والغربية الشمالية ولمدة تسع سنوات قبل ان يستقر على الرافقة ، ثم انه بعد استقراره في الرافقة كان عدد زياراته لبغداد قليلا ، ومدة بقائه فيها قصيرة ، بل انه تحاشى النزول بها في بعض السفرات التي كانت تقع في طريقه . وكل هذا دليل على نفرة الرشيد من بغداد واهلها ، مبعثه عدم الثقة والاستياء ، رغم ان المصادر لا تذكر بصراحة وتفصيل الاحداث التي ولدت فيه هذا الاستياء واضعفت ثقته .

يتبين مما سبق ان الرشيد اتخذ مقامه في الخلد ابان ولايته العهد ، وفي السنين الاولى من خلافته عندما كان ببغداد ، وانه كان يقيم في هذا القصر مع زوجته زبيدة ، ومع بعض ، ان لم يكن كل ، امهات اولاده . وانه كان يدير منه شؤون الدولة ، ولذلك اسكن معه في الخلد مستشاره جعفر البرمكي . غير ان الرشيد قضى معظم سني خلافته خارج بغداد .

وفي الخلد كان يقيم الامين في حياة ابيه وكان يسكن فيه مع الفضل بن يحي البرمكي الذي كان يربي الامين(٢١٠) . والراجح ان الامين ظل يقيم في هذا القصر ابان ولايته على بغداد عندما كان ابوه الرشيد مقيما في الرافقة ، ومن المؤكد انه عندما وصله خبر وفاة ابيه كان مقيما بالخلد ، غير ان مقامه الرئيسي «الرسمي» ابان خلافته كان في الخلد(٢١١) . ولما ثار عليه الحسين بن علي في اول النزاع مع المأمون ، اعتقله في قصر الخلد ثم نقله الى قصر ابي جعفر(٢١٢) ، غير انه بعد ان قضي على تلك الثورة عاد الامين الى ذلك القصر .

ولما اقتربت جيوش طاهر بن الحسين لحصار بغداد كان الامين «على شاطيء دجلة في قصره المعروف بالخلد . . وكان في وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق الى الماء في دجلة . . وفي المخترق شباك عظيم»(٢١٣) . وكان الخلد من اهم معاقل الامين في حصار بغداد(٢١٤) ، الامر الذي حمل طاهر على فرض الحصار عليه وضربه بالمجانيق(٢١٥) ، فاضطر الامين على اثر ذلك الى دخول المدينة المدورة(٢١٦) .

ولما قتل الامين وصفت الخلافة للمأمون ثار الجند ببغداد على طاهر بن الحسين فأمر هذا «بتحويل زبيدة وموسى وعبدالله بن محمد معها من قصر ابي جعفر الى قصر الخلد»(٢١٧)

ولما عاد المأمون الى بغداد في سنة ٢٠٣ «دخل قصور الخلافة بالخلد»[٢١٨] غير انه لم يقم فيه .

وقد انقطعت اخبار الخلد بعد ذلك ، فلم يرد له في المصادر ذكر الا ما رواه الطبري عن قدوم اسرى القرامطة الى بغداد سنة ٢٩٢ «وجازوا بهم في التمارين وباب الكرخ والخلد حتى وصلوا الى دار المكتفي»[٢١٩] .

ويذكر الخطيب ان «هذا القصر قد اندرس فلا عين له ولا اثر»[٢٢٠] غير ان المصادر لم تعين تاريخ إخلائه وتدميره .

ويذكر ياقوت ان الخلد «كان موضع البيمارستان العضدي اليوم او جنوبية ، وبنيت حوله منازل فصار محلة»[٢٢١]. غير ان اسم الخلد اختفى . كما ان المصادر لم تحدد موقع المارستان العضدي رغم شهرته وطول بقائه .

القرار ـ قصر زبيدة أم جعفر

يقول اليعقوبي «والربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعد ذلك بازائها الخلد وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض ، وقصر يشرع على دجلة لم يزل ابو جعفر ينزله وكان فيه المهدي قبل ان ينتقل الى قصره بالرصافة ، فاذا جاوز موضع الجسر فالجسر . .»[٢٢٢].

ويقول الخطيب «اما شاطيء دجلة من قرن الصراة الى الجسر ، ومن حد الدار التي كانت لنجاح فذلك الخلد ، ثم ما بعده الى الجسر فهو القرار ، نزله المنصور في اخر حياته واوطنه الامين»[٢٢٣].

يتفق اليعقوبي والخطيب على انه يقع عند الجسر قصر كان ينزله المنصور وان في جنوبي هذا القصر يقع الخلد . غير ان الخطيب يذكر ان اسم هذا القصر «القرار» اما اليعقوبي فلم يذكر اسم القصر ، علما بانه لم يذكر «القرار» في كتابه .

يذكر الطبري «قصر القرار في قرن الصراة اسفل من قصر الخلد»[٢٢٤] فموقع القرار في هذا النص يقع جنوب قصر الخلد وبالقرب من مصب الصراة ، بينما يصفه اليعقوبي والخطيب في شمال الخلد وبالقرب من الجسر . ويدل هذا الاختلاف على ان القرار زال اثره في القرن الثالث الهجري .

ويذكر الجهشياري «مشرعة باب خراسان فيما بين الخلد والفرات»[٢٢٥] والراجح ان كلمة (الفرات) خطأ ، وانه يجب ان تقرأ (القرار) .

يتبين من نص اليعقوبي المذكور اعلاه ان القرار بني في زمن ابي جعفر قبل ان يتم بناء قصر الرصافة ، اي قبل ان يبنى الخلد ، وان ابا جعفر والمهدي كانايتزلانه انذاك ، اما الخطيب فيذكر ان المنصور نزله في اخر حياته . ونرجح رواية اليعقوبي فان وجود قصر يقيم فيه الخليفة او ولي عهده كان في ذلك الوقت ضروريا للاشراف على بناء الرصافة علما بان المنصور بني الخلد في السنة الاخيرة من حياته .

يذكر الطبري «قصر ام جعفر المعروف بالقرار»[٢٢٦] ويروي الخطيب عن وكيع «كان موضع السجن الجديد اقطاعا لعبدالله بن مالك ، نزلها محمد بن يحيى بن خالد برمك ، ثم دخلت في بناء ام جعفر ايام محمد الذي سمته القرار»[٢٢٧] ويدل هذا النص على ان القرار اعيد بناؤه في ايام الامين ، وضم اليه الاقطاع الذي كان ينزله محمد بن يحيى البرمكي والذي كان في الاصل لعبدالله بن مالك ، وانه اصبح لأم جعفر .

وقد تردد ذكر قصر ام جعفر في اخبار حصار طاهر بن الحسين بغداد ، فذكر الطبري ان طاهرا «كمن حول قصر ام جعفر وقصور الخلد كمناء» و«شط دجلة في ظهر قصر ام جعفر»[٢٢٨] .

وذكر الطبري ايضا ان طاهر بن الحسين «قصد الى مدينة ابي جعفر ، فاحاط بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد من لدن باب الجسر الى باب خراسان وباب الشام . . فنصب المجانيق خلف السور على المدينة وبازاء قصر زبيدة وقصر الخلد ورمى ، وخرج محمد بأمه وولده الى مدينة ابي جعفر»[٢٢٩] ولابد ان قصر زبيدة هو نفس قصر ام جعفر ، لان زبيدة هي ام جعفر ، وهي ام الامين .

يظهر ان القرار كان منزل الامين ، فقد قال عبدالرحمن بن ابي الهداهد يرثي الامين :

اقول وقد دنوت من القرار
سقيت الغيث يا قصر القرار
أبن لي عن جميعك اين حلوا
واين مزارهم بعد المزار
واين محمد وابناه مالي
ارى اطلالهم سوء الديار[٢٣٠]

لم يرد للقرار ذكر بعد خلافة الامين ، مما يدل على انه هجر ، ولعله خرب على مر

الايام ثم هدم وصار مكانه السجن الجديد كما يذكر الخطيب في النص الذي اوردناه اعلاه . ويذكر الهمداني «ثم ابتنت ام جعفر في ايام المأمون القصر المعروف يالقرار ، وهو القصر الذي اقطعه المتوكل لمحمد بن عبدالله بن طاهر فاقطعه محمد جماعة من اصحابه[٢٣١].

الشرقية :

يقول اليعقوبي «وانما سميت الشرقية لانها قدرت مدينة للمهدي قبل ان يعزم على ان يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة ، فسميت الشرقية» وبها المسجد الكبير ، وكان يجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر ، وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ثم اخرج المنبر منه «وتنعرج من الشرقية مارا الى قطيعة جعفر بن المنصور[٢٣٢].

ويقول الخطيب ان المنصور بعد ان نقل اهل السوق من المدينة المدورة الى الكرخ «امر ان يبنى لاهل الاسواق مسجد يجتمعون فيه ، لايدخلون المدينة ، ويفرد لهم ذلك وقلد رجلا يقال له الوضاح بن شبا فبنى القصر الذي يقال له الوضاح ، والمسجد فيه ، وسميت الشرقية لانها شرقي الصراة»[٢٣٣] ويلاحظ ان قصر الوضاح كان قرب اقطاع جعفر الذي اراد المنصور ان يجعله وليا للعهد بعد المهدي[٢٣٤] .

ويتفق النصان ان في الشرقية مسجدا ، غير ان اليعقوبي يرى ان اعمار الشرقية تم منذ تأسيس بغداد وكجزء من الخطة العامة التي وضعها المنصور ، وانها خصصت للمهدي في اول الامر . اما الخطيب فيقصر كلامه على التطور الذي حدث في الشرقية منذ سنة ١٥٦ التي نقل فيها اهل السوق الى الكرخ .

ويدل مجرى الحوادث على ان كلام اليعقوبي صحيح ، لان تخطيط المدينة المدورة وتوزيع قطائعها يظهر عزم المنصور منذ بداية التخطيط ، على ان لا يقيم اولاده في قصره ، والواقع انه وزع لهم قطائع على شاطىء دجلة ، وكان اقطاع ابنه جعفر في الطرف الجنوبي ، فالمعقول ان يفرد المهدي في المعاملة ، وان يقطعه اقطاعا بالقرب من اقطاع اخيه جعفر وغير بعيد عن اقطاعات افراد الاسرة العباسية والصحابة والكتاب الذين كانت اقطاعاتهم جميعا في الاطراف الجنوبية من المدينة المدورة :

غير ان المهدي قضي معظم الوقت الذي كانت تبنى فيه بغداد في الري ، حيث اتخذ الري قاعدة له يقاتل منها الثائرين على الدولة العباسية ، فلم يستغل اقطاعه ، ولما عاد الى

بغداد مع جيشه ، لم يكن بالامكان اسكان هذا الجيش قرب اقطاع المهدي ، فقرر المنصور ان يستقروا في الجانب الشرقي ، ويظهر ان المهدي اختار الاقامة في قصر القرار الواقع قرب الجسر ليشرف منه على بناء واعمار الجانب الشرقي .

منازل وقصور الجانب الشرقي :

بعد ان تم بناء مدينة المنصور وتوزيع القطائع والاستيطان في الجانب الغربي قرر المنصور اعمار الجانب الشرقي .

ويقول اليعقوبي «والجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي ابن المنصور وهو ولي عهد ابيه ، ويدأ بناءه في سنة ١٤٣ . . واقطع المنصور اخوته وقواده بعدما اقطع من الجانب الغربي ، وهو جانب مدينته ، وقسمت القطائع في هذا الجانب وهو يعرف بعسكر المهدي ، كما قسمت في جانب المدينة ، وتنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ولاتساعه عليهم بالاموال والعطايا ، ولانه كان اوسع الجانبين ارضا ، لان الناس سبقوا الى الجانب الغربي وهو جزيرة بين دجلة والفرات (الصراة ؟) فبنوا فيه وصار فيه الاسواق والتجارات ، فلما ابتدىء البناء في الجانب الشرقي ، امتنع على من اراد سعة البناء»[٢٣٥] .

يتبين من كلام اليعقوبي ان التخطيط لاستيطان هذا الجانب وتوسعه يرجع الى ان الجانب الغربي اكتمل اعماره ، ولم يعد فيه مجال للتوسع «امتنع على من اراد سعة البناء» في حين ان الجانب الشرقي كان «اوسع الجانبين ارضا» اي ان فيه مجالا كبيرا للتوسع .

والواقع ان ابا جعفر المنصور نظم الاسكان في الجانب الغربي وحدد معالمه وحدوده ووزع اراضيه على الناس ضمن تلك الحدود ، فصارت اراضيه اقطاعات ثم ملكيات خاصة وهي عموما صغيرة الحجم ، والتحديدات التي فرضها المنصور في المدينة المدورة هي الاسوار والخنادق وبعض التنظيمات المتعلقة بالسكن ، اما في الارياض فقد حددتها الانهار التي حفرها للشرب لا للزراعة ، اذ لم تذكر مزارع كبيرة داخل الحدود التي وضعها المنصور . ولم تتجاوز اماكن الناس في الجانب الغربي نهر عيسى في الجنوب .

والاراضي الصالحة للسكن في الجانب الغربي مستوية والمواصلات فيها متيسرة ، وهي متصلة ببادوريا والانبار وهما من اخصب واغنى طساسيج السواد ، مما يوفر المواد الغذائية لسكان الجانب الغربي ، ولعل الزراعة الكثيفة وما كانت تدره من ارباح كانت من اسباب تحديد التوسع في

الجانب الغربي ،أما الجانب الشرقي فكان اقل خصوبة واعمارا من الجانب الغربي لان ضفاف دجلة مرتفعة فلم يكن بالامكان جر انهار من دجله لسقي الاراضي القريبة منه ، لذلك كانت اراضيها تسقى من النهروان ولم تكن قبيل بناء بغداد تأخذ منه انهار كثيرة لارواء اراضي الجانب الشرقي المعمور ، لذلك قام العباسيون بجر الانهار التي سميت باسمائهم ؛ ولابدان الغرض الرئيسي من هذه الانهار الجديدة هو تزويد السكان بحاجتهم من الماء اكثر من كونه لارواء المزارع . ثم ان المنصور لم يبن أبنية او يفرض تنظيمات تقيد التوسع .

لذلك كان المجال اوسع لمنح اقطاعات جديدة ذات مساحات كبيرة في الجانب الشرقي لا للجند والحرس فحسب ، بل للوجهاء التي شجعها ايضا سخاء المهدي واغداقه الاموال والعطايا . وهكذا اتسم الجانب الشرقي منذ اوائل انشائه بطابع ارستقراطي يختلف عن المدينة المدورة .

غير ان هذا الطابع الارستقراطي الذي اتسم به الجانب الشرقي اتخذ شكله بعد ان استقر الاسكان فيه ، اما في المراحل الاولى فالراجح ان الجانب الشرقي بديء باسكانه للقوات العسكرية التي كانت عند بناء بغداد منشغلة في قتال الثوار في خراسان . ومن ابرز مظاهر الغرض العسكري من الاستيطان هو انها كانت تسمى ايضا عسكر المهدي .

يقول اليعقوبي «الجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي بن المنصور وهو ولي عهد أبيه وابتدأ بناءه في سنة ١٤٣»[٢٣٦] . ويقول محمد الشروي «ابتدأ المنصور ببناء الرصافة في الجانب الشرقي لابنه محمد في سنة ١٥١»[٢٣٧] ويلاحظ انه في تلك السنة عاد المهدي مع جيشه من الرى . فيكون الدافع لبنائها هو اسكان هذا الجيش .

ويلاحظ ان بعض الشخصيات الاسلامية البارزة دفنت في المقبرة التي صارت تسمى فيما بعد مقبرة الخيزران ، وهي في الجانب الشرقي ، قبل سنة ١٥١ ، فممن دفن في تلك المقبرة هشام بن عروة (تـ ١٤٥)[٢٣٨] وابو حنيفة النعمان بن ثابت (تـ ١٥٠)[٢٣٩] ومحمد بن اسحق(تـ١٥٠)[٢٤٠]، ولابد ان هؤلاء بعض من دفن في الجانب الشرقي، في تلك السنة او ربما قبلها وانهم كانوا في اخر حياتهم يسكنون الجانب الشرقي ، اذ لا يعقل ان ينقل جثمانهم من الجانب الغربي ليدفنوا في الجانب الشرقي ، علماً بانه كانت في الجانب الغربي عدة مدافن وان المسافة كانت غير قصيرة بين الجانبين ، ولايوجد مبرر ديني او اجتماعي او عقائدي لتفضيل دفنهم في الجانب الشرقي . كما انه لا يعقل ان ينفرد هؤلاء بالسكنى في

الجانب الشرقي ، فالراجح اذا ان الجانب الشرقي كان مسكونا من اهل بغداد وان التاريخ الذي ذكره اليعقوبي يعيّن بداية الاستيطان في الجانب الشرقي ، وانه في سنة ١٥١ اسكن المهدي وجيشه فيه .

ويذكر الشروى ان المنصور بني للمهدي «الرصافة ، عمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا واجرى له الماء ، فكان يجري الماء من نهر المهدي الى الرصافة»(٢٤١).

ويروي الحارث بن ابي اسامة انه فرغ من بناء الرصافة سنة ١٥٤ ويذكر يحيى بن الحسن «كان بناء المهدي بالرهوص الا ماكن يسكنه هو»(٢٤٢).

ان البناء الذي بدأ في سنة ١٥١ وتم في سنة ١٥٤ كان مقصورا على المعسكر ، ومع ان المنصور كان يفكر في اسكان المهدي فيه ، الا ان المهدي ابان السنوات الثلاث التي كان يبني فيها العسكر ، كان يقيم في الجانب الغربي في قصر الوضاح او في القرار كما ذكرنا ، فلما عاد الى بغداد في سنة ١٥٨ لم يلبث طويلا حتى توفى ابوه .

ويبدو ان ابا جعفر لاحظ النمو المستمر في الجانب الشرقي وشدة ارتباط ابنه المهدي بهذا الجانب وادرك احتمال تحوله الى مركز الادارة والدولة بدل الجانب الغربي ، وكان يحس بالمرارة اذا حدث ذلك ، فيروي الطبري ان المنصور نصح المهدي بقوله «واياك ان تبني مدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها ، وما اظنك تفعل»(٢٤٣).

وفي السنة الثانية من وفاة المنصور اي في سنة ١٥٩ بنى المهدي مسجد الرصافة(٢٤٤) الذي يقول ياقوت انه «اكبر من جامع المنصور واحسن»(٢٤٥) كما ان قبلته اصح من قبلة جامع المنصور . ويدل بناء الجامع على ان المهدي اراد ان يحول مركز الدولة الى الرصافة ويجعلها مستقلة عن المدينة الغربية .

قصر الرصافة :

بني المهدي في الرصافة قصرا لم تذكر المصادر سنة بنائه او الانتهاء منه ، غير ان الطبري يذكر ان «قبلة مسجد الرصافة اصوب من قبلة مسجد المدينة ، لان مسجد المدينة بني على القصر ومسجد الرصافة بني قبل القصر وبنى القصر عليه»(٢٤٦)، وهذا يدل على ان قصر الرصافة بني بعد المسجد اي في سنة ١٥٩ او بعدها . وذكر الطبري ايضا ان المهدي «بنى قصره في وسطها ، والمسجد حول القصر»(٢٤٧)، غير انه لم يذكر ، ولا بقية المصادر ، حجم القصر وطراز بنائه ، وان كان هذا النص يدل على ان القصر لم يكن على شاطىء

دجلة ، اذ يذكر سهراب ان النهر الذي اجراه المهدي اى الرصافة كان يمر بسويقة نصر بن مالك «ثم يدخل الرصافة في مسجد الجامع الى بستان حفص ، ويصب في حوض قصر الرصافة في بركة فيه»[٢٤٨] ويذكر اليعقوبي من طرق الجانب الشرقي الرئيسة «طريق مستقيم الى الرصافة الذي فيه قصر المهدي والمسجد الجامع»[٢٤٩].

ويلاحظ ان المهدي حج سنة ١٦٠ وكان معه هارون وجماعة من اهل بيته[٢٥٠] ، ثم انه سافر في سنة ١٦٣ الى الموصل الى بيت المقدس[٢٥١] فلما عاد اعمر عيساباذ فبنى قصر الطين في سنة ١٦٤ ، ثم انتقل الى قصر السلامة بعد ذلك ، اي انه لم يسكن في قصر الرصافة الا بعض الوقت بين سنتي ١٦٠ ـ ١٦٤ .

غير ان قصر الرصافة ظل مسكونا بعد ان تخلى عنه المهدي ، فقد ولد فيه محمد الامين في سنة ١٦٩[٢٥٢] مما يدل على ان الرشيد كأن يقيم فيه انذاك .

ولما عاد المأمون الى بغداد في سنة ٢٠٤ نزل في قصر الرصافة الى ان بنى له قصر خاص[٢٥٣] وقد اتخذ المستعين مقامه في ذلك القصر الى ان بايع المعتز ، وكان يقيم فيه الحرم ، فيذكر الطبري «وكانت ام محمد بنت الواثق توفيت قبل ان يبايع وكانت تحت المستعين ، فلما قتل المستعين صيرها المعتز في قصر الرصافة الذي فيه الحرم[٢٥٤] وكان على ذلك في خلافة المعتضد حيث يذكر الصابي «الصدقة التي تحضر في كل يوم عند صلاة الصبح في خرقة سوداء على ما كان الناصر رحمه الله رسمه ، وأمر المعتضد بالله رحمه الله بعد بتفرقته على من في قصر الرصافة من الحرم المحتاجات[٢٥٥] .

وفي داخل قصر الرصافة دفنت قطر الندى زوجة المعتضد[٢٥٦]، ثم دفن الموفق عند قبر والدته[٢٥٧] .

وقد توفي في قصر الرصافة كل من ميمونة بنت المتوكل سنة ٣٠٨[٢٥٨] ، وابو علي عبدالواحد بن المقتدر سنه ٣٢٤ ، وابو احمد العباس بن المقتدر سنة ٣٣٠[٢٥٩] .

ويبدو ان قصر الرصافة صار بعد ذلك الوقت مقبرة يدفن فيها الخلفاء العباسيون وبعض نسائهم واولادهم ، فيذكر ياقوت عند كلامه عن الرصافة «ولم يبق الا الجامع ويلصقه مقابر الخلفاء لبني العباس ، وعليهم وقوف وفراشون برسم الخدمة ، ولولا ذلك خربت . . وبرصافة بغداد مقابر جماعة الخلفاء من بني العباس وعليهم تربة عظيمة بعمارة هائلة المنظر وعليها هيبة وجلالة ، اذا رآها الرائي خشع قلبه ، وعليها وقوف وخدم مرتبون للنظر في مصالحها .

وبها من الخلفاء الراضي ابن المقتدر ، وهو في قبة مفردة في ظاهر سور الرصافة و
وفي التربة قبر المستكفي والمطيع والطائع والقادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمق
والمستنجد»[٢٦٠] .

وقد دفن في هذه التربة عدد من اولاد الخلفاء وبناتهم وامهاتهم . وممن ذكر
المصادر دفنهم في ترب الرصافة :

١ ـ المقتدر ٢ ـ شغب ام المقتدر ٣ـ احمد بن المقتدر ٤ ـ اسحق بن المقتدر[٢٦١]
المطيع[٢٦٢] ٦ ـ الطائع ٧ ـ عبدالوهاب بن الطائع[٢٦٣] ٨ ـ القادر[٢٦٤] ٩ ـ ام القادر
١٠ ـ أبو محمد ابن القادر[٢٦٦] ١١ ـ القاسم بن القادر[٢٦٧] ١٢ ـ القائم[٢٦٨] ١٣ ـ قطر ال
ام القائم[٢٦٩] ١٤ ـ المقتدى ١٥ ـ ام المقتدى ١٦ ـ ابو احمد ، والزبير ، وموسى ا
المقتدى[٢٧٠] ١٧ ـ المستظهر واولاده اسماعيل وابو اسحق والعباس وعلي وابو الحسن
١٨ ـ المقتفي وولديه ابو احمدو عبدالله[٢٧٣] ١٩ ـ المستنجد[٢٧٤] ٢٠ ـ طاووس
المستنجد[٢٧٥] ٢١ ـ ام المسترشد ٢٢ ـ اسماعيل بن المسترشد[٢٧٦] ٢٣ ـ الناصر[٢٧٧] ؛
المستنصر وابنه عبدالعزيز تـ٦٦٣[٢٧٨] .

وقد ذكر الكازووني عددا ممن دفن بالرصافة دون ان ينص على دفنهم في الترب ،
مريم وعبدالصمد ولدي المكتفي ، وعائشة بنت المتوكل ، والناصر ، والعباس
المعتضد[٢٧٩] وذكرت المصادر عددا ممن دفن في الرصافة ، منهم الموفق[٢٨٠] و
الجيوشي[٢٨١] ومختار الخادم[٢٨٢] ، وزيرك الخصي[٢٨٣] واحمد بن الفرج بن فرخشاد[٢٨٣]
وفي سنة ٦٤٦ حدث في بغداد فيضان كبير «وغرق المحلة التي بالحريم ، وال
التي للخلفاء وهم المعتضد والقاهر والمستكفي والمكتفي[٢٨٤]، ثم على اثر ذلك نقل
الحريم الى الرصافة المعتضد بالله وولده المكتفي والقاهر اخو المكتفي وابن اخي القاه
والمستكفي[٢٨٥] .

عيساباذ

يقول البلاذري ان المهدي «كان اكثر نزوله من مدينة السلام بعيساباذ في ابنية
هناك»[٢٨٦] ويقول نفطويه ان نهر المهدي «منسوب الى المهدي ومنزله كان هناك وكان مس
في عيساباذ»[٢٨٧] . ويذكر الفسوي ان المهدي تحول الى عيساباذ في سنة ١٦٦[٢٨٨] .

وابرز ما في عيساباذ هما قصرا الطين والسلام فيذكر الطبري انه في سنة ١٦٤ «فيها بنى المهدي بعيساباذ الكبرى قصرا من لبن الى ان اسس قصره الذي بالاجر الذي سماه قصر السلامة ، وكان تأسيسه اياه يوم الاربعاء في اخر ذي القعدة»[٢٨٩] ولم تردد المصادر ذكر قصر الطين ، مما يدل على انه كان بناءا مؤقتا ، ولكنها رددت ذكر قصر السلام . فيذكر الخطبي انه في سنة ١٦٤ «بنى المهدي بعيساباذ قصره الذي سماه قصر السلام»[٢٩٠] ويذكر الطبري انه في سنة ١٦٦ «تحول المهدي الى عيساباذ فنزلها ، وهي قصر السلامة ، ونزل بها معه الناس ، وضرب بها الدنانير والدراهم»[٢٩١] ويظهر من هذا النص ان المهدي جعل عيساباذ مقر الدولة ، اي انه كان يمارس الجانب الجدي من اعمال الخلافة فيها ، وليس لمجرد انها انس ولهو . ولابد ان لعيساباذ خصائص وميزات دفعت الهادي الى ابقائها مركزا للخلافة . وهي عموما بعيدة عن اهل السوق ، ولا نعلم اين كان يقيم الجيش لنعرف مدى بعدها عنه .

ان النصوص التي ذكرناها اعلاه تظهر ان المهدي بنى قصر الطين والسلامة فحسب وان الناس نزلوا معه بها فنمت بهم ، غير ان بعض المصادر تشير الى ان عمل المهدي في عيساباذ هو اوسع من مجرد بناء القصرين ، فيذكر الجهشياري «كان المهدي بنى عيساباذ»[٢٩٢] ويذكر الخطيب عن عيساباذ «وكان المهدي بنى هذا الموضع فاستتمه موسى ، وكان به منزله»[٢٩٣] ويروي الطبري ان المهدي حين بنى عيساباذ قال احمد بن اسماعيل بن علي ليعقوب بن داود وزير المهدي ان المهدي «قد بنى متنزها انفق عليه خمسين الف الف من بيت مال المسلمين»[٢٩٤] .

وقد اقام موسى الهادي معظم ايام خلافته القصيرة في عيساباذ ، فيروي الطبري ان الهادي لما قدم بغداد من جرجان على اثر وفاة ابيه المهدي «نزل القصر الذي يسمى الخلد فاقام به شهرا ، ثم تحول الى بستان ابي جعفر ، ثم تحول الى عيساباذ»[٢٩٥] ويذكر ايضا ان الهادي تحول الى عيساباذ في اول السنة التي ولي الخلافة فيها»[٢٩٦]، ويبدو انه ظل مقيما بعيساباذ[٢٩٧] حتى توفي ودفن فيها[٢٩٨] . ويذكر الخطيب عن موسى الهادي «قصره الذي بناه وسماه القصر الابيض»[٢٩٩] ولابد ان هذا القصر كان في عيساباذ .

ويبدو ان عيساباذ هجرت بعد ذلك فلم يرد ذكر لاحد أقام فيها ، ولم تحدد الكتب مكانها ولم يرد لها ذكر في الاخبار ، عدا ان دار عمر بن بزيع التي طعن فيها عقبة بن سلم الهنائي في زمن الهادي كانت في عيساباذ[٣٠٠] .

يقول البلاذري ان عيساباذ نسب الى عيسى بن المهدي ، وهو ابن الخيزران ، وكان في حجر منازل التركي[301] . والواقع ان هذه التسمية تلفت النظر ، فكلمة اباد لم تذكر ببغداد لغير هذا المكان ، ثم ان التسمية باسم عيسى الذي لم يلعب دورا مهما ، بل ان كثير من المصادر التي ذكرت اولاد المهدي اغضت ذكر اسمه مما يدل على قلة أهميته او لانه مات صغيرا . والغريب ان المصادر تؤكد على ان المهدي هو الذي اعمر هذا المكان الذي لم يسم باسمه .

لم تحدد المصادر موقع عيساباذ ، غير انه يمكن استنباط موقعها من نصين :

(١) يذكر نفطويه «اما نهر المهدي فمنسوب الى المهدي ، ومنزله كان هناك ، وكان مستقره في عيساباذ»[302] وليس من الواضح ان الضمير الملحق بـ«مستقره» يعود الى المهدي ام الى النهر .

ويذكر سهراب «ويحمل من نهر الخالص نهر يقال له نهر الفضل الى ان ينتهي الى باب الشماسية ، فيؤخذ منه نهر يقال له نهر المهدي ، ويدخل المدينة في الشارع المعروف بشارع المهدي ، ثم يجيء الى قنطرة البردان ، ويدخل دار الروميين ، ويخرج الى سويقة نصر بن مالك ، ثم يدخل الرصافة ، ويمر في المسجد الجامع الى بستان حفص ويصب في بركة في جوف قصر الرصافة[303] .

ومن المعلوم ان المهدي كان يقيم في عيساباذ منذ سنة ١٦٤ ، ولم يعرف له منزل غيره ، كما انه لم يحفر غير نهر المهدي ، فالمعقول ان نهر المهدي يمد عيساباذ بالماء ، اي ان عيساباذ تقع على ذلك النهر او قربه .

(٢) ذكر الطبري ان ابراهيم بن المهدي عندما اعلن خلافته «أمر ان يصلى بالناس في عيساباذ ، فصلى بهم»[304] وذكر طيفور ان المأمون بعد ان دخل بغداد «ولما كان يوم الفطر خرج فصلى بالناس في عيساباذ»[305] .

ويذكر الخطيب «عند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور»[306] فاذا كان المصلى الذي يشير الطبري وطيفور ، هو نفس المصلى الذي عند قبر النذور فتكون عيساباذ عند قبر النذور الذي يقع غير بعيد عن نهر المهدي .

(٣) يذكر الطبري ان موسى الهادي دفن في بستان موسى بعيساباذ[307] ، وان هذا البستان سمي بموسى الهادي[308] . وقد بنى في هذا البستان احد مجالس متنزهاته وخلوته ولهوه ولعبه»[309] . ويذكر طيفور ان المأمون لما قدم بغداد اقام في الرصافة «حتى بنى منازل

على شط دجلة عند قصره الاول وفي بستان موسى»[٣١٠] وروى الخطيب عن يحيى بن اكثم قوله «كنت امشي يوما مع المأمون في بستان موس في ميدان موسى»[٣١١].

وقد ذكر ابو يوسف بستان موسى والجزيرة التي حدثت بحذائه فقال «فاذا نضب الماء عن جزيرة في دجلة مثل هذه الجزيرة التي بحذاء بستان موسى ، وهذه الجزيرة التي من الجانب الشرقي ، فليس لاحد ان يحدث فيها شيئا ، لا بناء ولا زرعا لان مثل هذه الجزيرة اذا حصلت وزرعت كان ذلك ضررا على اهل المنازل والدور ، قال ولايسع الامام ان يقطع شيئا من هذا ، ولا يحدث فيه حدثا»[٣١٢].

وفي الطبري ما يدل على ان بستان موسى كانت مقابل القرار والصراة ، فهو يذكر ان الامين عندما ضاق عليه الحصار «اراد ان يعبر من الدار في القرار الى منزل كان في بستان موسى ، وكان له جسر في ذلك الموضع» ويقول ايضا «فسبح محمد حتى عبر وصار الى بستان موسى ، فعبر دجلة حتى صار الى قرب الصراة»[٣١٣].

ويروي العباس بن علي بن المهدي ان الرشيد كان قد اتخذ جامعا في بستان ام موسى وامر اخوانه واهل بيته بحضوره في كل جمعة[٣١٣] كما يذكر الطبري انه لما خرج ابو العباس لحرب الزنج ركب احمد الى بستان موسى[٣١٣].

ان ما ذكرناه عن عيساباذ يظهر ان كتب الخطط في القرن الثالث لم تذكرها مما يدل على زوال اسمها في زمنهم ، وعلى اي حال فهي لا تقع على النهر ولا قرب الاسواق ولا في المخرم التي وردت عنها تفاصيل . ولما كانت الانهار التي حفرها المهدي وابنه موسى تجري بين المخرم والتاج ، فلابد انها كانت تسقي عيساباذ مما يقتضي ان يكون موقعه في تلك الجهة قرب قصر المأمون .

بستان ابي جعفر :

ذكر الطبير ان المهدي لما قدم الى بغداد على اثر وفاة ابيه «نزل قصر الخلد فأقام به شهرا ، ثم تحول الى بستان ابي جعفر ، ثم تحول الى عيساباذ»[٣١٤]، ولكن يبدو انه لم يقم في البستان طويلا لانه تحول الى عيساباذ «في اول السنة التي ولي الخلافة فيها»[٣١٥].

لا تصرح المصادر بما نسب اليه هذا البستان ، غير ان الراجح انه هو الخليفة ابو جعفر . ويبدو ان هذا البستان يقع في الطريق الى النهروان وخراسان ، فيذكر الطبري ان الرشيد شخص من مدينة السلام «من الخيزرانية فبات في بستان ابي جعفر ، ثم سار عنه

الى النهروان[٣١٦] ويذكر الجهشياري ان الفضل بن الربيع لما عاد من خراسان الى العراق «تلقاه الرشيد ببستان أم جعفر»[٣١٧].

وفي الطبري اشارة اوضح الى موقع هذا البستان فهو يذكر انه في سنة ٢٥١ «عزموا على الانتقال من معسكرهم برقة الشماسية الى بستان ابي جعفر بالحير»[٣١٩] فيكون موقع بستان ابي جعفر قريبا .

قصر المأمون ومنزله :

اما المأمون فانه لما عاد الى بغداد لم يسكن في عيساباذ او الخلد او غيره ، بل اختار المقام بقصر الرصافة في الجانب الشرقي ، ويلاحظ انه لم يسكن قصره الاول الذي كان له قبل توليه الخلافة ، ولعله ترك ذلك القصر لزوجته واولاده . وظل المأمون مقيما في الرصافة «الى ان بنى منزله على شط دجلة عندقصره في بستان موسى»[٣٢٠] .

ويقول الخطيب «واما شاطيء دجلة من الجانب الشرقي فأوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت ، ودار دينار ، ودار ابي رجاء بن ابي الضحاك ، ثم منازل الهاشميين ، ثم قصر المعتصم ، وقصر المأمون ، ثم منازل آل وهب الى الجسر كانت أقطاعا لناس من الهاشميين»[٣٢١] ولابد ان الجسر المقصود بهذا النص هو الجسر الاسفل ، لانه لم يذكر الرصافة الواقعة جنوبي الجسر الاعلى . والراجح ان قصر المأمون المذكور في هذا النص هو الذي بناه بعد توليه الخلافة . موقعه قرب وزارة الدفاع الحالية او في شماليها ، ويكون موضع بستان موسى في العيواضية .

لم تذكر المصادر شيئا عن مصير هذا القصر بعد المأمون .

قصر المعتصم :

اما المعتصم فان المصادر لم تذكر مقامه في السنتين الاوليتين اللتين كان فيهما ببغداد ، ولعله كان يقيم في قصره القديم القريب من قصر المأمون وهو مركز الخلافة في عهد سلفه .

دار الخلافة :

ثم انتقلت الخلافة الى سامراء ، فلما عادت الى بغداد أقام المعتضد في القصر الحسني ، الذي ظل مقاما للخلفاء حتى سقوط الخلافة العباسية . وقد اضيفت الى هذا

القصر قصور أخرى ، وأحيط بسور ، ومرت عمارته واحواله بتطورات كثيرة نرجو ان نبحثها في مقال اخر .

ومما اعلن على استقرار الخلافة في مكان واحد بعد رجوع الخلفاء من سامرا هو ان الخلافة انحصرت في نسل افراد معينين ، فقد ولى الخلافة في هذا العهد ثلاثة من اولاد الموفق ، وأربعة من اولاد المقتدر ، واثنان من اولاد المستظهر . أما غالبية الباقين فقد كان الابن الاكبر يخلف أباه ، وبذلك ضاق مجال المشاكل التي قد تحدث من تبدل التسلسل .

ثم ان معظم الخلفاء ولدوا من أمهات اولاد أعجميات لم يكن لهن أقارب في بغداد .

يضاف الى ذلك ان الموارد المالية للخلفاء تناقصت ولم تعد تكفي لبناء قصور جديدة تتخذ دورا للخلافة .

لقد كان يقيم في دار الخلافة الخليفة وزوجته فحسب ، ففي القصر الحسني ولد المستكفي بن المكتفى[٣٢٢]، والمتقى والمطيع ولدي المقتدر[٣٢٣] ، اما الراضي ابن المقتدر فقد ولد «بالدار المعروفة بالبدرية من دار الخلافة»[٣٢٤].

دار ابن طاهر ـ منازل اولاد الخلفاء

غير ان اولاد الخلفاء كانوا يقيمون في دار ابن طاهر[٣٢٦]، وكذلك الحال في المقتدر عندما بويع بالخلافة[٣٢٧]. ولما عـزل المقتدر مؤقتـا في سنة ٢٩٦ ، أنصـرف الى دار ابن طاهر[٣٢٨].

وكان الفضل بن المقتدر «داره على دجلة بدار ابن طاهر» ، ولما قتل المقتدر فيرسنة ٣٢٠ «حمل ابو العباس وابو عبدالله ابنا المقتدر مع امهما الى دار عبدالله بن طاهر»[٣٣٠].

اما القاهر فكان منزله في دار ابن طاهر ، وقد عاد الى منزله بعد عزله سنة[٣٣١] وفي هذه الدار توفى ايضا[٣٣٢].

والمتقى كانت داره عند توليه الخلافة في دار ابن طاهر[٣٣٣]، وكـانت «داره باعـلى الحريم»[٣٣٤] ويقول الخطيب ان دار المتقى كانت لاسحق بن ابراهيم المصعبي وكانت الدار نفسها دار اسحق بن كنداج[٣٣٥]، وقد ابتاعها ابراهيم بن المقتدر سنة ٣٠٧ بثلاثين الفا «واتخذت للامراء من اولاد الخليفة»[٣٣٦].

والراجح ان هذه الدار هي التي توفيت فيها ابنته حيث يذكر ابن الجوزي ان «ابنة

المتقى توفيت في الحريم الطاهري . ويذكر ابن الجوزي ان دار المتقى «ابتاعها عز الدولة ، ثم خربت فعمر فخر الدولة وفرغ منها سنة ٤٠٢»[٣٣٧]. وكانت دار القادر عندما بويع بالحريم»[٣٣٨].

وفي الاضطرابات التي رافقت سيطرة البساسيري لوالدة الخليفة دارا في الحريم الطاهري»[٣٣٩].

ولما قدم السلطان محمود الى بغداد سنة ٥١٩ نزل الشماسية «وأمر الخليفة بنقل الحرم والجواري الى الحريم الطاهري»[٣٤٠].

اما الراضي فكانت داره عندما كان اميرا ، بالمخرم[٣٤١]. اما مساكن عوائل الخلفاء في القرون التالية فلم اجد لها ذكرا .

مدافن الخلفاء في دار ابن طاهر :

كان الخلفاء العباسيون الاولون يخفون قبورهم ، فيذكر الطبري ان المنصور لما توفي «حفر للمنصور مائة قبر ، ودفن في كلها لئلا يعرف موضع قبره الذي هو ظاهر للناس ودفن في غيرها للخوف عليه ، قال وهكذا قبور خلفاء ولد العباس لايعرف لاحدهم قبر»[٣٤٢] ويقول المسعودي ان المنتصر «كان اول خليفة من بني العباس أظهر قبره وذلك ان أمه حبشية سألت ذلك ، فأذن لها ، وأظهرته بسامرا»[٣٤٣].

ولما عاد الخلفاء العباسيون الى بغداد ، أظهروا قبورهم ، وقد دفن الاولون منهم في دار ابن طاهر فاما المعتضد فان الخطيب يقول انه دفن في موضع من دار ابن طاهر[٣٤٤]. ويقول الطبري ان المعتضد «كان أوصى ان يدفن في دار محمد بن عبدالله بن طاهر ، فحفر له فيها ، فحمل من قصره المعروف بالحسنى ليلا ، فدفن في قبره هناك»[٣٤٥] ويقول المسعودي ان المعتضد «كان قد اوصى ان يدفن في دار محمد بن عبدالله بن طاهر في الجانب الغربي من الدار المعروفة بدار الرخام»[٣٤٦]. ويقول الخطيب ان المعتضد دفن بحجرة الرخام في دار محمد بن طاهر[٣٤٧].

اما المكتفى ت ٢٩٥ فيقول الطبري انه «دفن في موضع من دار محمد بن عبدالله بن طاهر[٣٤٨] ويقول الخطيب انه دفن «دفن بالقرب من أبيه في الدار المعروفة بابن طاهر»[٣٤٩].

اما المتقي فقد دفن في الجانب الغربي بدار اسحق في تربته[٣٥٠]، وهي في الحريم ايضا . اما القاهر ت ٣٣٩ فيذكر الخطيب ان وفاته كانت في منزله من دور ابن طاهر[٣٥١].

ثم صار الخلفاء بعد ذلك يدفنون في الترب بالرصافة . وقد نقلت رفات الخلفاء الذين دفنوا في دار ابن طاهر لى ثرب الرصافة في سنة ٦٤٦ على اثر الفيضان الذي اغرق الحريم كما ذكرنا من قبل .

هوامش الفصل الأول

(١) البلدان لليعقوبي ٢٤٥
(٢) انظر عن دار الخلافة : لي ستراتج : بغداد في عهد الخلافة العباسية الفصل التاسع عشر دليل خارطة بغداد للدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة ١٥٧ فما بعد
(٣) اليعقوبي ٢٣٨ ، وقد ورد هذا النص في الخطيب (١/٦٧) غير انه ذكر «الوف كثيرة» وذكر المسعودي «كان يعمل في بناء مدينة بغداد التي بناها وعرفت به في كل يوم خمسون الف رجل» (مروج الذهب ٣/٣٠٨ طبعة صادرة)
(٤) موج الذهب ٤ / ٤ وهو يقول «واحدث المتوكل في ايامه بناءا لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين والارقة» .
(٥) انظر في تفصيل ذلك مقالتا «مصادر خطط بغداد المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي»
(٦) اليعقوبي ٢٥٤
(٧) اليعقوبي ٢٤٤
(٨) اليعقوبي ٢٥٠
(٩) اليعقوبي ٢٤٦ ـ ٧
(١٠) اليعقوبي ٢٤٧
(١١) اليعقوبي ٢٤٧
(١٢) اليعقوبي ٢٤٩
(١٣) اليعقوبي ٢٤٢
(١٤) انظر مثلا ما ورد في الخطيب ١ / ٦٩
(١٥) الخطيب ١/٧٥
(١٦) اليعقوبي ٢٤٢
(١٧) اليعقوبي (٢٤٣)
(١٨) اليعقوبي (٢٤٤)
(١٩) معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/١١٧ ـ ٨ ؛ ويذكر مؤلف العيون والحدائق ان خازم بن خزيمة جاء عند بيعة الرشيد باربعة آلاف من مواليه (٢٩٠)
(٢٠) اليعقوبي ٢٥٣
(٢١) لسان العرب ٦/٤١١

(٢٢) ياقوت ٤/١٠٦

(٢٣) مراصد الاطلاع ١١٠٩

(٢٤) كذلك ٣٩٧

(٢٥) كذلك ٥٥٩

(٢٦) اخبار الراضي والمتقي ٢٠٧

(٢٧) تجارب الامم ٢/٩٢

(٢٨) كذلك ٢/٢١ ويذكر الصولي ان دار الفيل في ظهر سور الحسنى . أخبار الراضي والمتقى ٢٠٩

(٢٩) الطبري ٣/١٥٤٣ ، ١٥٨٢ ، ١٦٢٨ ، ١٦٣١ ، ١٦٣٨ ، ١٧٣٠

(٣٠) الخراج ٩٢

(٣١) الخطيب ١/٧٢

(٣٢) اليعقوبي ٢٣٩

(٣٣) اليعقوبي ١/٧٢ الطبري ٣/٣٢٢ ياقوت ١/٦٨٣

(٣٤) اليعقوبي ٢٣٩

(٣٥) الخطيب ١/٧٤ اليعقوبي ٢٣٩

(٣٦) اليعقوبي ٢٤٠

(٣٧) اليعقوبي ٢٣٩

(٣٨) اليعقوبي ٢٤٠

(٣٩) اليعقوبي ٢٤٣

(٤٠) الخطيب ١/٧٩

(٤١) الخطيب ١/١٠٦ ـ ٧

(٤٢) الخطيب ١/٨٢

(٤٣) لسان العرب ٨/٣١٠ قاموس المحيط ٢/٣٠٥

(٤٤) الطبري ٣/٣٢٥ ـ ٦

(٤٥) الطبري ٣/٤١٧ـ٨

(٤٦) الطبري ٣/٧٥٣

(٤٧) الخطيب ١/٦٧

(٤٨) الطبري ٣/٢٧٨ ، ٣٥٣

(٤٩) الخطيب ١/٨٢ الطبري ٣/٣٦٤ ويذكر اليعقوبي ان الرصافة بديء ببنائها سنة ١٤٣ (٢٥١) وهو تاريخ مبكر جدا يصعب قبوله .

(٥٠) الخطيب ١/١٠٩

(٥١) الطبري ٣/٢٧٩

(٥٢) ٣/٣٨٤

(٥٣) ٣/٣٢٦
(٥٤) الخطيب ١/٧٠
(٥٥) هنز ـ المكاييل والمقاييس الاسلامية ٢٥ـ٦
(٥٦) هنز ـ ٤٤
(٥٧) المنازل في علم الحساب ١٧٤ ـ ٥
(٥٨) الخطيب ١/٧٠ وقد نقل ياقوت النص الاول ١/٦٨٣
(٥٩) الخطيب ١/٦٩
(٦٠) الطبري ٣/٣٢٦
(٦١) الطبري ٣/٣٢٢
(٦٢) الطبري ٣/٥٠٩
(٦٣) مطالع البدور ٢/٢٨٨
(٦٤) في مطالع البدور ١٥ مليون وفي المنتظم (حوادث سنة ٢٣٧) مليوني دينار
(٦٥) في المنتظم (الفردوس)
(٦٦) في مطالع البدور «وعلى النهر خمسون الف درهم»
(٦٧) انظر ايضا التحف والهدايا للقاضي الرشيدي ١١٤
(٦٨) في مطالع البدور (البركة)
(٦٩) في مطالع البدور (الغراء)
(٧٠) في مطالع البدور (مائة وخمسين الف دينار)
(٧١) في مطالع البدور (الشاة)
(٧٢) في مطالع البدور (الجوسق الابراهيمي)
(٧٣) في مطالع البدور ٢٧٤ مليون
(٧٤) مروج الذهب ٤/٥٠

ويذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٢٣٧ انه استعمل في مقصورة جامع سامراء ٢٤٠٠ من الطوابيق الزجاج «ثمن كل واحدة دينار»

(٧٥) الطبري ٣/٤٤٥
(٧٦) الاسرة العباسية في بغداد في الفصل التالي
(٧٧) المسعودي ٣/١٣٧
(٧٨) الطبري ٣/٦٠٧ـ٨ وانظر الذخائر والتحف للرشيدي ٢٢١
(٧٩) ياقوت ٤/١١٨
(٨٠) الطبري ٣/٤٢٣
(٨١) اليعقوبي ٢٤٩ الخطيب ١/٩٢
(٨٢) الطبري ٣/٤٤٢ المعارف لابن قتيبة ١٦٥ مروج الذهب ٣/٣٠٨
(٨٣) يذكر ابن قتيبة ان امه هي ابنة ملك الصغد (المعارف ١٦٥) ويقول الطبري انها رومية (٣/٤٤٢)

(٨٤) الطبري ٣/٤٤٢
(٨٥) الطبري ٣/٤٤٢
(٨٦) اليعقوبي ٢٤٩
(٨٧) الخطيب ١/٨٩ وانظر عن درب سليمان وموقعه قرب الجسر : الخطيب ١١/٥٨ ، ٢٣٤ ، ٣٠٥ ، ١٢/٣٨٨ المنتظم ٦/٣٤٦ الصولي ٢٠٩
(٨٨) الخطيب ١/٩٧
(٨٩) الخطيب ١/٨٩
(٩٠) اليعقوبي ٢٤٩
(٩١) الطبري ٣/٤١٥
(٩٢) الوزراء والكتاب ١١٧
(٩٣) الخطيب ١/٩٢
(٩٤) اليعقوبي ٢٤٥
(٩٥) الطبري ٣/٤٥٢
(٩٦) الخطيب ١/٩٣
(٩٧) الخطيب ٦/١٤٢
(٩٨) الخطيب ١/١٢٥
(٩٩) سهراب ١٢٩
(١٠٠) الطبري ٣/٥٤٣
(١٠١) الخطيب ١/٩٥
(١٠٢) الطبري ٣/٤٤٤
(١٠٣) تاريخ خليفة بن خياط ٤٧٦
(١٠٤) الطبري ٣/٥٨٠ ويذكر اليعقوبي عيسى بدل اسحق (التاريخ ٣/١٣٩)
(١٠٥) الطبري ٣/٧٥٧
(١٠٦) تاريخ الموصل للازدي ٣١٨
(١٠٧) الطبري ٣/٨٣٦
(١٠٨) طيفور ٩ ، ١٠ ، الطبري ٣/١٠٣٨
(١٠٩) ياقوت ١/٨٠٦-٧
(١١٠) الخطيب ١/٩٨ ، ١١٥
(١١١) الطبري ٣/٧٥٧
(١١٢) الخطيب ١/٨٩
(١١٣) الخطيب ١/٩٧
(١١٤) ياقوت ٤/١٠٨

(١١٥) الطبري ٣/٧٥٨ ، ١٣٣٠
(١١٦) الطبري ٣/١٩٧١
(١١٧) الطبري ٣/١٦٣٢
(١١٨) الوزراء ٢٥
(١١٩) الخطيب ١/٦٦
(١٢٠) الخطيب ١/٧٧
(١٢١) الخطيب ١/٧٢ اليعقوبي ٢٣٨
(١٢٢) الخطيب ١/١٠٧
(١٢٣) اليعقوبي ٢٤٠
(١٢٤) الخطيب ١/٧٧
(١٢٥) الخطيب ١/٧٢
(١٢٦) الطبري ٣/٨٤٦ ، ٨٥٢ ، ٩٣٤
(١٢٧) اليعقوبي ٢٤٠
(١٢٨) الخطيب ١/٧٩
(١٢٩) الخطيب ١١/١٤٥
(١٣٠) الطبري ٣/٤٢٣
(١٣١) الطبري ٣/٩٠٩
(١٣٢) الطبري ٣/٩٣٠
(١٣٣) الطبري ٣/١٥٢٢
(١٣٤) الخطيب ١/٦٩
(١٣٥) الخطيب ١/١٠٧
(١٣٦) الطبري ٣/١٣٨٩
(١٣٧ الطبري ٣/١٦٩٧
(١٣٨) الخطيب ١/٣٨
(١٣٩) الطبري ٣/٨٩٧
(١٤٠) الخطيب ١/١٠٧
(١٤١) الخطيب ١/٧٣
(١٤٢) الخطيب ١/٧٣
(١٤٣) الخطيب ١/٧٣ المنتظم ٦/٣١٨ وقد اشار المسعودي الى سقوطها وبقاء قبة الحجاج الخضراء بواسط (مروج ٣/٢٨٧)
(١٤٤) اخبار الراضي والمتقي للصولي ٢٢٩
(١٤٥) انظر عنهم بحث الاسرة العباسية في الفصل التالي
(١٤٦) الحوادث الجامعة ٣٠٢

(١٤٧) الطبري ٣/٤١٥

(١٤٨) المنتظم في حوادث سنة ١٩٣

(١٤٩) الطبري ٣/٨٧٤

(١٥٠) الطبري ٣/٨٤٦ ، ٨٥٢

(١٥١) الطبري ٣/٩٣٤

(١٥٢) الطبري ٣/١٣٨٩

(١٥٣) الطبري ٣/١٩٦٧

(١٥٤) اليعقوبي ٢٤٠

(١٥٥) الخطيب ١/١٠٧

(١٥٦) الطبري ٣/٣٢٢

(١٥٧) الخطيب ١/١٠٧-٨

(١٥٨) الخطيب ١/١٠٨

(١٥٩) ان بحث هرزفيلد منشور في كتابه Archeologische Reise im Euphrates und Tigris Gebeit (Berlin 1911) pp. 7-30 وبحث كرسويل منشور في كتابه Early Muslim Architicture (Oxford 1940) P. 4-30 اما دراسة الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة فمنشورة في مجلة سومر مجلد ٢٢ لسنة ١٩٦٦

(١٦٠) الخطيب ١/٤٩

(١٦١) نشر الدكتور لسنر دراسته في كتابه The Topography of Baghdad هي في الاساس ترجمة وتعليقات قيمة مع ما كتبه الخطيب عن خطط بغداد مع فصول وملاحق اضافة قيمة ، ومنها الملحق الثالث الذي خصصه لدراسة تخطيط الجامع وقد نشر المجمع العلمي العراقي ترجمة الكتاب

(١٦٢) الخطيب ١/٧٥ ، ٨٠ الطبري ٣/٣٧٩

(١٦٣) الخطيب ١/٩٢ . ونجاح بن سلمة المذكور في هذا النص كان المتنفذ في زمن الواثق والمتوكل ، وولي الدواوين ، ثم صودرت امواله وقتل ، اما احمد بن اسرائيل فكان كاتب المعتز ، وصار بعد ذلك وزيرا ثم قتل .

(١٦٤) اليعقوبي ٢٤٩

(١٦٥) الطبري ٣/٢٢٧ ، ٢٨٠ ياقوت ٢/٥٤٩ مروج الذهب ٣/٢٩٧

(١٦٦) الطبري ٣/٢٧٧

(١٦٧) الخطيب ١/٨٠

(١٦٨) الخطيب ١/٧٥

(١٦٩) الطبري ٣/٢٧٧ ياقوت ٢/٤٥٩

(١٧٠) الخطيب ١/٧٥

(١٧١) سنفرد للجسر ومراكز الشرطة بحثا خاصا

(١٧٢) الطبري ٣/٥٤٨

(١٧٣) الطبري ٣/٥٧٦
(١٧٤) الخطيب ١٤/٦
(١٧٥) الديارات للشابشتي ١٥٧ العزيز المحلي ١٠٦ أ عن احمد ابن ابي طاهر .
(١٧٦) الطبري ٣/١٣٢٤ مروج الذهب ٣/٢٧٦
(١٧٧) الجهشياري ١٨٩
(١٧٨) الطبري ٣/٦٠٧ المنتظم حوادث سنة ١٧٢ : ويقول الازدي ان الرشيد زار في سنة ١٧٣ «قبر ابيه بما سبذان ورجع» تاريخ الموصل ٢٧٠
(١٧٩) ياقوت ٣/٩١٧
(١٨٠) ياقوت ٤/٢٨٨
(١٨١) ياقوت ٤/٣٨٢
(١٨٢) ياقوت ٤/٣٩٣
(١٨٣) الطبري ١/١٦١٧
(١٨٤) الطبري ١/٢٦١٦ ، ٢٦٢٨ ياقوت ٤/٤٤٨ ، ٣٨٢
(١٨٥) الطبري ٣/٩
(١٨٦) ياقوت ٤/٤٨٨
(١٨٧) الطبري ٣/٦١٠ تاريخ الموصل للازدي ٢٧٣
(١٨٨) الطبري ٣/١١٨٠
(١٨٩) فتوح البلدان ٣٩٦ ياقوت ٤/١٦
(١٩٠) ياقوت ٣/١٥ ويرى الدكتور سوسه ان موضع قصر الرشيد هو اطلال المشرحات شمال شرقي سور القادسية على الضفة اليسرى لمجرى القائم (ري سامرا ١/٢٣٩ - ٢٤٠)
(١٩١) الطبري ٣/٦٣٨ وفي تاريخ الازدي ان هارون قدم البصرة سنة ١٧٦ (تاريخ الموصل ٢٧٧)
(١٩٢) الطبري ٣/٦٤٥
(١٩٣) الطبري ٣/٦٣١
(١٩٤) الطبري ٣/٦٣١ تاريخ الموصل ٢٨٠
(١٩٥) الطبري ٣/٦٤٥ تاريخ الموصل ٢٨٩
(١٩٦) تاريخ اليعقوبي ٣/١٠٦
(١٩٧) تاريخ الطبري ٣/٣٧٢
(١٩٨) الطبري ٣/٣٧٤
(١٩٩) الطبري ٣/٣٨٥
(٢٠٠) تاريخ البلدان ١٧٨
(٢٠١) ياقوت ٢/٧٣٤-٥
(٢٠٢) الطبري ٣/٦٤٩

(٢٠٣) الطبري ٣/٦٥١

(٢٠٤) الطبري ٣/٦٥١

(٢٠٥) الطبري ٣/٧٠٤

(٢٠٦) الطبري ٧٠٦ والسيلحين محطة بين بغداد والانبار ، تبعد عن بغداد اربعة فراسخ وعن الانبار ثمانية فراسخ (ابن خرداذبه ٧٢)

(٢٠٧) الطبري ٣/٧٣٠

(٢٠٨) تاريخ الموصل ٣١٢

(٢٠٩) الطبري ٣/٧٠٦

(٢١٠) الجهشياري ١٩٣ ، ١٩٥

(٢١١) ياقوت ١/٩٢

(٢١٢) الطبري ٣/٨٤٧

(٢١٣) مروج الذهب ٣/٣٩٢-٣

(٢١٤) الطبري ٣/٨٧٢

(٢١٥) الطبري ٣/٩٠٦

(٢١٦) الطبري ٣/٩١١

(٢١٧) الطبري ٣/٩٣٤

(٢١٨) ياقوت ١/٨٠٧

(٢١٩) الطبري ٣/٢٧٥١

(٢٢٠) الخطيب ١/٧٥

(٢٢١) ياقوت ٢/٤٥٩ وانظر عن البيمارستان العضدي : احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ١٨٧ - ١٩٧

(٢٢٢) اليعقوبي ٢٤٩

(٢٢٣) الخطيب ١/٩٢

(٢٢٤) الطبري ٣/٩٠٩

(٢٢٥) الجهشياري ٢٢٥

(٢٢٦) الطبري ٣/٩٥٤

(٢٢٧) الخطيب ١/٨٧

(٢٢٨) الطبري ٣/٩٢٦

(٢٢٩) الطبري ٣/٢٣٤

(٢٣٠) الطبري ٣/٩٥٤

(٢٣١) كتاب البلدان مخطوطة مشهد

(٢٣٢) اليعقوبي ٢٤٥

(٢٣٣) الخطيب ١/٢٣٨

(٢٣٤) الطبري ٣/٤٣٩

(٢٣٥) اليعقوبي ٢٥١

(٢٣٦) اليعقوبي ٢٥١ ، ويلاحظ ان اليعقوبي لم يذكر في كتاب البلدان تاريخ بناء الجانب الغربي ، ولكنه ذكر في التاريخ ان الجانب الغربي بديء بناؤه سنة ١٤٤ ويلاحظ ان الهادي ولد بالري سنة ١٤٦ (خليفة ٤٧٨) وكذلك الرشيد سنة ١٥٠ (خليفة ٤٩٦) مما يدل على ان المهدي لم يكن في بغداد وقد يدل على ان الرصافة لم تكن بنيت وان تاريخ اليعقوبي غير دقيق .

(٢٣٧) الخطيب ١/٨٢ الطبري ٣/٣٦٤ تاريخ الموصل ٢١٣ .

(٢٣٨) الخطيب ١٤/٤١ ـ ٥ ، ١/١٢٥ ويكرر في الروايتين ان هشاما توفي سنة ١٤٦ وهو يشكك في كون القبر الذي في مقبرة الخيزران هو قبر هشام بن عروة .

(٢٣٩) الخطيب ١/١٢٥ ، ٣/٣٢٤ ، ٤٢٢

(٢٤٠) ١/٢١٤ ، ٤/١٧٦ تاريخ خليفة ٤٥٤

(٢٤١) الخطيب ١/٨٢ ، ٣٩٣ الطبري ٣/٣٦٥

(٢٤٢) الخطيب ١/٨٢

(٢٤٣) الطبري ٣/٢٤٨

(٢٤٤) الطبري ٣/٤٦٠ المعرفة والتاريخ للفسوى ١/١٥٧ الخطيب ١/١٠٩

(٢٤٥) ياقوت ٢/٧٨٣

(٢٤٦) .الطبري ٣/٣٢٢

(٢٤٧) الطبري ٣/٣٢١

(٢٤٨) سهراب ١٣١ الخطيب ١/١١٥

(٢٤٩) اليعقوبي ٢٥٣

(٢٥٠) الطبري ٣/٤٨٢

(٢٥١) الطبري ٣/٤٩٤ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠

(٢٥٢) الطبري ٣/٩٣٨ الخطيب ٣/٣٣٧ ويقول المسعودي ان الامين ولد بالرصافة سنة ١٦٤ مروج الذهب ٣/٣٨٥ . ويقول الطبري ان الامين ولد في دار محمد بن سليمان التي صارت بعد للعباسية ثم صارت للمعتصم (٣/٧٥٧)

(٢٥٣) طيفور ١٩ الطبري ٣/١٠٣٨ الخطيب ٦/١٤٣ تاريخ خليفة ٥١٠

(٢٥٤) الطبري ٣/١٧٢٠

(٢٥٥) الوزراء ٢٤ ـ ٢٥

(٢٥٦) الطبري ٣/٢١٩٥ المنتظم ٦/٢٧

(٢٥٧) الطبري ٣/٢١٢٢

(٢٥٨) تاريخ الكازروني ١٤٧

(١٥٩) تاريخ الكازروني ١٧٤

(٢٦٠) ياقوت ٧٨٣/٢
(٢٦١) هؤلاء الاربعة مذكورة بالتتابع في تاريخ الكازروني ٢٨٠ ، ٢٧٤ ، ١٨٠ ، ١٧٤
(٢٦٢) الخطيب ٣٨/١٢ المنتظم ٧٩/٧
(٢٦٣) عن مدفن الطائع انظر الخطيب ٣٧٩/١٢ المنتظم ٢٢٤/٧ الكازروني ١٩٥ وعن مدفن ابنه عبدالوهاب : المنتظم ٤٣٩/٧ الكازروني ١٩١
(٢٦٤) الخطيب ٣٨/٤ المنتظم ٦١/٨
(٢٦٥) الخطيب ١٤٢/٤ المنتظم ٥٧/٨ الكازروني ١٩٦
(٢٦٦) الخطيب ٤٧٩/١ الكازروني ٣٠٠
(٢٦٧) المنتظم ٣٤/٨
(٢٦٨) الكازروني ٢٠٨
(٢٦٩) المنتظم ٢١٧/٨
(٢٧٠) ذكرهم الكازروني بالتتابع ص ٢١٢ ، ٢١٠ ، ٢١٣
(٢٧١) الكازروني ٢١٧
(٢٧٢) المنتظم ١٩٧/١٠ الكازروني ٢٣٠
(٢٧٣) الكازروني ٢٣٥
(٢٧٤) المنتظم ٢٣١/١٠
(٢٧٥) الكازروني ٢١٢
(٢٧٦) الكازروني ٢٤٧
(٢٧٧) الكازروني ٢٦٣
(٢٧٨) ذكرهم الكازروني بالتتابع في ص ١٧٠ ، ١٩٥ ، ١٤٨ ، ٢٤٧ ، ١٦٧ .
(٢٧٩) الطبري ١٢٢٢/٣ الخطيب ١١٧/٢
(٢٨٠) المنتظم ١٤٢/١٠
(٢٨١) المنتظم ١٦٨/١٠
(٢٨٢) اخبار الراضي والمتقي للصولي ١٤٦
(٢٨٣) الخطيب ٣٤٢/٤
(٢٨٤) الحوادث الجامعة ٢٣٣
(٢٨٥) الحوادث الجامعة ٢٤٢ الكازروني ١٦٦
(٢٨٦) فتوح البلدان ١٩٦
(٢٨٧) الخطيب ٩٦/١
(٢٨٨) المعرفة والتاريخ ١٣٨/١
(٢٨٩) الطبري ٥٠٢/٣
(٢٩٠) الخطيب ٩٧/١ ياقوت ٧٥١/٣

(٢٩١) الطبري ٣/٥٠٢
(٢٩٢) الجهشياري ١٩٥
(٢٩٣) الخطيب ٣/١٣٦
(٢٩٤) الطبري ٣/٥٠٩-١٠
(٢٩٥) الطبري ٣/٥٤٨
(٢٩٦) الطبري ٣/٥٩٨
(٢٩٧) الطبري ٣/٥٧٣
(٢٩٨) الطبري ٣/٥٦٩ ، ٥٧٩ الخطيب ١/٦٨ ، مروج الذهب ٣/٣٢٤
(٢٩٩) الخطيب ١٣/٢٢
(٣٠٠) الطبري ٣/٥٢٠ تاريخ خليفة ٤٧٠
(٣٠١) فتوح البلدان ٣٩٨ الخطيب ١/٩٧ ياقوت ٣/٧٥١
(٣٠٢) الخطيب ١/٩٦
(٣٠٣) سهراب ١١ الخطيب ١/١١٥
(٣٠٤) الطبري ٣/١٠٣٥
(٣٠٥) تاريخ طيفور ١٩
(٣٠٦) الخطيب ١/١٢٣ وقبر النذور مدفون فيه عبدالله بن عمر ابو عشرف وعنده تربة رابعة وبقربه قبر السبتي (دليل خارطة بغداد ١٠٨ ٣٢٠) وهو لا يزال قائما في الاعظمية .
(٣٠٧) الطبري ٣/٥٨٠ وانظر ايضا ٥٢٤
(٣٠٨) الطبري ٣/١٩٤٨
(٣٠٩) الطبري ٣/٩٥١
(٣١٠) الطبري ٣/١٠٣٨ طيفور ١٠
(٣١١) الخطيب ١٠/١٨٩
(٣١٢) الخراج ٩٢
(٣١٣) الطبري ٣/٩١٤ ، ٩١٧
(٣١٣أ) اخبار الحكماء للقفطي ٣٥١
(٣١٣ب) الطبري ٣/١٩٤٨
(٣١٤) ٣/٥٤٨
(٣١٥) الطبري ٣/٥٩٨
(٣١٦) الطبري ٣/٧٥٠
(٣١٧) الوزراء ١٩١
(٣١٨) الطبري ٣/١٥٨٣
(٣١٩) لستيرانج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٢١٤ ترجمة بشير فرنسيس

(٣٢٠) طيفور ١٩ الطبري، ٣/١٠٣٨

(٣٢١) الخطيب ١/٩٨

(٣٢٢) الكازروني ١٨٦

(٣٢٣) الكازروني ١٨٢ ، ١٨٩

(٣٢٤) الكازروني ١٧٩

(٣٢٥) عريب ١٨ ، ٢٢

(٣٢٦) الصولي ٢٨٢ الوزراء للصابي ١٣٢

(٣٢٧) تكملة تاريخ الطبري ٤ ١٣٢

(٣٢٨) مسكويه ١/٦ المنتظم ٦/٨١

(٣٢٩) تكملة تاريخ الطبري ١٤٤ ، ١٤٩

(٣٣٠) عريب ١٨٣

(٣٣١) مسكويه ١/٣٦٨

(٣٣٢) الخطيب ١/٣٤٠ عريب ١٨١ الكازروني ١٧٧

(٣٣٣) الصولي ٢٨

(٣٣٤) المنتظم ٦/٣١٦

(٣٣٥) الخطيب ٦/٥١

(٣٣٦) المنتظم ٨/١٥٣

(٣٣٧) المنتظم ٧/٢٨٦

(٣٣٨) مسكويه ٣/١٤٨ الكازروني ١٩٧

(٣٣٩) المنتظم ٨/٢٠١

(٣٤٠) المنتظم ٩/٢٥٩

(٣٤١) الصولي ٥٠

(٣٤٢) الطبري ٣/٤٥٧

(٣٤٣) مروج الذهب ٤/٥٠

(٣٤٤) الخطيب ١/٦٩

(٣٤٥) الطبري ٣/٢٢٠٧

(٣٤٦) مروج الذهب ٤/٢٧٤

(٣٤٧) الخطيب ٤/٤٠٧ وانظر ١/٦٩ الكازروني ٢٢٦

(٣٤٨) الطبري ٣/٢٢٨١ الخطيب ١/٦٩

(٣٤٩) الخطيب ١١/٣١٧

(٣٥٠) الخطيب ٦/٥١

(٣٥١) الخطيب ١/٣٤٠

الفصل الثاني

الأسرة العباسية في بغداد

من المعلوم ان الاسرة العباسية تحدرت من عم الرسول ﷺ العباس بن عبدالمطلب الذي كان يرعى الرسول ويحميه ويدفع عنه بعض اذى قريش في مكة ؛ وكان قد حضر معه بيعة العقبة ؛ غير انه لم يعتنق الاسلام آنذاك ولم يهاجر مع المسلمين ، بل ظل مقيماً في مكة ، واشترك مع المشركين في معركة بدر وأسر ، ثم فك الرسول اساره فعاد الى مكة . ولم يذكر عنه حماس في معاداة الاسلام ؛ ثم اسلم بعد فتح مكة ، وكانت لـه سقاية الحجيج ، فأبقاها له الرسول (ص) بعد فتح مكة .

لم يشغل العباس بن عبدالمطلب او أي من اولاده عملا اداريا ، ولم تسند لهم قيادة جيش او ولاية اقليم في عهد اي من الخلفاء الراشدين الثلاثة ولكن الخليفة الرابع ، الامام علي ، اعتمد على اولاد العباس في ادارة البلاد ؛ فولى قثم على مكة ، وتماماً على المدينة ، وعبيدالله على اليمن ، وعبدالله على البصرة[1] . ويتبين من هذا ان اولاد العباس ولوا مراكز الاقاليم الرئيسة التي كان يهيمن عليها الامام علي .

اما في عهد الخلافة الاموية فلم يتول احد من رجال الاسرة العباسية اية ولاية ، ولم تتكون بين الاسرتين علاقات متينة ، ولم تذكر المصادر الا زيجة واحدة تمت بين الاسرتين حيث تزوج الوليد بن عتبة بن ابي سفيان من لبابة بنت عبيدالله بن العباس[2] .

وقد حدثت بين الاسرتين العباسية والعلوية عدة مصاهرات ، فقد تزوج الحسن بن علي ام كلثوم بنت الفضل بن العباس[3] ، وتزوج العباس بن علي لبابة بنت عبيده بن العباس ثم تزوجها من بعده زيد بن الحسن بن علي[4] . وتزوج علي بن عبدالله بن جعفر لبابة بنت عبدالله بن العباس[5] . وتزوجت ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب من كثير بن العباس[6] . وتزوجت زينب بنت علي من كثير بن العباس بن عبدالمطلب ، وتزوجت نفيسة بنت تمام بن العباس عبدالله بن علي بن الحسين[7] . وتزوج علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب من ابنة عبدالله بن جعفر بن ابي طالب[8] كما تزوج عباس بن عبدالله بن جعفر بن العباس ابنة محمد بن علي بن ابي طالب[9] .

وقد كونت الاسرة العباسية صلات واسعة مع اهل اليمن ؛ فقد تزوج الفضل بن العباس أم سلمة بنت محمية بن جزء الزبيدي[10] ، وتزوج عبدالرحمن بن العباس أم ايوب بنت ميمون بن عامر الحضرمي[11] ، وتزوج عبدالله بن العباس ثلاث نساء من اليمن هن زرعة بنت مشرح بن معدي كرب الكندي ، وعائشة بنت عبدالمدان من بني الحارث بن كعب[12] ، وعمرة بنت عريف بن كلال بن حمير[13] ، كما تزوج محمد بن علي بن عبدالله بن

العباس من ريطة بنت عبيدالله بن عبدالحجر من بني الحارث بن كعب ؛ وتزوج محمد بن عباس بن عبدالله بن العباس من جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي[١٤] .

وتزوجت ام كلثوم بنت الفضل بن العباس من ابي موسى الاشعري[١٥]، وتزوجت آبية بنت معبد بن العباس من يريم بن معدي كرب بن ابرهة بن الصباح[١٦] .

* * *

قام العباسيون بدور رئيس في تنظيم الدعوة العباسية التي عملت على تأليب الناس واستقطاب المعارضين في المشرق ؛ وقد نجحت الدعوة في خراسان حيث اعلنت الثورة التي استطاعت ان تقصي الامويين تدريجيا ثم قضت على الخلافة الاموية ، وبسبب سرية الدعوة وقلة المعلومات التي وصلتنا ، لم يذكر ممن ساهم في تنظيم الدعوة غير محمد بن علي وابنه ابراهيم اللذين كانا يقيمان بالحميمة في الاردن ، ومنها كانت تنظم الدعوة وتوجه الثورة .

ولما سقطت الدولة الاموية اصبحت الخلافة محصورة برجال من الاسرة العباسية ، واستطاع الخلفاء العباسيون الاولون توطيد اسرتهم في الخلافة ، والقضاء على الثورات المعارضة ، وتثبيت اتجاهات الدولة العباسية التي اسست بغداد وعملت على خلق ظروف ساعدت على ازدهار الحياة الاقتصادية والحركة الفكرية . فوصلت الحضارة الاسلامية اوجها في عهدهم ، وفي عاصمتهم بغداد بصورة خاصة . وبالرغم من ظهور كثير من الحركات المعادية لهم ، والاتجاهات المعارضة لحكمهم فانهم ظلوا يتعاقبون على الخلافة ، حتى ان هولاكو ، القائد المغولي الكافر الذي فتح بغداد تردد في قتل الخليفة العباسي الاخير ، لانه خشى ان يؤدي مقتله الى شروق الشمس من المغرب[١٧] ويلاحظ انه بالرغم من حياة المجون البعيدة عن روح الاسلام التي كان يحياها بعض الخلفاء العباسيين ، وبالرغم من ضعف عدد غير قليل من هؤلاء الخلفاء ، فان المصادر ، حتى المعارضة لهم ، لم تتخذ من ذلك مطعناً عليهم ، وبذلك لم يصبهم ما نال الخلفاء الامويين من قدح وتشنيع .

المصـــادر

الا انه مما يلفت النظر انه رغم كثرة العلماء والمؤلفين ، وتزايد الاهتمام بدراسة التاريخ الاسلامي ، فان الكتب المؤلفة عن التاريخ العباسي ، والمعلومات التي وصلتنا

عن الاسرة العباسية غير كثيرة . فكتاب الفهرست لأبن النديم ، الذي يعتبر اوسع سجل للمؤلفات العربية حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري عدّد ٤٣ مؤلفا عن الرسول وما يتصل به ، و٣٩ مؤلفا عن الخلفاء الراشدين والاحداث التي جرت في زمنهم فضلا عن ٤٥ مؤلفا عن الردة والفتوح الاول ، وذكر ٨٥ كتابا عن الخلفاء الامويين وبعض الاحداث والرجال في عهدهم ، اما عن العهد العباسي فلم يذكر سوى ١١ كتابا عن الخلفاء العباسيين ، و٦ كتب عن بعض الاحداث في زمنهم .

ثم ان ما وصلنا من المؤلفات الاولى العامة التي كتبت بعد مرور اكثر من ١٥٠ سنة على تأسيس الدولة العباسية ليس فيها مقادير كبيرة من الصفحات للخلفاء العباسيين او الاحداث التي جرت في زمنهم : فان خليفة بن خياط في تاريخه الذي ألفه في اوائل القرن الثالث الهجري ، خصص لسيرة الرسول ٥٦ صفحة ، وللخلفاء الراشدين ١٢٢ صفحة ، وللخلفاء الامويين ٢٣٦ صفحة ، اما الخلفاء العباسيون وما جرى في زمنهم من احداث الى سنة ٢٣٣ هـ فقد خصص لها ١٠٠ صفحة فقط .

وخصص اليعقوبي في تاريخه ٩٣ صفحة لسيرة الرسول ، ومثلها للراشدين و١٢٠ صفحة للامويين و١٤٥ صفحة للعباسيين حتى سنة ٢٨٠ هـ .

اما المسعودي فانه في كتابه «مروج الذهب» خصص لسيرة الرسول ٣٢ صفحة ، وللخلفاء الراشدين ١٣٠ صفحة ، وللخلفاء الامويين ٢٣٦ صفحة ، وللخلفاء العباسيين حتى سنة ٣٣٥ هـ ٤٥٠ صفحة تحدث في اغلبها عن الشعراء والكتاب الذين ظهروا في العصر العباسي . وخصص المسعودي في كتابه «التنبيه والاشراف» لسيرة الرسول ٥٠ صفحة ، وللخلفاء الراشدين ١٣ صفحة وللامويين ٣٠ صفحة وللعباسيين ٥٣ صفحة .

اما الطبري فانه في كتابه العظيم «تاريخ الرسل والملوك» خصص لسيرة الرسول ٧٦٠ صفحة ، وللخلفاء الراشدين ١٦٤٠ صفحة ، وللخلفاء الامويين ٢٠١٦ صفحة ، وللخلافة العباسية حتى سنة ٣٠٢ هـ ٢٢٩٤ صفحة ، اي ان ما خصصه لاحداث الخلافة العباسية يساوي تقريبا ما خصصه لاحداث الخلافة الاموية ، بالرغم من ان الخلافة الاموية دامت ٩٢ سنة ، اما الفترة التي ارخها من الخلافة العباسية فتبلغ ضعف ذلك تقريبا ؛ علما بان الطبري كان أقرب الى احداث العهد العباسي .

ومن الكتب المغرية كتاب «اخبار الدولة العباسة» لمؤلفه حفيد يحيى بن وثاب وقد

نشرت في روسيا قطعة منه تشمل تاريخ الامويين وتاريخ بعض اوائل رجال الاسرة العباسية . كما نشرت في بيروت قطعة اوسع عن تاريخ رجال الاسرة العباسية . وكلتا النشرتين تنتهي بتأسيس الدولة العباسية ، وقد اقتصرتا على اخبار العباس (في الروسية فقط) واخبار كل من عبدالله بن العباس وعلي بن عبدالله ، ومحمد بن علي ، وابراهيم بن محمد ، ثم عن قيام الثورة العباسية وتقدم جيوشها الى الكوفة . وقد عدد هذا الكتاب اولاد كل من الرجال الخمسة الذين ترجم لهم ، ومعلوماته عن هؤلاء الاولاد تطابق تماما ما جاء في كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري ، مما يدل على اقتباسه من كتاب مصعب .

ولاريب في ان خير ما ينتظر في الكتابة عن الاسرة العباسية هم المؤلفون في كتب الانساب والتراجم . وقد ذكر ابن النديم اسماء ستة عشر كتابا عن الانساب وخمسة عن الاشراف ، وخمسة عن انساب قريش ، ولكن لم يذكر اي كتاب اقتصر على انساب العباسيين . وقد فقدت كافة الكتب التي ذكرها ما عدا كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري، وكتاب النسب لهشام بن محمد الكلبي . وقد طبع الكتاب الاول اما الثاني فقد طبع بعد اكمال هذا البحث، ومنه مخطوطة مختصرة في لندن، ومخطوطة ناقصة في الاسكوريال فأما كتاب «نسب قريش» لمصعب الزبير (ت ٢٣٦) فقد عدد بالتفصيل اولاد العباس واحفاده ممن عاشوا في العصر الاموي ؛ اما عن العصر العباسي فقد اقتصر على ذكر اسم الخليفتين العباسيين الاولين وأعمامهما فحسب .

واما كتاب «النسب» لهشام بن محمد الكلبي ، فقد ذكر اولاد العباس وبعض احفاده ولم يشر الى العباسيين او الى احفادهم او من عاش من رجال الاسرة العباسية في عهد الخلافة العباسية . ومعلومات ابن الكلبي اكثر اقتضابا من معلومات مصعب الزبيري .

وألف ابن حزم الاندلسي كتاب «جمهرة أنساب العرب» خصص فيه للعباسيين فصلا طويلا ذكر فيه اولاد الخلفاء ، كما ذكر معلومات واسعة عمن كان في عصره ، وتفاصيل عن العباسيين من غير اولاد محمد بن علي ، واشار الى بعض من ولي الولايات او تولى مناصب القضاء ، كما اشار الى من استوطن الامصار والاقاليم الاخرى . واشار ابن حزم الى ان محمد بن صالح المعروف بابن ام شيبان (ت ٣٦٩) «له كتاب جليل القدر في النسب لم يؤلف مثله استيعابا وكمالا» ؛ غير انه لم يذكر انه اطلع عليه ، بل عند كلامه عن سليمان بن علي بن عبدالسلام بن عمر ذكر «وعن كتابه اليّ أخذت كثيرا من انسابهم»[١٨] ؛ ولم اجد في الكتب الاخرى من اشار الى كتابي ابن أم شيبان او سليمان بن علي . وقد تابع

ابن حزم في كتابه اساليب كتب النسب من حيث اهتمامه بالعلاقات النسبية واقتصاره على سرد اسماء الاشخاص والاشارة الى وظائف بعضهم . كما انه لم يستوعب كافة افراد الاسرة العباسية ، ولم يوضح مكانتها في بغداد .

ان أوسع كتاب في تراجم الرجال الذين عاشوا في بغداد هو كتاب «تاريخ بغداد» لابي بكر احمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣) ؛ ويتكون هذا الكتاب من اربعة عشر مجلدا فيه مقدمة استوعبت ١٢٠ صفحة عن بغداد وخططها ، ثم تراجم ٧٨٣٠ رجل وامرأة ممن عاشوا في بغداد الى سنة ٤٦٠ هـ . ترجم الخطيب للخلفاء العباسيين ، ولمائة وثلاثين من رجال الاسرة العباسية اطلق على كل منهم لقب الهاشمي» التي حصر استعمالها بهم تقريبا ؛ واطلق ايضا كلمة «العباسي» على عشرة منهم. ولما كان الخطيب قد نظم التراجم في كتابه على الالفباء ، لذلك فان العباسيين الذين ترجم لهم ، وزعت ترجماتهم تبعا لمواقع اسمائهم في الترتيب الالفبائي ولم يجمعوا في مكان معين . وقد ذكر الخطيب في تراجم معظم من ذكرهم نسب الشخص وشيوخه وتلامذته ، وسنة ولادته ووفاته ؛ وولاية القضاء والخطابة اذا كان المترجم له قد اشغلها ؛ كما اشار الى محلات سكنى ودفن بعضهم . غير ان الخطيب اغفل ذكر مساهمة مترجميه ، بما فيهم الخلفاء ، في الاحداث السياسية او الاعمال الادارية او الحياة المعاشية لاي منهم ؛ كما اغفل الاشارة الى ولاية الحج التي انحصرت بهم في القرون الاولى ؛ والواقع ان الطبري عني بذكر ولاة الحج وساق نسبهم ، فذكر بذلك اسماء عدد ممن اغفل الخطيب ذكرهم . غير ان حصيلة ما ذكره الخطيب والطبري تبقى ناقصة وبعيدة عن الكمال . ومن تراجمه اثنا عشر من نسل أبي جعفر ، واربعة من نسل المهدي ، واثنان من نسل الرشيد ، وخمسة من نسل المأمون ، واربعة من نسل المتوكل ، واحد عشر من نسل المهدي عدا من ولي الخلافة .

ولكتاب «المنتظم» لابن الجوزي اهمية كبيرة ، فانه يبحث الحوادث السياسية مرتبة على السنين ، وأورد في نهاية كل سنة تراجم لعدد من المتوفين فيها . وقد اعتمد في الاقسام الاولى من الحوادث السياسية على الطبري كليا ، اما عن الاحداث التي بين ٣٠٢ و٤٧٢ فقد اعتمد على عدة مصادر لم تدرس بدقة بعد . اما في التراجم فان المتوفين حتى سنة ٤٦٠ هـ اعتمد في ترجماتهم على الخطيب كليا . وقد ترجم لعدد كبير من العباسيين وذكر محلات سكناهم ومدافنهم ، واشار الى مساهمة بعضهم في الحوادث السياسية حتى سنة ٥٧٢ وهي نهاية تاريخه .

وقد ذيل ابن النجار على تاريخ الخطيب ، وسار على منواله ، كما الف ابن الدبيثي ذيلا على كتاب ابن النجار ترجم فيه للمتوفين بين سنتي ٥٧٠ ـ ٦١٢ ، وقد طبع القسم الاول منه ، غير ان الملخص الذي عمله له الذهبي طبع معظمه . والف المنذري كتاب «التكملة في وفيات النقلة» ورتبه حسب السنين ، فذكر في كل سنة اشهر من توفى فيها ، وشمل كتابه المتوفون بين سنة ٥٨٠ الى سنة ٦٤٠ ، وبذلك يكمل كتاب المنتظم ، وقد اعتمد المنذري في القسم الاول من تراجم العراقيين على ابن الدبيثي ، وذكر عموما عددا من رجال الاسرة العباسية . ومع ان المنذري ، وابن الدبيثي ، يهتمان بعلماء الحديث ورواته ، الا انهما قدما معلومات قيمة عن بعض رجال الاسرة العباسية في العهود العباسية المتأخرة .

وقد ترجم المنذري لستة وخمسين رجلا من ابناء الاسرة العباسية ، وتسعة من احفاد المهتدي ، وخمسة من ال الزوال وخمسة من آل المكشوط ، واربعة من آل الزينبي ، واربعة من آل المنصوري ، وثلاثة من احفاد مطر ، اما الباقون فلم يذكر نسبهم .

اما الكتب المتأخرة فبعضها كتب عن الحوادث السياسية مثل «مضمار الحقائق» و«الجامع المختصر» و«الحوادث الجامعة» وقد ذكر كل منها بعض رجال الاسرة العباسية ؛ وبعض هذه الكتب المتأخرة كتب تراجم مثل «تكملة الاكمال» لابن الصابوني ، و«تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب» وفيه تراجم لبعض رجال الاسرة العباسية .

غير ان المعلومات التي في كل هذه المصادر عن الاسرة العباسية في بغداد محدودة ، ولا يوجد كتاب كرس لهذا الموضوع ، كما ان المعلومات المتفرقة لا تقدم بعد جمعها وتنظيمها صورة شاملة لمكانة هذه الاسرة في بغداد . ولابد من الاشارة في هذا الصدد الى ان الخلافة العباسية دامت اكثر من خمسة قرون حدثت خلالها تطورات سياسية وادارية واجتماعية كبيرة ، كما ان ابناء الاسرة العباسة تكاثروا على مر الزمن ، ولم يكن كافة افرادها في مستوى مالي او اجتماعي او فكري واحد .

الولايات الاولى :

لقي اعلان الثورة العباسية ترحيبا في اقاليم المشرق ، واستطاعت الجيوش العباسية ان تتقدم من خراسان متغلبة على الجيوش التي ارسلها الامويون لصدها ، ودخلت الكوفة ، ثم بويع لابي العباس السفاح بالخلافة فاتضح للجميع ان الخلافة قد اصبحت

لرجل من الاسرة العباسية . وكان شعار الدعوة قبل ذلك «الرضا من آل البيت» . وقد كان هذا الشعار العام والتكتم الشديد في اسم الامام قد جلب الى الدعوة مؤيدين من غير العباسيين فلما اعلنت هوية الخليفة الجديد اصاب كثيرا من مؤيديها خيبة امل وتوقفوا عن تأييدها . وبذلك واجهت الدولة الجديدة منذ بداية تأسسها معارضة من بعض مؤيديها السابقين ، ومن بعض متطرفي انصارها ، فضلا عن الامويين الذين زالت الخلافة عنهم ، واهل الشام الذين لم تعد بلادهم مركز الخلافة .

وقد لجأ الخليفة العباسي الاول ابو العباس السفاح الى استعمال القوة لقمع حركات اهل الشام والامويين ، وللتخلص من بعض الثائرين ممن أيد الدعوة في ادوارها الاولى ، كما استعمل الحلم واللين تجاه العلويين وغيرهم ممن توقف عن تأييد الدولة بعد اعلان خلافة العباسيين .

غير ان السفاح ادرك انه لابد من زيادة الاعتماد على اهل بيته ، لان الخلافة صارت فيهم ، فيستمد منهم سندا ويشعرهم بان مصلحتهم تقضي بتأييدها . وقد تابع الخلفاء العباسيون الاولون سياسة ابي العباس ؛ غير ان العباسيين المتأخرين لم يتابعوا هذه السياسة كما سنوضح ذلك .

ويلاحظ ان الاسرة العباسة عند مجيء الخلافة العباسية لم تكن كبيرة العدد . فيذكر مصعب الزبيري «ليس للعباس بن عبدالله (ابن العباس) بقية ولا لاحد من ولد عبدالله بن عباس عقب غير علي بن عبدالله بن عباس فان في ولده الخلافة والعدد»[١٩] ويذكر ان عبدالرحمن بن العباس انقرض ولده ، وكذلك «انقرض عقب عبدالله بن عبيدالله بن العباس فلم يبق منهم أحد»[٢٠]؛ وكان للعباس تسعة اولاد اربعة منهم لم يعقبوا ، وهم الفضل وقثم وكثير وعبدالرحمن اما الخامس ، وهو تمام ، فقد كان له حفيد هو يحيى بن جعفر «كان آخر بني تمام هلك في زمن ابي جعفر»[٢١].

وقد اختار ابو العباس السفاح لولاية الاقاليم الرئيسة رجالا من اسرته وخاصة من أعمامه : عبدالله بن علي على الشام ، وصالح بن علي على مصر وفلسطين ، وعبدالصمد بن علي على الجزيرة ، وداوود بن علي على الحجاز ، وعيسى بن علي على فارس ، وسليمان بن علي على البصرة ؛ كما ولى على الكوفة داود بن علي ثم عيسى بن موسى ، واخاه يحيى بن محمد ثم ابا جعفر على الموصل ، وابنه محمد على البصرة ، كما ولى العباس بن عبدالله بن معبد على مكة والطائف[٢٢].

وقد تابع ابو جعفر المنصور سياسة اخيه السفاح في تولية اقاربه ، فقد ولى «اسماعيل بن علي فارس ، وسليمان بن علي البصرة ، وعيسى بن موسى الكوفة وصالح بن علي قنسرين والعباس بن محمد الجزيرة ، وعبدالله بن صالح حمص ، والفضل بن صالح دمشق ، ومحمد بن ابراهيم الاردن ، وعبدالوهاب بن ابراهيم فلسطين[٢٣]؛ كما ولى السرى بن عبدالله بن الحارث[٢٤] ثم قثم بن عبيدالله بن العباس على اليمامة ومكة[٢٥]، وجعفر بن سليمان على البحرين ثم على المدينة[٢٦]؛ كما عين على مكة عبدالصمد بن علي[٢٧] ثم محمد بن ابراهيم بن محمد علي[٢٨]، كما ولى عيسى بن موسى المدينة بعد ان قضى على ثورة محمد النفس الزكية[٢٩]، وولى محمد بن سليمان بن علي البصرة ، ثم الكوفة ، وصالح بن داود على البحرين وفارس[٣٠]، ومحمد ابن ابي العباس على البصرة[٣١]، والزبير بن عبدالله بن الحارث على السند[٣٢]، وداود بن عبدالله بن معبد على واسط[٣٣]، ويحيى بن محمد على الموصل»[٣٤].

اما المهدي فقد ولى موسى بن عيسى[٣٥] ومحمد بن سليمان البصرة والاهواز[٣٦]، وعبدالصمد بن علي الجزيرة ثم مكة[٣٧]، والفضل بن صالح الجزيرة[٣٨] التي عين عليها ايضا عبدالله بن صالح[٣٩]، كما ولى محمد بن ابراهيم الامام مكة[٤٠]، وقثم بن العباس السند[٤١] التي ولاها ايضا عبدالله بن سليمان بن علي ثم عبدالله بن محمد بن ابراهيم الزينبي[٤٢].

وولى موسى الهادي الكوفة عيسى بن موسى ، ومكة عبيدالله بن العباس بن عبيدالله بن العباس[٤٣] وعبيدالله بن المهدي ارمينية[٤٤]، والفضل بن صالح مصر[٤٥].

وولى الرشيد على الكوفة العباس بن عيسى ، وموسى بن عيسى ، وجعفر بن ابي جعفر ، وعلى البصرة عيسى بن جعفر ، ومحمد بن سليمان بن علي ، واسحق بن سليمان بن علي[٤٦] وولى على مكة سليمان بن جعفر ، وموسى بن عيسى ، وعبدالله بن قثم ، والعباس بن موسى بن عيسى[٤٧] وعلى ارمينية عبيدالله بن المهدي[٤٨] ، ثم موسى بن عيسى[٤٩] ، وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الامام على اليمن[٥٠]؛ كما ولى على الشام سليمان بن ابي جعفر[٥١] وعلى السند عيسى بن جعفر بن المنصور ثم ايوب بن جعفر بن سليمان[٥٢].

وولى محمد الامين اسحق بن سليمان بن علي حمص وارمينية[٥٣]، وعبدالملك بن صالح على الجزيرة وجند قنسرين والعواصم[٥٤].

وولى المأمون صالح بن الرشيد على البصرة[٥٥] ، وابو اسحق بن الرشيد على الشام[٥٦] وسليمان بن المنصور على الرقة[٥٧]، والعباس بن موسى بن عيسى على مصر[٥٨].

وتجدر الاشارة الى ان عددا من ولاة الخلفاء العباسيين الاولين لم يكونوا من الاسرة العباسية ، غير ان العباسيين لم يولوا من اية اسرة العدد الكبير الذي ولوه من اسرتهم ، بالرغم من انهم لم يبقوا ايا من هؤلاء الولاة مدة طويلة في الولاية .

لا ريب في ان هؤلاء الولاة من الاسرة العباسية اعانوا على تثبيت كيان الدولة الجديدة وتوطيد حكمها في مختلف الاقاليم ؛ غير ان هذه السياسة لم تمنع حدوث بعض الانقسامات في الاسرة ، وخاصة بسبب ولاية العهد ، فقد تابع العباسيون منذ اول توليهم الخلافة تعيين اكثر من ولي عهد واحد وكان الخليفة الجديد في الغالب يعمل على عزل ولي العهد الذي سبق تعيينه او ارغامه على الموافقة على ان يكون ابن هذا الخليفة ولي العهد الاول ؛ ولابد ان يحدث هذا بعض الاضطراب، وصل في ثلاثة منها حد استعمال القوة .

فاما الاولى فعندما ثار عبدالله بن علي على المنصور بعد وفاة السفاح مدعيا ان الخليفة الاول اوصى له بالخلافة من بعده . ولم يستطع المنصور التغلب عليه الا بعد معارك عنيفة . غير ان المصادر لم تذكر احدا من رجال الاسرة العباسية انضم الى عبدالله ، الا ما ذكره الخطيب من ان عبدالصمد انضم اليه . ولذلك لم تؤثر هذه الحادثة في مركز المنصور وموقفه من الاسرة .

اما الحادثة الثانية فهي عندما نشب النزاع بين الامين والمأمون وقد أيد رجال البيت العباسي الامين في البداية ، ولعل مرجع ذلك كون الامين الخليفة الشرعي ، وانه كان يسيطر مباشرة على العراق والحجاز حيث يقيم العباسيون . والواقع ان العباسيين لم ينفضوا عن الامين الا بعد ان تضعضعت قوته ، وبعد ان أتخذ طاهر بن الحسين ، قائد جيوش المأمون التي كانت تحاصر الامين ، تدابير شديدة وهددهم بمصادرة اموالهم .

ومما يمكن اعتباره مكملا لهذا النزاع هو مبايعة ابراهيم بن المهدي بالخلافة في بغداد ابان اقامة المأمون بمرو بعد مقتل الامين . فقد أيد العباسيون ابراهيم تعبيرا عن استيائهم من ابتعاد المأمون عن بغداد ؛ غير ان المأمون لما وصل الى بغداد انفض العباسيون عن تأييد ابراهيم وعادوا الى تأييد المأمون .

اما الحادثة الثالثة التي استخدمت فيها القوة بين افراد الاسرة العباسيين فهي في النزاع بين المعتز والمستعين على الخلافة . وكان العامل المؤثر في هذا النزاع الاخير هم

الاتراك والقواد العسكريون الذين لعبوا دورا في عزل عدد من الخلفاء .

واستكمالا للبحث نذكر انه في الفترة الطويلة التالية من التاريخ العباسي لم تذكر المصادر ثورة اعلنها رجل من البيت العباسي الا ثورتان اولاهما ثورة ابراهيم بن محمد بن عبدالوهاب ابن ابراهيم الامام على المأمون[٥٩]، والثانية ثورة عيسى بن المكتفى في سنة ٣٤٩ حيث «ظهر بناحية ارمينية وتلقب بالمستجير بالله وانضاف اليه جماعة من الديلم ، وتغلب على عدة بلاد من اذربيجان» ثم قبض عليه فيما بعد وقتل[٦٠].

ومن الطبيعي ان بلاط الخلافة العباسية لم يخل من الدسائس والخلافات وخاصة على اختيار ولي للعهد ، ولكن هذه الخلافات لم ترق الى مستوى الانشقاقات العنيفة او التكتلات الممزقة .

رعاية الخلفاء الاسرة العباسية :

لم تقف عناية الخلفاء العباسيين باسرتهم على تعيين عدد كبير منهم في الولايات بل امتدت الى رعايتهم والعناية بهم ؛ وفي نصيحة المنصور لابنه وولي عهده المهدي يقول «اوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الاحسان اليهم ، وتعظم امرهم ، وتوطىء الناس اعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فان عزك عزهم ، وذكرهم لك ، وما اظنك تفعل[٦١].

ويروي الهيثم بن عدي : «فرق ابو جعفر المنصور في جماعة اهل بيته في يوم واحد عشرة الاف درهم»(!) وأمر للرجل من اعمامه بالف بالف ، ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها احدا من الناس وقال العباس بن الفضل امر المنصور لعمومته سليمان وعيسى وصالح واسماعيل بني علي بن عبدالله بن عباس لكل رجل منهم بالف بالف معونة له من بيت المال ، وكان اول خليفة اعطى الف الف من بيت المال فكانت تجري في الدواوين»[٦٢].

ويروي طيفوربسند عن علي بن صالح صاحب المصلى ان المأمون اراد ان ينحي ابراهيم بن المهدي من مرتبة بني هاشم ، فقال له علي «ليس لك ان تعدل عن فعل ابائك : غضب المنصور على فلان فلم يزله عن مرتبة اهل بيته ، وغضب المهدي على عبدالصمد بن علي فلم يزله عن ذلك ، وليس لك الا ما فعلوه ، قال صدقت ليس لي الا ما فعلوا ، قال وامر فاجلس مع بني العباس»[٦٣] ولم يذكر هذا النص اسم الذي غضب

عليه المنصور ، ولعله سليمان بن علي الذي لجأ اليه عبدالله بن علي فاجـار عبدالله من القتل .

وقد تابع المهدي عنايته بافراد الاسرة العباسية ، فيروي انه في سنة ١٦٠ هـ «رد المهدي على اهل بيته قطائعهم التي كانت مقبوضة عنهم»[٦٤] وواضـح من هذا النص ان المهدي رد على اهل بيته الاراضي التي كانت قد صودرت منهم ، وان الامويين هم الذين كانوا قد صادروها وقبضوها ؛ ولما لم يرد في المصادر ذكر لممتلكات عباسية في العراق ، فالراجح ان هذه الاملاك كانت كلها او معظمها في الحجاز حيث كان يقيم افراد الاسرة ، ولابد ان بعض موارد هذه الاملاك كانت تأتي العـراق حيث اصبح يقيم فيـه عدد من العباسيين .

ويذكر الطبري انه في سنة ١٦٨ «رد المهدي ديوانه وديوان أهل بيته الى المدينة ونقله من دمشق اليها»[٦٥]، ولا ريب في ان قرار المهدي هذا يهدف التقرب من اهل المدينة ويعيد معهم العلاقات الطبيعية وانه لم يكن لهذا التدبير اثر مالي كبير ، لان العطاء محدد المقدار وانه كان عمليا يحول الى العراق حيث يقيم معظم افراد الاسرة العباسية .

ويذكر الطبري انـه في سنة ١٦٨ هـ ايضـا «خرج المهـدي الى نهر الصلة اسفل واسط ، وانما سمي نهر الصلة لانه فيما ذكر اراد ان يقطع اهل بيته وغيرهم غلته ، يصلهم بذلك»[٦٦]. ويدل هذا النص على ان المهدي اراد بهذا الاقطاع ضمان موارد ثابتة من غلة هذا النهر ، لتحل محل الصلات التي لم تكن مقننة او ثابتة ، فضلا عن ان اسراف المهدي قد ادى الى تناقص ما في بيت المال . وعبارة «اهل بيته» التي وردت في هذا النص قد تعنى ان غلة نهر الصلة قصرت على اهل بيت المهدي ، اي بعض وليس كل العباسيين . ومن المحتمل انها شملت بعض موالي المهدي من غير العباسيين . ولم تذكر المصادر مقدار موارد نهر الصلة ، وان كان الراجح انها لم تكن كبيرة بالدرجة التي تؤمن لمن يوزع عليهم مبالغ كبيرة من المال .

ويذكر الطبري انه في سنة ١٧٠ هـ «امر هارون (الرشيد) بسهم ذوي القربى فقسم بين بني هاشم بالسوية»[٦٧].

ان نصيب ذوي القربى ورد ذكره في القرآن الكريم في آيتين «ما أفاه الله على رسوله من اهل القربى فلله وللرسول ولذي القربى» (الحشر ٧) «واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، (الانفال ٤١) .

وقد ورد تعبير «ذوي القربى» في تسعة مواضع من القرآن الكريم عاما كما ورد تعبير «الاقربين» عاما في اربعة مواضع ، وورد ايضا تعبير «ذوي القربى» في ستة مواضع منحصرا باقارب الرسول . ولا ريب في ان القرابة قائمة على اساس الدم ، ولكن القرآن الكريم لم يحدد مدى امتدادها وشمولها . ثم ان تعبير «ذوي القربى» ورد في القرآن الكريم مع اليتامى في موضع ، ومع اليتامى والمساكين في موضعين ومع المسكين وابن السبيل في ثلاثة مواضع ؛ وهذا يدل على ان ذوي القربى الذين اشار اليهم القرآن الكريم كانوا من المحتاجين الجديرين بالعون المادي ولا يعقل انها كانت تشملهم جميعا ، لان بعضهم لم يكن محتاجا ، كما ان فريقا منهم كان لا يزال مقيما في مكة مع المشركين .

ثم ان الفيء الذي اشار اليه القرآن الكريم في سورة الحشر كان مقصورا على اراضي بني النضير . اما الغنائم فحكمها عام يشمل ما يحصل عليه المسلمون من الاموال المنقولة في ميدان المعركة . وبهذا المفهوم للغنائم لابد ان مقدارها كان كبيرا نسبيا في زمن الخلفاء الراشدين ، الا انه يجب الا نبالغ في تقدير مقدارها او في استمرارها .

وتتفق كتب الفقه على ان الرسول (ص) كان يقسم سهم ذوي القربى على بني هاشم وبني المطلب ، وان قسمته توقفت في خلافة عمر . وتروى بعض الروايات ان ابا بكر هو الذي اسقط سهم الرسول وسهم ذوي القربى ، وقسم على الثلاثة الباقين . وفي رواية عن الامام علي انه كان يقوم بقسمة هذا السهم في عهد الرسول (ص) وفي خلافة ابي بكر وعمر «حتى اذا كان آخر سنة من سني عمر فاتاه مال كثير ، فعزل حقنا ثم ارسل اليّ فقال خذه فاقسمه ، فقلت يا امير المؤمنين بنا عنه العام غنى وبالمسلمين اليه حاجة ، فرده عليهم تلك السنة ، ثم لم يدعنا اليه احد بعد عمر حتى قمت مقامي هذا ، فلقيني العباس بن عبدالمطلب بعد خروجي من عند عمر (رض) فقال يا علي لقد حرمتنا الغداة شيئا لا يرد علينا ابدا الى يوم القيامة»[٦٨] .

ويذكر ابن عباس في كتابه الى نجدة الحنفي ان سهم ذوي القربى «هو لنا، وان عمر (رض) دعانا الى ان ننكح منه ايمنا ونقضي عن مغرمنا ونخدم منه عائلنا ، فأبينا الا ان يسلمه لنا ، وابى علينا ذلك»[٦٩] .

ويلاحظ ان عمر بن الخطاب نظم في اواسط خلافته الديوان الذي تقنن به مقدار ما يأخذه كل فرد من المقاتلة ومن الصحابة .

ويروي عطاء بن السائب ان عمر بن عبدالعزيز بعث بسهم الرسول (ص) وسهم ذوي القربى الى بني هاشم»[٧٠] .

ان النص الذي اوردناه عن توزيع هارون الرشيد سهم ذوي القربى على بني هاشم لا يمكن تفسيره بتوزيع خمس كل موارد الدولة ، وهي كبيرة جدا ، فالراجح انه اقتصر على خمس الغنائم من الحروب ، وهي محدودة المقدار وغير ثابتة . ويبدو ان الامر المهم فيها هو القسمة «بالسوية» . اي ان قرار الرشيد له قيمة معنوية اكثر من كونه ذا قيمة مادية .

وقد ذكر ابن حمدون عمل الرشيد بشكل آخر حيث قال انه في سنة ١٧٠ هـ «أخرج الرشيد خمس ماله ففرقه في اربابه وحمل سهم من المدينة منهم عبدالله بن سليمان ، فاصاب كل رجل منهم الف درهم ، ولكل امرأة خمس مائة درهم»[٧١] وهذا القول يخلف عن قبول الطبري ، فهو لا يذكر سهم ذوي القربى ، بل يذكر ان الرشيد «اخرج خمس ماله» اي ثروته الخاصة ، كما انه لا يذكر توزيعه على بني هاشم بل «في اربابه» وهي جملة غامضة . كما انه يذكر ان التقسيم اصاب بعضه اهل المدينة ، والمفروض ان معظمه اصاب من في العراق ؛ يضاف الى هذا ان ابن حمدون حدد مقدار ما اصاب كل رجل وامرأة ؛ ولكنه لم يذكر عدد من اصابهم من المال مما قد يفيد في معرفة عدد العباسيين او الهاشميين .

يذكر الطبري انه في سنة ٢٠٠ هـ «احصي في هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين الفا ما بين ذكر وانثى»[٧٢] ؛ ومن الواضح ان هذا الرقم كبير وبعيد عن الواقع الا اذا افترضنا انه يشمل موالي العباسيين وعبيدهم ؛ وقد ذكرنا من قبل ان معظم العباسيين في عهد الخلافة العباسية منحدرون من ولد علي بن عبدالله بن العباس .

ومن الجدير بالذكر ان الجاحظ يذكر في كتاب البلدان الذي ألفه سنة ٢٤٨ «ان آل ابي طالب احصوا منذ اعوام وحصلوا وكانوا قريبا من ألفين وثلاثمائة»[٧٣] ؛ وهذا الرقم يتباين تباينا كبيرا مع الرقم الذي ذكره الطبري لعدد بني العباس ؛ علما فان الاحصاء الذي يشير اليه الجاحظ تم بعد سنة ٢٠٠ فيما يظهر .

ويذكر الصابي ان جمهور بني هاشم من العباسيين والطالبيين «كانت عدتهم بالحضرة اربعة الاف نفس»[٧٤] وهذا الرقم معتدل نسبيا ، ولعله اقرب الى الواقع ، وهو مقصور على من كان مقيما في بغداد ، ولكنه لا يذكر عدد كل من العباسيين والهاشميين .

الإقطاعات والمنازل

لقد ذكرنا ان الخلفاء العباسيين الاولين اولوا رجال الاسرة العباسية رعاية خاصة ، وان المنصور ولى عددا منهم الولايات العظيمة واغدق عليهم العطايا والهبات ،

واوصى ابنه برعايتهم لان عزهم عزه، غير انه يلاحظ انه ليس في المصادر اشارة او دليل على انه اقطع احدا منهم في داخل المدينة المدورة التي انشأها ، او ان احدا منهم اقام فيها في خلافته . والاشارة الوحيدة التي وجدتها في المصادر هي قول اليعقوبي ان المنصور بني لاولاده بيوتا في المدينة المدورة ، غير انه لم يذكر اي هؤلاء الاولاد بنيت له البيوت ، ولا فيما اذا كان قد بنى لهم بناية واحدة ام عدة بنايات . علما بان مصادر الخطط لم تشر الى اي اسم من اولاد الخليفة المنصور كان له اقطاع في المدينة المدورة ، بل ذكرت الاقطاعات لاولاده خارج المدينة المدورة .

وقد ذكرت المصادر اقطاعات للعباسيين في الجهات الشرقية والجنوبية خارج المدينة المدورة ؛ فاما الاقطاعات التي في جهة الشرق فهي الرقعة الضيقة المحصورة بين المدينة ودجلة وكانت كلها لاولاده ، واما الجنوبية فكانت لاعمامه واقاربه وهي مختلطة مع اقطاعات آخرين من غير الاسرة العباسية . ومن المعلوم ان اوسع المصادر في خطط بغداد الاولى هما اليعقوبي والخطيب[٧٥] .

فاما اليعقوبي فيقول «وكان اول من اقطع خارج المدينة من أهل بيته عبدالوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بازاء باب الكوفة على الصراة السفلى التي تأخذ من الفرات ، فربضه يعرف بسويقة عبدالوهاب ، وقصره هناك قد خرب ، وبلغني ان السويقة ايضا قد خرب» .

وأقطع العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الجزيرة التي بين الصراتين ، فجعلها العباس بستانا ومزدرعا ، وهي العباسية المشهورة التي لا تنقطع غلاتها في صيف ولا شتاء ولا في وقت من الاوقات . وفي آخر العباسية تجتمع الصراتان والرحا العظمى التي يقال لها رحا البطريق .

وأقطع الشروية ، وهم موالي محمد بن علي بن عبدالله بن العباس دون سويقة عبدالوهاب مما يلي باب الكوفة ، وكانوا بوابيه رئيسهم حسن الشروي»[٧٦] .

ثم يذكر «فتعرج من القنطرة العتيقة التي على الصراة ذات اليمين الى القبلة الى قطيعة اسحق بن عيسى بن علي ، وقصوره ودوره شارعة على الصراة العظمى من الجانب الشرقي ، والطريق الاعظم بين الدور والصراة .

. . ثم الشرقية ، وانما سميت الشرقية لانها قدرت مدينة للمهدي قبل ان يعزم على ان يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة فسميت الشرقية ، وبها المسجد الجامع

وكان يجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر ، وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ، ثم اخرج المنبر منه .

وتنعرج من الشرقية مارا الى قطيعة جعفر بن المنصور على شط دجلة وبها دار عيسى بن جعفر ، وتقرب منها دار جعفر بن المنصور»[٧٧] ومن الواضح ان هذه الدور تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من مدينة المنصور .

وذكر اليعقوبي ايضا «الربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعد ذلك بازائها الخلد ، وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض وقصر يشرع على دجلة لم يزل ابو جعفر ينزله ، وكان فيه المهدي قبل ان ينتقل الى قصره بالرصافة الذي بالجانب الشرقي من دجلة فاذا جاوز موضع الجسر فالجسر ومجلس الشرطة ، ودار صناعة الجسر .

فاذا جاوزت ذلك فأول القطائع قطيعة سليمان بن ابي جعفر في الشارع الاعظم على دجلة ، وفي درب يعرف بدرب سليمان .

وإلى جنب قطيعة سليمان في الشارع الاعظم قطيعة صالح ابن امير المؤمنين المنصور ، وهو صالح المسكين مادة الى دار نجيح مولى المنصور التي صارت لعبدالله بن طاهر[٧٨] .

واورد الخطيب معلومات اوفى عن اقطاعات العباسيين وقصورهم الواقعة على دجلة ، حيث ذكر «انه كان على نهر طابق» العقر الذي عليه قصر عيسى» وذكر ايضا «واما شاطىء دجلة فمن قصر عيسى الى الدار التي ينزلها في هذا اليوم على قرن الصراة ابراهيم بن احمد فانما كانت اقطاعا لعيسى بن علي - يعني ابن عبدالله بن عباس - واليه ينسب نهر فرضة جعفر وقطيعة جعفر .

واما شاطىء دجلة من قرن الصراة الى الجسر ، ومن حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ثم صارت لاحمد بن ابي اسرائيل ثم هي اليوم بيد خاقان المفلحي الى باب خراسان فهو الخلد ، ثم ما بعده الى الجسر فهو القرار ، نزله المنصور في آخر ايامه ثم أوطنه الامين»[٧٩] .

ويذكر الهمداني ان قصر عيسى منسوب الى عيسى بن علي بن عبدالله ، وهو اول قصر بناه الهاشميون ببغداد في ايام المنصور» .

ويذكر ايضا ان قصر الوضاح بناه المنصور للمهدي قبل الرصافة ، ويذكر الخطيب ان المسجد كان في هذا القصر[٨٠] .

وكانت «الزبيدية التي بين باب خراسان وبين شارع دار الرقيق فمنسوبة الى زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور ، وكذلك الزبيدية التي اسفل مدينة السلام في الجانب الغربي»[٨١].

وكانت الصالحية لصالح المسكين ، اما الجانب الشرقي فيذكر الخطيب انه «أقطع المنصور اخوته وقواده بعدما اقطع من الجانب الغربي ، وهو جانب مدينته ، وقسمت القطائع في هذا الجانب ، وهو يعرف بعسكر المهدي ، كما قسمت في جانب المدينة ، وتنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ، ولاتساعه عليهم بالاموال والعطايا ، ولانه كان اوسع الجانبين ارضا ، لان الناس فيه سبقوا الى الجانب الغربي ، وهو جزيرة بين دجلة والفرات ، فبنوا فيه ، وصار فيه الاسواق والتجارات فلما ابتديء البناء في الجانب الشرقي امتنع على من اراد سعة لبناء .

فاول القطاع على رأس الجسر لخزيمة بن خازم التميمي ، وكان على شرطة المهدي ثم قطيعة اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب . ثم قطيعة العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، لانه جعل قطيعته في الجانب الغربي بستانا .

ثم قطيعة السري بن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبدالمطلب عامل ابي جعفر على اليمامة .

وذكر الخطيب ايضا طاق اسماء بنت المنصور وقصر اسماء . . وشارع عبدالصمد منسوب الى عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن العباس وقطيعة العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بباب المخرم وكذلك سويقة العباس ودار العباس بالمخرم[٨٢].

ويذكر الخطيب انه في سنة ١٦٤ «بنى المهدي بعيساباذ » هو عيسى بن المهدي ، ولد الخيزران ، قصره الذي سماه قصر السلام[٨٣].

كما يذكر ايضا «واما شاطىء دجلة من الجانب الشرقي فاوله بناء الحسن بن سهل ، وهو قصر الخليفة في هذا الوقت ، ودار دينار ، دار رجاء بن الضحاك ، ثم منازل الهاشميين ، ثم قصر المعتصم ، وقصر المأمون ، ثم منازل آل وهب الى الجسر كانت اقطاعا لناس من الهاشميين ومن حاشية الخليفة[٨٤].

ويذكر اليعقوبي ان قطيعة صاحب الركاب صارت لاسحق بن عيسى علي الهاشمي ثم اشتراها كاتب لمحمد بن عبدالله بن طاهر يقال له طاهر بن الحارث[٨٥] وفي المصادر

اشارات الى بعض الاماكن المنسوبة الى العباسيين الاولين ، ومن هذه الاماكن ؛ دار ام عبدالله بالكرخ التي فيها اصحاب الدبس ، وام عبدالله هذه هي ابنة عيسى بن علي ، وأم زبيدة زوجة الرشيد[٨٦]. ومنها دار ابراهيم بن المهدي «في ناحية سوق العطش»[٨٧] ومنها شارع المنصور[٨٨]، .او درب المنصور[٨٩] بالكرخ .

كما ورد ذكر درب سليمان بن ابي جعفر[٩٠]، وقطيعة عيسى بن علي الهاشمي[٩١] وقصر عيسى بن علي[٩٢]، وسويقة عبدالوهاب بن ابراهيم الامام[٩٣].

ويتبين مما ذكرناه اعلاه ان المصادر التي بحثت في الخطط التي تخص العباسيين محدودة ، وان المعلومات التي ذكرتها قليلة وغير مستوعبة ، اذ لم تذكر خطط كافة رجال الاسرة العباسية الذين وردتنا اسماؤهم على الاقل ، وأن أياً من هذه المصادر لم يفرد للعباسيين وخططهم فصولا خاصة ، بل ذكروها متفرقة ضمن المعلومات عن خطط بغداد عموما . وان هذه المعلومات غير مرتبة زمنيا اي انها لم تشر دائما الى زمن منح الاقطاع او ظهور اسم المكان ، كما انها قلما تشير الى علاقة المقطع والمالك باقطاعه او ما كان يمتلكه ، اي هل كان الرجل يقيم في القطيعة او القصر المسمى به ، واذا كان الجواب بالايجاب فهل كان يقيم فيه مع كافة افراد اسرته ، بما في ذلك كبار اولاده .

ويظهر من المعلومات التي وصلتنا والتي اوردناها اعلاه انه لم يكن لاحد من رجال الاسرة العباسية اقطاع او دار في المدينة المدورة عندما شيدها المنصور ، وحتى بعد عهده بأمد ، بدليل عدم ذكر المصادر لذلك خلا اشارة اليعقوبي ، وعدم ذكر احد سكن فيها ، فضلا عن انه ليس في سكك المدينة المدورة اية سكة مسماة باسم رجل من الاسرة العباسية .

ويتبين مما ذكرناه ايضا ان اقطاعات رجال الاسرة العباسية وبيوتها كانت متفرقة في بغداد ، وموزعة بغير انتظام على مختلف جهاتها ، فلم تكن في بغداد محلة خاصة بالاسرة العباسية ، وبديهي انهم لم يتجمعوا حول قصر الخليفة او يستوطنوا بقربه .

ويدل قول اليعقوبي «اول من اقطع خارج المدينة من اهل بيته عبدالوهاب بن ابراهيم»[٩٤] على ان الاقطاعات لم تحدث في وقت واحد تنفيذا لخطة عامة مرسومة ، بل كانت تدريجية ، وفي اوقات مختلفة ، غير ان المصادر لم تذكر زمن كل اقطاع ، والفترات التي كانت بينهم ، وسبب التباعد في زمن الاقطاع ، الا انها تدل على ان الخليفة أبا جعفر المنصور لم يفكر بجمع رجال الاسرة العباسية واسكانهم في بغداد عند انشائها ، وان

سكناهم فيها تم تدريجيا ولم يخضع لقواعد مسبقة .

ويلاحظ ان تسمية المصادر لاملاك افراد الاسرة العباسية في بغداد في اوائل تأسيسها متعددة ، فان النصوص التي اوردناها اعلاه تذكر انه كان لعبدالوهاب بن ابراهيم الامام ربض وقصر ، وللعباس جزيرة ومزدرع ، ولاسحق بن عيسى قطيعة فيها ودور شارعة ، ولجعفر بن المنصور قطيعة بها دار ، وللعباس قطيعة جعلها بستانا .

وذكرت المصادر قصر عيسى بن علي وهو اول قصر بناه الهاشميون ببغداد في ايام المنصور، كما ذكرت قصر عبدالوهاب ، وقصور اسحق ودوره ، وقصر المهدي بالرصافة ، وقصر ام حبيب ، وقصر اسماء .

وذكرت ايضا دار عيسى ، ودار جعفر ، ودار نجيح .

وذكرت المصادر عيساباذ التي سميت بعيسى بن محمد المهدي ، وكلمة (اباذ) قد تدل على انها كالقرية ، اي وحدة سكنية كبيرة . علما بانه لم تذكر ببغداد اية وحدة اخرى الحق باسمها كلمة (اباذ) .

غير ان المعلومات التي في المصادر لا تكفي لتوضيح خصائص القصر والدار والاقطاع والـ«آباذ» او الفرق بينهم .

ولم يقتصر تفرق رجال الاسرة العباسية ظاهرا في محل سكناهم ، بل في مدافنهم ايضا ، فمن المعروف أن المصادر لم تذكر في بغداد مقبرة باسم العباسيين كما ان الاماكن التي ذكرت في مدفن بعضهم تظهر انهم دفنوا في مقابر متعددة . فعيسى بن علي (ت ١٦٣) دفن في مقابر قريش[٩٥]، وكانت هذه المقبرة تسمى ايضا مقبرة بني هاشم وعبدالله بن علي (ت ١٥٠) «اول من دفن في باب الشام»[٩٦].

وعبدالصمد بن علي (ت ١٨٥) دفن في باب البردان[٩٧].

وموسى بن جعفر (ت ١٨٣) دفن في الشونيزى[٩٨] ودفن علي بن المهدي ببستانه بعيساباذ[٩٩].

وقد سميت احدى مقابر بغداد باسم العباسة بنت المهدي[١٠٠]، وكانت قرب سوق السلاح[١٠١]، وقد دفن فيها محمد ابن ابراهيم الامام (ت ١٨٥)[١٠٢].

ويلاحظ ان مقبرة اخرى مشهورة في بغداد هي مقبرة الخيزران ، وقد سميت باسم زوجة المهدي .

ان تسمية المقبرتين الاخيرتين باسم سيدتين عباسيتين يجرنا الى الحديث عن النساء ،

فيلاحظ ان عددا غير قليل من الاماكن الاولى في بغداد سميت باسم سيدات عباسيات ، وخاصة بنات المهدي وزوجاته .

فأسماء بنت المهدي ، كان اسمها يطلق على قصر وعلى طاق صارت له شهرة فسميت المحلة به .

والعباسة بنت المهدي سميت المقبرة العباسية بها . كما ذكرت المصادر دار البانوقة بنت المهدي ، وسويقة العباسة ودار العباسة بالمخرم . وكانت بستان ام جعفر مشهورة ، وام جعفر هذه هي التي صارت اليها قطيعة قطربل كانت لجعفر بن ابي جعفر ، ولما صارت لها اصبحت تسمى قطيعة ام جعفر[١٠٣].

وقد نسبت الزبيدية التى بين باب خراسان وبين شارع دار الرقيق الى زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور ، وكذلك الى اسفل مدينة السلام في الجانب الغربي[١٠٤].

ومن الابنية المسماة باسماء النساء العباسيات قصر ام حبيب نسبة الى ابنة الرشيد وقد توفيت سنة ٢٦٧[١٠٥] وكان قصرها تسكنه النساء العباسيات[١٠٦] وقد انتقل المستعين الى قصرها في بعض الفترة التي كان يقاتل فيها المعتز[١٠٧].

ويتبين مما ذكرناه أنه كانت لبنات الخليفة المهدي اوضاع خاصة فقد سميت بعض الخطط باسم اسماء والعباسة ، وكانت البانوقة من الشخصيات البارزة ، كما اشتهرت علية بنت المهدي في الاوساط الغنائية ، وكانت لأم جعفر وزبيدة زوجة هارون الرشيد شهرة عظيمة .

ولم تشتهر في التاريخ العباسي اية من السيدات العباسيات كما اشتهرت هذه السيدات .

ويلاحظ ان عددا من الخلفاء العباسيين الاولين تزوجوا سيدات من الاسرة العباسية ، فقد تزوج المهدي ريطة بنت ابي العباس السفاح ، وتزوج الرشيد زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر وام محمد بنت صالح المسكين ، والعباسة ابنة سليمان بن جعفر[١٠٨] وتزوج المأمون ام عيسى ابنة الهادي[١٠٩].

اما بعد هذا التاريخ فلم تذكر المصادر، الا ان المستعين تزوج العباسة ثم عائشة ، وهما ابنتان للواثق[١١٠]، ويلاحظ ان كافة الخلفاء العباسيين بعد الامين كانت امهاتهم جوارٍ

اثر الانتقال الى سامراء

كان لانتقال مركز الخلافة من بغداد الى سامراء في عهد المعتصم اثر كبير في تاريخ الدولة والاسرة العباسية . فقد كانت سامراء قبل انتقال المعتصم اليها بلدة صغيرة في منطقة قليلة السكان ، ثم انتقل الوجوه والجلة والقواد وأهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى ففي سنة ٢٢٣ ، ثم اتصل بهم المقام ففي ايام الواثق والمتوكل ، ولم تخرب بغداد ولا نقصت اسواقها(١١) ولا ريب في ان القطاع الرئيس الذي انتقل الى سر من رأى هم جند المعتصم وحرسه من القوات العسكرية التركية والخراسانية والمغربية ، واصبح لهذه القوات الدور الاكبر في تثبيت سلطان الخليفة وفي توجيه السياسة التي ينتهجها ؛ والواقع ان الخلفاء العباسيين في سامراء منذ عهد المتوكل لم يستطيعوا فرض سيطرة قوية على الجيش ، ولم يكن لهم عنصر آخر قوي يعتمدون عليه لمواجهة الجيش ؛ ولعل هذا من الدوافع التي حملت المتوكل على الهجرة الى دمشق ، ولما عاد اليها قتل على يد بعض قواد الجيش الذين اصبحوا يفرضون ارادتهم في عزل وتعيين الخلفاء وتوجيههم .

لا نعرف بالتفصيل من هم «الوجوه والجلة والقواد واهل النباهة من سائر الناس» الذين انتقلوا مع المعتصم الى سر من رأى ، ولكن المؤكد ان فيهم عددا غير قليل من رجال الاسرة العباسية ؛ غير ان هؤلاء كانوا اضعف من ان يستطيعوا اسناد الخليفة بالقوة التي يتمكن بها من الوقوف بوجه قواد الجيش ؛ وبذلك لم يلعبوا دورا كبيرا في سامراء . غير ان انتقال فريق من العباسيين الى سر من رأى اضعف مكانة الاسرة العباسية في بغداد ، حيث قل عددهم في بغداد وفقدوا سند الخليفة لهم ، فضلا عن ان بغداد تكيفت الحياة فيها لتزدهر اعتمادا على عوامل اخرى غير الخلافة ، فلم يعد اهل بغداد يهتمون بالاسرة العباسية ، وهكذا ضعفت مكانة الاسرة العباسية بسبب انشطارها وضعفها أمام الجيش في سر من رأى من جهة ولعدم اعتماد اهل بغداد عليها من جهة اخرى .

ولما عاد الخلفاء العباسيون من سامراء الى بغداد ، بدأت سامراء تنكمش لان العنصر العسكري الذي كان عمادها هجرها ، كما ان الخليفة الذي كان سبب ازدهارها وقوتها انتقل عنها ، ولابد ان افراد الاسرة العباسية هجروها ايضا وعادوا الى بغداد ، اذ لم نسمع باحد من افراد الاسرة العباسية ظل يقيم في سامراء .

غير ان بغداد عندما عاد اليها الخلفاء من سامراء كانت قد استقرت فيها اوضاع جديدة ، فقد اصبحت الحياة فيها تعتمد على الصناعة والتجارة والنشاط الاقتصادي ، كما

ان العنصر العسكري اصبح ضعيفا فيها . فالقوة العسكرية الكبرى التي فيها تكونت من حرس الخليفة الخاص الذي يتميز بألبسته اكثر مما يتميز في تدريبه وقوته او في عدده . ولم تكن رواتب هذا الجند كبيرة ولا كان دفعها منتظما ؛ لذلك لم يكن لهذا الجيش تأثير كبير في حياة اهل بغداد ، كما ان رواتبه لم يكن لها مكان اساسي في حياتهم الاقتصادية . وقد رافق عودة الخليفة الى بغداد حدوث بعض الاضطرابات الخطرة في العراق واطرافه ، مما حمل الخليفة على ارسال العناصر النشطة في الجيش لقمع تلك الاضطرابات . وهذا ادى الى ازدياد ضعف العنصر العسكري في بغداد ، والى قلة الانقلابات العارمة ، وأصبح تدخل الجيش في بغداد مقصورا على تحركات يقوم بها افراد من القواد معتمدين على قوات صغيرة جدا ، وأثرها محصور في دار الخلافة التي كان يقيم فيها الخليفة والتي كان موقعها منعزلا وعلى بعد غير قليل من مراكز الازدهار في بغداد .

اما الاسرة العباسية فقد ذكرنا ان مركزها ضعف عند انتقال الخلافة الى سامراء ، لان فريقا من رجالها انتقل مع الخلافة وبذلك انشطرت الاسرة وقل عدد من كان يقيم منهم في بغداد ، فضعفت مكانة هؤلاء المقيمين لبعد الخليفة الذي كان يسندهم ولان اهل بغداد كيفوا انفسهم لحياة جديدة ليس للخليفة فيها مكان كبير . ولابد ان الذين انتقلوا الى سامراء عادوا عند عودة الخلافة الى بغداد ، فكان في العودة زيادة في عددهم وكان المؤمل ان يقوي ذلك من مكانتهم في بغداد .

الاحوال بعد العودة من سامراء ـ المعاش

وقد حاول الخلفاء العباسيون بعد عودتهم الى بغداد تنظيم شؤون الاسرة العباسية والعناية بها ، فخصصوا لافرادها رواتب وجرايات ، وأنشأوا لها نقابة خاصة تعنى بشؤون افرادها ، وحصروا في رجالها بعض الاعمال كولاية الحج ، وامامة الصلاة وخاصة في الجوامع الرئيسة ، ونقابة العباسيين .

ذكر الصابي نقلا عن سجلات رسمية ترجع الى اول ايام المعتضد عندما اعطى احمد بن محمد الطائي ضمانا .

«الصدقة التي تحضر في كل يوم عند صلاة الصبح في خرقة سوداء على ما كان الناصر رحمه الله رسمه ، وأمر المعتضد بالله ، رحمه الله ، بعده بتفرقته على من في قصر الرصافة من الحرم المحتاجات من قيمة مائتي درهم محددا في كل يوم خمسة عشر دينارا .

جارى اولاد المتوكل على الله واولادهم رجالا ونساءا من جملة الف دينار في الشهر ، ثلاثة وثلاثين دينارا وثلث دينار .

جارى ولد الواثق والمهتدي بالله والمستعين وسائر اولاد الخلفاء ومن في قصر ام حبيب ، من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ستة عشر دينارا وثلثي دينار .

جارى ولد الناصر رحمه الله ، عبدالواحد واخوانه من جملة خمسمائة دينار في الشهر ؛ ستة عشر دينارا وثلثي دينار .

ارزاق مشايخ الهاشميين واصحاب المراتب والخطباء ففي المساجد الجامعة بمدينة السلام خاصة من جملة ستمائة دينار في الشهر ، عشرين دينارا .

جارى جمهور بني هاشم من العباسيين والطالبيين مما كان الناصر رحمه الله قرره لهم من ذلك واوجبه لكل من اولادهم ، ذكورهم واناثهم ، حسابا لكل واحد في كل شهر دينار ، وأمر باطلاقه من ارتفاع ضيعته المعروفة بنهر الموفقي ، .واقتصر المعتضد بالله رحمه الله ـ بهم منه على ربع دينار في كل شهر ، وكانت عدتهم بالحضرة اربعة الاف نفس ، من جملة الف دينار من كل شهر ، ليوم ثلاثة وثلاثين دينارا وثلثا»(١١٢).

يتبين مما ذكره الصابي :

آ ـ ان الناصر ، وهو ابو احمد الموفق ابن المتوكل وأخو المعتضد وكان له دور كبير في تثبيت الخلافة العباسة ومحاربة خصومها من الصفارين والزنج وغيرهم ، هو الذي رسم اعطاء الصدقة للمحتاجين ممن هم في قصر الرصافة ولجمهور بني هاشم . وتدل كلمة «رسم» «قرر» ان الموفق هو اول من قرر ذلك ، كما ان النص صريح بان المعتضد تابع ذلك . غير ان المصادر لم تذكر فيما اذا كان ابناء الاسرة العباسية يأخذون قبل ذلك الهبات ، وهو الراجح ، وما اذا كانت هذه الهبات هي اكثر او اقل مما رسمه وقرره الناصر .

٢ ـ صنفت الاسرة العباسية عدة اصناف ، يختلف مقدار ما خصص لكل منها .

أ ـ «من في قصر الرصافة من الحرم المحتاجات ، واضح من هذا التعبير ان قصر الرصافة كانت تقيم فيه سيدات عباسيات محتاجات ، غير ان كلام الصابي غير واضح عن نسب هاتيك المحتاجات ، وفيما اذا كان يقيم معهن في قصر الرصافة حرم غير محتاجات .

ب ـ اولاد المتوكل واولاد اولادهم . وقد ذكرت المصادر أن للمتوكل اثني عشر ولدا

وهم اسماعيل ، وابراهيم ، ومحمد ابو عيسى ، وابو شيبة ، ويعقوب ، ومحمد ابو العباس ، وعبدالعزيز ، وموسى ، وابو احمد الموفق ، ومحمد المنتصر ، واحمد المعتمد ، والمعتز[113] ومن المعلوم ان الثلاثة الاخيرين ولوا الخلافة قبل المعتضد ، وان ابا احمد الموفق قد خص بصنف خاص في ما رسمه الموفق . فالمفروض ان الموفق رسم للثمانية الاولين فحسب ، ولم تذكر المصادر عدد اولادهم .

جـ - ولد الواثق ، والمهتدى بالله ، والمستعين وسائر اولاد الخلفاء ، ومن في قصر ام حبيب . فاما الواثق فكانت له اولادهم ، وعبدالله ، واحمد ومحمد ، وعلي[114] والمهتدي الذي تولى وحده الخلافة . اما المهتدى فيذكر الكازروني نقلا عن الصولي أنه «خلف سبعة عشر ذكرا ، وست بنات»[115]، واما المستعين فقد ذكر له ولدان[116] اما «سائر اولاد الخلفاء» فلا نعلم عدد اولادهم ؛ وجدير بالذكر ان الكازروني يذكر ان المتوكل سلم عليه بالخلافة «سبعة من اولاد الخلفاء[117]. غير انه يصعب ضبط عدد من بقي منهم الى زمن ابي طلحة الموفق .

ع - ولد الناصر : عبدالواحد واخوته . ولم تذكر المصادر عددهم .

هـ - مشايخ الهاشميين واصحاب المراتب والخطباء . ولا نعلم عدد كل من هؤلاء الجماعات الثلاثة الا الخطباء وهم اثنان .

و - جمهور بني هاشم من العباسيين والطالبيين ، وعددهم اربعة الاف .

يتبين مما ذكره الصابي ان المسجل في الميزانية هو مقدار ما يعطى لكل جماعة في الشهر وفي اليوم وان هذا المقدار يختلف ، فلبعضهم الف دينار ، ولاخرين ستمائة ، ولاخرين خمسمائة دينار في الشهر . اي ان التقدير بالدنانير ولكل شهر . غير انه ذكر ان الصدقة للحرم والمحتاجات في قصر الرصافة «من قيمة مائتي درهم محددا في كل يوم خمسة عشر دينارا» والشطر الاول من هذه الجملة غامض ومقدر بالدراهم ، والراجح ان هذا التعبير مغلوط ؛ وان المخصص لهؤلاء هو ١٥×٣٠=٤٥٠ دينارا في الشهر ؛ فيكون مجموع جاري ارزاقهم في اليوم ٣١٥ دينارا اي ٣٠٥٠ دينارا في الشهر اي ٣٦٦٠٠ دينارا في السنة ؛ غير انه نظرا لجهلنا عدد كل جماعة ، ما خلا الصنف الاخير ، فانه يصعب الجزم بمقدار ما كان يصيب كل واحد ، الا انه على اي حال لم يكن كبيرا . اما الصنف الاخير وهو «جمهور بني هاشم» فان ما يصيب كل منهم ربع دينار في الشهر وهو مقدار ضئيل جدا لا يكفي لحياة معاشية لائقة ، علما بانه لم تذكر للاسرة العباسية مخصصات اخرى او موارد من التجارة او

غيرها .

والواقع ان المصادر ذكرت تذمر بني هاشم مما خصص لهم ، وسجلت اخبارا وصل فيه التذمر حد توليد الاضطرابات . فقد ذكر ابن الجوزي انه في سنة ٣٠٦ «وثب بنو هاشم على علي بن عيسى لتأخر ارزاقهم فمدوا ايديهم اليه ، فأمر المقتدر بالقبض عليهم وتأديبهم ، ونفاهم الى البصرة واسقطوا ارزاقهم ، فسأل فيهم علي بن عيسى ، فردوا فتواروا»[١١٧] وذكر ايضا انه في سنة ٣١٣ «ضج بنو هاشم في الطرقات لتأخر ارزاقهم عنهم»[١١٨].

وذكر ابن الجوزي ايضا ان حريقا اجتاح الكرخ في ايام الراضي «فاطلق للهاشميين عشرة الاف دينار ، وللعامة اربعين الفا حتى عمروا ما احترق»[١١٩].

ويذكر الصولي انه في سنة ٣٢٣ «كثر ضجيج بني هاشم في شكوى الضر ، وسودواوجوههم ، ومنعوا الامام يوم الجمعة بالجانب الغربي من الصلاة ، فصلى بعد جهد مخففا للخطبة»[١٢٠]. وفي السنة التالية «كان لبني هاشم وثوب في المحرم بامام الجامع الغربي فخاتلهم حتى صلى ركعتين خفيفتين قرأ في الثانية «الحمد لله» و«قل هو الله احد» وخطب بكلمات يسيرة ، وصاروا من غد الى الجامع الشرقي فوثبوا بالقاضي وما تركوه يخطب ، فانصرف مفلتا من ايديهم»[١٢١].

ولم تذكر المصادر ما تم للعباسيين بعد ذلك ، وخاصة عندما صودرت الضياع الخاصة وتقرر للخليفة مبالغ محددة لا تكاد تسد نفقات قصره ؛ ولابد ان الاحوال المعاشية للاسرة العباسية ازدادت سوءا فاثر ذلك في مكانتها ، خاصة وان الخلافة انحصرت في بيت معين ، فكان الابن في الغالب يعقب اباه ، واحيانا يعقب الاخ اخاه .

وقد ادى حصر الخلافة في بيت واحد من الاسرة العباسية ، وسوء احوالهم المعاشية والمالية الى تدني احوالهم ، وقد عبر ابن الجوزي عن حالهم بقوله انه عندما قرب اجل القائم «استشعر الناس انتقاض الدولة وانفصام الامر لعدم ولد للبيت القادري ، وأن من سواهم من الاسرة مخالط للعوام في البلد وجارى مجاري السوقة ، وذلك تنفر قلوب العوام على المتولي(!) فحفظ الله هذا البيت بأن كان الذخيرة (وهو محمد بن القائم) قد ألم بجاريته ارجوان ، فشوقت النفوس الى ما يكون من ذلك ، فجاءت بالمقتدى بعد موت الذخيرة بخمسة اشهر ، فوقعت البشائر ، ولم يزل جده ضنينا به حذرا عليه . . فأشهد القائم على نفسه بولاية العهد ، فظهرت الطاف الله سبحانه في امر المقتدى من حيث ولادته وانها

كانت سببا لحفظ هذا البيت من جهة حراسة الفتنة ومن جهة بلوغه مرتبة الخلافة»[١٢٢].

ويذكر ابن الساعي ان علي بن طلحة بن علي الزينبي ، وهو احد نقيب النقباء قثم ، كان احد حجاب المناطق بالديوان العزيز ثم «صرف عن الحجبة وساءت حاله بالفقر[١٢٣].

ومن مظاهر فقر ابناء هذه الاسرة انه في سنة ٦٣٠ «في شهر رمضان فتحت دور الضيافة بجانبي مدينة السلام جريا على العادة في كل سنة ، وزيد فيها داران احدهما بدار الخلافة لاولاد الخلفاء المقيمين بدار الشجرة ، واخرى بخربة ابن جردة للفقراء الهاشميين»[١٢٤].

الولايات المتأخرة

وقد عين بعض الخلفاء العباسيين ابناءهم على الولايات ، فقد ولى المستعين ابنه العباس الحرمين[١٢٥]، وولى المعتمد اخاه ابو احمد الموفق حرب الصفاريين والزنج ، وولى المقتدر ابنه ابو الحسن «على الصلاة بكور الري والمعادن والحرب بها وقزوين وزنجان وأبهر ، كما قلد ابنه الاخر ابوعبدالله هارون فارس وكرمان في سنة ٣١٨[١٢٦]. ولم اجد من تقلد من العباسيين ولاية غير هؤلاء حتى سقوط الدولة العباسية .

اما في منصب القضاء فقد ولي قضاء القضاة اثنان من رجال الاسرة العباسية هما جعفر بن عبدالوهاب (٢٤٠ ـ ٢٤٩)[١٢٧] وفخر الدين محمد بن جعفر (٥٨٦ ـ ٥٨٨)[١٢٨]. وولي محمد بن صالح بن أم شيبان على قضاء مدينة المنصور والشرقية والجانب الشرقي (٣٣٥ ـ ٦)[١٢٩] كما ولي علي بن عبدالله[١٣٠]، ومحمد بن علي بن عبدالله بن الفريق قضاء مدينة المنصور[١٣١]، ثم ابنه هبة الله على قضاء مدينة المنصور ايضا[١٣٢].

وفي خارج بغداد ذكرت المصادر ان محمد بن احمد بن يعقوب بن محمد بن عبدالملك بن صالح (ت ٣٣١) ولي القضاء بدسكرة الملك[١٣٣]، وولي احمد بن محمد بن ابي موسى (ت ٣٩٠) قضاء المدائن وسر من رأى[١٣٤]، وولي احمد بن محمد بن عبدالله الرشيدي (ت ٤٣٧) القضاء بسجستان[١٣٥].

وولي من ابناء الاسرة العباسية الحسبة ببغداد كل من عبيدالله بن علي بن الحسن (ت ٢٨٤)[١٣٦] ومحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن (ت ٣٠٠)[١٣٧] والنفيس محمد بن علي (ت ٥٩٧)[١٣٨].

وولي ابو القاسم علي بن طراد الزينبي الوزارة فترة غير قصيرة في القرن السادس[١٣٩]

وناب طلحة بن علي (ت ٥٥٨) في الوزارة[١٤٠]، وقد صار ابنه ابو المظفر محمد حاجبا بالديوان العزيز[١٤١]. وكان علي بن طلحة الزينبي المعروف بابن الاتقى (ت ٦٠٠) وهو اخر نقيب النقباء قثم بن طلحة احد حجاب المناطق بالديوان العزيز[١٤٢]، كما كان ابو تمام محمد بن يوسف (ت ٦٠٣) احد الحجاب بالديوان العزيز[١٤٣]، وولي ابو العباس احمد بن ابي احمد اكمل التركات[١٤٤]، كما ولي ابو محمد عبدالله بن ابي العباس احمد بن الزوال ديوان الزمام ايام المسترشد[١٤٥] .

ولم اجد في المصادر غير من ذكرت ، من ولي الولايات او وظائف من الاسرة العباسية . ولاريب في ان من ذكرتهم قليلون اذا قورنوا مع العدد الكبير ممن ولى الولايات من غير ابناء هذه الاسرة .

ولاية الحج

حرص العباسيون عند توليهم الخلافة على الاهتمام بما يتعلق بالدين الاسلامي ، فعنوا بامر الحج ، وهو احد الاركان الخمسة في الاسلام ، وقد قام معظم الخلفاء الاولين باداء فريضة الحج بانفسهم مرة واحدة او اكثر ابان خلافتهم[١٤٦] .

فقد حج ابو جعفر المنصور في خلافته اربع مرات (١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٢) وحج الرشيد سبع مرات (سنة ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٨٨) وحج مرة واحدة كل من المهدي (سنة ١٦٠) والمأمون (سنة ٢١٢) ولم يقم بالحج بعد ذلك اي خليفة .

وقد حج بعضهم ابان ولايتهم للعهد ، فقد حج ابو جعفر المنصور (سنة ١٣٦) ومحمد المهدي (سنة ١٥٣) وموسى الهادي (سنة ١٦١) وهارون الرشيد (سنة ١٧٠) والمعتصم (٢٠٠) والمتوكل (سنة ٢٢٧) ومحمد المنتصر (سنة ٢٣٠) .

اما في السنين الاخرى ، غير التي ذكرناها اعلاه ، فقد حرص الخلفاء العباسيون على تولية الحج رجالا من ابناء الاسرة العباسية طوال القرنين الاولين من توليهم الخلافة ، ولم يشذوا عن ذلك الا مرتين ؛ اولهما عندما ولى زياد بن عبيدالله الحارثي (سنة ١٣٣) وهو خال الخليفة السفاح ، والثانية ولاية يزيد بن منصور الحميري (سنة ١٥٩) وهو من اقارب الخليفة المهدي ، ومن الطبيعي اننا لا ندخل في ذلك ولاية ابراهيم بن موسى (سنة ٢٠٢) وولاية عبيدالله بن الحسن الطالبي (سنة ٢٠٤ ـ ٥) اذ من المعلوم ان فترتها كانت فترة

اضطراب ، وكان المأمون فيها ميالا للعلويين .

كان اوائل ولاة الحج من اعمام او ابناء اعمام الاسرة العباسية ، ومعظمهم من اولاد واحفاد الخليفة القائم ، ثم صاروا يختارونهم من ابرز افراد الاسرة العباسية ، ومعظمهم من اولاد واحفاد محمد بن علي او ابي جعفر المنصور . فقد ولي العباس بن محمد بن علي وثلاثة عشر من اولاده واحفاده ، وولي سبعة من اولاد واحفاد موسى بن محمد بن علي ، كما ولي محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي واربعة من نسله ، وولي يحيى بن محمد بن علي ، كما ولي سليمان بن علي بن عبدالله وثلاثة من نسله .

وولي الحج خمسة من اولاد ابي جعفر المنصور ، وخمسة من أولاد واحفاد ابنه جعفر وخمسة من أولاد واحفاد ابنه محمد المهدي .

ومنذ القرن الثالث الهجري كثرت تولية الحج شخصا واحدا عدة سنوات متعاقبة فقد ولي عمر بن الحسن بن عبدالعزيز سبعة عشر سنة (٣١٨ ، ٣٢٠ - ٣٣٥) وولي الفضل بن عبدالملك بن عبدالله الحج ست عشرة مرة (٢٨٩ - ٣٠٥) ووليها هارون بن محمد بن اسحق خمس عشرة مرة ، منها احدى عشرة سنة متتابعة (٢٦٤ - ٢٧٨) ولي محمد بن داوود بن عيسى احدى عشرة مرة (٢٢٢ - ٢٢٦ ، ٢٢٨ - ٢٣٥) ومحمد بن عبدالله بن داود ثمان مرات (٢٧٩ - ٢٨٧) ووليها خمس سنوات متتابعات الفضل بن العباس بن الحسن (٢٥٧ - ٨ ، ٢٦١ - ٣) ووليها اربع سنوات متتاليات كل من عبدالصمد بن موسى بن محمد (٢٤٢ - ٤ ، ٢٤٩) ومحمد بن سليمان بن عبدالله (٢٤٥ - ٢٤٨) والحسن بن عبدالعزيز (٣١٢ ، ٣١٥ - ٨) كما وليها بعضهم ثلاث مرات ، ومرتين ، غير ان معظمهم وليها مرة واحدة .

وقد توقف تعيين ولاة الحج في زمن البويهيين حيث سيطر الفاطميون على الحجاز ، فلما زالت الدولة الفاطمية ، وعادت السيادة العباسية على الحجاز في اواخر القرن السادس ؛ لم يختر الخلفاء العباسيون لولاية الحج رجالا من اسرتهم .

امامة الصلاة

ومن الوظائف التي حصرت في الاسرة العباسية هي امامة صلاة الجمع في بغداد . وقد كان في بغداد عندما بناها المنصور جامع واحد بناه في المدينة المدورة بلصق قصره ، فلما نقل الاسواق الى الكرخ في سنة ١٥٧ «أمر ان يبنى لاهل الاسواق مسجد يجتمعون فيه يوم

الجمعة لا يدخلون المدينة ويفرد لهم ذلك» ؛ وقد بنى هذا المسجد في قصر الوضاح .

ثم بنى المهدي مسجد الرصافة سنة ١٥٩ هـ وابطلت على اثر ذلك اقامة صلاة الجمعة في جامع الشرقية «فلم تكن صلاة الجمعة تقام بمدينة السلام الا في مسجدي المدينة والرصافة» .

ولما عاد المعتضد الى بغداد كان يصلي في القصر الحسني ، فلما استخلف المكتفى بنى في سنة ٢٨٩ في موضع الصلاة في القصر مسجدا كان يدعى مسجد القصر ثم صار يدعى مسجد دار الخلافة .

وفي سنة ٣٢٩ اقيمت صلاة الجمعة في جامع براثا ، وافرد لامامتها احمد بن الفضل الهاشمي ، ثم انشيء في سنة ٣٧٩ مسجد ففي قطيعة ام جعفر ، وفي سنة ٣٨٣ تقررت الصلاة في مسجد الحربية(١٤٧).

وفي القرن السادس الهجري اكمل بناء جامع السلطان، ثم انشيء في الجانب الغربي جامع في كل من دار القز ، والعقبة ، والعتابيين ، والتوثة ، ودار الرقيق ، وقصر عيسى(١٤٨) .

ويتبين من هذا ان بغداد ظلت مدة حوالي قرن ونصف وليس فيها الا جامعان هما جامع المنصور في الجانب الغربي ، وجامع الرصافة في الجانب الشرقي ، ثم اضيف جامع القصر اليها . اما الجوامع التالية فقد شيدت متأخرة ولم تكن لها ما للجوامع الاولى من اهمية ومكانة .

لم تذكر المصادر اسم من كان يؤم الناس في العهود الاولى ، وخاصة في الجمعات في المساجد الرئيسة ببغداد ، كما انها لم تشر الى ان امامة الجمعة كانت ولاية .

واذا افترضنا ان الخليفة كان يقوم عند مقامه ببغداد بامامة الناس في صلاة الجمعة ، فان المصادر لم تذكر اي الجوامع كان يصلي فيه الخليفة الجمعة ، ومن كان يؤم الناس عند غيابه عن بغداد ، ومن كان يؤم في الجوامع الاخرى .

ان اول ذكر لاسماء من كان يؤم الناس في صلاة الجمعة ببغداد ، يرجع الى زمن عودة المأمون الى بغداد ، فقد ذكر وكيع ان المأمون عندما قدم بغداد استقضى الواقدي على الجانب الشرقي «واكرمه وامره ان يصلي الجمعة بالناس في مسجد الرصافة (١٤٩) ويذكر ان سعيد بن سهل الرازي ولي القضاء سنة ٢١٩ «وكان قد جعل اليه الصلاة بالناس في مسجد الرصافة»(١٥٠) .

اما الخطيب فيذكر ان ابراهيم بن عيسى «كان يصلي بالناس في مسجد جامع المنصور وغيرها حتى مات»(١٥١) غير انه لم يذكر سنة وفاته .

يدل نص وكيع عن الواقدي والرازي ان امامة الصلاة في مسجد الرصافة كانت في زمن المأمون وظيفة «رسمية» وانها لم تكن محصورة بالعباسيين وحدهم . اما نص الخطيب عن صلاة ابن بريهة بالناس في جامع المنصور زمن المأمون فلا يشير الى ان احدا عينه على هذه الوظيفة ، كما انه صريح ببقاء ابن بريهة في عمله مدة طويلة . لم تلق ولاية الصلاة من المؤرخين الاهتمام الذي لقيته ولاية الحج ؛ فلم يفرد لها مؤرخ بابا خاصا يجمع اسماءهم في فصل واحد ، كما ان المؤرخين لم يذكروا الا بعضهم بصورة عرضية . وابرز من اشار اليهم هو الخطيب البغدادي ، غير ان معلوماته في هذا الصدد متفرقة وغير كاملة ومذكورة في تراجم الائمة ، وقد نقل ابن الجوزي ما اورده الخطيب واكمله سنة ٥٧٢ هـ حيث ينتهي كتابه . وقد ذكر بعض المؤرخين المتأخرين عددا من ائمة الصلاة المتأخرين وتركز اهتمام المؤرخين على ائمة جامعي المنصور والرصافة ، ثم على جامع قصر الخلافة . اما الجوامع الاخرى فلم تذكر المصادر الا اول امام لبعضها ، واغفلت ذكر اي امام لعدد غير قليل منها .

يتبين من قائمة اسماء الائمة والخطباء ان هناك تمييزا بين امامة الصلوات اليومية وامامة صلاة الجمعة . فقد ذكر الخطيب ان عثمان بن عمرو الدقاق (ت ٣٨٩) «كان امام جامع المنصور في الصلوات سوى الجمعات»(١٥٢) ، وان الحسن بن معلى بن عبدالسلام «كان امام جامع المنصور فيما سوى الجماعات»(١٥٣) .

اما ائمة صلاة الجمعة فيبدو مما جمعته من اسمائهم ان اول خطيب لجامع مدينة المنصور بعد ابن بريهة هو محمد بن هارون بن العباس بن عيسى بن المنصور الذي يذكر الخطيب انه «ولي امامة مسجد المدينة (اي مسجد المنصور) خمسين سنة» وانه توفى سنة ٣٠٨ هـ ومن المحتمل ان رقم ٥٠ هو تقريبي ، فتكون ولاية محمد بن هارون الامامة تمت بعد عودة الخلافة العباسية من سامراء الى بغداد ، وانها اصبحت مستقرة منذ ذلك الحين . ويلاحظ ان قائمة ولاة الصلاة في مسجد الرصافة تبدأ متسلسلة منذ ولاية عبدالله بن علي بن الحسن بن اسماعيل (ت ٢٨٤) مما يؤيد الافتراض بان ولاية الصلاة اصبحت رسمية ومنتظمة منذ رجوع الخلافة العباسية الى بغداد .

كانت امامة الصلاة ولاية محدودة الزمن ، فقد عزل عدد غير قليل ممن وليها بعد سنة

او عدة سنوات من توليها ، غير ان بعضهم بقي فيها فترة طويلة . وقد ذكرت المصادر سني عزل بعض من وليها ، ولكن معظم من وليها لم تحدد المصادر بدقة سني ولايتهم توعزلهم ، وقد تنقل بعضهم في ولاية الصلاة بجامعي المنصور والرصافة .

كانت امامة صلاة الجمعة في جامع المنصور منذ اواخر القرن الثالث الهجري في رجال من نسل عيسى بن ابي جعفر ، حيث وليها منهم ابراهيم بن عيسى (ابن بريهة)[١٥٥] وحفيده عبدالله بن اسماعيل (ت ٣٢٩)[١٥٦]، ومحمد بن هارون بن العباس بن عيسى (ت ٣٠٨)[١٥٧] وابنه عبدالله (ت ٣٠٩)[١٥٨] ومحمد بن جعفر بن البعباس بن عيسى (ت ٣١٠)[١٥٩].

وفي النصف الاول من القرن الرابع ولي امامة جامع المنصور اربعة من آل سليمان بن محمد بن علي ، وهم حمزة بن القاسم[١٦٠] وعبدالواحد (ت ٣٦٨)[١٦١] وعلي[١٦٢] وابو يعلى[١٦٣] اولاد احمد بن الفضل . كما وليها احمد بن محمد بن ابي موسى ، وهو من نسل معبد بن العباس (ت ٣٩٠)[١٦٤].

ثم استقرت امامة صلاة الجمعة في جامع المنصور اواخر القرن الرابع الهجري في احفاد المهتدي بالله : فقد ولي منهم احمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالصمد (ت ٤١٨)[١٦٥] وابنه ابو الحسن محمد (ت ٤٤٢)[١٦٦] وحفيده محمد بن عبدالله ابو الفضل (ت ٥٣٧)[١٦٧] ومحمد بن علي بن عبدالله بن عبدالصمد[١٦٨] . ووليها من اولاد احفاد المهتدي بالله كل من ابي علي الحسن بن عبدالودود[١٦٩]، وابو الغنائم محمد بن (ت ٤٤٩)[١٧٠] وابنه ابو الحسن محمد (ت ٥٣٩)[١٧١] وابو البحسن علي ابن ابي تمام بن احمد بن هبة الله (ت ٥٣٥)[١٧٢] وابنه احمد ابو العباس (ت ٦٠٠)[١٧٣].

كما وليها من غير آل المهتدي كل من ابي المظفر المبارك بن احمد المعروف بابن المكشوط[١٧٤]، وابي العباس احمد بن ابي القاسم عبدالله بن المنصوري[١٧٥].

اما امامة الصلاة في جامع الرصافة فقد ظلت حتى اواسط القرن الخامس في نسل سليمان بن محمد بن علي ؛ فقد ولي منهم عبدالله بن علي بن الحسن (ت ٢٨٤)[١٧٦] وابنه محمد (ت ٣٠٠)[١٧٧]، ثم وليها الفضل بن عبدالملك (ت ٣٠٧)[١٧٨] وابو الحسن احمد بن الفضل بن عبدالملك (ت ٣٢٩)[١٨٠] وعبدالواحد (ت ٣٥٨)[١٨١]، ثم علي (ت ٣٦٨)[١٨٢]، ولدي احمد بن الفضل .

ووليها ايضا المطلب بن ابراهيم بن عبدالعزيز (ت ٣٢٢)[١٨٣] والحسن بن عيدالعزيز

(ت ٣٢٢ ـ ٣٢٩) [١٨٤] وحمزة بن القاسم (ت ٣١١)[١٨٥] ومحمد بن عبدالعزيز (ت ٣٤٤)[١٨٦]، وهارون بن المطلب (ت ٣٦٨)[١٨٧] وحفيده تمام بن محمد (ت ٤٤٧)[١٨٨].

اما بعد هذا التاريخ فقد ذكر المنذري اثنين وليا امامة جامع الرصافة هما ابو محمد اكمل بن علي بن عبدالرحيم بن محمد بن علي بن ابي موسى[١٨٩]، وابو القاسم هبة الله بن ابي محمد عبدالله بن ابي العباس احمد بن ابي القاسم هبة الله بن عبدالقادر بن الحسين بن المنصوري[١٩٠].

اما امامة جامع القصر فلم يذكر فيها حتى اواسط القرن الخامس سوى اربعة هم محمد بن اسحق بن عبدالملك (ت ٣١٢)[١٩١]، واخو محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الذي ولاه الخليفة الراضي (١٩٢)، وتمام بن محمد بن هارون بن عيسى بن المطلب (ت ٤٤٧) الذي كان يتناوب مع ابن المهتدي[١٩٣].

ثم صارت امامة جامع القصر في القرن السادس منحصرة تقريبا بال المهتدي فقد وليها ابو جعفر هارون بن ابي الفضل محمد[١٩٤]، وابو الحسن هبة الله بن ابي الحين بن علي[١٩٥]، ثم ابو الغنائم محمد[١٩٦]، كما وليها ايضا ابنه عبدالله[١٩٨].

وولي الصلاة في جامع القصر ايضا محمد بن عبدالله بن احمد ابو الفضل[١٩٩].

وفي القرن السابع وليها ابو الفضل افضل بن محمد بن ابي البركات مبارك المعروف بابن الشنكلي[٢٠٠] كما وليها ايضا في هذا العهد المتأخر احمد بن المهتدي، ثم تلاه ابنه بهاء الدين ابو طالب الحسين[٢٠١].

نقابة العباسيين

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري انشأت الدولة نقابة للهاشميين، تشمل العباسيين والعلويين، ثم صارت منذ اواسط القرن الرابع الهجري لكل من الاسرتين نقابة في بغداد، كما ذكرت المصادر نقابات ونقباء لكل من الاسرتين في عدد من المدن الاخرى؛ وقد ذكرت للعباسيين نقابة في البصرة وفي واسط وفي الحجاز في اواخر القرن السادس الهجري.

وفي مطلع القرن الرابع الهجري كان نقيب العباسيين والعلويين احمد بن عبدالصمد ابن طومار وقد توفي سنة ٣٠١ فولي النقابة من بعده ابنه محمد[٢٠٢]. ثم تنقطع اخبار النقباء العباسيين حتى سنة ٣٦٣ حيث تذكر المصادر انه فيها صرف الحسن بن محمد ابو تمام

الزينبي عن النقابة ، ووليها ابو محمد عبدالواحد بن الفضل بن عبدالملك ، ثم اعيد اليها ابو تمام في السنة التالية[٢٠٣]، وظلت النقابة منحصرة في اولاده واحفاده حتى سنة ٦٣٠ . ولم يتول النقابة طيلة هذه الفترة من غير آل الزينبي سوى كمال الدين ابو العباس احمد بن يوسف بن الزوال ، وهو من نسل المأمون ، فقد وليها من سنة ٥٦٨ الى سنة ٥٨٣ عزل خلالها فترة قصيرة[٢٠٤].

اما بعد سنة ٦٣٠ فقد قلد نقابة العباسيين هبةالله بن المنصوري (٦٣٠ ـ ٦٣٥)[٢٠٥] ثم ابو طالب الحسين بن احمد المهتدي (٦٣٥ ـ ٦٥٢)[٢٠٦] ثم شمس الدين علي بن الحسن (٦٥٢ ـ ٦٥٦)[٢٠٧].

وآل الزينبي عباسيون من نسل سليمان بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم الامام ، وقد نسبوا الى زينب بنت سليمان بن علي[٢٠٨]. واول من ذكرت ولايته النقابة منهم هو ابو تمام الحسن بن محمد الزينبي الذي صرفه القائم عنها مؤقتا ثم أعاده ، فظل في ولايته حتى توفي سنة ٣٦٤[٢٠٩]، فتلاه ابنه ابو القاسم علي الى وفاته سنة ٣٨٤[٢١٠] حيث تلاه ابنه ابو الحسن محمد[٢١١]، ثم اعقبه بعد وفاته سنة ٤٢٨ ابنه تمام محمد[٢١٢] ثم ابنه ابو علي سنة ٤٤٥[٢١٣].

ثم ولي النقابة ابو الفوارس طراد بن محمد[٢١٤]، ولكنه تنازل عنها بعد فترة لابنه ابو القاسم علي الذي ظل الى وفاته سنة ٥٣٨[٢١٥]، فتلاه اخوه محمد ابو الحسن بن طراد الذي بقي يشغلها مدة سنتين[٢١٦]، ثم تلاه ابو احمد طلحة بن علي الى سنة ٥٥٨[٢١٧] ثم اعقبه مجدالدين ابي الحين علي بن ابي طلحة (٥٥٨ ـ ٥٦١)[٢١٨] ثم وليها قثم ابو القاسم بن ابي احمد طلحة[٢١٩] الى سنة ٦٠٠ تخللها فترة عين فيها مكانه ابن الزوال (٥٦١ ـ ٥٦٨) ثم تلاه اخوه ابو تميم معد الى سنة ٦١٧[٢٢٠]، ثم اعقبه ابو علي الحسن بن معد[٢٢١]. وفي سنة ٦٣٠ قلد هبة الدين المنصوري[٢٢٢] ثم تلاه هبة الله بن المنصوري ، ثم اعيد ابو طالب الحسين بن المهتدى الى سنة ٦٥٢ حيث وليها من بعده ابنه علي[٢٢٣].

والمفروض ان النقابة تعنى بالاسرة واحوال أفرادها وترعى امورهم وتعمل على تعزيز مكانتهم وصيانة وحدتهم . غير انه لا يوجد في الكتب ما يدل على نجاح النقابة في واجبها ، او على لم شمل أفراد الاسرة العباسية او رفع مستواهم المعاشي ووضعهم الاجتماعي او زيادة قدرتهم على القيام بدور ملحوظ في الحياة العامة . وقد أوردنا من قبل ما ذكره ابن الجوزي عن مخالطة البيت العباسي العوام وجريانهم مجرى السوقة في أواخر

أيام القادر . ولا بد ان هذا الوضع حدث تدريجيا قبل ذلك التاريخ ، وانه استمر بعد ذلك لعدم وجود مبرر لزواله .

البيوتات العباسية المتأخرة :

ويلاحظ ان كتب التاريخ والتراجم ذكرت أسماء عدد كبير من الرجال ، ولكنها لم تذكر إلا عددا قليلا من أبناء الاسرة العباسية ، مما يدل على ضعف دورهم في الحياة العامة وفي الحياة الفكرية ، ويتجلى هذا الضعف أيضا في قلة عدد من اشغل منهم وظائف او أعمال . وقد بدأ هذا الضعف عندما انتقلت الخلافة الى سامراء ، فانتقل معها بعض أفراد البيت العباسي ، وقل عدد المقيمين ببغداد وفقدوا السند من الخلافة ، وتكيفت الحياة ببغداد من دونهم . ولما عادت الخلافة الى بغداد عملت على صيانة مكانتهم وتقويتها ، فحصرت بعض الأعمال بهم ، وأوجدت النقابة لرعايتهم ، ولكنهم كانوا أضعف من ان يستطيعوا اسناد الخلافة أمام القوى التي كانت تعمل على اضعافها . فلما سيطر البويهيون على بغداد وجردوا الخلافة من سلطانها جرت أحداث هزت المجتمع من فتن طائفية وتدهور في الحياة الاقتصادية ، وتناقص في السكان ، واضطراب في الامن . وقد زاد هذا من ضعف البيت العباسي . فلما استعادت الخلافة قوتها بعد اقصاء البويهيين وانكماش السلاجقة كان أبناء البيت العباسي من الضعف والتفكك ما يصعب معه لم شملهم او الاستفادة منهم في تقوية مكانة الخليفة .

لقد حدثت خلال القرون الخمسة للخلافة العباسية ، تطورات سياسية واجتماعية كبيرة لا بد انها أثرت في مكانة الاسرة العباسية وأفرادها . وقد اقتصرت كتب التاريخ على ذكر الافراد الذين كان لهم دور في الحياة ؛ أما كتب التراجم فقد اقتصرت على الحديث عن افراد محدودين ممن اهتموا بعلوم الحديث والفقه ، لأن مؤلفي تلك الكتب هم رجال من الاوساط المهتمة لهذه العلوم .

غير ان ضعف مكانة رجال البيت العباسي لا يستلزم تفكك أفرادها ، كما ان قلة المعلومات لا تمنع استنتاج بعض الأحوال . والواقع انه رغم ماللفرد من مكانة في التشريع الاسلامي ، فان الاسرة ركن أساسي في المجتمع الاسلامي ؛ ومع ان البيت في الاسلام يتكون قانونيا من الرجل وزوجته واولاده دون سن البلوغ ، إلا ان قواعد الارث الاسلامي

تمد الروابط وتجمع البيوت المتقاربة في النسب . ولا بد ان الاسرة العباسية حدثت فيها خلال القرون الخمسة بيوت كثيرة جديدة . كما ان بعض البيوت استمرت طيلة عهد الخلافة العباسية . غير ان ما لهذه البيوت من مكانة يعززها ظهور أفراد بارزين فيها ، لم تكن ثابتة او مطردة .

وأبرز ما يلاحظ في بيوتات الاسرة العباسية في بغداد ان احفاد الخلفاء لم تكن لهم مكانة بارزة في المجتمع ، فأبو جعفر المنصور حج من أولاده وأحفاده ثمانية ، ، وولى منهم الخطابة في جامع المنصور اربعة كما ذكرنا ، وقد برز في اواخر الخلافة العباسية بيت المنصوري ، وكان منهم بعض أئمة الجوامع كما سنذكر فيما بعد ، غير ان المصادر لم تذكر علاقة هذا البيت بالمنصور . اما المهدي فقد حج اثنان من اولاده ، ولم يذكر من نسله إلا رجل واحد صار خطيب جامع الحربية هو محمد بن عبدالعزيز بن العباس[٢٢٥] . وأما الرشيد فلم يشتهر من نسله ، عدا الخلفاء ، إلا رجل واحد صار قاضيا في سجستان وهو أحمد بن محمد بن عبدالله[٢٢٦] . أما المأمون فقد عرف من أحفاده جماعة كان لهم مركز مرموق في القرن الرابع ، ثم صارت فيهم النقابة ، كما سنتحدث فيما بعد .

أما أبو العباس السفاح ، وموسى الهادي ، ومحمد الأمين وبقية الخلفاء فلم يعرف عن أحد من نسلهم احتل مركزا مرموقا يلفت النظر . ويمكن اعتبار هذا الوضع من الادلة على ان المكانة التي اكتسبتها بعض البيوتات في العصور التالية ببغداد لا ترجع الى مجرد الاعتماد على مكانة الآباء والأجداد ، وانما ترجع الى عوامل اخرى من أهمها المزايا الشخصية للرجل البارز في ذلك البيت ومدى استقلاله الشخصي لمزاياه .

خلف العباس بن عبدالمطلب تسعة أولاد كان عند ظهور الدولة العباسية قد انقرض خمسة منهم وهم الفضل ، وقثم ، وكثير ، وعبدالرحمن ، وتمام[٢٢٧] . وقد ذكر الخطيب من نسل عبيدالله بن العباس تمام بن محمد بن هارون (ت ٣٤٧) وكان ولي الخطابة بجامع الرصافة وجامع القصر[٢٢٨] وذكر الخطيب من نسل معبد بن العباس محمد بن أبي موسى عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن معبد بن العباس « انتهت اليه رئاسة العباسيين في وقته »[٢٢٩] كما ذكر ابنه أحمد بن محمد (ت ٣٣٩) وذكر انه تولى خطابة جامع المنصور في الجمع مدة طويلة . . وقضاء المدائن وسر من رأى »[٢٣٠] ، وذكر حفيده محمد بن أحمد بن محمد (ت ٣٤٥) وقال انه كان حنبليا[٢٣١] .

ومن نسل الحارث بن العباس طلحة بن محمد (ت ٤١١)[٢٣٢] .

أما عبدالله بن العباس الذي تحدر منه معظم العباسيين فقد خلف سبعة أولاد كان قد انقرض في أوائل الدولة العباسيـة منهم خمسة وهم العبـاس ، ومحمد ، والفضـل ، وعبدالرحمن[٢٣٣] . ولم يرد ذكر لأي رجل من نسل ابنيه الآخرين سليط وعبيدالله .

أما علي بن عبدالله بن العباس فقد ذكر له مصعب اثنين وعشرين ولدا انقرض منهم ستة ، وهم أحمد ، وبشر ، ومبشر ، وثلاثة آخرين اسم كل منهم عبدالله[٢٣٤] وقد ولي أولاده الولايات في عهد الخليفتين أبي العباس وأبي جعفر ، كما ولوا الحج ١١ مرة ؛ وترجم الخطيب لاثنين من أولاده ولستة عشر من أحفـاده ؛ ولم يذكـر داود بن علي أو أيـا من أحفاده . ولم يذكر أحدا أشغل عملا سوى محمد بن أحمد ، وهو من نسل عبدالملك بن صالح الذي ولي القضاء بدسكرة الملك[٢٣٥] . ولم يذكر ابن الجوزي والمنذري أحدا من أحفاده ، مما يدل على صغر دورهم وضعف مكانتهم .

أما محمد بن علي فقد كان من أولاده الخليفتان الاوليان ، وهما أبو العباس وأبـو جعفر ، وقد ولي عدد من أولاده الولايات في عهد الخلفاء العباسيين الاولين . وقد حج واحد من أولاده (ابراهيم) خمس مرات ، أما الباقون فقد حج ثلاثة منهم سبع مرات ولم يكن لهم دور بارز .

وأبرز أولاد محمد بن علي هم موسى ، والعباس ، وابراهيم .

فأما موسى فقد حج ثلاثة من أولاده عشر مرات ، كما حج ١١ من أحفاده ٣٩ مرة ؛ وقد ترجم الخطيب لستة من أحفاده ؛ ولم يذكر منهم أحدا تولى عملا غير ولاية الحج ، مما يدل على تضاؤل مكانتهم .

وأما العباس فقد ترجم الخطيب له ولعشرة من أحفاده . وقد ولي عشرة من أولاده وأحفاده الحج ٤٢ سنة ، كما ولي امامة الصلاة في جامع الرصافة ثلاثة عشر من أحفاده ، وولي اثنان الامامة في جامع المنصور .

أما ابراهيم بن محمد فقد ولي الحج ٥ مرات ، وولي خمسة من أولاده الحج ١٣ مرة ، وولي اثنان منهم امامة جامع الرصافة وجامع القصر ؛ وترجم الخطيب لستة من أحفاده ؛ وهذا يدل على ان مكانتهم في القرن الثالث كانت طيبة ، ثم ضعفت في القرن الرابع ؛ ولكنها عادت الى القوة عندما هيمن آل الزينبي على نقابة العباسيين .

آل الزينبي :

وآل الزينبي هم من نسل سليمان بن عبدالله بن محمد ، وقد أخذوا اسمهم من اسم

زوجته زينب بنت سليمان بن علي ، وقد ترجم الخطيب لاثنين منهم ، هما محمد ابو نصر وأخيه محمد ابو منصور[٢٣٦] ، مما يدل على انه لم تكن لهم مكانة متميزة حتى القرن الخامس الهجري . أما ابن الجوزي فقد ترجم لعبدالله بن ابراهيم بن جعفر (ت ٣٧١)[٢٣٧] ولعلي بن الحسن بن محمد (ت ٣٤٨) وكان أول من ولي نقابة العباسيين منهم . وذكر ابن الجوزي من ولي النقابة من أولاد وأحفاد علي بن الحسن الزينبي ، محمد بن علي (ت ٤٢٨) ، وأولاده محمد (ت ٤٤٥) والحسين (ت ٥١٢) ومحمد بن طراد (ت ٥٤١) وابو أحمد طلحة بن علي (ت ٥٥٨) ، وابنه ابن الأتقى ثم قثم ، ومعد ، والحسن وبه انتهت النقابة من بيت آل الزينبي . وقد ترجم المنذري لاربعة من آل الزينبي هم محمد[٢٣٨] وقثم[٢٣٩] ولدي أبو أحمد طلحة ، وأبو طالب حفيد طراد[٢٤٠] ، وابو الحسن محمد حفيد الحسين نور الهدى[٢٤١] .

ويتبين من هذا ان مكانة آل الزينبي بدأت تبرز في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع ، ثم استمرت حتى أوائل القرن السابع . وهذه المكانة قائمة على منصب نقيب النقباء الذي احتكرته . غير ان المصادر لم تذكر إلا من ولي النقابة او اولاده .

لم يرد عن مساكن آل الزينبي إلا ما ذكره ابن الجوزي من ان « عبدالله بن ابراهيم بن جعفر الزينبي كان يسكن بركة زلزل »[٢٤٢] وانه « كانت دار ابي الفوارس طراد في باب البصرة »[٢٤٣] ومن المعلوم ان باب البصرة كانت تشمل في العصور العباسية المتأخرة مدينة المنصور المدورة وبعض أطرافها الجنوبية بما في ذلك بركة زلزل . ومن المناسب ان نذكر هنا انه « كان أمر محلة باب البصرة الى النقيب »[٢٤٤] غير ان هذا لا يكفي للجزم بأن كافة أفراد بيت الزينبي كانوا يسكنون في باب البصرة .

غير ان رجال البيت الزينبي لم يدفنوا في مقبرة واحدة : فقد دفن طراد في مقابر الشهداء بالحربية[٢٤٥] التي دفن فيها أيضا علي بن طراد[٢٤٦] ، وأبو أحمد طلحة بن علي[٢٤٧] وابنه قثم[٢٤٨] ، غير ان الحسين بن محمد ، أخو طراد ، دفن في مقبرة أبي حنيفة[٢٤٩]

آل المهتدي :

أما بيت المهتدي ، فهم ينحدرون من الخليفة المهتدي الذي قتل وهو يدافع عن كرامة الخلافة من المتلاعبين فيها بعد ان بقي في الخلافة قرابة السنة أظهر فيها نشاطا وحرصا على السيرة الورعة المخلصة . ويذكر الصولي انه خلف ستة عشر ولدا ، غير ان

أبرز أولاده هو عبدالصمد[٢٥٠] .

وقد ترجم الخطيب لأحد عشر من آل المهتدي ، وترجم المنذري لتسعة كلهم من أحفـاد من ترجم لهم الخـطيب . مما يـدل على مكـانة هـذا البيت في الأوساط الـدينية والعلمية .

ومن آل المهتدي أحمد بن عبدالصمد ، ابن طومار الذي كان نقيبا على العباسيين ، فلما توفي في سنة ٣٠١ اعقبه ابنه محمد في النقابة[٢٥١] .

وقد ولي سبعة من بيت المهتدي امامة الصلاة في جامع المنصور ، واربعة بجامع القصر ، واثنان بجامع الحربية ، وواحد بجامع ابن بهليقا .

وأصبح أبو طالب الحسين بن أحمد ، وهو من بيت المهتدي ، نقيب نقباء العباسيين بين سنة ٦٣٥ ـ ٦٤٣[٢٥٢] .

ويتبين من هذا ان مكانة بيت المهتدي استمرت منذ أول القرن الرابع حتى انتهاء الخلافة العباسية . غير ان المصادر لم تذكر أحوالهم المالية والاقتصادية ويلاحظ ان امامة الصلاة انحصر كثير منها في فرع واحد كان يرث فيها الابن أباه .

ذكر ابن الجوزي محلات سكنى اثنين من رجال بيت المهتدي ؛ فقد كان أحمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالصمد يسكن بالنصرية[٢٥٣] ، وكان الحسن بن عبـدالودود بن عبدالمتكبر يسكن بباب البصرة[٢٥٤] . وذكر الخطيب ان محمد بن اسحق بن هبة الله كان يسكن « في الجـانب الشـرقي بجـوار أبي الحسن بن الفـرات »[٢٥٥] ؛ وكـان الحسن بن عبدالودود « يسكن سكة الخرقى » وهي في باب البصرة[٢٥٦] .

وقد دفن عدد من أبناء بيت المهتدي عند جامع المنصور ، فقد دفن عبدالودود بن المتكبر (ت ٤٣٤) « بقرب القبة الخضراء »[٢٥٧] ؛ ودفن محمد بن علي ابن الغريق « خلف القبة الخضراء »[٢٥٨] ودفن ابنـه هبة الله « عنـد أبيه خلف القبـة الخضراء »[٢٥٩] ، ودفن الحسن بن عبدالودود « في مقبرة جامع المدينة »[٢٦٠] ودفن أحمد بن علي « عند اهله بمقبرة جامع المنصور »[٢٦١] . ودفن أبو محمد عبدالودود بن هبة الله بحضرة جامع المنصور[٢٦٢] .

غير ان محمد بن أحمد (ت ٢٦٤) دفن في باب حرب قرب بشر الحافي »[٢٦٣] .

آل المأمون :

لقد ذكرنا من قبل ان معظم الخلفاء لم يخلفوا من ذكرته كتب التراجم ، وان المأمون

ممن شذ عن ذلك ، فقد برز في القرن الرابع بيتان من آل المأمون ، احدهما يرجع الى الفضل بن المأمون حيث ترجم الخطيب لثلاثة من الأولاد الاربعة الذين خلفهم الحسن بن الفضل ، كما ترجم لعبدالكريم وعبدالصمد ابني علي بن محمد بن الحسن ، ثم تنقطع أخبار هذا البيت .

أما البيت الثاني فهو من نسل الحسن بن المأمون ؛ وقد ترجم الخطيب لرجل واحد من هذا البيت هو محمد بن يعقوب بن الحسن مما يدل على ضعف مكانة هذا البيت في القرنين الرابع والخامس .

غير ان هذا البيت الثاني برزت مكانته في القرن السادس الهجري حيث ترجم المنذري لخمسة من آل الزوال ، والزوال هو علي بن محمد بن يعقوب . ومن أبرز رجال بيت الزوال هو كمال الدين ابو العباس أحمد بن يوسف بن الزوال الذي ولي نقابة العباسيين من سنة ٥٦٨ ـ ٥٧٥[٢٦٤] .

لم يذكر من منازل آل المأمون إلا دار أبي العباس أحمد بن يوسف النقيب في الجانب الشرقي[٢٦٥] أما مدافن رجالهم فكانت متعددة ، فقد دفن عبدالصمد بن علي حفيد الحسن بن الفضل بمقبرة باب حرب[٢٦٦] التي دفن فيها أيضا أبو العباس أحمد بن أبي الحسن[٢٦٧] ، وأبو محمد المأمون بن أبي أبي العباس أحمد[٢٦٨] . ودفن أبو العباس أحمد بن يوسف بداره في الجانب الشرقي[٢٦٩] . أما أبو محمد عبدالله بن أبي العباس أحمد فقد دفن بالشونيزية[٢٧٠] .

آل المنصوري وآل المكشوط :

ومن البيوتات العباسية في أواخر الدولة العباسية آل المنصوري ، فقد ترجم الكتب لخمسة منهم ، وقد ولي واحد منهم ، وهو هبة الله أبو القاسم ، النقابة والخطابة في جامع المهدي[٢٧١] ، وولي عبدالله أبو محمد الخطابة في جامع السلطان ، كما ولي واحد ، عبدالله أبو الفضل الخطابة في جامع السلطان وجامع القصر وولي أبوه أحمد أبو العباس الخطابة بجامع المنصور[٢٧٢] . ويبدو من لقب هذا البيت انهم ينتمون الى المنصور ، غير انه ليس في الكتب ما يوضح ذلك .

لم تذكر مساكن رجال آل المنصوري ، أما مدافنهم فقد ذكر المنذري أبا جعفر عبدالخالق دفن بباب حرب[٢٧٣] ، وان عبدالقادر أبو طالب دفن بمقبرة باب البصرة[٢٧٤] .

ومن هذه البيوتات في العصر العباسي المتأخر آل المكشوط ، فقد ذكر منهم المنذري خمسة رجال ، ولي منهم المبارك بن المظفر الخطابة بجامع المنصور[٢٧٥] ، وولي علي أبو الحسن الخطابة بجامع فخر الدين[٢٧٦] . ولم تذكر المصادر مساكنهم ، أما مدافنهم فقد ذكر المنذري ثلاثة دفنوا بباب حرب وهم أبو علي الحسن بن هبة الله[٢٧٧] ، وأبو الرضا أحمد بن أبي القاسم هبة الله[٢٧٨] وأبو الحسن افضل بن المظفر[٢٧٩] .

هوامش الفصل الثاني

(١) الطبري ١/٣١٦٢ ، ٣٣٢٠ ، ٣٤٤٤ ، ٣٤٧٤ ويذكر الفاسي ان معبد بن العباس في خلافة الامام علي كان واليا على مكة : شفاء الغرام ٢/١٦٦ .

ويلاحظ انه فيما خلا المدينة ، بقي الولاة العباسيون الآخرون طيلة السنوات الاربع من خلافة الامام علي في ولاياتهم .

(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري ٣٢ .

(٣) نسب قريش ٢٨ .

(٤) نسب قريش ٣٢ .

(٥) نسب قريش ٢٩ .

(٦) نسب قريش ٣٨ .

(٧) نسب قريش ٤٥ .

(٨) نسب قريش ٢٩ .

(٩) نسب قريش ٣٨ .

(١٠) نسب قريش ٢٨ .

(١١) نسب قريش ٣٨ .

(١٢) نسب قريش ٢٨ ، ٣١ .

(١٣) نسب قريش ٣١ .

(١٤) نسب قريش ٣٠ .

(١٥) نسب قريش ٢٦ ، ٢٨ .

(١٦) نسب قريش ٣٤ .

(١٧) رشيد الدين : جامع التواريخ ٢ - ١/٢٧٩ وانظر ايضا محمد صالح القزاز : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ١٠٤ .

(١٨) جمهرة النسب ٢٨ - ٢٩ .

(١٩) نسب قريش ٣١ وانظر أيضا ص ٣٨ .

(٢٠) نسب قريش ٣٤ .

(٢١) نسب قريش ٢٢ ، ١٧٨ .

(٢٢) انظر عن ولاة أبي العباس السفاح الطبري ٣/ ٧١ ـ ٧٣ تارخ اليعقوبي ٣/ ٣٨ وعن ولاية العباس بن عبدالله نسب قريش ٣٧ .

(٢٣) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١١٧ .

(٢٤) نسب قريش ٣٨ جهرة النسب ١٦ تاريخ اليعقوبي ٣/ ١١٧ .

(٢٥) نسب قريش ٣٣ .

(٢٦) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١١٧ .

(٢٧) الطبري ٣/ ٣٢٧ .

(٢٨) الطبري ٣/ ٣٥٤ ، ٣٧٧ .

(٢٩) الطبري ٣/ ٢٢٥ .

(٣٠) الطبري ٣/ ٣٢٦ ، ٣٥٢ ، ٣٧٢ .

(٣١) الطبري ٣/ ٣٥٢ ، الصولي : اشعار اولاد الخلفاء ٣ ، ٨ .

(٣٢) نسب قريش ٣٩ .

(٣٣) جهرة النسب ١٦ .

(٣٤) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١١٧ .

(٣٥) تاريخ خليفة ٤٩٠ تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٣٢ .

(٣٦) تاريخ خليفة ٤٨٠ ، ٤٩٧ .

(٣٧) الطبري ٣/ ٣٢٧ .

(٣٨) الطبري ٣/ ٤٦٦ .

(٣٩) الطبري ٣/ ٥٠٠ .

(٤٠) الطبري ٣/ ٣٥٤ .

(٤١) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٣١ .

(٤٢) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٣٢ .

(٤٣) تاريخ خليفة ٤٧٩ .

(٤٤) فتوح البلدان ٢١٠ .

(٤٥) تاريخ اليعقوبي ١٢٧ .

(٤٦) تاريخ خليفة ٤٩٧ ـ ٨ وانظر عن اسحق الخطيب ٦/ ٣٢٨ .

(٤٧) الطبري ٣/ ٧٢٩ .

(٤٨) الطبري ٣/ ٦٠٧ .

(٤٩) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٥٧ .

(٥٠) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٤٣ .

(٥١) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٤١ .

(٥٢) تاريخ اليعقوبي ٣/١٤١ .
(٥٣) تاريخ اليعقوبي ٣/١٤٥ تاريخ الخطيب ٦/٣٢٨ .
(٥٤) تاريخ اليعقوبي ٣/١٦٤ .
(٥٥) تاريخ الكازروني ١٢٨ .
(٥٦) تاريخ الكازروني ١٢٨ .
(٥٧) الصولي : اشعار اولاد الخلفاء ١٥ .
(٥٨) تاريخ اليعقوبي ٣/١٧٢ .
(٥٩) تاريخ اليعقوبي ٣/١٨٦ الطبري ٣/١٠٧٢ ، ١٠٧٥ . .
(٦٠) تاريخ الكازروني ١٧٠ .
(٦١) الطبري ٣/٤٤٥ .
(٦٢) الطبري ٣/٤٢١ .
(٦٣) تاريخ بغداد لطيفور ١١٠ .
(٦٤) الطبري ٣/٤٨٥ .
(٦٥) الطبري ٣/٥٢٣ .
(٦٦) الطبري ٣/٥٢٣ .
(٦٧) الطبري ٣/٦٠٥ .
(٦٨) الخراج لأبي يوسف ١٩ .
(٦٩) الخراج ٢٢ .
(٧٠) الخراج ٢٢ .
(٧١) تذكرة ابن حمدون مخطوطة مكتبة أحمد الثالث .
(٧٢) الطبري ٣/١٠٠٠ .
(٧٣) كتاب البلدان ص ٤٧٩ طبعة الدكتور صالح أحمد العلي .
(٧٤) الوزراء للصابي ٢٥ .
(٧٥) انظر مقالنا « مصادر دراسة خطط بغداد » المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي .
(٧٦) البلدان لليعقوبي ٢٤٣ .
(٧٧) كذلك ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .
(٧٨) كذلك ٢٤٩ .
(٧٩) تاريخ بغداد ١/٩١ ـ ٩٢ .
(٨٠) تاريخ بغداد ١/٨١ وانظر ياقوت ٤/١١٧ ، ١٢٣ .
(٨١) تاريخ الخطيب ١/٨٩ .
(٨٢) اليعقوبي ٢٥١ ـ ٢ .
(٨٣) تاريخ الخطيب ١/٩٧ .
(٨٤) تاريخ الخطيب ١/٩٨ .

(٨٥) البلدان ٢٤٦ .
(٨٦) الطبري ٣/٧٥٧ .
(٨٧) تاريخ الخطيب ٦/١٤٢ .
(٨٨) تاريخ الخطيب ٧/٣٥٦ .
(٨٩) المنتظم لابن الجوزي ٩/١٨٩ .
(٩٠) تاريخ الخطيب ١١/٥٨ ، ٢٣٤ ، ٣٠٥ ، ١٢/٣٨٨ ، المنتظم ٦/٣٤٦ ، الصولي : اخبار الراضي والمتقي ٢٠٩ .
(٩١) تاريخ الخطيب ٦/١٥٥ ، ١٠/٣٩ ، ١١/١٤٨ ، المنتظم ٦/٦١ ، ١٢٣ ؛ ٩/١٨٩ .
(٩٢) تاريخ الخطيب ١١/٤٦ ، ١٤٨ الصولي ٢١٠ .
(٩٣) الخطيب ١١/١٧ .
(٩٤) البلدان لليعقوبي ٢٤٣ .
(٩٥) تاريخ الخطيب ١١/١٤٧ .
(٩٦) الطبري ٣/٣٣١ .
(٩٧) تاريخ الخطيب ١١/٣٧ .
(٩٨) تاريخ الخطيب ٨/٣٢ .
(٩٩) تاريخ الخطيب ١٢/٥٤ .
(١٠٠) تاريخ الخطيب ١٠/٤١٠ .
(١٠١) الفهرست لابن النديم ٩١ .
(١٠٢) تاريخ الخطيب ١/٣٨٥ .
(١٠٣) البلدان لليعقوبي ٢٥٠ .
(١٠٤) تاريخ الخطيب ١/٨٩ .
(١٠٥) الطبري ٣/١٦٣٤ ، ١٩٧١ .
(١٠٦) الوزراء للصابي ٢٤ .
(١٠٧) الطبري ٣/١٦٣٤ .
(١٠٨) الطبري ٣/٧٥٧ .
(١٠٩) الطبري ٣/٥٨٠ .
(١١٠) مختصر التاريخ للكازروني ص ١٤٤ .
(١١١) البلدان لليعقوبي ٢٥٤ .
(١١٢) الوزراء للصابي ٢٤ ـ ٥ .
(١١٣) تاريخ الكازروني ١٤٨ .
(١١٤) تاريخ اليعقوبي ٣/٢٠٨ ويذكر الكازروني له اربعة اولاد . التاريخ ١٤٤ .
(١١٥) تاريخ الكازروني ١٦٠ .
(١١٦) تاريخ الكازروني ١٥٣ .

(١١٧) المنتظم ٦/١٤٦ .

(١١٨) المنتظم ٦/١٩٥ .

(١١٩) المنتظم ٦/٢٦٧ .

(١٢٠) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ٦٦ .

(١٢١) الصولي ٧١ .

(١٢٢) المنتظم ٨/٢٩١ .

(١٢٣) الجامع المختصر ١٣٩ .

(١٢٤) الحوادث الجامعة ٤٤ .

(١٢٥) تاريخ الكازروني ١٥٣ .

(١٢٦) تاريخ الكازروني ١٧٤ .

(١٢٧) الطبري ١٤٣:٣٠ وكيع : اخبار القضاة ٣/٣٠ تاريخ الخطيب ٦/٨٧ ، ٧/١٧٤ ، ٤١٠ ، المنتظم ٥/١١ ، ٢٧ ، ١٥٢ .

(١٢٨) الجامع المختصر ٩ ـ ١٠ مختصر المحتاج اليه ٥٦ البداية والنهاية ١٣/٢٢ .

(١٢٩) تاريخ الخطيب ٥/٣٦٤ المنتظم ٦/٣٥٠ ، ٣٥٧ .

(١٣٠) تاريخ الخطيب ١٢/٨ .

(١٣١) تاريخ الخطيب ٣/١٠٨ المنتظم ٨/٢٨٣ الوافي بالوفيات ٤/١٤٧ .

(١٣٢) المنتظم ٩/٣٤ .

(١٣٣) تاريخ الخطيب ١/٣٧٥ المنتظم ٦/٣٣٤ .

(١٣٤) تاريخ الخطيب ٥/٦٤ .

(١٣٥) تاريخ الخطيب ٥/٦٤ .

(١٣٦) تاريخ الخطيب ١٠/٣٣٩ .

(١٣٧) تاريخ الخطيب ٢/٣٣٠ .

(١٣٨) الجامع المختصر ٧٣ .

(١٣٩) المنتظم ١٠/١٢٣ التكملة لوفيات النقلة للمنذري : رقم ٢٨٣٢ .

(١٤٠) المنتظم ١٠/٢٠٦ .

(١٤١) المنذري ٨٦٥ .

(١٤٢) الجامع المختصر ١٣٩ .

(١٤٣) الجامع المختصر ٢١٦ المنذري ٩٨٥ .

(١٤٤) الوافي بالوفيات .

(١٤٥) المنذري ١٩١٤ .

(١٤٦) كتب المسعودي في كتابه « مروج الذهب » قائمة بولاة الحج مرتبة على السنين وكتب اليعقوبي تاريخه ولاة الحج الى نهاية خلافة الأمين كما ذكر الطبري ولاة الحج . وقد وزعها على الخلفاء ، فكتب في آخر كلامه

فى كل خليفة من ولي الحج في زمنه . . وتتطابق قائمتا اليعقوبي والمسعودي تقريبا ، أما قائمة الطبري فهي تخالف قليلا قائمة المسعودي .

(١٤٧) تاريخ الخطيب ١/١٠٧ - ١١١ .

(١٤٨) مناقب بغداد ٢٣ .

(١٤٩) اخبار القضاة ٣/٢٧٠ .

(١٥٠) اخبار القضاة ٣/٢٧٧ .

(١٥١) تاريخ الخطيب ٦/١٣٦ .

(١٥٢) تاريخ الخطيب ١١/٣١٠ .

(١٥٣) تاريخ الخطيب ٧/٣٤ .

(١٥٤) تاريخ الخطيب ٣/٣٥٦ .

(١٥٥) تاريخ الخطيب ٦/١٣٤ .

(١٥٦) تاريخ الخطيب ٩/٤١٠ ، الصولي : أخبار الراضي ١٩١ المنتظم ٧/٥ .

(١٥٧) تاريخ الخطيب ٣/٣٥٦ .

(١٥٨) تاريخ الخطيب ١٠/١٠٩ .

(١٥٩) تاريخ الخطيب ٢/١٣٤ المنتظم ٦/٢٧٠ .

(١٦٠) الصولي : أخبار الراضي ٦٣ ، ١٩١ .

(١٦١) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٧٢ .

(١٦٢) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٣٦٨ .

(١٦٣) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٧٢ .

(١٦٤) الخطيب ٥/٦٥ المنتظم ٧/٢١٠ ، ٢٧٨ .

(١٦٥) تاريخ الخطيب ٥/٤٩ المنتظم ٧/٢١٠ ، ٢٧٨ ، ٨/٣١ ، ٢٧٤ .

(١٦٦) تاريخ الخطيب ١/٣٥٦ المنتظم ٨/١٤٨ .

(١٦٧) مرآة الزمان ٨/١٨٢ .

(١٦٨) المنتظم ٨/٢٨٣ .

(١٦٩) المنتظم ٨/٢١١ ابن الأثير ١٠/٩ .

(١٧٠) الوافي بالوفيات ١/١٥٣ .

(١٧١) المنتظم ١٠/١١٥ التكملة لوفيات النقلة للمنذري ٤٦٨ .

(١٧٢) المنذري ٤٦٨ ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٨٢ .

(١٧٣) المنذري ٨٢١ الجامع المختصر ١٣٣ .

(١٧٤) المنذري ١٥٥٥ .

(١٧٥) المنذري ٢٤٧٣ .

(١٧٦) تاريخ الخطيب ١٠/٣٣٩ المنتظم ٥/١٨٤ .

(١٧٧) تاريخ ٢/٣٣٠ .

(١٧٨) تاريخ الخطيب ١٢/٣٧٥ .

(١٧٩) تاريخ الخطيب ١١/٢٢٢ .

(١٨٠) تاريخ الخطيب ٤/٣٤٨ ، الصولي : أخبار الراضي ١٩٢ .

(١٨١) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٣٦ .

(١٨٢) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٧٢ .

(١٨٣) تاريخ الخطيب ٤/٣٤٨ ، ١٣/٢٧١ .

(١٨٤) تاريخ الخطيب ٧/٣٣٩ .

(١٨٥) تاريخ الخطيب ٨/١٨٢ المنتظم ٦/١٧٢ .

(١٨٦) تاريخ الخطيب ٢/٣٥٤ .

(١٨٧) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٧٢ .

(١٨٨) تاريخ الخطيب ٧/١٤١ ، ٣٣٩ ، المنتظم ٧/١٨٧ .

(١٨٩) التكملة لوفيات النقلة ٨٣٥ .

(١٩٠) التكملة لوفيات النقلة ٢٨١١ .

(١٩١) تاريخ الخطيب ١/٢٤٨ المنتظم ٦/١٩٧ .

(١٩٢) الصولي : أخبار الراضي ٦٣ .

(١٩٣) تاريخ الخطيب ٧/١٤١ .

(١٩٤) التكملة لوفيات النقلة ٣٣ .

(١٩٥) التكملة لوفيات النقلة ٤٦٨ .

(١٩٦) كذلك ٤٣٢ .

(١٩٧) كذلك ٤٦٨ ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٨٢ .

(١٩٨) التكملة ١٩١١ .

(١٩٩) مرآة الزمان ٨/١٨٢ .

(٢٠٠) التكملة ٢٢٨٣ .

(٢٠١) الحوادث الجامعة ١٤٨ ، ٢٣١ وانظر العسجد المسبوك (مخطوط) .

(٢٠٢) تكملة الطبري لعريب ٢٥ الوافي بالوفيات ٢/١٠٧ وانظر ايضا تذكرة ابن حمدون (مخطوط) .

(٢٠٣) تكملة الطبري لعبدالملك الهمداني ٢١٣ المنتظم ٧/٦٥ تذكرة ابن حمدون .

(٢٠٤) الحوادث الجامعة ٢٩٣ معجم الألقاب لابن الفوطي ٥/٢٥٣ العسجد المسبوك وانظر أيضا بدري محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي المتأخر ١٦٥ .

(٢٠٥) الحوادث الجامعة ٢٨ العسجد المسبوك .

(٢٠٦) الحوادث الجامعة ١٥٦ .

(٢٠٧) الحوادث الجامعة ٢٤٧ .

(٢٠٨) الانساب للسمعاني ١٢٨٥ .

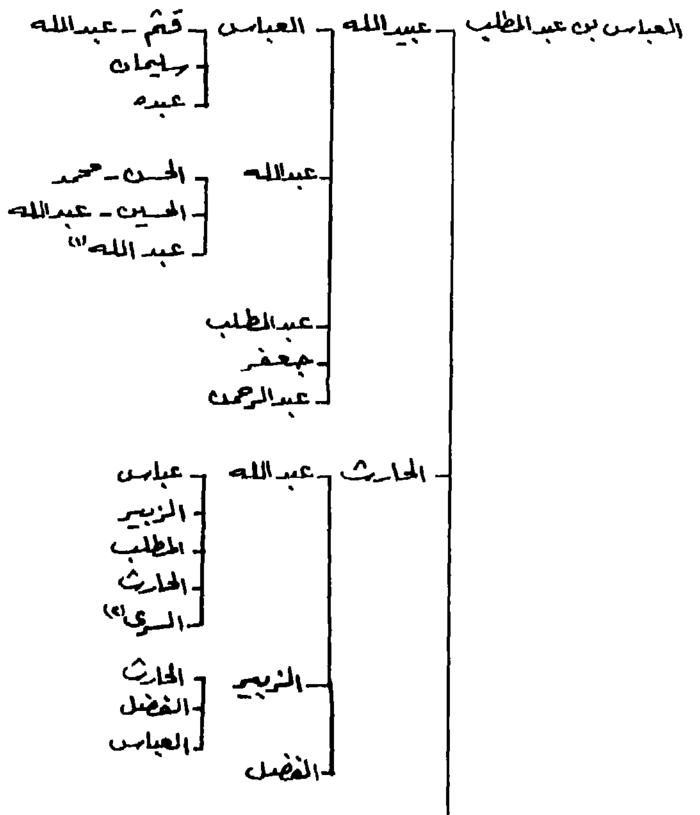
(٢٠٩) المنتظم ٧/٦٥ تكملة الطبري للهمداني ٢١٣ ابن حمدون .

(٢٠٩) المنتظم ٧/٦٥ تكملة الطبري للهمداني ٢١٣ ابن حمدون .
(٢١٠) تكملة الطبري للهمداني ٢٢ .
(٢١١) المنتظم ٧/١٧٤ هلال الصابي ٣/٣٢٧ .
(٢١٢) المنتظم ٨/٩١ .
(٢١٣) المنتظم ٨/١٥٩ .
(٢١٤) المنتظم ٨/٢٧٥ .
(٢١٥) المنتظم ٩/٥٣ .
(٢١٦) المنتظم ٩/٥٣ .
(٢١٧) مرآة الزمان ٨/٩٠ المنتظم ٩/٢٤٠ .
(٢١٨) ابن الفوطي معجم الألقاب ٥/١٨٥ .
(٢١٩) المنتظم ١٠/٢٤١ الحوادث الجامعة ٢٩٣ المختصر ١٣٩ المنذري ٢٢٧ .
(٢٢٠) الحوادث الجامعة ١٥٦ .
(٢٢١) الحوادث الجامعة ١٥٦ .
(٢٢٢) الحوادث الجامعة ٢٨ العسجد المسبوك .
(٢٢٣) الحوادث الجامعة ١٠٣ العسجد المسبوك .
(٢٢٤) الحوادث الجامعة ١٥٦ .
(٢٢٥) تاريخ الخطيب ٢/٣٥٤ .
(٢٢٦) تاريخ الخطيب ٥/٥٠ .
(٢٢٧) نسب قريش لمصعب ٢٥ ـ ٢٧ .
(٢٢٨) تاريخ الخطيب ٧/١٤١ .
(٢٢٩) تاريخ الخطيب ٢/٤٠٤ .
(٢٣٠) تاريخ الخطيب ٥/٦٤ .
(٢٣١) تاريخ الخطيب ١/٣٥٤ .
(٢٣٢) تاريخ الخطيب ٩/٣٥١ .
(٢٣٣) نسب قريش لمصعب ٢٨ .
(٢٣٤) نسب قريش لمصعب ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢٣٥) تاريخ الخطيب ١/٣٧٥ .
(٢٣٦) تاريخ الخطيب ٣/٢٣٧ .
(٢٣٧) المنتظم ٧/١٠٩ .
(٢٣٨) التكملة لوفيات النقلة ٨٣٥ .
(٢٣٩) التكملة ١١٥٩ .
(٢٤٠) التكملة ٢٨٣٢ .
(٢٤١) التكملة ٦٤٥ .

(٢٤٢) المنتظم ١٠٩/٧ .
(٢٤٤) المنتظم ٢٠٦/١٠ .
(٢٤٥) المنتظم ١٠٦/٩ .
(٢٤٦) المنتظم ١٠٩/١٠ .
(٢٤٧) المنتظم ٢٠٦/١٠ .
(٢٤٨) التكملة ١٠٥٩ .
(٢٤٩) المنتظم ٢٠١/٩ .
(٢٥٠) تاريخ الكازوني ١٦٠ .
(٢٥١) ذيل تاريخ الطبري لعريب ٢٥ ، ٢٦ الوافي بالوفيات ١٠٧/٢ .
(٢٥٢) الحوادث الجامعة ١٠٣ .
(٢٥٣) المنتظم ٤٩/٥ .
(٢٥٤) المنتظم ٣٤٤/٧ .
(٢٥٥) تاريخ الخطيب ٢٦١/١ .
(٢٥٦) المنتظم ٢٩٥/٨ .
(٢٥٧) تاريخ الخطيب ١٤٤/١١ المنتظم ١١٥/٨ .
(٢٥٨) المنتظم ٢٨٣/٨ .
(٢٥٩) المنتظم ٣٤/٩ .
(٢٦٠) المنتظم ٢٩٥/٨ .
(٢٦١) التكملة ٨٢١ الجامع المختصر ١٣٣ .
(٢٦٢) التكملة ١٨٤٥ .
(٢٦٣) المنتظم ٢٤٧/٨ .
(٢٦٤) المنتظم ٢٤١/١٠ الحوادث الجامعة ٨٩ .
(٢٦٥) التكملة ٢٢٧ .
(٢٦٦) تاريخ الخطيب ٤٥/١١ .
(٢٦٧) التكملة ١٦٩ .
(٢٦٨) التكملة ٢٦٧٧ .
(٢٦٩) التكملة ٥٢٧ .
(٢٧٠) التكملة ١٩١٤ .
(٢٧١) التكملة ٢٨٨١ .
(٢٧٢) التكملة ١٤٢١ .
(٢٧٣) التكملة ٢٤٧٣ .
(٢٧٤) التكملة ٢٨٤٠ .
(٢٧٥) التكملة ١٥٥٥ .

(٢٧٦) التكملة ٤٦١ .
(٢٧٧) التكملة ٢٨٣ .
(٢٧٨) التكملة ٥٨٢ .
(٢٧٩) التكملة ١٠٢٩ .

اولاد العباس



معبد - عبد الله
العباس - محمد - عبد الله
محمد
العباس
العباس
العباس
ابراهيم (3)
عبد الله
محمد
تمام (4) - قثم
جعفر - يحيى
عباس - عباس
كثير - يحيى (4)
عبد الرحمن - عبد الرحمن (4)
الفضل
قثم (4)
عبد الله (5)

١ - ذكر الخطيب من نسله محمد بن هارون ، وقد ولي الخطابة في جامعي الرصافة والقصر ١٤١/٧ .

٢ - ذكر الخطيب من نسله طلحة بن محمد ٣٥١/٨ .

٣ - ذكر الخطيب من نسله محمد بن احمد (٤٠٤/٣) وابنه احمد بن محمد (٦٤/٥) .

٤ - انقرض ولا عقب له .

٥ - انقرض من اولاده العباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن .

آل علي بن عبد الله بن العباس

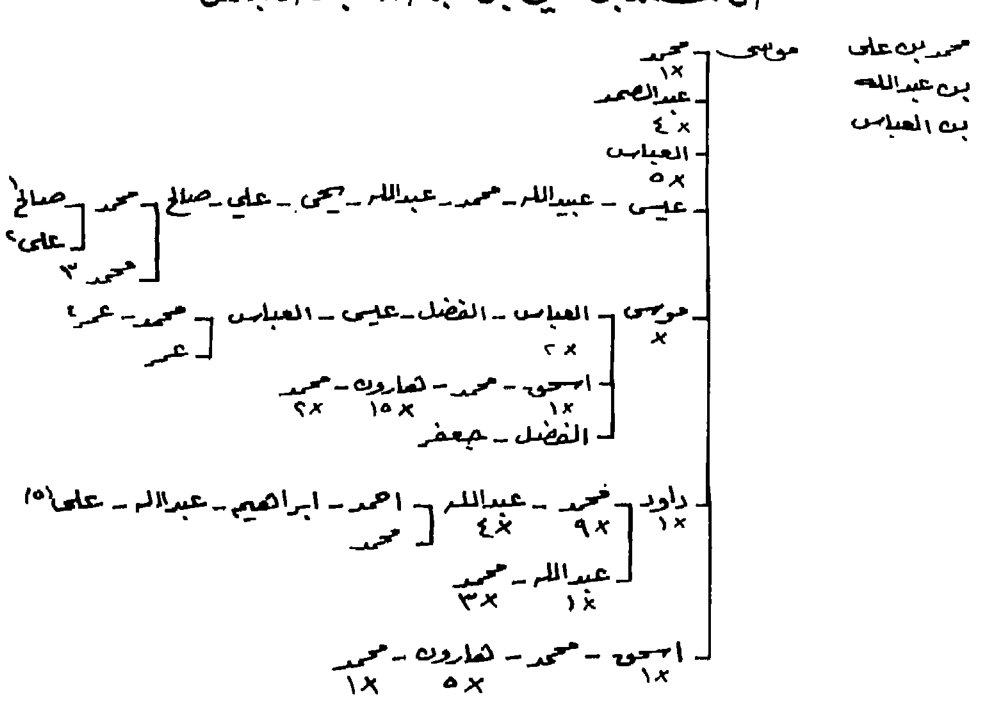
- علي بن عبدالله ابن العباس
  - سليمان ١x
    - جعفر
      - عبدالواحد
        - العباس ـ عبدالواحد ـ جعفر ـ القاسم
          - محمد
          - احمد
        - جعفر
      - اسماعيل ـ محمد ـ ابراهيم
      - عبدالله ـ سليمان ١x
      - عيسى [2]
      - اسماعيل
    - اسحق
    - محمد [3]
    - اسماعيل [4]
  - اسماعيل ٢ x
    - محمد
      - جعفر ـ محمد [5]
      - الحسن ـ عبدالله [6]
    - الفضل ـ محمد ـ عبدالله ـ محمد ـ احمد [7]
  - صالح ٣x ـ عبدالملك [8]
    - محمد ـ احمد
      - يعقوب ـ احمد ـ محمد [9]
      - الفضل ـ احمد ـ العباس
    - صالح ـ الفضل ـ عبدالله
      - صالح ـ الحسين ـ محمد ـ احمد
      - احمد
    - عبدالله ١x
  - عبدالصمد [11] ٣x
    - احمد ـ عبدالله ـ احمد ـ ابراهيم ـ احمد ـ محمد ـ محمد [12]
    - عبدالله ـ محمد ـ احمد [13]
  - عيسى [14]
    - حمزة ـ اسحق ـ موسى ـ عبدالله [15]
    - اسماعيل واسحق ويعقوب وعلي والعباس
  - داود
    - علي ـ عبدالله ـ عبدالوهاب ـ العباس ـ عبدالوهاب
    - داود ـ سليمان
    - سليمان ـ علي
    - موسى ـ صالح
  - عبدالله ـ عيسى ـ عبدالله ـ محمد ـ عيسى ـ محمد [16]

يضاف من أولاد علي : عبدالله ، احمد ، بشر ، مبشر ، عبدالملك ، عبدالرحمن

x ٥ = عدد مرات الحج

(١) الخطيب ٤٥١/١٣
(٢) الخطيب ٣٦٠/٥
(٣) الخطيب ٣٩٠/٥
(٤) الخطيب ٣٢٨/٦
(٥) الخطيب ١٣٦/٣
(٦) الخطيب ٤٣٤/٩
(٧) الخطيب ٤٣/٥
(٨) الخطيب ٤٧٦/٩
(٩) الخطيب ٣٧٥/١
(١٠) الخطيب ٤٧٦/٩
(١١) الخطيب ٣٧/١١
(١٢) الخطيب ٢٣٧/٣
(١٣) الخطيب ٢٣٧/٣
(١٤) الخطيب ١٤٧/١١
(١٥) الخطيب ١٥٠/١٠
(١٦) الخطيب ٤٠١/٣

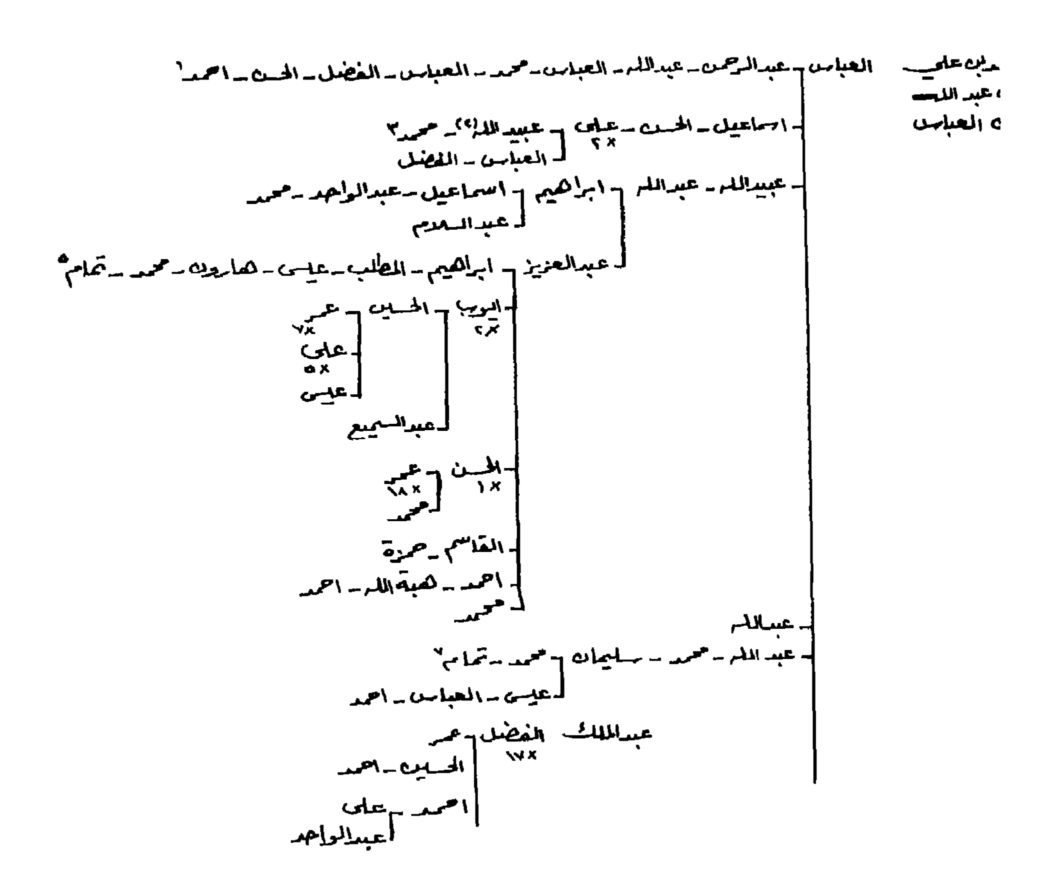
آل محمد بن علي بن عبد الله بن العباس



× ٤ = عدد سنوات الحج

(١) الخطيب ٣٣٢/٩
(٢) الخطيب ٩٩/١٢
(٣) الخطيب ٣٦٢/٥
(٤) الخطيب ٢٧٤/١١
(٥) الخطيب ٨/١٢

آل محمد بن علي بن عبد الله بن العباس



---

٤ = عدد سنوات امارة الحج   = امامة الصلاة في جامع الرصافة

خطيب ٤/١٠٩   (٢) الخطيب ١٠/٣٧٩   (٣) الخطيب ٢/٢٣٠

خطيب ٢/٣٥٩   (٥) الخطيب ٧/١٤١   (٦) الخطيب ٨/٢٣

خطيب ٧/١٣٩

عبدالله بن عبدالصمد ابن المهتدي ـ محمد[3] ـ احمد ـ علي ـ محمد ابو الحسن[4] ـ هارون ـ عبدالمتكبر ـ عبدالودود[5] ـ الحسن[6] ـ احمد

- عبدالمتكبر ـ محمد[8]

- هبة الله ابو الحسن ـ احمد ابو تمام ـ علي ابو الحسن ـ احمد ابو تمام ـ علي ابو الحسن[9]

- محمد ابو الحسن[10] ـ محمد ابو عبدالله ـ محمد ابو القاسم ـ محمد ابو الحسن ـ محمد ابو

- عبدالله ابو جعفر ـ محمد ابو الحسن

- عبدالله[13] ـ اسعد[14]

- عبدالله ابو جعفر ـ محمد ابو الفضل ـ هارون ابو جعفر[15]

- عبدالوهاب ـ هبة الله[16] ـ احمد ـ علي ـ افضل ابو احمد[17]

- احمد ابو تمام ـ علي ابو الحسن ـ احمد ابو العباس

- عبدالودود ابو محمد[19] ـ عبدالله ابو احمد

- عبدالواحد[31]

- ابراهيم ـ هبة الله ـ اسحق ـ محمد ابو احمد[33]

- عبدالرحمن ـ عبدالله ـ عبدالرحمن[23]

- جعفر ـ عبدالله ـ محمد ـ احمد ـ ابو عبدالله[34]

- عبدالجبار الخطف ـ علي ـ محمد ـ هبة الله ـ احمد ـ فارس ـ منصور ابو جعفر ـ محمد ابو الفضل[35]

= امام جامع المنصور　　= امام جامع القصر　(٢) الخطيب ١٠٨/٣　(٤) الخطيب ٣٥٦/١　(٦) الخطيب ٣٤٤/٧ (يحذف　(٧) الخطيب ٣٧٩/٨

= امام جامع الحربية　(١) الخطيب ٣٥١/١٠　(٣) الخطيب ٤٩/٥　(٥) الخطيب ١٤٠/١١　عبدالصمد)　(٨) المختصر المحتاج اليه ٨١/٣

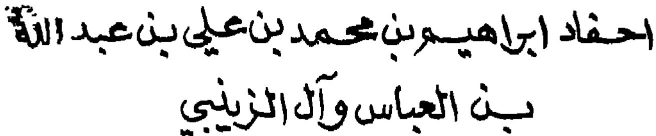
) المنذري ٤٦٨ (يحذف　(١٠) الخطيب ٣٥٦/١　القسم الاعلى من النسب (المهتدي ـ　(١٢) المنذري ٣٠٧٢ (مع نفس　(١٣) الخطيب ٣٢/٩

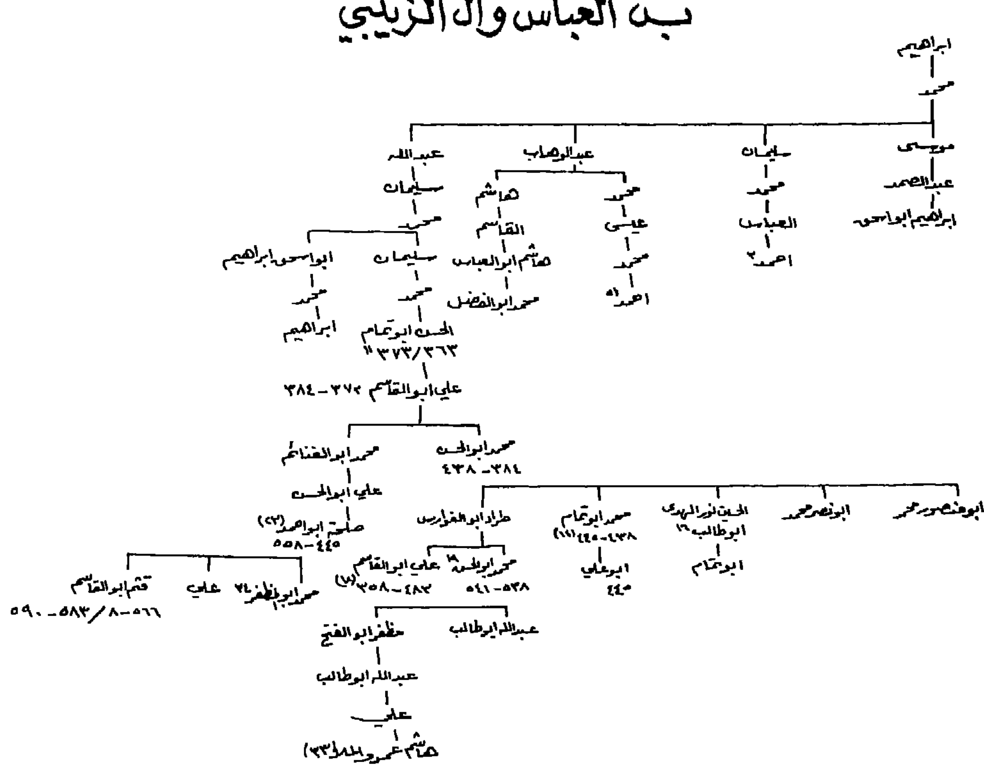
الصمد)　(١١) المنذري ٤٣٢ ولكنه يذكر في　احمد ـ محمد ابو عبدالله)　الملاحظة في الهامش السابق)　(١٤) الخطيب ١٣٧/١٠

١) المنذري ٣٣　(١٧) المنذري ١٥٧٠　القسم الاعلى من عبدالوهاب　(٢٠) المنذري ١٦٠٧ (مع نفس　(٢١) الخطيب ٦/١١

١) الخطيب ٦٩/١٤　(١٨) المنذري ٨٣١ ولكنه يحذف　(١٩) المنذري ١٨٤٥　الملاحظة في هامش ١٨)　(٢٢) الخطيب ٢٦١/١

٢) الخطيب ٣٠٠/١٠

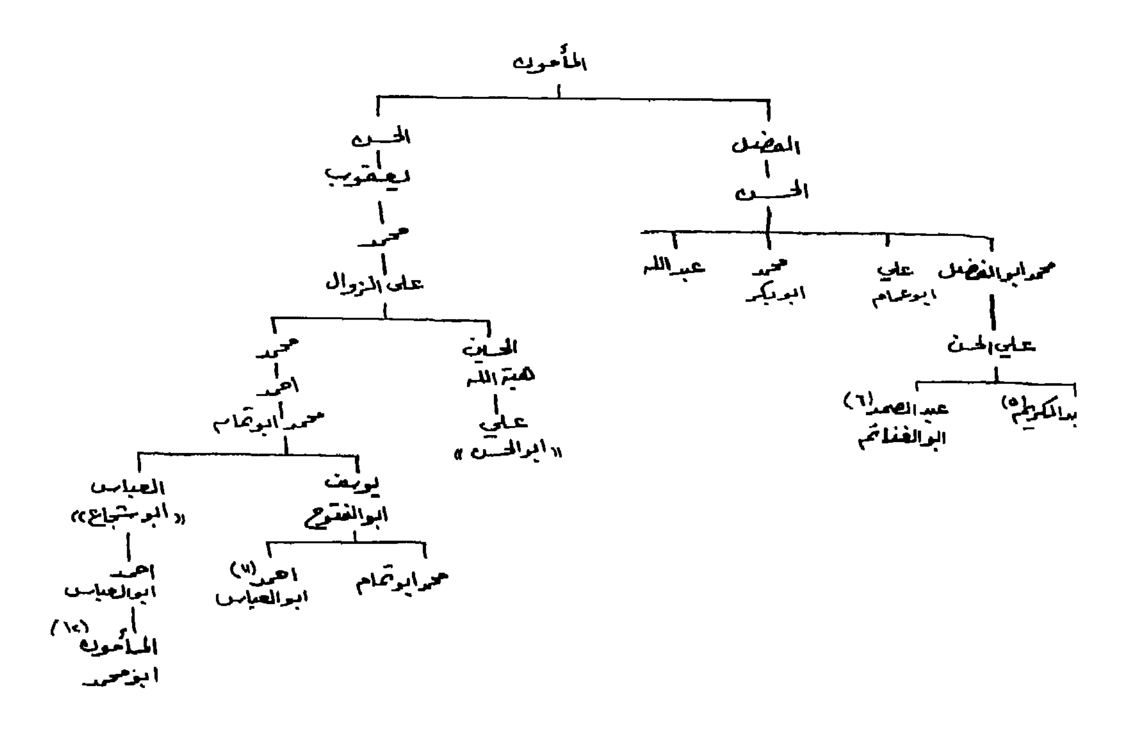

احفاد ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله
بن العباس وآل الزينبي


ابراهيم
محمد
موسى
سليمان
عبد الوهاب
عبد الله
عبد الصمد
ابراهيم ابو اسحق
محمد
العباس
محمد
هاشم
عيسى
القاسم
هاشم ابو العباس
محمد ابو الفضل
سليمان
محمد
ابو اسحق ابراهيم
سليمان
محمد
ابراهيم
الحسن ابو تمام
٣٦٣/٣٧٢
علي ابو القاسم ٣٧٢-٣٨٤
محمد ابو الغنائم
محمد ابو الحسن
٣٨٤-٤٣٨
علي ابو الحسن
طراد ابو الفوارس
محمد ابو تمام
ابو نصر محمد
ابو منصور محمد
ابو طالب
ابو علي
ابو تمام
علي
عبد الله ابو طالب
مظفر ابو الفتح
عبد الله ابو طالب
علي

* الارقام المذكورة تحت الاسماء هي مدة سني النقابة التي اشغلها الشخص
** النسب الاعلى مذكور في الخطيب ٣٨٧/١١ وفي انساب السمعاني ٣٨٥
وقد اورد ابن الجوزي نسب طراد ، ولكنه حذف منه سليمان بن محمد (١٠٦/٩) وفي النسب الذي اورده لعلي بن ابي تمام حذف سليمان بن محمد ، ووضع مكانه (القاسم) ، ولعل هذا من غلطات الناسخين ، وقد حج من نسل ابراهيم الامام كل من عبدالصمد بن موسى (٤) واحمد بن العباس (٢) وعبدالوهاب بن محمد (٢) ومحمد بن سليمان بن محمد (٤) وابراهيم بن محمد بن سليمان (٤)

(١) الخطيب ٤١/١١
(٢) الخطيب ١٣٧/٦
(٣) الخطيب ٣٢٨/٤
(٤) الخطيب ١٧/١١
(٥) الخطيب ٦٤/٥
(٦) الخطيب ٦٨/٤
(٧) الخطيب ١٦٥/٣
(٨) الاكمال لابن ماكولا ٢٠٢/٤
(٩) الخطيب ١٥٥/٩
(١٠) الخطيب ٢٣٧/٣
(١١) الهمداني تكملة الطبري ٢١٣ ، ٢٢٠ المنتظم ٦٥/٧ تذكرة ابن حمدون . ويذكر الهمداني وابن حمدون ان ابا احمد ابن عبدالملك ولي النقابة بين سنة ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .
(١٢) المنتظم ١١٣/٧ ويقول ابن الجوزي عنه « وهو اول من جمع بين الصلاة والنقابة (٧ / ١٧٦)
(١٣) المنتظم ١٧٤/٧ وانظر الصابي : ذيل تجارب الامم ٣٣٧/٣
(١٤) المنتظم ٩١/٨ ، ٩٤ ابن حمدون سنة ٤٤٥
(١٥) المنتظم ١٥٩/٨
(١٦) المنتظم ٢٠١/٩ (وليها شهورا) ويقول المنذري ان « الحسين ابو طالب بن نقيب النقباء ابي تمام بن محمد بن علي (التكملة ٦٤٥) .
(١٧) المنتظم ٢٢٢/٨ (ردت اليه نقابة العباسيين) وانظر ايضا المنتظم ٣٧٥/٨ ويذكر البنداري ان طرادا كان نقيبا في سنة ٤٥٠ (تاريخ آل سلجوق ٢٣)
(١٨) المنتظم ٥٣/٩ ، ١٠٩/١٠
(١٩) المنتظم ١١٩/١٠ ، ١٢٣
(٢٠) المنتظم ٢٣/١٠
(٢١) المنذري ٢٨٣٢ .
(٢٢)الاستدراك على انساب السمعاني ٢٠٣/٤ ط الهند .
(٢٣) مرآة الزمان ٩٠/٨
(٢٤)المنذري ٨٦٥
(٢٥) المنتظم ٢٤١/١٠ ياقوت ١١/١٧ الوافي ٣٩/٣ المنذري ١١٥٩ .

آل المأمون



(١) للمامون ستة عشر ولدا آخرون

(٢) الخطيب ٢/٢١٥

(٣) الخطيب ٢/٢١٤

(٤) الخطيب ٩/٤٣٩

(٥) الخطيب ١١/٨٠

(٦) الخطيب ١١/٤٥

(٧) الخطيب ٣/٣٩٢

(٨) المنذري ١١٩

(٩) المنذري ١٩١٤

(١٠) المنذري ٩٨٥

(١١) المنذري ٢٢٧

(١٢) المنذري ٢٦٧٧

الفصل الثالث

الدواوين والوزارة
مراكزها في العهود العباسية

الادارة هي الوسيلة التي تعتمد عليها الدولة في السيطرة على رعاياها وتنظيمهم وتقدمهم ، وهي بدورها تقوم على النظم والأساليب المستقرة ، وعلى الموظفين المتفهمين لهذه الأساليب والقائمين بتطبيقها ، وكذلك على السجلات التي تدون فيها المعلومات التي تقتضيها الادارة . ويطلق على الأماكن التى تحفظ فيها السجلات وتقوم فيها الأعمال المتعلقة بها «الديوان» وهو تعبير اعجمي يظهر انه يرجع الى عهود ما قبل الاسلام .

حرص المسلمون منذ الفتح الاسلامي على ابقاء الدواوين وتنظيمها وحفظ سجلاتها، فلما ولي العباسيون الخلافة زادت عنايتهم بالدواوين وتنظيمها ، وفي السجلات وحفظها وفي الكتّاب وتنظيمهم ، وكان الوزير هو المسؤول الأول عن الاشراف عليها .

ومن المعلوم ان عدد الدواوين وحجم كل منها واختصاصه وعلاقته بالدواوين الاخرى لم يبق ثابتا ، بل تعرض الى تطورات كثيرة ، غير ان معلوماتنا عن تطوراتها غير كاملة بالرغم من العدد الكبير من المؤلفات العربية القديمة فيها ، وكثرة الاشارات اليها في الكتب ، الدراسات الحديثة العميقة عنها . غير انه من المؤكد ان الدواوين في العصر العباسي كان بعضها مقتصرا على الخليفة والبلاط ، وبعضها يتصل عمله بالناس عموما ، كما ان بعضها يقتصر عمله على بغداد وحدها ، وبعضها يمتد عمله الى كل العراق ، وبعضها يتصل عمله بأقاليم بعيدة عن بغداد او يعم عمله الدولة كلها .

ولا ريب في ان أن أهم الدواوين هما ديوان الخراج وديوان الجيش ، فأما الأول فيشرف على جباية الخراج الذي كان المصدر الرئيس لدخل الدولة ، بينما ينظم ديوان الجيش السجلات المتعلقة بمصروفات الجند ، وهي أهم باب في مصروفات الدولة آنذاك .

وكانت السجلات الرئيسة تكتب على الجلود ، حتى عصر الرشيد حيث صارت ، اوبعضها، تكتب على الورق الذي أخذ ينتشر استعماله في العالم الاسلامي ، وقد حرصت الدولة على حفظ السجلات في الدواوين نظرا لأهميتها ، واحتفظت بالسجلات القديمة المدون فيها ما يتعلق بالعصر الاموي ، فيروي الطبري ان خلافا حدث على ملكية قرية في خلافة المهدي ، « فأمر المهدي وزيره أبا عبيدالله ان يخرج ذكرها من الديوان العتيق »[1] .

ولما عزم المعتضد على اخراج المكتفي الى الجبل ومعه عبيدالله بن سليمان « قال عبيدالله لأبي العباس بن الفرات اريد كاتبا يصحبني ويتصفح أعمالي كل بلد يفتحه ويقرر

معاملاته على ما يدل عليه الديوان القديم من رسومه ، فقال ذلك محمد بن داود واليه من ديوان الدار مجلس ما فتح من أعمال المشرق وفيه الحسبانات العتيقة »[٢] .

وبالرغم من كثرة الاضطرابات التي اجتاحت بغداد ، فان سجلات الدواوين ظلت فيها بمنجاة من الدمار ، اذ لم يسجل المؤرخون إلا ثلاثة أحداث احترقت فيها السجلات فأما اولاها ففى فتنة الأمين سنة ١٩٨ حيث « احترقت الدواوين »[٣] .

والثانية في سنة ٣١٦ حيث يقول حمزة الاصفهاني « ورد بغداد أهل قصر بن هبيرة ، فضجوا من الأسواق ، واستنفروا الناس ومنعوهم من فتح حوانيتهم ، فانضم اليهم الخلق من العامة ، فمضوا الى المستغل الذي بازاء مجلس السلطان وأحرقوه ، وهذه مراقبة كانت هناك . . . وعدلوا من هناك الى ديوان بادوريا فأحرقوا ما كان فيه من الحسبانات من لدن صدر الدولة الخليفة وعدلوا الى باب السلطان يضجون ويبكون »[٤] ، ولم أجد في المصادر الاخرى ذكرا لهذا الحادث رغم ما ذكر من اضطرابات في بغداد وما حولها في تلك السنة والسنة التي تلتها .

اما الثالثة ففي سنة ٣٨٩ «أحرق العامة دار الحمولي فمضت بأسرها ولم يبق فيها جدار قائم، واحترق ما كان فيها من حسبانات الدواوين »[٥] ، وقد حدثت هذه الحادثة على اثر محاولة أبي نصر سابور وضع العشر على ما يعمل من الثياب الابريسمات والقطنيات بمدينة السلام فثار أهل العتابيين وباب الشام من ذلك ثم « صاروا الى دار أبي نصر سابور بدرب الديزج فمنعهم احداث العلويين منها ، وخرجوا من درب الديزج الى دجلة ، وطلبوا من جرى يسمه بالكون في دار الحمولي من الكتاب والمتصرفين فهربوا من بين أيديهم ، وطرحوا النار ، الدار ، واهمل اطفاؤها ، فأتت على جميعها »[٦] .

أما سجلات القضاء فيذكر ابن الجوزي انه في سنة ٤٥٠ عندما نشب الخلاف بين لميفة والبساسيري اضطربت بغداد « ونهبت دار قاضي القضاة أبي عبدالله الدامغاني لك أكثر السجلات والكتب الحكمية فبيعت على العطارين »[٧] ولا نعلم هل كانت جلات والكتب الحكمية قد وضعت في دار الدامغاني مؤقتا ، ام انه كانت التقاليد ان م في دار قاضي القضاة ، وفي هذه الحالة فهل ان كل السجلات ام بعضها كان ، ومن الطبيعي ان هذا يقتضي نقل السجلات الى دار قاضي القضاة الجديد عند

ان المصدرين الأساسيين اللذين حوى كل منهما أوسع المعلومات عن خطط بغداد

هما الخطيب البغدادي ، وأحمد بن واضح اليعقوبي . فأما الخطيب فانه لم يذكر عن موقع دواوين بغداد في عهد المنصور سوى اشارة عرضية جاءت عند كلامه عن توسيع مسجد المنصور حيث قال « وكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، وكانت قديما ديوانا للمنصور ، فأمر مفلح التركي ببنائها على يد صاحب القطان ، فنسبت اليه وجعلت مصلى للناس ، وذلك في سنة ستين او واحد وستين ومائتين»[8] ويفهم من هذا النص ان الديوان كان ملاصقا لمسجد المدينة المدورة وانه الغي في وقت مبكر فصار دارا للقطان صاحب مفلح الذي يذكر الطبري انه ولي خراج الموصل ، ثم قتل في طريق عودته منها سنة ٢٦٢[9] ، ولا بد ان هذه الدار كانت في الأصل أحد الدواوين الكبيرة في زمن المنصور ، غير انها أصبحت جزءا من الجامع فيذكر ابن الجوزي انه « قر ابو عبدالله البهلول يوما في دار القطان في الجامع بعد الصلاة يوم الجمعة »[10] .

أما اليعقوبي فقد قدم تفاصيل أوفى عن دواوين المنصور وموقعها حيث انه بعد ان ذكر قصر المنصور والرحبة التي حوله قال « وحول الرحبة كما تدور منازل اولاد المنصور الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده ، وبيت المال ، وخزانة السلاح ، وديوان الرسائل ، وديوان الخراج ، وديوان الخاتم ، وديوان الجند ، وديوان الحوائج ، وديوان الاحشام ، ومطبخ العامة ، وديوان النفقات »[11] . ويلاحظ ان معظم هذه الدواوين تتصل بالخليفة شخصيا ، غير ان بعضها كبيت المال ، وديوان الخراج ، وديوان الجند تتصل أعمالها بالناس .

وذكر اليعقوبي بعض الدواوين خارج المدينة المدورة ، فقد ذكر ان المنصور « أقطع المهاجرين عمرو صاحب ديوان الصدقات في الرحبة التي تجاه باب الكوفة ، فهناك ديوان الصدقات ، وبازائه قطيعة ياسين صاحب النجائب وخان النجائب »[12] . وقدذكر ديوان للصدقات في العصر الاموي ، ثم اختفى ذكره في العصر العباسي ، ولعل عمله يتعلق بالضرائب المحلية المفروضة على أهل بغداد ، وان دواوين اخرى حلت محله في عملها .

ان النص الآنف الذكر يظهر ان أحد الدواوين كان يقع قرب قطاع صاحبه ، غير ان هذا لم يكن قاعدة عامة ، فقد ذكر اليعقوبي قطائع لاصحاب بعض الدواوين التي ذكر موقعها حول الرحبة ، ومن ذلك « ربض أبي الورد كوثر بن اليمان خازن بيت المال » وموقعه قرب القنطرة العتيقة[13] و « قطيعة سليم مولى أمير المؤمنين باب الكوفة في الشارع الاعظم » كما ذكر « قصر وضاح صاحب خزانة السلاح » كما ذكر « مسجد الانباريين

كتاب ديوان الخراج » وموقعه قرب مسجد ابن رغبان[١٤] .

ولما ولي المهدي الخلافة اتخذ مقامه في الجانب الشرقي ، في الرصافة اولا ثم في عيساباذ التي اتخذها ابنه وخلفه موسى الهادي ايضا . وقد رافق انتقال الخليفة الى الرصافة نقل الديوان اليها ، فيذكر الطبري ان عيسى بن موسى عندما فاوضه المهدي على عزله من ولاية العهد في سنة ١٦٠ « بقي (عيسى) منذ فاوضه المهدي على الخلع الى ان اجاب محتسبا عنده في دار الديوان من الرصافة الى ان صار الى الرضا بالخلع والتسليم »[١٥] .

وقد تردد من المصادر ذكر درب الديوان « بالجانب الشرقي بالقرب من جامع المهدي »[١٦] وانه كان في الرصافة[١٧] وكان عند بابه مسجد[١٨] . وذكرت المصادر ممن سكن في هذا الدرب محمد بن علي بن بكر ابن العلاف وبجواره ابو القاسم بن بشران[١٩] ومحمد بن عمر بن بكر النجار[٢٠] وابو القاسم عبدالملك بن محمد[٢١] وعبدالخالق بن عيسى الهاشمي[٢٢] وابراهيم بن الحسين الخزان الذي كان اول من لقن أبا الوفاء بن عقيل القرآن[٢٣] .

ومن الواضح ان هذا الدرب سمي درب الديوان لأنه كان يوصل الى الديوان ، أي ان الديوان كان في الجانب الشرقي بالرصافة وبالقرب من جامع المهدي ، ويدل نص الطبري على ان الديوان كان في الرصافة في أول سني خلافة المهدي ، غير اننا لا نعلم كم من الزمن بقي الديوان في هذا المكان ، خاصة وان المهدي نفسه نقل مقره الى عيساباذ ، كما ان الرشيد والامين اتخذا مقامهما في الجانب الغربي .

ذكر اليعقوبي قطائع عدد غير قليل ممن ولي بعض الدواوين في خلافتي المهدي والهادي ، وكلها في الجانب الشرقي . فمما ذكر « قطيعة ابان بن صدقة الكاتب » و« قطيعة سلمة الوصيف صاحب خزانة سلاح المهدي» و « قطيعة ثابت بن موسى الكاتب على خراج الكوفة وما سقى الفرات » و « قطيعة عبدالله بن زياد بن أبي ليلى الخثعمي الكاتب على ديوان الحجاز والموصل والجزيرة وارمينية واذربيجان » و « قطيعة عبدالله بن محمد بن صفوان القاضي » و « قطيعة سلام مولى المهدي بالمخرم وكان يلي المظالم » و « قطيعة نازي مولى أمير المؤمنين صاحب الدواب واصطبل نازي »[٢٤] ، ان مواقع هذه القطائع في الجانب الشرقي قد تضيف دليلا على ان الدواوين نقلت الى الحجاب الشرقي قريبا من قطائع ولاتها ومن مقام الخليفة .

أما الرشيد فقد اتخذ مقامه في بغداد بالجانب الغربي حيث كان يسكن الخلد[٢٥] .

ومع انه لا توجد اشارة الى مكان الدواوين في زمنه ، إلا ان الأرجح انها جعلت في الجانب الغربي ، ومما يؤيد ذلك ان عددا من ولاة الدواوين في زمن الرشيد كانوا يسكنون الجانب الغربي ، فيذكر الخطيب « وأما مسجد الانباريين فينسب اليهم لكثرة من سكنه منهم ، وأقدم من سكنه منهم زياد القندي ، وكان يتصرف في أيام الرشيد ، وكان الرشيد ولى ابا وكيع ، الجراح بن حكيم ، بيت المال ، فاستخلف زيادا ، وكان زياد من الغالية ، فاختان هو وجماعة من الكتاب ، واقتطعوا من بيت المال »[٢٦] ويقول اليعقوبي في وصفه قطائع تلك المنطقة « ومسجد الانباريين كتاب ديوان الخراج »[٢٧] ويلاحظ ايضا ان الخطيب يذكر ان منازل البرامكة كانت بالقرب من قطيعة الانصار »[٢٨] وهذه القطيعة تقع في هذه المنطقة ايضا . ومن الصعب ان نتصور ان كتاب الخراج في زمن الرشيد يقيمون في جنوبي المدينة المدورة ، في حين ان الديوان وهو محل عملهم ، يقع في الجانب الشرقي .

والراجح ان الدواوين ظلت في الجانب الغربي من خلافة الامين الذي كان مقامه في ذلك الجانب .

ولما قتل الامين ، أرسل المأمون الحسن بن سهل واليا على بغداد ، وكان فيما يظهر يقيم في القصر الحسني الذي أصبح مقر الخلفاء بعد عودتهم من سامراء ، وقد أقام المأمون في هذا القصر ، ثم في قصر المأمون بقربه ، ولا نعلم مكان الدواوين في زمن المأمون .

وفي أوائل خلافة المعتصم بنيت سامراء وانتقل اليها الخليفة ، وأصبحت دار الخلافة لسبعة خلفاء متتابعين ، ويبدو ان الدواوين الرئيسة في الدولة نقلت الى سامراء ، حيث يذكر اليعقوبي الذي يعتبر كتابه اوسع ما وصلنا عن سامراء ، ان ديوان الخراج الاعظم كان في الشارع الكبير المسمى بالسريجة[٢٩] ، وان الخزائن الخاصة قرب دار العامة[٣٠] ، أما المتوكل فانه لما بنى مدينته في شمالي سامراء نقل اليها « ديوان الخراج ، وديوان الضياع ، وديوان الزمام ، وديوان الجند والشاكرية ، وديوان الموالي والغلمان ، وديوان البريد ، وجميع الدواوين »[٣١] .

ولما عاد الخلفاء العباسيون الى بغداد بني المعتضد قصر الثريا واتخذه مقرا له قبل ان يبنى التاج ، ويبدو انه جعل الدواوين في الثريا ، فيروي الصابي عن ابي القاسم ابن الزنجي الذي يروي عن ابن عمه ابي الطيب احمد بن اسماعيل الذي قال «مضيت في يوم من الايام على الرسم الى الديوان بالثريا»[٣٢].

يذكر الصابي ان الديوان كان «في الدار المعروفة بفتح القلانس»[٣٣] ولم اجد في

المصادر اشارة الى موقع هذه الدار غير ان الديوان نقل بعدئذ الى دار الخلافة ، اذ يذكر ابو القاسم عن ابيه انه قال «كنت يوما بحضرة ابي العباس بن الفرات في الديـوان في دار السلطان اذ جاء خادم . . »[٣٤] .

ثم نقل الديوان الى دار الوزارة بالمخرم ، كما سنذكر فيما بعد .

أما في الأزمنة المتأخرة فيذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٥٦ « كان الديوان بجنب الدار التي يسكنها الوزير ابن هبيرة قبل ان ينتقل هذا الوزير ابن صدقة »[٣٥] ، ويذكر ايضا انه على اثر فيضان سنة ٥٦٩ كثر النزيز بدار الخلافـة ، فكان الخليفـة يخرج من بـاب الفردوس الى ناحية الديوان ويمضي الى الجامع[٣٦] .

الوزارة :

أنشأ العباسيون في بداية توليهم الخلافة منصب الوزارة وجعلوها أعلى مؤسسة ادارية في الدولة بعد الخلافة ، وكان اختيار الوزير وعزله بيد الخليفة وقد اختلفت المـدة التي قضاها كل منهم في الوزارة ، فبعضهم أشغلها لمدة قصيرة تقل عن السنّة ، وبعضهم ظل يشغلها عدة سنوات ، كما ان بعضهم اعيد الى الوزارة اكثر من مرة . وكانوا يختارون من حيث العموم من ذوي المكانة في الادارة والبلاط وقد نكب بعضهم بعد عزله ، ولكن أغلبهم كان يمتلك ثروات كبيرة وضياعا واسعة .

ولم تكن سلطات كافة الـوزراء واحدة ، فبعضهم تمتـع بسلطات ادارية واسعـة وبعضهم لم يعط إلا سلطات محدودة ، حتى ان الماوردي ، وهو من أعظم من بحث النظم الادارية العباسية ، صنف الوزارة صنفين رئيسن ، اولهما وزارة التفويض التي يمارس فيها الوزير كافة سلطات الخليفة في الادارة ، ما عدا حق تعيين ولي العهد او عزل الخليفة ، والثاني وزارة التنفيذ الذي تقتصر سلطته فيها على تنفيذ أوامر االخليفة وقراراته . ولكنه حتى في هذه الحالة كان يتمتع بسلطات واسعة . ومن حيث العموم فان مدى سلطات الوزير تتوقف على شخصية الخليفة ومقدار ما يمنحه للوزير من الحقوق .

وكانت الوزارة منذ بداية نشأتها وثيقة الصلة بالدواوين ، لأن الوزير هو المسؤول الأول عن ادارتها كما ان كثيرا ممن وليها ، وخاصة في القرن الثالث واوائل القرن الرابع ، كانوا في الأصل من كتاب الدواوين .

وكان الوزراء في خلافة ابي جعفر المنصور ذوي سلطة سياسية وادارية محدودة في

الدولة ، وكان معظمهم يتحاشى ان يلقب بالوزير ، كما ان الكتب كثيرا ما كانت تطلق عليه لقب « الكاتب » ثم ازدادت اهميتهم منذ ان ولي المهدي الخلافة ، واستمرت هذه الأهمية عموما حتى سنة ٣٢٤ حين انشىء منصب أمير الامراء « وبطل منذ يومئذ أمر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط ، وان يحضر في أيام المواكب دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ويقف ساكتا ، وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الامر كله ، وكذلك كل من تقلد الامارة بعد ابن رائق الى هذه الغاية ، وصارت أموال النواحي تحمل الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها وينفقون كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون ، وبطلت بيوت الأموال »(٣٧) .

لم تذكر المصادر مركز عمل الوزير او من يقوم بعمله ، في زمن كل من أبي جعفر المنصور ، والمهدي ، والهادي . ولكنها ذكرت أماكن سكن معظم من أشغل منصب الوزارة او الاشراف على الدواوين ، ففي خلافة المنصور أشغلها كل من خالد بن برمك وعبدالملك بن حميد وأبو أيوب المورياني ، والربيع بن يونس ، فأما خالد بن برمك فان الخطيب يذكر ان « منازل البرامكة بالقرب من قطيعة الانصار »(٣٨) . ويذكر الجهشياري « كان خالد بن برمك ينزل بالشماسية في الموضع المعروف بسويقة خالد ، وهو اقطاع من المهدي(٣٩) ويذكر اليعقوبي الطرق التي تتفرع من الجسر في الجانب الشرقي ومنها « طريق ذات اليسار الى باب البردان ، وهناك منزل خالد بن برمك وولده »(٤٠) ومن الواضح ان الجهشياري واليعقوبي يشيران الى اقطاع واحد هو الذي في الجانب الشرقي ، وهو الذي يذكر الجهشياري انه اقطاع من المهدي . أما الاقطاع الذي ذكره الخطيب ، وموقعه جنوبي المدينة المدورة وخارجها وبالقرب من اقطاعات معظم أصحاب الدواوين في زمن المنصور ، فهو فيما يظهر اقطاع من المنصور .

أما ربض عبدالملك بن حميد(٤١) وربض ابي ايوب الانصاري(٤٢) فيقعان في شمالي المدينة المدورة خارجها . ولا بد ان منازل كل منهما كانت تقع في ربض .

اما الربيع بن يونس فان قطيعته كانت في الكرخ وهي مشهورة(٤٣) .

ويتبين من هذا ان قطائع الذين أشغلوا منصب الوزارة او قاموا بعملها في زمن أبي جعفر ، كانت كلها في الجانب الغربي وبالقرب من المدينة المدورة وخارجها .

اما في خلافة المهدي ، فقد اشغل منصب الوزارة او عملها كل من أبي عبيدالله

معاوية ، ويعقوب بن داود ، وعمر بن تهمان ، والربيع بن يونس ، والفيض بن صالح فلم أجد ذكر اقطاع لأي منها ، وأما الربيع بن يونس فقد ذكرنا قطيعته في الجانب الغربي ، أما أبي عبيدالله فكانت له سويقة في الجانب الشرقي(٤٤) ولعلها نشأت في اقطاعه وان مسكنه كان هناك .

وأما يعقوب بن داود فكانت له في الجانب الشرقي(٤٥) قطيعة ورحبة(٤٦) .

ويلاحظ ان المهدي جعل مقره ودواوينه في الجانب الشرقي .

اما في خلافة موسى الهادي القصيرة الأمد ، فقد كان الوزير هو الفيض بن صالح الذي أشرنا من قبل الى عدم ذكر المصادر محل سكناه .

وفي زمن الرشيد هيمن على الوزارة يحيى البرمكي واولاده . فأما يحيى فكان له قصر الطين الذي بناه بباب الشماسية(٤٧) ، وأما جعفر بن يحيى فكانت داره في سويقة جعفر(٤٨) وهي بالقرب من باب الطاق وأما الفضل بن يحيى فلم أجد في المصادر ذكرا لمكان مسكنه .

ويلاحظ ان يحيى بن خالد كان يقيم في أول خلافة الرشيد في قصر الخلد مع الخليفة .

ولما نكب الرشيد البرامكة ولي الوزارة الفضل بن الربيع الذي ظل يشغلها طوال خلافة الأمين ، ولم تذكر المصادر محل سكناه ، ولعله كان يسكن في قطيعة الربيع .

أما في خلافة المأمون فقد أشغل الوزارة ببغداد كل من الحسن بن سهل وأحمد بي أبي خالد ، وأحمد بن يوسف بن القاسم ، وأبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار وأبو عبدالله محمد بن يزداء . ولم أجد ذكرا لمنازل هؤلاء إلا الحسن بن سهل الذي سكن القصر الحسني الذي أصبح فيما بعد من أبنية دار الخلافة .

ولما أعاد العباسيون مقر خلافتهم الى بغداد تعاقب على الوزارة حتى سنة ٣٣٤ ستة وعشرون وزيرا ، فمنهم عدد ينتمي الى اسرة واحدة ، فقد ولي من آل وهب كل من سليمان بن وهب (٢٥٥ ، ٢٦٣ ـ ٥) وعبدالله بن سليمان بن وهب (٢٧٧ ـ ٢٨٨) والقاسم بن عبيدالله (٢٨٨ ـ ٢٩١) ومحمد بن القاسم بن عبيدالله (٣٢١) .

ووليها من آل مخلد كل من الحسن بن مخلد (٢٦٤) وابنه سليمان (٣١٨ ـ ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ـ ٣٢٩) .

ووليها من آل الفرات كل من علي بن محمد بن الفرات (٢٩٦ ـ ٢٩٩ ، ٣٠٤ ـ ٦ ، ٣١١ والفضل بن جعفر بن الفرات ٣٢٠ ، ٣٢٤ ـ ٦ ، ٣٢٧) .

ووليها من آل الخاقاني كل من محمد بن عبيدالله الخاقاني (٢٩٩ ـ ٣٠١) وابنه

عبيدالله (٣١٢ - ٣١٣) .
ووليها علي بن عيسى الجراح (٣٠١ - ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣١٦) وأخوه عبدالرحمن بن عيسى (٣٢٤) .
ووليها كل من أحمد بن صالح بن شيرزاد (٢٧٧) والعباس بن الحسن الجرجرائي (٢٩١ - ٦) وحامد بن العباس (٣٠٦ - ٣١١) واحمد بن عبيدالله الخصيبي (٣١٣ - ٤) (٣٢١ - ٢) ومحمد بن علي بن الحسن بن مقلة (٣١٦ - ٨ ، ٣٢٠ - ١ ، ٣٢٢ - ٤ ، ٣٢٦ - ٧ ، ٣٣١ - ٢) وأحمد بن محمد البريدي (٣٢٧ - ٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠) وكذلك كل من اسماعيل بن بلبل (٢٦٥ - ٢٧٧) وعبيدالله بن محمد الكلواذاني (٣١٩) والحسين بن القاسم (٣١٩ - ٢٠) ومحمد بن القاسم الكرخي (٣٢٤ ، ٣٢٩) وأحمد بن محمد بن ميمون (٣٢٩) ومحمد بن أحمد الاسكافي (٣٢٩ ، ٣٣٠) وأبو عبدالله الكرخي (٣٢٩ - ٣٠) ومحمد بن علي السامري (٣٣٣ - ٤)[٤٩] .
لم أجد في المصادر ذكرا لمنازل الثمانية الأخيرين أما الذين قبلهم فان دار البريدي كانت في سوق يحيى[٥٠] ودار ابن مقلة في الزاهر[٥١] ودار الخصيبي في قنطرة الأنصار[٥٢] ودار حامد بن العباس في المخرم[٥٣] ودار العباس بن الحسن الجرجرائي « الى دجلة وظهرها الى البستان المعروف بالزاهر »[٥٤] ودار أحمد بن صالح بن شيرزاد بالدور مما يلي قصر جعفر بن يحيى بن خالد[٥٥] وهي قرب دار طازاد التي في قصر فرج على شاطىء دجلة[٥٦] ودار علي بن عيسى في سوق العطش[٥٧] ودار الخاقاني بباب الشماسية[٥٨] ودار ابن الفرات في سوق العطش[٥٩] ودار سليمان بن الحسن بباب المحول[٦٠] .

دار الوزارة :

يتردد في المصادر ان الوزارة وخاصة في عهد خلافة المقتدر كان مقرها في دار سليمان بن وهب الذي كان ينحدر من اسرة تتابع أفرادها في الكتابة في العصرين الاموي والعباسي . وقد أصبح سليمان بن وهب كاتبا للحسن بن سهل وللمأمون ثم ولي الوزارة للمهتدي في سنة ٢٥٥ ثم عزل واعيد تعيينه سنة ٢٦٣ - ٢٦٤ ، ثم عزله الموفق وأعاده بعد فترة فظل في الوزارة سنة ٢٦٤ - ٢٦٥ وقد ساهم في الأحداث في زمنه ، وقد غضب عليه المعتمد في سنة ٢٦٤ وحبسه ثم أطلق سراحه ، ولكنه في السنة التالية « أمر أبو أحمد بحبس سليمان بن وهب وابنه عبيدالله ، فحبسا وعده من أسبابهم في دار أبي أحمد ، وانتهبت دور

عدة من أسبابه ووكل بحفظ داري سليمان وابنه عبيدالله ، وأمر بقبض أموالهما وأموال أسبابهم وضياعهم خلا أحمد ابن سليمان ، ثم صولح سليمان وابنه عبيدالله على تسعمائة الف دينار ، وصيرا في موضع يطل اليهما »[61] وقد ظل سليمان في حبس الموفق حتى توفي سنة ٢٧٢[62] .

وقد ذكر الخطيب أصل هذه الدار حيث قال نقلا عن ابن عرفة « وأما شاطىء دجلة من الجانب الشرقي فأوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت .

ودار دينار

دار رجاء بن أبي الضحاك

ثم منازل الهاشميين

ثم قصر المعتصم وقصر المأمون

ثم منازل آل وهب ، الى الجسر كانت اقطاعا لناس من الهاشميين ومن حاشية الخلفاء »[63] .

ومن الواضح ان الجسر المذكور في هذا النص هو الذي يتصل بباب الشعير في الجانب الغربي[64] ، وان هذه المنازل تقع جنوبي الجسر ، وانها كانت قرب قصري المعتصم والمأمون ، وهي تبعد مسافة عن دار الخلافة ، حيث تقع بينهما عدة دور . ومع ان نص الخطيب لا يذكر صراحة دار سليمان بن وهب ، إلا ان سياق الكلام يقتضي ان هذه الدار هي المقصودة ، او هي الرئيسة من دور آل وهب .

ويتضح من نص الخطيب ان منازل آل وهب كانت في الأصل اقطاعا لبعض الهاشميين ، ولعل آل وهب حصلوا عليها في خلافة المأمون ، ولا بد ان سليمان لم يسكن فيها كثيرا لأنه خدم واستوزر للخلفاء العباسيين في سامراء الذين لم يعودوا الى بغداد إلا سنة ٢٧٨ هـ ، أي بعد وفاة سليمان بعدة سنوات .

لم تذكر المصادر مصير دار سليان بعد حبس صاحبها ، ولعلها عادت اليه بعد مصالحته ، ولعله أشغلها من بعده ابنه عبيدالله بن سليمان بن وهب الذي ظل في الوزارة من سنة ٢٧٧ الى سنة ٢٨٨ ، أي طوال السنوات العشر الاولى من عودة الخلفاء الى بغداد واتخاذهم مقرا في قصر الحسن بن سهل . والراجح ان هذه الدار انتقلت الى القاسم بن عبيدالله الذي أعقب أباه في الوزارة وظل فيها الى وفاته سنة ٢٩١ ، ولعلها كانت خلال وزارة سليمان وابنه وحفيده مركز الوزارة .

وقد صارت هذه الدار للعباس بن الحسن الذي أعقب القاسم بن عبيدالله في الوزارة وظل فيها من سنة ٢٩١ - ٢٩٦ ، فلما عزل المقتدر العزلة الاولى سنة ٢٩٦ انصرف العباس بن الحسن « الى المخرم وجلس في دار سليمان بن وهب »[٦٥] ويبدو ان هذه الدار قد أصبحت دار الوزارة ، اذ ان الهمداني يذكر ان العباس عاد الى « دار الوزارة بالمخرم »[٦٦] .

ولما ولي ابن الفرات الوزارة بعد العباس ، أقطعه المقتدر هذه الدار ، فيذكر الصابي « وانتقل ابو الحسن (علي) بن الفرات من بعد ذلك الى ما أقطعه المقتدر بالله من دار سليمان بن وهب بباب المخرم على دجلة وما يجاورها من دار ابراهيم بن سليمان ، والاصطبل الذي كان للسلطان ، والدور التي كانت في يد داية المكتفي بالله ، ومساحة ذلك مائة الف وثلاثة وسبعون الفا وثلاثمائة وستة واربعون ذراعا ، وغير ذلك وجدده وانشأ المجالس الجليلة والابنية الحسنة ، وعمل للدار مسناة مشرفة على دجلة »[٦٧] .

ويتبين من هذا ان رقعة دار الوزارة اصبحت ٤٠٢ × ٤٢٠ ذراعا اذا افترضنا انها كانت مربعة المساحة ، وانها كانت تشمل دور كل من سليمان ، وابراهيم ، وداية المكتفي بالاضافة الى اصطبل السلطان ، أي ان دار سليمان بن وهب صارت بعض دار الوزارة ، غير ان المصادر لا تذكر موقع دار سليمان من دار الوزارة الجديدة .

ويبدو ان حامد بن العباس اشغل هذه الدار في وزارته ، ثم أقطعها المقتدر بالله ابنه أبا العباس[٦٨] ، غير ان ابن الفرات لما عاد الى الوزارة « سأل ان يعاد الى داره بالمخرم ، وكانت اقطعت للأمير ابي العباس ، فأذن له المقتدر في ذلك ، وكان ذلك في سنة ٣١١ »[٦٩] ، ويدل هذا النص ان هذه الدار كانت ملكيتها للخليفة ، وان اقطاعها لابنه لم يقصد منه نقل ملكيتها الى ابي العباس . غير ان المصادر لم تذكر كيف آلت ملكية هذه الدار الى الخليفة .

ويروي الصابي عن أبي القاسم بن زنجي « سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول في وزارته الثالثة في سنة ٣١١ انه اتفق على الدار التي كان ينزلها في ذلك الوقت وفيها قبض عليه ، وهي دار سليمان بن وهب ، وموقعها في المخرم ، وفي يد الحاجب الكبير أبي منصور سبكتكين الآن شيء منها ، وفي يد ابن لشكرون شيء آخر ، وفي أيدي قوم من قواد الديلم الباقي « ثلاثمائة الف دينار »[٧٠] .

وقد ظلت هذه الدار تحتفظ بنسبتها الى صاحبها الاول فتسمى دار سليمان ابن

وهب[71] . ونظرا لطول اقامة ابن الفرات فيها وما أدخله من تعميرات عليها ، فقد سميت ايضا في بعض المصادر دار ابن الفرات[72] ثم انها باعتبارها مقر الوزارة ، كانت تسمى ايضا دار الوزارة[73] .

وتقع هذه الدار بباب المخرم[74] على دجلة[75] ، عند الجسر ، ويذكر ابن عرفة ما يدل على ان الجسر كان شماليها[76] . غير ان الصولي يذكر انها «فوق الجسر»[77] وهذا النص الغامض قد يدل على انها في جنوبي الجسر ، او انها في شماليه ، فان كان الاخير فانه يدل على ان الجسر قد حول بعد ان عرفه الى الجنوب وعند هذه الدار تقع مشرعة الصخر[77] .

ولما كان هذه الدار اصبحت لسبكتين ، ثم صارت دار المملكة «محاذية للفرضة»[79] فتكون الفرضة قرب مشرعة الصخر او لعلها هي نفس المشرعة .

ولما كانت هذه الدار مقر الوزارة ، فقد كانوا يمارسون اعمالهم فيها ، وقد تردد ذكر ذلك في المصادر ، فيذكر مسكويه ان علي بن عيسى في وزارته سنة ٣٠٣ «صار ينظر في الاعمال في دار الوزارة بالمخرم»[80] ويذكر ايضا ان أبا القاسم الكلواذاني لما ولي الوزارة «صار ينظر في الاعمال في دار الوزارة بالمخرم»[81] ويذكر الصابي ان علي بن عيسى في وزارته الثانية سنة ٣٠٣ صار الى «دار الوزارة بالمخرم وقد جعلها ديوانا»[82] كما يقول انه لما وزر سنة ٣٠٣ «اقام في هذه الدار ثم نقل الدواوين اليها»[83] ويبدو من هذا النص ان الدواوين لم تكن في دار الوزارة حتى نقلها اليها علي بن عيسى .

يذكر مسكويه[84] والصابي[85] ان ابن الفرات أقطع هذه الدار ، غير ان المعلومات المتوفرة في المصادر تدل على ان هذه الدار كانت مقر الوزارة ويسكنها الوزراء خلال اشغالهم ذلك المنصب فحسب ، وان ملكيتها تعود الى الدولة .

كانت دار الوزارة بالمخرم واسعة ، فيها عدة بيوت ، ذكرت المصادر منها « بيت يعرف بالدمشقي » كانت فيه سجلات بلغت حتى السقف[86] ، كما كانت فيها دار للمستخرج ابن بعد شر[87] ، وفيها أيضا الدار الجديدة[88] .

وفي دار الوزارة ايضا كانت دار البستان التي يذكر الصابي ان ابن الفرات في وزارته الثالثة (سنة ٣١١) « اشتهى في وزارته هذه ان يجمع حرمه وبنات اخوته وأصاغر ولده في الدار المعروفة بدار البستان المعروفة بدار سليمان بن وهب ، فتقدم باصلاحها وتنظيفها وانفاق ما يحتاج اليه من تبييضها ، فبلغت النفقة خمسين الف دينار ، وجلس وهم فيها يوما واحدا ، ولم يعد بعد ذلك الى الجلوس معهم فيها »[89] .

وكانت نفقات « من يرسم دار الوزارة من خلفاء الحجاب والبوابين وأصحاب الرسائل وانزال الفرسان والرجالة عشرين الف دينار »[٩٠] .

ظلت دار الوزارة هذه حتى سنة ٣٢١ حين « خرج أمر القاهر ببيع دار المخرم التي كانت برسم الوزارة ، وكانت قديما لسليمان بن وهب فقطعت وبيعت من جماعة من الناس لأن ذرعها يشتمل على أكثر من ثلاثمائة الف ذراع ، وصرف عنها من مال الصلة لبيعة القاهر »[٩١] .

ويذكر الصابي في كلامه عن هذه الدار « وفي يد الحاجب الكبير منصور سبكتكين الآن شيء منهاوفي يد ابن لشكره شيء آخر ، وفي أيدي قوم من قواد الديلم الباقي »[٩٢] .

ولما دخل البويهيون بغداد ، صاروا يمارسون الحكم والادارة بأنفسهم فلم يعد للخليفة إلا الاسم ، ثم انهم وزعوا العراق اقطاعات ، فبطلت العمارات واغلقت الدواوين ومحي أثر الكتابة والعمالة[٩٣] .

دار المملكة :

وقد شيد معز الدولة به قصرا في أعلى الشماسية ، أما عز الدولة فبنى له قصرا في الحريم الطاهري ، فلما جاء عضد الدولة أعاد تعمير المكان الذي كانت فيه دار الوزارة قديما وسماها دار المملكة .

ويقول الصابي « طورد عضد الدولة والأمر جار على ذلك لعز الدولة ، فسأل الطائع لله الاذن له في ضرب الطبل على باب داره بالمخرم التي هي اليوم دار المملكة وكانت من قبله لسبكتكين الحاجب ، ففعل ذلك »[٩٤] .

أما دار المملكة فالمقصود بها ما بناه المعتضد ، وقد وصفها هلال بن المحسن حيث قال : كانت دار المملكة التي بأعلى المخرم محاذية الفرضة قديما لسبكتكين غلام معز الدولة فنقض عضد الدولة أكثرها ، ولم يستبق إلا البيت الستيني الذي هو في وسط أروقة من ورائها أروقة ، في أطرافها قباب معقودة ، وتتفتح أبوابه الغربية الى دجلة وأبوابه الشرقية الى صحن من خلفه بستان ونخل وشجر . وكان عضد الدولة جعل الدار التي هذا البيت فيها دار العامة ، والبيت برسم جلوس الوزراء وما يتصل به من الاروضة والقباب ، مواضع للدواوين ، والصحن مناما لديلم النوبة في ليالي الصيف .

قال هلال : وهذه الدار وما تحتوي عليه من البيت المذكور والاروقة خراب ولقد

شاهدت مجلس الوزراء من ذلك ومحفل من يقصدهم ويحضرهم ، وقد جعله جلال الدولة اصطبلا أقام فيه دوابه وسواسه . وأما بناء عضد الدولة وولده بعده في هذه الدار فهو متماسك على تشعثه[٩٥] .

وينقل الخطيب عن القاضي أبي القاسم التنوخي عن أبيه « حاشيت الملك عضد الدولة في دار المملكة بالمخرم التي كانت دار سبكتكين حاجب معز الدولة من قبل ، وهو يتأمل ما عمل وهدم منها ، وقد كان أراد ان يترك في الميدان لسبكتكين اذرعا ليجعله بستانا ويرد بدل التراب رملا ويطرح التراب تحت الروشن على دجلة ، وقد ابتاع دورا كثيرة كبارا وصغارا ونقضها ورمى حيطانها بالفيلة تخفيفا للمؤونة ، وأضاف عرصتها الى الميدان ، وكانت مثل الميدان دفعتين ، وبنى على الجميع مسناة . . فلما فرغ من ذلك وصار البستان ارضا بيضاء لا شيء فيها من غرس ولا نبات : قال : « قد انفق على هذا حتى صار كذا أكثر من الفي الف درهم صحاحا ، ثم فكر في ان يجعل شرب البستان من دواليب ينصبها على دجلة ، وعلم ان الدواليب لا تكفي ، فأخرج المهندسين الى الأنهار التي في ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام ليستخرجوا منها نهرا يسيح ماؤه الى داره ، فلم يجدوا ما أراده إلا في نهر الخالص ، فعلى الارض بين البلد وبينه تعلية أمكن معها ان يجري الماء على قدر من غير ان يحدث به ضرر ، وعمل تلين عظيمين يساويان سطح ماء الخالص ، ويرتفعان عن ارض الصحراء اذرعا ، وشق من وسطهما نهرا جعل له خورين من جانبيه ، وداس الجميع بالفيلة دوسا كثيرا حتى قوي واشتد وصلب وتلبد ، فلما بلغ الى منازل البلد وأراد سوق النهر الى داره ، عمد الى درب السلسلة فدك أرضه دكا قويا ، ورفع ابواب الدور وأوثقها ، وبنى جوانب النهر طول البلد بالآجر والكلس والنورة ، حتى وصل الماء الى الدار وسقى البستان .

قال أبي وبلغت النفقة على عمل البستان وسوق الماء اليه على ما سمعته من حواشي عضد الدولة خمسة آلاف الف درهم . ولعله قد أنفق على أبنية الدار على ما أظن مثل ذلك ، وكان عضد الدولة عازما على ان يهدم الدور التي بين داره وبين الزاهر ، ويصل لدار بالزاهر ، فمات قبل ذلك »[٩٦] .

ويقول ابن الجوزي انه في سنة ٣٧١ أمر عضد الدولة بحفر نهر من عمود الخالص وسياقة الماء الى بستان داره فبدىء في ذلك ، وحشر الرجال لعماله »[٩٧] .

ويقول ايضا انه في سنة ٣٧٢ « في المخرم فتح الماء الذي استخرجه عضد الدولة من

الخالص الى داره وبستان الزاهر »[٩٨] ويذكر ايضا ان عضد الدولة « غرس الزاهر وهو دار أبي علي بن ملقة وكانت قد صارت تلا»[٩٩] .

ففي سنة ٣٧٩ توفي شرف الدولة ، فركب « الطائع لله الطيار وسار الى دار المملكة بالمخرم لتعزية أبي نصر (بهاء الدولة) ، وقد رد بهاء الدولة الزيارة للخليفة ثم عاد الى دار المملكة »[١٠٠] . ولما عزل الطائع « اصعد به الى الخزانة في دار المملكة »[١٠١] ويلاحظ ان بهاء الدولة نقل اخته زوجة الطائع لله الى دار بمشرعة الصخر القريبة من دار المملكة[١٠٢] .

ولما جاء جلال الدولة بغداد سنة ٤١٨ دخل دار المملكة[١٠٣] ، وفي السنة التالية حاصرها الجند[١٠٤] ، ثم لما اضطربت بغداد على جلال الدولة « نقل السلطان ماله من كراع الى دار المملكة ، وعملت هناك المعالف »[١٠٥] .

وفي سنة ٤٢٧ « نهب الجند دار المملكة وأبوابها وساجها ورتبوا فيها حفظة،فكانت الحفظة تخربها نهارا ، وتنقل ما اجتمع من ذلك ليلا[١٠٦] .

ولما توفي جلال الدولة ، « دفن في بيت دار المملكة في بيت كان قد دفن فيه عضد الدولة وبهاء الدولة قبل نقلهما ، ثم نقل تابوته الى تربتهم في مقابر قريش[١٠٧] .

ولما ورد طغرلبك بغداد نزل دار الملكة وتفرق عسكره في دور الأتراك[١٠٨] .

دار المملكة في العهد السلجوقي :

يذكر الخطيب « ولما ورد طغرلبك الغزى بغداد واستولى عليها ، عمر هذه الدار (دار المملكة التي بناها عضد الدولة) وجدد كثيرا مما كان ، وهي منها ، في سنة ٤٤٨ »[١٠٩] .

وأورد ابن الجوزي عن عمل طغرلبك تفاصيل أوفى حيث ذكر في حوادث سنة ٤٤٨ « وفي هذه السنة ابتدأ السلطان طغرلبك ببناء سور عريض دخل فيه قطعة كثيرة من المخرم ، وعزم على بناء دار فيها وجمع الصناع لتجديد دار المملكة العضدية ، وخربت الدور والدرب والمحال والأسواق بالجانب الشرقي وجميع ما يقارب الدار وأخذت الأنهار للاستعمال ، ونقضت دور الأتراك وسلت أخشابها بالجانب الغربي . وقلع الفقراء أخشاب الدور وباعوه على الخبازين والفراشين »[١١٠] .

وقد نقل سبط ابن الجوزي رواية جده مع بعض الاختلافات حيث قال في حوادث سنة ٤٤٨ « ابتدأ طغرلبك بعمارة سور عريض على داره ، دخل فيه قطعة كبيرة من المخرم

ودار الفيل ، وجمع الصناع لتجديد دار المملكة العضدية ، وبنى عليها أبراج ، وخربت الدور والأسواق المجاورة لها بالجانب الشرقي ، وقلعت أخشاب دور الأتراك في الجانب الغربي وحملت اليها »[111] .

ويذكر الخطيب بعد النص الذي أوردناه اعلاه « . . فمكثت كذلك الى سنة خمسين وأربعمائة ، ثم احرقت وسلب أكثر آلاتها ، ثم عمرت بعد واعيد ما كان أخذ منها »[112] .

لم يذكر ابن الجوزي في حوادث ٤٥٠ احتراق دار المملكة ، غير انه ذكر الحوادث الجسام التي حدثت في تلك السنة ببغداد ، فقد كان طغرلبك غائبا عنها ، وقد بدأت السنة بانحلال الأمن في بغداد وانقسام السلاجقة فيها ، وقطع الجسر وهو يقول « وركب رئيس الرؤساء وعميد العراق الى دار المملكة وأخذاما يصلح من السلاح ، وضرّبا الباقي النار » ، ثم أعقب ذلك دخول البساسيري بغداد ، وعقده الجسر بباب الطاق ونزوله الزاهر ، ومحاولة الخليفة مقاومته[113] .

أما اعادة تعميرها فلا بد انه تم قبل سنة ٤٦٠ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها الخطيب .

يذكر ابن الجوزي انه في سنة ٤٨٥ هـ تقدم السلطان ملكشاه « ببناء سوق المدينة المقاربة داره التي بمدينة طغرلبك ، وبنى فيها خانات الباعة وسوقا عنده دروب . . والجامع الذي تمم بآخره على أيدي بهروز في سنة ٥٢٤ ، وتولى السلطان تقدير هذا الجامع بنفسه . . وجلبت أخشابه من جامع سامراء ، وكثرت العمارة بالسوق واستأجر نظام الملك بستان الجسر وما يليه من وقوف المارستان مدة خمسين سنة ، واستأجر لعمارة ذلك دارا ، وأهدى اليه ابو الحسن الهروي خانه »[114] .

فأما السوق فانه لم يبق طويلا اذ ان السلطان محمد في سنة ٤٩٦ « تقدم بنقض السوق التي استجدها جلال الدولة ملكشاه بالمدينة المعروفة بطغرلبك ، وكانت مرسومة بالصباغين بعد خروجه ، والسوق التي كان بها البزازون أيام دخوله ، والمدرسة التي بنتها تركان خاتون ، وكانوا قد انفقوا على ذلك الاموال الجمة ، فنقض ذلك كله »[115] . ولم تذكر المصادر تجديد السوق ، غير ان ابن الجوزي يذكر انه في سنة ٥٥١ وقع حريق في سوق السلطان[116] .

اما الجامع فان ابن الجوزي يذكر ان « ملكشاه بنى الجامع الذي يقال له جامع السلطان ببغداد »[117] ويذكر انه في سنة ٤٩٤ « في يوم الأضحى بعث الخليفة للسلطان

منبرا فنصب في دار المملكة »[118] والمفروض من ارسال المنبر وجود جامع في دار المملكة ، غير ان ابن الجوزي نفسه يذكر انه في سنة ٥٠٢ « شرع من عمارة جامع السلطان ، وأتمه بهروز الخادم »[119] ، وكان هذا الجامع على دجلة[120] وتقام فيه صلاة الجمعة[121] ، وله خطيب[122] ، وفيه مقصورة[123] .

يقول ابن الجوزي انه في سنة ٥٠٢ « شرع في عمارة جامع السلطان ، وأتمه بهروز الخادم »[124] ، ولما كانت الدلائل تشير الى وجود جامع قبل هذا التاريخ ، فالراجح ان المقصود بالنص هو اعادة تعميره ، ولعل الجامع القديم هدم سنة ٤٩٦ واشار اليه النص الذي ذكرنا باسم المدرسة التي بنتها تركان خاتون .

ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٠٢ أيضا فوض السلطان بهروز عمارة دار المملكة[125] ، وفي سنة ٥٠٩ « تكاملت عمارة الدار التي استجدها بهروز الخادم من الدار السلطانية ، وحمل اليها أعيان الدولة الفروش الحسنة والكسي الرائقة ، واستدعى القراء والفقهاء والقضاة والصوفية ، فقرأوا فيها القرآن ثلاثة أيام متوالية »[126] .

ويذكر سبط ابن الجوزي ان هذه الدار « بناها بهروز الخادم من أنقاض دور الناس واستعجل في عمارتها أهل بغداد ، حتى القضاة والأشراف والأعيان ، وكانوا ينقلون الأنقاض في طيالستهم ، ولما كملت أمرهم بهروز ان يحملوا اليها الفرش والبسط والآنية وغيرها ، فحمل الناس اليه ذلك »[127] .

وذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥١٥ « وقع الحريق في دار المملكة ، فاحترقت الدار التي استجدها بهروز الخادم . . وذهب من الفرش والآلات والأواني واللؤلؤ والجوهر ما يزيد قيمته على ألف ألف دينار وغسل غسالون التراب فظفروا بالذهب والحلي سبائك ، ولم يسلم من الدار شيء ، ولا خشبة واحدة .

وعاد السلطان الى دار المملكة وتقدم ببناء داره على المسناة المستجدة وان تعمل ازاجا استظهارا ، وأعرض عن الدار التي احترقت وقال ان أبي لم يتمتع بها ولا امتد بقاؤه بعد انتقاله اليها ، وقد ذهبت أموالنا فلا اريد عمارتها »[128] .

ونقل سبط ابن الجوزي خبر هذا الحريق بالنص تقريبا في قسمه الأول الى كلمة « ولا خشبة واحدة ، ولكنه أورد القسم الثاني من النص كما يلي « وقال السلطان لا حاجة لنا الى بناء هذه الدار التي لم يتمتع بها أبي ولا طال بقاؤه ، وذهبت أموالنا وأرزاقنا فيها ، يكفينا دار المملكة العتيقة »[129] .

أما المسناة المستجدة التي بنيت الدار عليها فلم أجد عنها معلومات محددة ، ولعلها هي التي أشار اليها ابن الجوزي في كلامه عن حوادث سنة ٤٨٠ حيث قال ان فيها « جددت على الزاهر مسناة كان لها أساس قائم وغرس فيه نخل وشجر ، وسور عليها ، وذلك بأمر السلطان ملكشاه »(١٣٠) .

وظل اسم « دار المملكة » يتردد بعد حريق ٥١٥ ، فيذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٣٠ « دخل داوود المملكة »(١٣١) ، وفي سنة ٥٣٤ وصلت خاتون بنت محمد زوجة المقتفي مع أخيها مسعود « وأقامت عنده بدار المملكة(١٣٢) ان عباس شحنه الذي « استدعى الى دار المملكة » في سنة ٥٤١(١٣٣) .

غير انه منذ ذلك التاريخ ينقطع ذكر دار المملكة ، ويذكر مكانه دار السلطان ، فيذكر ابن الجوزي ان عباس شحنه « قتل في دار السلطان . . ودفن في المشهد المقابل لدار السلطان »(١٣٤) ، ويذكر ايضا انه في سنة ٥٤٤ عاد مسعود الى بغداد « ودخل دار السلطنة »(١٣٥) ويذكر انه في سنة ٥٥٢ قرر الخليفة مقاومة السلطان شاه محمد واستعد لذلك ، وسارت بعض جنوده « فقصدوا تحت الزاهر ليدخلوا دار السلطان(١٣٦) ، ثم «ضربت الرجال الى دار السلطان فنهبوها وكان فيها أموال كثيرة ، ونهبوا الأبواب والأخشاب وأخذوا لأطيار والغزلان »(١٣٧) ، ولم يعد لها ذكر بعد هذه الحوادث التي يبدو انها أدت الى تدميرها ، اذ ان البنداري يقول عن مدينة طغرلبك « وهي التي جامعهااليوم باق ، وكانت حينئذ ذات أسوار وأسواق »(١٣٨)

ولا يخفى ان سلطان آل سلجوق زال من بغداد بعد هذه الحوادث ، وزال معه الحكم المزدوج ، وأصبح الحكم للخليفة وحده ، ومقره في دار الخلافة حيث كان يقيم وزراؤه ويمارسون الحكم فيه وكانت دار الوزارة فيه في أواخر القرن السادس الهجري مقابل باب النوبي(١٣٩) .

(١) الطبري ٣/٥٣٤ .

(٢) الوزراء للصابي ١٤٨ ـ ٩ .

(٣) كتاب الخراج لقدامة ٢٣٧ رسوم دار الخلافة ٢٩ ، ٣٩ .

(٤) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ٥٥ .

(٥) تاريخ هلال المشهور بذيل تجارب الامم ٣/٣٣٥ .

(٦) كذلك ٣/٣٣٦ .

وقد ورد في المصادر شخصان يلقبان حمولي ، اولهما ابو علي أحمد بن موسى صاحب معز الدولة (نشوار المحاضرة ١/٣٠٩ طبعة الشالجي) وقد أرسله معز الدولة سنة ٣٥٢ الى الوزير المهلبي عندما سمع بمرضه من عمان (مسكويه ٢/١٩٧) وأما الثاني فهو ابو الحسن علي بن رسى حمولي الذي نقب على أبي الحسن بن أبي الطيب وولده من الطالبيين (المنتظم ٧/٢٣) ، وقد ذكر بوسه ان قصر عضد الدولة في المخرم قرب الديوان ويعرف بقصر حمولي (الخلافة والسلطنة ١٩٧) (بالالمانية) ولم يذكر بوسه مصدره ، كما لم أجد في الكتب العربية التي قرأتها اشارة الى ذلك .

(٧) المنتظم ٨/١٩٢ .

(٨) الخطيب ١/١٠٨ .

(٩) الطبري ٣/١٩٠٧ .

(١٠) المنتظم ٧/٢٢٨ .

(١١) البلدان ٢٤٠ .

(١٢) كذلك ٢٤٣ .

(١٣) كذلك ٢٤٤ .

(١٤) كذلك ٢٤٥ .

(١٥) الطبري ٣/٤٧٢ .

(١٦) الخطيب ١٠/٤٣٣ المنتظم ٧/١٠٢ .

(١٧) المنتظم ٨/٣١٦ ، ٩/٩٨ .

(١٨) المنتظم ٨/٣١٦ .

(١٩) الخطيب ٣/١٠٤ .

(٢٠) الخطيب ٣/٣٩ .

(٢١) المنتظم ٧/١٠٢ .

(٢٢) المنتظم ٨/٣١٦ .

(٢٣) المنتظم ٩/٩٨ .

(٢٤) البلدان ٢٥٢ ـ ٣ .

(٢٥) انظر عن مقام الخلفاء وتنقلهم الفصل الاول من هذا الكتاب .

(٢٦) الخطيب ١/٨٩ .
(٢٧) البلدان ٢٤٥ .
(٢٨) الخطيب ١/٨٩ .
(٢٩) البلدان ٢٦٠ .
(٣٠) البلدان ٢٦١ .
(٣١) ابلدان ٢٦٧ .
(٣٢) الوزراء للصابي ٢٠٤ وانظر ايضا ١٠٦ .
(٣٣) كذلك ١٣٧ .
(٣٤) كذلك ٢٠٦ .
(٣٥) المنتظم ١٠/١٩٩ .
(٣٦) المنتظم ١٠/٢٤٥ .
(٣٧) تجارب الامم ١/٣٥٢ .
(٣٨) الخطيب ١/٨٩ .
(٣٩) الوزراء والكتاب ١٨٩ .
(٤٠) البلدان ٢٥٤ .
(٤١) الخطيب ١/٨٥ .
(٤٢) البلدان ٢٤٨ .
(٤٣) الخطيب ١/٨٨ .
(٤٤) الخطيب ١/٩٣ .
(٤٥) البلدان ٢٥٪ .
(٤٦) الخطيب ١/٩٣ .
(٤٧) معجم البلدان ٤/١١٤ .
(٤٨) الوزراء والكتاب للجهشياري ٢٤١ .
(٤٩) اعتمدت في هذه القائمة على كتاب « المؤسسات الادارية » لحسام الدين قوام الدين .
(٥٠) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ١٤٠ تجارب الامم ٢/١٧ ، ٢٠ ، ٢٤ .
(٥١) الصولي ٨١ تكملة الطبري ١٠٥ ، ١١٧ .
(٥٢) الصولي ١٥٢ ب مخطوطة الأزهر .
(٥٣) تكملة الطبري ٣٠ .
(٥٤) الصولي ١٦ .
(٥٥) الطبري ٣/١٠٦٣ .
(٥٦) تجارب الامم ١/٧٨ .
(٥٧) تجارب الامم ١/٧١ المنتظم ٦/١٣٨ .

(٥٨) الصولي ٥٧١ مخطوطة الازهر
(٥٩) تجارب الامم ١ /٧ ، ٩١ .
(٦٠) الصولي ٨١ .
(٦١) الطبري ٣/١٩٣٠ .
(٦٢) الطبري ٣/٢١٠٨ .
(٦٣) الخطيب ١/٩٨ ويلاحظ ان رجاء بن أبي الضحاك هو ابن عم الحسن بن سهل (الطبري ٣/٩٩٣) وكان مقربا الى المأمون (الطبري ٣/٩٩٥ ، ١٠٠٠) .
(٦٤) افردنا لجسور بغداد بحثا خاصا نرجو ان ننشره قريبا .
(٦٥) تكملة الطبري ٥ .
(٦٦) تكملة الطبري ٦ .
(٦٧) الوزراء للصابي ٢٨ - ٢٩ .
(٦٨) تكملة الطبري ٢١ ، ٣٢ .
(٦٩) تكملة الطبري ٦٩ .
(٧٠) الوزراء للصابي ١٩٩ .
(٧١) الوزراء ٣٦ ، ١٩٩ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٣٠٦ تجارب الامم ٥ الصولي ١٥٢ ب (مخطوطة الازهر) .
(٧٢) الصولي ١١٥ أ ، ١٣٢ ب ، ١٥٢ ب (مخطوطة الازهر) تجارب الامم ١/٤١ ، ٩١ .
(٧٣) تجارب الامم ١/٢٧ ، ٥٩ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، الوزراء للصابي ٦٩ ، ٣٣٥ ، ٣٦٨ .
(٧٤) تجارب الامم ١/٥ ، ٥٩ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ٢٧١ .
(٧٥) الوزراء للصابي ٢٨ .
(٧٦) الخطيب ١/٩٨ .
(٧٧) الصولي ١٣٣ ب (مخطوطة الازهر) .
(٧٨) الصولي ١٥٢ ب ويقول ابن الجوزي ان بهاء الدولة نقل اخته زوجة الطائع الى دار في مشرعة الصخر (المنتظم ٧/١٦٣) ولعله نقلها الى هذه الدار .
(٧٩) المنتظم ٧/٧٧ .
(٨٠) تجارب الامم ١/٢٧ .
(٨١) كذلك ١/١٤٩ .
(٨٢) الوزراء ٤٦٨ .
(٨٣) كذلك ٣٦٨ .
(٨٤) تجارب الامم ١/٤١ ، ٥٣ .
(٨٥) الوزراء ٢٨ .
(٨٦) الوزراء ٢٣٠ .
(٨٧) تكملة الطبري ٤٥ .

(٨٨) الوزراء ٢١٤ .

(٨٩) الوزراء ١٩٩ .

(٩٠) تجارب الامم ١/١٥٦ .

(٩١) تجارب الامم ١/٢٥٨ تكملة الطبري ٧٥ .

(٩٢) الوزراء ١٩٩ .

(٩٣) تجارب الامم ٢/٩٨ .

(٩٤) رسوم دار الخلافة ١٣٧ المورد العدد الرابع مجلد ٨ ١٩٧٩ .

(٩٥) الخطيب ١/١٠٥ المنتظم ٧/٧٨ .

(٩٦) الخطيب ١/١٠٦ ـ ٧ المنتظم ٧/٧٨ .

(٩٧) المنتظم ٧/١٠٧ .

(٩٨) المنتظم ٧/١١٢ .

(٩٩) المنتظم ٧/١١٤ .

(١٠٠) المنتظم ٧/١٤٨ .

(١٠١) المنتظم ٧/١٥٦ .

(١٠٢) المنتظم ٧/١٦٣ .

(١٠٣) المنتظم ٨/٢٨ .

(١٠٤) المنتظم ٨/٣٥ .

(١٠٥) المنتظم ٨/٥١ .

(١٠٦) المنتظم ٨/٨٩ .

(١٠٧) ٨/١١٨ .

(١٠٨) المنتظم ٨/١٦٥ .

(١٠٩) الخطيب ١/١٠٦ .

(١١٠) المنتظم ٨/١٦٩ .

(١١١) مرآة الزمان ٣ (طبعة سويم ، ولعل الجسر الذي عقد في هذه السنة بين مشرعة الحطابين ومشرعة الروايا هو عمل مكمل لاعمار هذه المنطقة .

(١١٢) الخطيب ١/١٠٦ .

(١١٣) المنتظم ٨/١٨٩ ـ ١٩٧ .

(١١٤) المنتظم ٩/٦٠ .

(١١٥) المنتظم ٩/١٣٩ .

(١١٦) المنتظم ١٠/١٦٥ .

(١١٧) المنتظم ٩/٦٩ .

(١١٨) المنتظم ٩/١٢٤ .

(١١٩) المنتظم ٩/٢٥٩ .
(١٢٠) المنتظم ١٠/٥٧ .
(١٢١) المنتظم ١٠/١٤٢ .
(١٢٢) المنتظم ١٠/٢٤٦ .
(١٢٣) المنتظم ١٠/١٧٩ .
(١٢٤) المنتظم ١٠/١٥٩ .
(١٢٥) المنتظم ١٠/١٥٩ .
(١٢٦) المنتظم ١٠/١٨٢ مرآة الزمان ٨/٥٦ .
(١٢٧) مرآة الزمان ٨/٩٦ .
(١٢٨) المنتظم ٩/٢٢٣ .
(١٢٩) مرآة الزمان ٨/٩٦ .
(١٣٠) المنتظم ٩/٣٩ .
(١٣١) المنتظم ١٠/٥٥ .
(١٣٢) المنتظم ١٠/٨٥ .
(١٣٣) المنتظم ١٠/١٢٣ .
(١٣٤) المنتظم ١٠/١٢٣ .
(١٣٥) المنتظم ١٠/١٣٨ .
(١٣٦) المنتظم ١٠/١٧٠ .
(١٣٧) المنتظم ١٠/١٧٥ .
(١٣٨) دولة أبي سلجوق ١٠ .
(١٣٩) الجامع المختصر ٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٨٦ .

الفصل الرابع

ادارة بغداد ومراكز ها
في العهود العباسية الاولى

التنظيم الاداري من اهم الوسائل التي يضمن فيها المجتمع تنظيماً متناسقاً في عمله وتصرفاته ، ليستطيع تحقيق النمو والازدهار اللذين هما الهدف الرئيس للمجتمعات البشرية . ويتوقف استقرار المجتمع وتقدمه الى حد كبير على مدى سلامة المؤسسات الادارية في كل مجتمع الى تبدلات في عددها وفي احوالها واوضاعها .

وعندما تأسست بغداد في اواخر النصف الاول من القرن الثاني الهجري لتكون مقراً للخلافة العباسية ومركزاً لادارة الدولة الاسلامية كان لابد ان تكون فيها كافة المؤسسات التي تسد حاجات الخليفة في حياته وفي واجباته في ادارة بغداد والدولة . وكانت النظم الادارية عند تأسيس بغداد قد مر عليها اكثر من قرن من الزمن قطعت خلاله شوطاً بعيداً من التكيف والاستقرار ، الا أن تطور احوال بغداد والدولة من جهة ، ومرونة العباسيين في سياستهم الادارية من جهة اخرى ، استلزم حدوث تطورات اخرى في هذه المؤسسات .

وبالرغم من أهمية المؤسسات الادارية في استقرار الدولة وتقدمها ، ومن حياة المجتمع والافراد ، فان المؤلفات التي وصلتنا عن المؤسسات الادارية قليلة جدا ، وترجع الى اواخر القرن الثالث الهجري فيما بعد ، اما عما قبل فليست لدينا سوى اشارات متفرقة من الكتب الى بعض المؤسسات واسماء شاغليها . وحصيلة مجموع هذه الاشارات لا تكفي لاعطاء صورة متماسكة وكاملة لهذه المؤسسات وتطورها .

اننا في مقالنا الحالي نهدف الى عرض بعض المؤسسات الادارية في بغداد في العهود العباسية الاولى ، والى تطور مواقعها الخططية وعلاقة ذلك بكفاءتها في القيام بواجباتها .

خلافة الخليفة

من المعلوم ان الخليفة هو الرئيس الاعلى للدولة الاسلامية والمسؤول الاول عن توجيه سياستها والاشراف على ادارتها . والواقع ان بقية الموظفين . مهما كانت مكانتهم الاجتماعية والمالية او الصلاحيات الواسعة التي يتمتعون بها ، فان قوتهم مستمدة من الخليفة الذين يعملون باسمه . وان معظم من اشغل الوزارة ، وهي اكبر المناصب الادارية بعد الخليفة ، كانوا اقرب الى الكتاب او السكرتيرين . وان الذين تمتعوا بسلطات واسعة مثل يعقوب بن ابي داود في زمن المهدي ، والبرامكة في زمن الرشيد انما كانوا يقومون في عملهم باسم الخليفة .

ولم يتبع الخلفاء العباسيين الاولين في بغداد على مقر واحد . فقد اتخذ المنصور مقره في قصر الذهب بالمدينة المدورة واتخذ المهدي مقره في الرصافة ثم في قصر السلامة بعيساباد التي اتخذها موسى الهادي ايضا مركزاً له في خلافته القصيرة الامد . اما الرشيد والامين فقد اتخذا مركزيهما في قصر الخلد بالجانب الغربي ، واتخذ المأمون مركزه في قصره بالجانب الشرقي[1].

غير ان الظروف قضت بتغيب معظم الخلفاء عن بغداد بصورة مقصودة ولفترات طويلة احيانا . وكان هذا التغيب يستلزم تعيين من يقوم بممارسة اعمال الخليفة ويكون مرجعاً للناس في القضايا الروتينية والمحلية .

ولما نقل الخلفاء العباسيون مقرهم الى سامراء ، اصبحت بغداد مدينة «تابعة» وليست مركزا للخلافة والادارة . غير ان ظروف بغداد واحوالها الخاصة اكسبها اهمية خاصة استلزمت تعيين من يتناسب ومكانتها واوضاعها للقيام بادارتها .

انتقل ابو جعفر المنصور الى بغداد في سنة ١٤٦ ، غير انه قام منها بعد ذلك بعدة سفرات . فقد ذكر الطبري ان المنصور ذهب في سنة ١٤٧ للحج[2]، وفي سنة ١٤٩ شخص الى الحديثة[3] ، اما في سنة ١٥٢ فقد شخص منها في رمضان للحج ، ولما اتم حجه عادعن طريق البصرة[4]. وفي سنة ١٥٤ خرج الى الشام فبيت المقدس[5].

ولابد ان غياب المنصور في سني ١٥٢ ، ١٥٤ كان طويلاً نسبياً . ولكن المصادر لم تذكر من كان يخلفه في غيابه ، خاصة وان المهدي كان في الري في سنتي ١٤٧ ، ١٤٩[6].

وفي الطبري اشارة الى ان ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي كان يخلف المنصور . اذ يذكر الطبري ان ابا جعفر عند وفاته «صلى عليه ابراهيم» وقيل ان المنصور كان قد اوصى بذلك ، وذلك انه كان خليفته على الصلاة بمدينة السلام . ويلاحظ ان الطبري يذكر ايضا ان ابراهيم كان «يومئذ غلام حدث»[7]

أما المهدي ، فقد حج سنة ١٦٠ ومعه ابنه هارون[8]. ثم ذهب سنة ١٦٢ الى الموصل فالجزيرة فحلب فبيت المقدس[9]، وكان يخلفه في المرتين ابنه موسى الهادي . ثم شخص المهدي سنة ١٦٤ للحج[10]. ولكنه عاد من منتصف الطريق دون ان يتم حجه . ولم تذكر المصادر من كان يخلفه آنذاك . علما بان ابنه هارون كان ما يزال مقيماً على حدود بلاد الروم التي لم يعد منها الا سنة ١٦٦[11].

وفي سنة ١٦٩ خرج المهدي للحاق بابنه موسى الذي كان مقيماً في جرجان[12]

انذاك . وكان مع المدي في خروجه ابنه هارون[13]. واستخلف المهدي في خروجه هذا الذي توفى فيه . على بغداد الربيع بن الفضل[14]. فات المهدي والربيع خليفته ببغداد الى وصلها هارون الذي صار بعد وصوله خليفة اخيه موسى الهادي[15]. ولم يخرج اي من الهادي والامين من بغداد .

اما الرشيد فكان كثير الخروج من بغداد . ولم تذكر المصادر من كان يخلفه عل بغداد عند غيابه عنها .

خاصة في السنين الاولى قبل نكبةالبرامكة . لان الامين والمأمون اللذين ولدا سنة ١٧٠ كانا ما يزالان طفلين صغيرين . ومن المحتمل ان الذي كان ينوب عنه في اوائل خلافته هو يحيى بن خالد البرمكي الذي لما ولى الرشيد الخلافة قلده الوزارة «وقال قد قلدتك امر الرعية . واخرجته من عنقي اليك . فاحكم بما ترى من الامر . واستعمل من رأيت واعزل من رأيت . وامض الامور على ما ترى . ودفع اليه خاتمه»[16].

وذكر الطبري ان الرشيد لما شخص سنة ١٨٠ الى الرقة استخلف بمدينة السلام حين شخص الى الرقة محمداً الامين وولاه العراقين»[17]. كما انه شخص في سنة ١٩٢ الى خراسان واستخلف ابنه محمداً بالمدينة[18].

غير ان الطبري يذكر ان الرشيد في سنة ١٩٠ ، كتب الى السندي ابن شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم» . وليس من الواضح فيما اذا كان السندي آنذاك خليفة الرشيد في بغداد[19].

ان استخلاف الخليفة عند غيابه عن بغداد . شخصاً ذا مكانة رهيبة . وجعله على رئاسة ادارة الدولة امر ضروري لحفظ هيبة الدولة . ولذلك حرص الخلفاء الاولون على الاكثار من تعيين اولادهم . وهم صغار . لتدريبهم ولحفظ الهيبة . ويبدو أنهم أدركوا أن بعض هؤلاء الاولاد . وخاصة اذا كانوا صغاراً . قد لا يتوفقون في القيام بعبء الحكم كما ينبغي . ولذلك كثيرا ما كانوا يعينون معهم ذوي خبرة لمعاونتهم في الادارة . فلما حج المهدي سنة ١٦٠ واستخلف ابنه موسى على بغداد «خلف معه يزيد بن منصور خال المهدي وزيراً له ومدبراً لأمره»[20]. ولما ولي الرشيد امر بغداد على اثر وفاة الخليفة المهدي «كان هو خليفة موسى الهادي ومعه الربيع وزيراً له . . وضبط امر بغداد»[21].

ولما ولى الرشيد يحيى بن خالد البرمكي الوزارة وفوضه سلطات واسعة . كانت الخيزران هي الناظرة في الامور . وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها»[22]. ولما سار

المهدي[٢٧]. ثم ابراهيم بن المهدي[٢٨] ولكن هذا لم يستطع السيطرة على بغداد فانهزم واختفى .

وقد ادرك المأمون الاخطار التي تهدده اذا ظل بعيداً عن بغداد . فقرر العودة اليها والرجوع الى الاتجاهات السياسية القديمة . وبذلك اسقرت الاوضاع ببغداد .

ولايــة بغــداد

ظهرت في خلافة المأمون بعض الاساليب الادارية التي تتصل ببغداد . ومنها تعيين شخص يكون مسؤولا عن ادارة بغداد وبعض الاقاليم الاخرى . ويحتفظ بمسؤوليته في حالة وجود او غياب الخليفة عن بغداد . وهذا الوالي قدي يقيم ببغداد او يقيم في أماكن أخرى ويعين خليفة له يمارس السلطة الفعلية في بغداد وما حولها . ويعين الخليفة بدوره خلفاء على الاعمال الاخرى . وقد انحصرت الولاية وخلافتها منذ هذا الوقت حتى عودة الخلفاء العباسيين الى بغداد بآل طاهر بن الحسين . واكتسبت الشرطة اهمية خاصة حتى أن خليفة الوالي الاعلى يوصف احيانا بانه «على بغداد» واحياناً «على الشرطة» .

ومن الطبيعي ان يكون طاهر بن الحسين بعد القضاء على مقاومة الامين . هو الوالى . غيرانه في سنة ١٩٨ «كتب المأمون الى طاهر بن الحسين وهو مقيم ببغداد . بتسليم جميع ما بيده من الاعمال في البلدان كلها الى خلفاء الحسن بن سهل[٢٩]. وبالفعل ارسل الحسن بن سهل خليفة له . ثم قدم في السنة التالية الى بغداد» واليه الحرب والخراج . فلما قدمها فرق اعماله في الكور والبلدان»[٣٠].

ولما عاد المأمون الى بغداد ولى طاهر في قول الطبري «الجزيرة والشرطة وجانبي بغداد ومعاون السواد»[٣١] وفي قول طيفور ولاه «الجزيرة والشرطة والجانبين»[٣٢]. ويظهر ان هذا التعيين تم في سنة ٢٠٤ . وكان أبرز ما فيه ولاية الشرطة . فذكر طيفور أن طاهر كان «على الشرطة»[٣٣]. ونقل قوله للمأمون وقد طلب اليه أن يجلس في مجلسه «ليس لصاحب الشرطة ان يجلس بين يدي سيده»[٣٤].

وفي السنة التالية ولى المأمون «طاهر من مدينة السلام الى أقصى عمل للشرق»[٣٥] ويبدو أن بغداد كانت داخلة في البلاد التي وليها طاهر . . لان بعض المصادر تذكر أنه في سنة ٢٠٦ «ولى عبدالله بن طاهر اسحق بن ابراهيم الجسرين وجعله خليفته على ما كان ابوه طاهر استخلفه فيه من الشرطة واعمال بغداد . وشخص هو ال الرقة لحرب نصر بن شبث»[٣٦] وقد توفى طاهر في سنة ٢٠٧ . أما عبدالله فقد ذهب بعد القضاء على ثورة نصر

الى الشام ثم الى مصر وبقي الى سنة ٢١١ عاد بعدها الى بغداد حيث بقي ثلاث سنوات خرج بعدها الى الدينور . ثم عينه المأمون في سنة ٢١٥ على خراسان . حيث بقى فيها الى ن مات . فولي من بعده ابنه طاهر بن عبدالله فلما مات هذا في السنة ٢٤٨ صار مكانه ابنه محمد بن طاهر بن عبدالله على ما كان أبوه يتولاه وقد انتهت سيطرة الطاهريين على يد يعقوب بن الليث الذي كانت علاقته سيئة بالخلافة . فلما مات سنة ٢٦٥ «دخل أخوه عمر في طاعة السلطان . فعقد له السلطان على ولاية شرطة بغداد وعلى اعمال خراسان وما كان مضافاً اليها من الاعمال الطاهرية»[٣٧].

وفي كل هذه الفترة كانت بغداد تابعة في ادارتها الى الوالي الذي في خراسات . ما عدا الفترة التي ولي فيها محمد بن طاهر بن عبدالله سنة ٢٤٨ . حيث ان الشرطة ببغداد فصلت عنه وتفرد محمد بن عبدالله بن طاهر بعملها برأسه . غير ان المعتز ما لبث ان رد «اعمال الشرطة الى محمد بن طاهر مضافة الى أعمال خراسان»[٣٨].

ولما سيطر يعقوب بن الليث على خراسان وأسر محمد بن طاهر متحدياً الخليفة . فصلت شرطة بغداد عن ولاية خراسان فعين المعتمد عبيدالله بن عبدالله بن طاهر على شرطة بغداد . فلما هرب محمد بن طاهر من الاسر عاد الى بغداد ولاه المعتمد الشرطة ببغداد[٣٩]. ولا ريب من أن كلتا الحالتين شاذة ومحدودة في الزمن .

لقد كان كل من هؤلاء الولاة هو المسؤول الاعلى . ويقيم في خراسان . وهو يتولى اقاليم كثيرة . ويمتد سلطانه الى بلاد واسعة . فان طاهر بن الحسين ولاه المأمون «من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق»[٤٠] أي ان ولايته كانت تشمل «خراسان ، وسجستان ، وكرمان ، وقومس ، وطبرستان ورويان ، ودنباوند ، والري ، مع شرطة بغداد التي كان يتولاها كلها[٤١]. اما عبدالله بن طاهر فانه لما مات أبوه أقر له «بولايته على اعمال ابيه مع ما هو مستول له من اعمال الجزيرة والشام ومصر وافريقية»[٤٢].

ولما توفي عبدالله «تولى ابنه طاهر بن عبدالله على ما كان ابوه يتولاه»[٤٣] أما عمرو بن الليث فكان حكمه يمتد على معظم اقاليم الهضبة الايرانية .

لم يقم ببغداد أي من هؤلاء الولاة . فاما طاهر فقد كان يقيم في مرو . واما عبدالله فقد أقام في الشام ثم في مصر يقاتل الخارجين على الدولة . ثم عاد الى خراسان فاقام هو . ثم ابنه من بعده في نيسابور . ولم يذكر ان أحدا منهم زار بغداد ابان ولايتهم . كما انه لم يجر تعديلات او تبديلات . أو يتدخل في شؤون الاقاليم التابعة له . ومنها ولاية بغداد .

والواقع ان معظم الولاة على بغداد بقوا طوال حياتهم في عملهم . ولم يذكر ان الوالي الاعلى حاسب الوالي الادنى على عمله . كما أنه يصعب الافتراض أن الوالي الادنى كان يرسل الى الوالي الاعلى جباية الاقليم او الاقاليم المسؤول عنها . بل على العكس كانت جباية خراسان ترسل الى سامرا . فليس من المعقول ان ترسل جباية بغداد وما حولها الى خراسان ثم يعود الى سامرا .

ويلاحظ انه ، فيما عدا الفترة التي سيطر فيها الصفاريون ، فان كلا من الوالي الاعلى والوالي الادنى من اسرة واحدة . ويذكر طيفور ان المأمون حرص بنفسه على ذلك . فنصح عبدالله بن طاهر ان يعين خليفة له من اسرته وقال له «لا تخرج هذا الامر من أهلك». ولم يبدل الخلفاء الذين اعقبوا المأمون هذه السياسة . وقد ظلت هذه العلاقة بين خراسان وبغداد حتى في الفترة التي سيطر فيها الصفاريون . ولعل الدافع الرئيس لاتباع هذه السياسة هو أن كثيرا من أهل بغداد ، والجيش المقيم ببغداد ، كان ذا صلة وثيقة بخراسان . ولا يمكن القول ان سبب ذلك راجع الى حصر الاتراك في سامرا . لان هذه السياسة اسسها المأمون الذي لم يكن الاتراك في زمنه قوة كبيرة . كما أنه لم يذكر استخدام الطاهريين لقمع خطر الترك حتى في أوج استفحاله وتهديده الخلفاء العباسيين .

والواقع اناختيار الولاة من اسرة واحدة يساعد على تقليل المنافسات وحصرها . وعلى استتباب الاستقرار . وقد تحقق ذلك الا في فترات محدودة استقرت فيها الخصومات بين بعض أفراد الاسرة الطاهرية . ولكن الخلافات لم تتسع ولم تدم طويلاً .

انصرت الولاية الفعلية بعدد محدود ظل أغلبهم يشغلها حتى وفاته . وأكثرهم كان يعقب أباه .

وأول هؤلاء هو اسحق بن ابراهيم بن مصعب الذي جعله عبدالله بن طاهر خليفته في سنة ٢٠٦[٤٤]. ثم استخلفه المأمون سنة ٢١٥[٤٥]. وقد ظل في منصبه حتى توفى سنة ٢٣٥[٤٦] قضى خلالها سنة (٢١٨) في قتال الخرمية[٤٧].

وفي سنة ٢٣٠[٤٨]. ولى احداث الموسم . وقد تلا اسحق ابنه محمد غير أنه لم يبق في العمل اكثر من سنة توفي في نهايتها[٤٩]. فأعقبه أخاه عبدالله بن اسحق الذي عزل في السنة التالية[٥٠] بمحمد بن عبدالله بن طاهر الذي ظل في عمله حتى توفي سنة ٢٥٣ فولى بعده ابنه عبيدالله بن محمد[٥١]. غير انه في سنة ٢٥٥ ولى سليمان بن عبدالله بن طاهر[٥٢] الذي توفي سنة ٢٦٥[٥٣]. وفي هذه السنة ولى عمرو بن الليث عبيدالله بن عبدالله[٥٤].

لم يقتصر عمل هؤلاء الولاة على ادارة بغداد . بل امتد الى مناطق وأعمال أخرى . فأما اسحق بن ابراهيم فان عبدالله بن طاهر ولاه أمر الجسر وجعله خليفته على ما كان ابوه طاهر أستخلفه فيه من أمر الشرطة واعمال بغداد»(٥٥) ولما رحل المأمون لغزو الروم سنة ٢١٥ استخلف اسحق «وولى مع ذلك السواد وحلوان وكور دجلة»(٥٦). ولما ولى طاهر بن عبدالله «كان خليفته على شرطة بغداد اسحق بن ابراهيم . واليه فارس والسواد . حربها وخراجها»(٥٧) .

اما محمد بن اسحق بن ابراهيم الذي اعقب أباه فقد صير اليه ما كان الى ابيه «من اعمال خراج طساسيج السواد وأعمال مصر وكورد دجلة وغير ذلك . وزيادة اعمال (   ) وفارس»(٥٨) .

اما عبدالله بن اسحق فانه «ولى بغداد ومعاون السواد»(٥٩) اما محمد بن عبدالله بن طاهر فان اليعقوبي يقول «صير اليه ما كان الى اسحق بن ابراهيم»(٦٠) ويقول الطبري انه «ولى الشرطة والجزية (!)وأعمال السواد وخلافة امير المؤمنين بمدينة السلام»(٦١) ويذكر حمزة أنه كانت اليه «معاون بغداد وسامراء وواسط والسواد وكور دجلة»(٦٢) .

وقد ولى سليمان بن عبدالله «مدينة السلام والسواد»(٦٣). ومما كان يتبعه «جسري بغداد وطساسيج قطربل ومسكن والأنبار»(٦٤) .

يتبين من النصوص أن اسحق بن ابراهيم كان يتولى اولاً السوادوحلوان وكور دجلة(٦٥) ثم صارت له في زمن طاهر بن عبدالله بن طاهر فارس . بالاضافة الى السواد . حربها وخراجها(٦٦) وصارت لابنه محمد «ما كان لأبيه من اعمال خراج طساسيج السواد واعمال مصر وكور دجلة وغير ذلك . وزيادة اعمال (   ) وفارس(٦٧) .

أما عبيدالله بن اسحق فقد اقتصر على بغداد ومعاون السواد(٦٨). أو «معاون بغداد وسامراء وواسط والسواد»(٦٩) .

أما محمد بن عبدالله فان الطبري يذكر انه كانت له «الشرطة والجزية وأعمال السواد»(٧٠) ويذكر حمزة أن له «معاون بغداد والجزية واعمال السواد»(٧١). ويقول اليعقوبي أنه «صير اليه ما كان الى اسحق بن ابراهيم»(٧٢) .

ويلاحظ في النصوص التي أوردناها أن هؤلاء الولاة شمل سلطانهم السواد وكور دجلة بما في ذلك سارا وواسط وان اسحق بن ابراهيم امتد سلطانه الى فارس . ويستدل من هذه النصوص ان كور دجلة كانت في النصف الاول من القرن الثالث وحدة متميزة عن

السواد .

ان سعة رقعة البلاد التابعة لهؤلاء الولاة كانت تقضي عليهم بتعيين خلفاء لهم وقد ذكرت المصادر أسماء بعض هؤلاء الخلفاء فقد كان محمد بن ابراهيم عاملاً على فارس لاسحق بن ابراهيم(٧٣).

وكان من عمال اسحق : كاتبه على الخراج علي بن عيسى بن آزداد مرود . وعلى الرسائل ميمون بن ابراهيم . وعلى المظالم اسحق بن يزيد . وعلى خراج مصر عبدالواحد بن يحيى . وعلى فارس الحسين بن اسماعيل بعد محمد . وقد أقرهم محمد في أعمالهم(٧٥).

وكان ابراهيم بن اسحق خليفة محمد بن عبدالله(٧٦). وكان الحسين بن اسماعيل يلي لعبيدالله بن عبدالله جسري بغداد . وطساسيج قطربل ومسكن والانبار . فولاها سليمان بن عبدالله ابراهيم بن اسحق(٧٧).

اما طبيعة عمل الولاة في بغداد فقد اختلفت النصوص في وصفه .

اما اسحق بن ابراهيم فانه استخلف عبدالله . ويذكر طيفور انه استخلفه على بغداد كما يذكر انه استخلف الجسرين السندي وعياش(٧٨). أي أن الجسرين لم يكونا ضمن عمله . بينما يذكر مسكويه أن عبدالله استخلف على أمر الجسر وجعله خليفته على الشرطة(٧٩) ولما غادر المأمون بغداد «أستخلف اسحق بمدينة السلام»(٨٠). أي أنه كان «خليفة المأمون»(٨١) ولما ذهب عبدالله بن طاهر الى خراسان جعل اسحق خليفته على شرطة بغداد(٨٢) ويذكر الطبري «اسحق صاحب الشرطة»(٨٣). ويعتبره ابن حبيب أيضاً كذلك(٨٤) غير ان الطبري يذكر في مكان آخر «اسحق صاحب الجسر»(٨٥).

ويلاحظ أنه «لما خرج المعتصم الى القاطول استخلف ببغداد ابنه هارون الواثق»(٨٦) أنه كان «على الشرط» .

أما محمد بن عبدالله فيذكر الطبري أنه كان على «الشرط وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام»(٨٩) ويذكر حمزة أنه كان «على الشرط ومعاون بغداد»(٩٠) وأما عبيدالله فقد ولاه المعتز «ولاية بغداد»(٩١).

وأما سليمان فيذكر الطبري أنه كان على «شرط بغداد»(٩٢) ويذكر في مكان اخر انه «ولي مدينة السلام»(٩٣) .

يتبين مما تقدم ان العمل الرئيس لهؤلاء الولاة في بغداد هو الولاية وادارة الشرطة وهذا يبين ازدياد اهمية الشرطة ودورها في ادارة بغداد . وخاصة في الفترة التي لم يقم فيها

الخليفة ببغداد .

والواقع ان بعض هؤلاء الولاة كان لـه دور كبير في بعض الاحـداث التي هزت بغداد . كالنزاع بين المعتز والمستعين . وما أعقب ذلك من قلق واضطراب .

وقد استغرقت ولاية اثنين من هؤلاء الولاة معظم سني القرن الثالث الهجري فقد ظل اسحق بن ابراهيم في عمله من سنة ٢٠٦ الى ٢٣٥ اي قرابة الثلاثين سنة وظل محمد بن عبدالله من سنة ٢٣٧ الى ٢٥٣ .

لقد ذكرنا ان من اوائل من ولي بغداد في خلافة المأمون هو الحسن بن سهل . وقد كانت سني حكمه القصيرة مضطربة . ويذكر ياقوت أن الحسن بن سهل لما قدم بغداد في سنة ١٩٨ نزل قصراً كان جعفر بن يحيى قد بناه في الجانب الشرقي . وكان يسمى الجعفري . ثم أهداه الى المأمون فصار يدعى المأموني . فلما قدم من خراسان في سنة ٢٠٣ دخل الى قصور الخلافة بالخلد وبقي الحسن مقيماً في القصر المأموني الى أن عمل على عرس بوران بفم الصلح ونقلت الى بغداد وأنزلت بالقصر . وطلبه الحسن من المأمون فوهبه له وكتبه باسمه[٩٤] وأضاف اليه ما حوله وغلب عليه اسم الحسن فعرف به مدة وكان يقال له القصر الحسني . وصار هذا القصر فيما بعد داراً للخلافة . وصار يسمى التاج[٩٥].

أما طاهر بن الحسين فان الخطيب يذكر «اقطع المأمون طاهر بن الحسين داره . وكانت قبله لعبيد الخادم مولى المنصور غير ان المصادر لم تذكر موقع هذه الدار . ويذكر ياقوت ان «الحريم الطاهري . . منسوب الى طاهر بن الحسين . . وبه كانت منازلهم . وكان من لجأ اليه أمن فلذلك سمى الحريم . وكان اول من جعلها حريماً عبدالله بن طاهر بن الحسين .[٩٦] غير ان هذا النص لا يجزم ان لدار طاهر كانت في الحريم . كما لا يوجد من المعلومات ما يؤيد الى ذلك .

أما عبدالله بن طاهر فان اليعقوبي يذكر «والى جنب قطيعة سليمان في الشارع الاعظم قطيعة صالح بن امير المؤمنين المنصور . وهو صالح المسكين ، مادة الى دار نجيح مولى المنصور التي صارت لعبدالله بن طاهر ، وآخر قطيعة صالح قطيعة عبدالملك بن يزيد الجرجاني المعروف بأبي عون واصحابه الجرجانية[٩٧] ويتبين من هذا ان دار عبدالله بن طاهر كانت بالقرب من قطيعة صالح . وهي شمالي قطيعة سليمان . وبالقرب من قطيعة ابن عون غير ان هذه الدار لم يتردد ذكرها في المصادر .

أما عبدالله بن عبدالله فقد كانت داره عند رأس الجسر[٩٨] .

ويذكر الطبري «وفي سنة ٢٩٢ سقط الحائط الذي على رأس الجسر الاول من

الجانب الشرقي من الدار التي كانت لعبيدالله بن عبدالله بن طـاهر . عـلى الحسين بن زكرويه القرمطي وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط[٩٩].

لقد كانت دار اسحق بن ابراهيم مشهورة . تـردد ذكرهـا في المصادر . ووردت نصوص تحدد موقعها . ففي وصف المصادر لمجرى خندق طاهر تذكر ان الخندق « . . يمر وسط قطيعة ام جعفر ويصب في دجلة فوق دار اسحق بن ابراهيم بشيء يسير»[١٠٠] ويذكر الهمداني ان قطيعة أم جعفر يتصل بها «دار اسحق بن ابراهيم . وكانت جزيرة فاقطعها المأمون اسحق . فاولها يتصل بدار البطيخ وآخرها بمقابر باب التبن» .

ويتبين من هذا ان دار اسحق كانت جزيرة تقع في الجنوب الشرقي من قطيعة أم جعفر يفصلهما خندق طاهر الذي يصب فوق الدار بقليل . وعند طرفها الشمـالي دار البطيخ أما طرفها الجنوبي فعند مقابر باب التبن المتصلة بمقابر قريش . أي أنها تقع في الطرف الشمالي الشرقي من الجانب الغربي .

لا نعلم تاريخ تكون الجزيرة التي كانت عليها دار اسحق أو ما كان عليها . ولكننا نعلم أن المأمون أقطعها اسحق بن ابراهيم[١٠١] ثم صارت هذه الدار لاسحق بن كنداج الذي كان من كبار الرجال في خلافة المعتضد ومن تلاه من الخلفاء . وفي سنة ٣٠٧ ابتيعت هذه الدار من محمد بن اسحق بن كنداج لابراهيم بن المقتدر بثلاثين الفا واتخذت للامراء من اولاد الخليفة»[١٠٢]. وقد دفن المتقي في هذه الدار[١٠٣]. وقد ابرع عز الدولة بختيار بن معز الدولة هذه الدار فيما بعد . ولكنها ما لبثت ان خربت . فعمرها فخر الدولـة سنة ٤٠٢[١٠٤]. ويذكر ابن الجوزي انه في رمضان من سنة ٤٠١[١٠٤]. ويذكر ابن الجوزي انه في رمضان من سنة ٤٠١ «تقدم فخر الملك بنقض الدار المعزيـة بحفره شـارع دار الرقيق واستيثاق عمارتها . وتغيير ابنيتها . وعمل دور الحواشي جوارها . فانفق عليها الجملة الكثيرة . . ثم استبعد موضعها ورآه نائباً عن الكرخ فجعلها متنزهاً في الخلوات ومرسومة بالسمط والدعوات»[١٠٥] ويقول ابو الوفا بن عقيل «ومن احسن القصور كانت دار الفخرية بالغربي ودار المملكة بالشرقي . ولم يكن للدار الغربي مثل دار بلدرك والحريم الطاهري ودوره الشاطئية وسوره الدائر وبابه الحديد ودار الامير حسن بن اسحق بن المقتدر الذي عرضت عليه الخلافة فاباها»[١٠٦].

ان نص المنتظم ان الدار العزية . وهي في الاصل دار اسحق بن ابراهيم «بحضرة شارع دار الرقيق» يقدم معلومات اضافية عن موقعها : علماً بأن ابن الجوزي يذكر ايضاً ان هذه الدار كانت «بأعلى الحريم الطاهري»[١٠٧].

أما محمد بن عبدالله بن طاهر فان داره تردد ذكرها في أخبار مدفن عدد من الخلفاء دفنوا فيها . ومنهم المعتضد (تـ٢٧٩)[١٠٨] والمكتفي (تـ٢٩٥)[١٠٩] والقاهر (تـ٣٣٩)[١١٠] والراجح ان هذه هي نفس الدار التي تذكرها المصادر أحياناً باسم «دار ابن طاهر حيث كان يقيم اولاد الخلفاء عند عودتهم من سامراء ومنهم المكتفي[١١١] والمقتدر[١١٢]. والمستكفي . والقاهر[١١٣] والفضل بن المقتدر[١١٤]. وينص عريب على «دار ابن طاهر التي هي مستقر اولاد الخلفاء»[١١٥] و«دار بن طاهر التي كان فيها اولاد الخلفاء»[١١٦].

يذكر الهمداني ان قصر القرار «هو القصر الذي اقطعه المتوكل لمحمد بن عبدالله بن طاهر فاقطعه محمد جماعة من اصحابه . وقد تحدثنا في مقال آخر عن اقرار . وذكرنا انه كان فيه قصر يرجع الى زمن المنصور . وان قصر أم جعفر في القرار مذكور في الاحداث التي جرت في خلافة الامين وحصار بغداد . وأنه يقع شمالي قصر الخلد بالقرب من الجسر . فموقعه قريب من دار ابن طاهر .

ذكر الطبري في عدة مواضيع من كتابه . وخاصة في الاحداث التي رافقت القتال بين المعتز والمستعين «الجزيرة التي حذاء دار ابن طاهر»[١١٧] او حذاء دار محمد بن عبدالله بن طاهر[١١٨].

ومنذ القرن الرابع . أي بعد ان سكنتها أسرة الخلفاء العباسيين اصبحت هذه المنطقة تسمى الحريم الطاهري[١١٩] وصارت محلة . ثم سورت . وظلت مزدهرة حتى القرن السابع الهجري حيث اضرت بها مياه الفيضان .

ولاة الجانبين

ولاة الجانب الغربي :

استهدف المنصور من تأسيس بغداد ان تكون مقراً له ولحاشيته وحرسه وجيشه ودواوينه ، مما يجعلها تتسم بطابع مميز هو الروح العسكرية والعمل الاداري والارتباط بالخليفة في العمل وفي الولاء . هذا الى ان الذين يقيمون فيها يعتمدون في معاشهم على ما تقدمه لهم الدولة من عطاء ورواتب وأرزاق .

وقد راعى المنصور في اختيار موقعها امكانية توسعها وتحولها الى مركز حضري . والواقع انه منذ أن انتقل اليها أبو جعفر أخذت اعداد كبيرة من الناس تنزح اليها . وبالرغم من سعة الارباض ورحابة الاطراف ، فان كثيرا من النازحين استقروا في داخل المدينة المدورة نفسها فغيروا بتقدم الايام السمات التي أرادها الخليفة لمدينته الجديدة ، اذ

أن هذه العناصر النازحة الجديدة كانت منوعة في اصولها وحرفها واتجاهاتها وهي عموماً من الفعلة والصناع وأهل السوق وأصحاب الحرف والتجار ، وهم يعتمدون في معيشتهم على ما يكسبون وليس على الرواتب والارزاق التي توزعها الدولة . ثم انهم يفتقدون الانضباط الذي يتميز به الجند او النظام الذي يتسم به الموظفون والكتاب . وحياتهم غير منظمة فضلا عن المجال الواسع الذي يفسحونه للتجسس وفضح اسرارالخليفة والدولة . هذا الى احتمال توسيخ المدينة . والاهم هو أن هذه العناصر الوافدة لا ترتبط بولاء عميق للخليفة او للدولة العباسية الجديدة . مما يولد تصدعاً في الوحدة السياسية للمدينة وتخلخلا في تمسكها بالخليفة . ويخلق ثغرة يمكن أن ينفذ منها المستغلون لتكوين كتلة ضد السياسة العباسية .

ولم يلبث المنصور ان تحقق من اخطار هؤلاء المهاجرين على مدينته ووحدتها . فأمر باخراجهم عنها . وخصص لهم رقعة من الارض جنوبي الطرة فنقلهم اليها وانشأ لهم جامعاً يصلون فيه الجمعة . غير ان صلاة الجمعة ابطلت فيه فيما بعد . وقد عين لهم قاضياً . وقد سميت تلك المنطقة . أو بعضها رسمياً «الشرقية» غير أنه غلب عليها الاسم الآرامي القديم «الكرخ» . وقد اتسع العمران في الكرخ فامتد لها نهر عيسى الذي ظل الحد الجنوبي الفاصل للمدينة وقد ازدحم السكان في الكرخ وكثر فيه اصحاب الاعمال والتجار والعلماء خاصة . واعتنق فريق من أهله المذهب الشيعي . مما زاد في تمييزه عن المدينة المدورة .

وكان الكرخ كالربض للمدينة المدورة . فلم يكن له سور يحميه . ولكن كانت تخترقه مجموعة من الترع التي تأخذ من نهري الصراة وعيسى . فتزود اهله بالماء وتكون شبكة دفاعية تقف بوجه من كان يريد غزو الكرخ والسيطرة عليه . والواقع ان الكرخ ظل مكشوفاً لا يحيطه سور . ومع ذلك لم يتقدم أحد لاختراقه رغم غناه وثروته . فقد وجه طاهر بن الحسين جيوشه في زمن الامين من الغرب والشمال . كما كان سور المستعين في الشمال ايضا وقد أخذ الجانب الغربي يتدهور منذ القرن الرابع لعوامل داخلية وليس بسبب الاخطار الخارجية .

ولم تذكر الاخبار لاهل الكرخ موقفاً حماسياً مع أهل المدينة المدورة وخاصة في الاحداث الخطيرة التي هددت بغداد . ولعلهم اتخذوا فيها نفس الموقف الذي يذكره الطبري لهم في حصار طاهر بن الحسين لبغداد حيث يقول «ومشى تجار الكرخ بعضهم الى

بعض فقالوا ينبغي ان نكشف أمرنا لطاهر ونظهر له براءتنا من المعونة عليه . فاجتمعوا وكتبوا كتاباً اعلموه فيه أنهم أهل السمع والطاعة والحب له لما يبلغهم من ايثاره طاعة الله والعمل بالحق والأخذ على يد المريب . وأنهم غير مستحلى النظر في الحرب . فضلا عن القتال . . حتى ان الرجال الذين يلو عن حربه من جانبهم ليس منهم . ولا لهم بالكرخ دور ولا عقار . وانما هم بين طرا ـ وسواط ونطاف واهل السجون وانما مأواهم الحمامات والمساجد والتجار منهم انما هم باعة الطريق يتجرون في محضرات البيوع . . »[١٢٠].

وفي الاطراف الشمالية من المدينة استوطنت جماعات من بلاد مختلفة . يبدو من وصف اليعقوبي لهم أن غالبيتهم من أهل ما وراء النهر وبالرغم من تنوع اصولهم واختلاف ثقافاتهم . فقد غلب عليهم اسم «اهل الحربية» نسبة الى حرب بن عبدالله الراوندي الذي تشير نسبته الى علاقته بالراوندية وهي الفرقة التي أسبغت على العباسيين طابعاً من التأليه .

ويبدو من الاخبار ان أهل الحربية كونوا كتلة متميزة في بعض الاحداث . وكانوا فيما يظهر قد أهملوا من العهود الاولى . اذ يروي الطبري أنه لما سجن الامين في بداية نزاعه مع أخيه المأمون «قام أسد الحربي فقال يا معشر الحربية هذا يوم له ما بعده . انكم قد نمتم وطال نومكم . وتأخرتم فقدم عليكم غيركم»[١٢١] وكان لاهل الحربية فعلا الدور الاول في اطلاق سراح الامين[١٢٢] الذي حفظ لهم هذا الموقف فقربهم وقود جماعة منهم[١٢٣]. غير انه بعد ان طال حصار بغداد وظهر اصرار طاهر وتفوقه «تحيز الى طاهر الحربية وغيرها من الارباض مما يلي باب الانبار وباب حرب وباب قطربل»[١٢٤]. فكان لميلهم الى طاهر أثر كبير في تمكينه من احكام تطويق بغداد واجبار الامين على الاستسلام وقد اتخذ طاهر بن الحسين قصره في بستان بباب الانبار .[١٢٥] وبنى مسجده في الحربية[١٢٦] قرب ذلك المقر .

وفي فترة الاضطراب التي أعقبت مقتل الامين كان لفساق الحربية دور كبير في انتشار الفوضى التي أثارت رجلين احدهما سهل بن سلامة الانصاري . وهو من اهل الحربية . فدعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه . وقد بدأ دعوته بأهل الحربية . فلما استجابوا له وسع الدعوة حتى عمت بغداد . واتخذ مقره في مسجد طاهر بن الحسين في الحربية[١٢٧].

ويبدو ان اهل الحربية كانوا من أقوى المعارضين للمعتصم وأتراكه . وأن معارضتهم كانت الدافع الاكبر في حمل المعتصم على البحث عن عاصمة جديدة . فيذكر الطبري ان المعتصم بعث الى أحمد بن خالد في السنة التالية لتوليه الخلافة وقال له «إشتر لي

بناحية سامرا موضعاً أبني فيه مدينة . فأني اتخوف ان يصيح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلوا غلماني . حتى أكون فوقهم . فان رابني منهم ريب أتيتهم في البر والبحر حتى آتي عليهم»(١٢٨) .

ولم يلعب اهل الحربية دوراً كبيراً في الاحداث التالية . ولكن منطقتهم كانت فيها اكبر محلات النسيج وصناعة الورق ببغداد ، وقد احتفظت الحربية بازدهارها عندما ساد التدهور المدينة المدورة والاقسام الجنوبية في القرنين الرابع والخامس .

وبالرغم من التكتلات المتمايزة في الجانب الغربي . فقد احتفظ هذا الجانب بوحدة جغرافية واضحة بفضل الانهار التي كانت تحيط به والاسوار التي بنيت حوله .

الجانب الشرقي :

بعد ان تم بناء المدينة المدورة وتوزيع القطائع والاستيطان في الجانب الغربي قرر المنصور اعمار الجانب الشرقي من دجلة . وفي اسباب اعمار هذا الجانب آراء .

فيروي الطبري في سبب ذلك ان الراوندية لما شغبوا على أبي جعفر شاور في هذا قثم بن العباس الذي قام بعمل أثار النعرة القبلية بين مضر واليمن وربيعة والخراسانية ثم قال للمنصور «أعبر بأبنك فأنزله في ذلك الجانب قصراً . وحوله . وحول من جيشك معه قوماً فيصير ذلك بلداً وهذا بلداً . فان فسد عليك اهل هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب . وأن فسدت عليك مضر ضربتها بمن اطاعك من مضر وغيرها . فقبل وأمره ورأيه فاستوى له ملكه وكان ذلك سبب البناء في الجانب الشرقي وفي الرصافة وفي اقطاع القواد هناك»(١٢٩) .

ان هذا النص يظهر أن بناء الرصافة كان تدبيراً لعلاج مشكلة عسكرية داخلية ظهرت بعد اكتمال بناء الجانب الغربي . وان هذا التدبير يقوم على قسمة الجيش المقيم ببغداد ونقل بعضه الى الجانب الشرقي على أسس قبلية علماً بأن جيش المنصور في بغداد فيما يدعى النص . مكون من مضر وربيعة واليمن والخراسانيين .

غير انه لا يوجد في المصادر والاخبار او في خطط بغداد أي دليل على ان جيش المنصور ببغداد كان مؤلفاً من الاقسام المذكورة اعلاه . أو ان الجند الذي استوطن الرصافة كان يختلف في تكوينه القبلي أو الجنسي عن الجند الذي ظل مقيماً في الجانب الغربي ثم أن نقل جزء كبير من جيش الجانب الغربي سيؤدي الى اخلاء الاراضي الواسعة التي كان

يسكنها والاقطاعات التي منحت لكبار رجاله . مما يحدث فراغاً كبيرا في أراضي الجانب الغربي يستلزم اعادة توزيع الاراضي والاقطاعات التي منحت لهم . مع ان المصادر لم تشر . تلميحاً او تصريحاً . الى اعادة تنظيم كالذي يقتضيه نقل عدد كبير من السكان[١٣٠].

ويروي الطبري عن محمد الشروى «ابتدأ المنصور ببناء الرصافة في الجانب الشرقي لابنه محمد في سنة ١٥١»[١٣١]. ويلاحظ أنه في تلك السنة عاد المهدي مع جيشه من الري . فكأن هذه الرواية تقول ان الجانب الشرقي بدىء باعماره سنة ١٥١ وأن الجيش الذي عاد مع المهدي من الري هو العنصر الاساس فيمن استوطنه . علماً بأنه ليس في المصادر ما يشير الى تكوين هذا الجيش او تنظيمه غير ان المصادر تذكر ما يدل على ان الجانب الشرقي استوطنه الناس قبل سنة ١٥١ فهي تذكر ان بعض الشخصيات الاسلامية البارزة دفنت في المقبرة التي صارت تسمى فيما بعد مقبرة الخيزران .

وهي الجانب الشرقي . قبل ١٥١ . فمن دفن في تلك المقبرة في ذلك الوقت المبكر هشام بن عروة (تـ١٤٥)[١٣٢] وأبو حنيفة النعمان بن ثابت (تـ١٥٠)[١٣٣]ومحمد بن اسحق (تـ١٥٠)[١٣٤]. ولابد ان هؤلاء . وغيرهم ممن لم تذكرهم المصادر . كانوا يقيمون عند وفاتهم في الجانب الشرقي . اذ لا يعقل ان يكونوا آنذاك مقيمين في الجانب الغربي فينقل جثمانهم الى الجانب الشرقي غير المعمر . علماً بأنه كانت في الجانب الغربي عدة مقابر . وان الجانب الشرقي كان بعيدا نسبياً وليس له أي مبرر ديني او جتماعي او عقائدي لتفضيل الدفن في الجانب الشرقي . فالراجح اذاً ان هؤلاء وغيرهم كانوا يقيمون قبل سنة ١٥٠ في الجانب الشرقي الذي لابد ان يكون معمراً آنذاك .

أما اليعقوبي فيقول «والجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي بن المنصور وهو ولي عهد أبيه . وابتدأ بناءه في سنة ١٤٣ . . واقطع المنصور اخوته وقواده بعدما اقطع من في الجانب الغربي وهو جانب مدينته . وقسمت القطائع في هذا الجانب وهو يعرف بعسكر المهدي . كما قسمت في جانب المدينة . وتنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ولاتساعه عليهم بالاموال والعطايا ولأنه كان اوسع الجانبين ارضاً . لأن الناس سبقوا الى الجانب الغربي وهو جزيرة بين دجلة والفرات . فبنوا فيه . وصار فيه الاسواق والتجارات . فلما ابتدى في البناء في الجانب الشرقي . امتنع على من اراد سعة البناء»[١٣٥].

يتبين من كلام اليعقوبي ان التخطيط لاستيطان الجانب الشرقي رسم من اوائل تأسيس المدينة المدورة وكجزء من الخطة العامة في استيطان المنطقة وليس لغرض عسكري

محدود . وان استيطان الجانب الشرقي واتساع اعماره يرجع الى أن الجانب الغربي اكتمل اعماره في وقت مبكر ولم يعد فيه مجال للتوسع «امتنع على من أراد سعة البناء» في حين ان الجانب الشرقي كان «أوسع الجانبين ارضاً» أي أن فيه مجال وافر للتوسع .

والواقع ان أبا جعفر المنصور نظم الاسكان في الجانب الغربي وحدد معالمه وحدوده . ووزع اراضيه على الناس ضمن تلك الحدود . فصارت اراضيه اقطاعات ثم ملكيات خاصة . وهي عموماً صغيرة الحجم . وكانت الاسوار والخنادق وبعض التنظيمات المتعلقة بالسكن هي ابرز التحديدات في المدينة المدورة . أما في الارباض فقد تحددت السكن بالانهار . ولم تتجاوز مساكن الناس في الجانب الغربي نهر عيسى في الجنوب .

لقد كان مجال التوسع كبيراً في الجانب الغربي . فارضه مستوية والمواصلات فيه متيسرة . وهي متصلة ببادروريا والانبار وهما من اخصب واغنى طساسيج السواد . فهو يوفر المواد الغذائية لسكان الجانب الغربي . ولعل الزراعة الكثيفة وما كانت تدره من أرباح كانت أهم قيد يحدد التوسع في الجانب الغربي .

اما الجانب الشرقي فكان اقل خصوبة واعماراً من الجانب الغربي . لان ضفاف دجلة مرتفعة . فلم يكن بالامكان جر أنهار من دجلة لسقي الاراضي القريبة منه . ولذلك كانت اراضيها تسقى من ماء النهروان . ويلاحظ أن الانهار التي كانت في الرقعة التي بنى عليها الجانب الشرقي . كانت اسماؤها عباسية . كنهر الفضل . ونهر المهدي ، ونهر المعلى . ونهر موسى . وتدل هذه التسمية على أن العباسيين هم الذين حفروها . ولعل الغرض منها هو تزويد سكان الجانب الشرقي اكثر مما هو لتزويد المزارع . بالماء .

لذلك كان في الجانب الشرقي مجال اوسع لمنح اقطاعات جديدة ذات مساحات كبيرة لا للجند والحرس فحسب . بل للعرب ايضا . غير أنه يلاحظ ان ايعقوبي اشار الى مجال التوسع في الجانب الشرقي . وذكر ان ما أورده من معلومات في كتاب البلدان هو وصف القطائع عند تأسيس بغداد اي في أيام المنصور . غير انه في تعداد قطائع الجانب الشرقي ذكر أربع قطائع لعباسيين . وتسعة لموالي المهدي . وثمانية لموظفين كانوا في خلافة المهدي وثمانية عشر اقطاعا لعرب معظمهم من أهل اليمن وممن ولي الولايات في خلافة المهدي[١٣٦] أي ان معظم ما ذكره ينطبق على احوال الجانب الشرقي في خلافة المهدي وليس قبله . أما الخطيب فانه في مقدمته الخططية لم يذكر القطائع والخطط بل ذكر بعض ما فيها من اسواق

(٩) دروب (٣) ودور (٥) وقصور (٢) واحواض (٣) وطاقات (٢) وخانات ورحاب وقباب وشوارع وقناطر (واحد لكل منها) وقد ركز على الاسواق وسماها دون أن يصفها . ووصف الشاطيء اجنوبي وما فيه من قصور يرجع معظمها الى زمن الرشيد فما بعد ويرجع بعضها الى اواخر القرن الثالث(١٣٧) فوصفه لا ينطبق بدقة على الاحوال عند تأسيس عسكر المهدي .

وفيما عدا قطيعتي العباس بن محمد بن علي والربيع واللتين اعطيتا اليهما تعويضاً عن قطيعتيهما اللتين اصبحت احدهما مزدرعاً . وجعلت الثانية وهي قطيعة الربيع «اسواقاً ومستغلات» فان لم يكن لاي من أصحاب قطائع الجانب الشرقي قطيعة في الجانب الغربي ، وهذا يؤيد قول اليعقوبي ان القطائع وزعت في الجانب الشرقي بعد توزيعها في الجانب الغربي . ومن المحتمل ان قطائع الجانب الشرقي كانت كل منها واسعة . وأن صاحبها كان يقيم فيها مع اهله وأتباعه ومواليه مستفيداً من سخاء المهدي المشهور في الحصول على الاموال التي تدعم مكانته الشخصية وتسم الجانب الشرقي بأنه مقام كثير من المتنفذين والارستقراطية .

ويذكر اليعقوبي ان اقطاعات الجانب الشرقي لم تكن متماسكة ومتصلة . بل كانت بينها مساحات من الارض الفراغ «وبين القطائع منازل الجند وسائر الناس من الثناء ومن التجار ومن سائر الناس في كل محلة وعند كل ربض»(١٣٨) . ولما كانت المصادر لم تشر الى من انتزع منه اقطاع في الجانب الشرقي . وان أول من استوطن هذا الجانب هو جند المهدي العائد من الري . فالمعقول أن يكون هذا الجند قد وزع في أماكن متعددة من الجانب الشرقي . وأن بين هذه الاماكن فراغات أقطعت في وقت لاحق للعباسيين والقادة والاداريين والمقربين من الخليفة .

يتبين مما تقدم أن استيطان الجانب الشرقي بدأ في وقت مبكر . ويتسم بنفس مظاهره من حيث أن مستوطنيه الاولين هم ابنه وحاشيته وبعض اهل بيته وجنده ممن يرتبطون بالولاء للدولة الجديدة ويعتمدون في معاشهم على عطائها . ولا ريب في أن أبرز شخصية في الجانب الشرقي هو محمد المهدي . ابن الخليفة وولي عهده . غير ان اسكانه في الجانب الشرقي بعيداً عن مركزه في قصر الذهب . هو أمر ينسجم مع أسلوب المنصور الذي اقطع كافة اولاده اقطاعات خارج المدينة المدورة . ولم يجمع هؤلاء الاولاد في إقطاع او قصر واحد . وحتى المهدي نفسه قدر له المنصور أن يستوطن اولا في الشرقية التي تقع في الطرف

الجنوبي الشرقي خارج المدينة المدورة .

ولم يهدف المنصور في استيطان الجانب الشرقي ان ينشىء مدينة ثانية مستقلة عن المدينة الغربية . فلم ينقل اليها اياً من الدواوين . ولم يجعل لها سوراً او خندقاً . كما لم يبن لها في اوائل انشائها جامعاً .

كما انه لم يعمل ما يؤدي أن يتضخم الجانب الشرقي للدرجة التي ينافس فيها الجانب الغربي الذي ظل فيه افراد الاسرة العباسية واقطاعاتهم . ما عدا خمسة ليس فيهم من أولاد الخليفة الا المهدي . ولا من اخوته غير العباس الذي اقطع في الجانب الشرقي تعويضاً عن اقطاع له في الجانب الغربي . أما العباسيون الثلاثة الاخرون الذين اقطعوا في الجانب الشرقي فهم اسماعيل بن علي بن عبيدالله . وقثم بن العباس بن عبيده . والسرى بن عبدالله بن الحارث . وهم من «الاباعد» نسبياً . أما بقية الاقطاعات التي ذكرها اليعقوبي فهي لعرب من اهل اليمن خاصة ولعدد قليل من موالي المهدي . . وبعض كبار القادة والموظفين . فالاعاجم واهل ما وراء النهر قليلون نسبياً .

غير ان الجانب الشرقي سرعان ما ازداد اعماره والاستيطان فيه . فحدد المنصور للمهدي الرصافة «وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً وأجرى له الماء فكان يجري الماء من نهر المهدي الى الرصافة»[١٣٩] . وقد فرغ من ذلك في قول الحارث بن أبي اسامة . في سنة ١٥٤ . [١٤٠] وبهذا السور والخندق ازداد الشبه بين اوضاع الجانبين الشرقي والغربي من حيث ان كلا منهما صارت فيه منطقة محددة لاقامة اكبر رأس في كل جانب مفصول بسور وخندق عن الارض التي يقيم فيها بقية اسكان والتي أوضحت كالربض المكشوف . غير ان المنصور ظل على عزمه في عدم تحويل الجانب الشرقي الى مدينة قائمة بذاتها تقابل الجانب الغربي . فلم ينشىء فيها جامعاً ويروي الطبري أنه نصح بنه الا يجعل من الجانب الشرقي مدينة قائمة بذاتها ولكنه اشار الى ان نصيحته لن تنفذ فقد كان مما اوصى به المهدي «أياك ان تبني مدينة الشرقية . فانك لا تتم بناءها . وما اظنك تفعل»[١٤١] وقد صدق حدس المنصور . ففي السنة التالية من وفاته . أي في سنة ١٥٩ بني المهدي مسجد الرصافة[١٤٢] الذي يقول ياقوت أنه «اكبر من جامع المنصور وأحسن»[١٤٣] كما أن قبلته اصح من قبلة جامع المنصور في الجانب الغربي . وبناء الجامع رمز الى ان الجانب الشرقي صار له كيان المدينة القائمة بذاتها .

وقد بني المهدي بعد ذلك قصر الرصافة ولم يلبث ان ترك السكن فيه وانتقل الى قصر

الطين ثم الى قصر السلامة في الجانب الشرقي ايضاً . وكان في الجانب الشرقي مقام المهدي والهادي والمأمون . ثم صار مقام الخلافة بعد عودتها من سامرا .

لم تنشىء الدولة في اول الامر في الجانب الشرقي سوقاً . ولم تخصص ارضاً له . غير ان التطور الذي حدث في هذا الجانب ادى الى ظهور عدة اسواق اغلبها في الجهات الشمالية من الرصافة . وبالقرب من الجسر الذي يربط الجانب الشرقي بالاطراف الشمالية من الجانب الغربي . فيقول اليعقوبي «وسوق هذا الجانب العظمى التي تجتمع فيها اصناف التجارات والبياعات والصناعات على رأس الجسر . ماراً من رأس الجسر مشرقاً ذات اليمين وذات الشمال . من اصناف التجارات والبياعات ثم نمت اسواق اخرى منها سوق يحيى الذي يقع قرب الجسر ايضاً . وسوق خضير «وهي معدن طرائف الصين»[١٤٤]. وقد ذكر الخطيب السوقين الاخيرين وسوق العطش الذي «بناه سعيد الحرس للمهدي وحول اليه كلل ضرب من التجار بالكرخ»[١٤٥]. ويلاحظ ان هذه الاسواق مسماة باسم اشخاص من ذوي المكانة . وانها ما عدا سوق العطش تقع في الاطراف الشمالية من الجانب الشرقي ويصلها الجسر بالاطراف الشمالية من الجانب الغربي التي صارت اهم المراكز الصناعية ببغداد . فضلاً عن ان بقربها عدداً من القرى الصناعية .

ان بناء المسجد الجامع في الجانب الشرقي اكسب هذا الجانب كياناً قائماً بذاته . كما ان مقام الخلفاء فيه رفع من مكانته غير أنه لم يزد كثيراً من اختلافه عن الجانب الغربي لان قصور اخوة الخليفة ظلت في الجانب الغربي . وهي خارج المدينة المدورة. ثم ان كلا الجانبين كانت له مظاهر مشتركة . ففي كلمنها رقعة من الارض في وسطها المسجد الجامع وقصر الخليفة وأبنيته قليلة يحيطها سور وخندق يحدد توسعها ويفصلها عن بقية المنطقة المكشوفة التي فيها اقطاعات ذوي النفوذ والحاشية والجنب وأهل السوق . ها فضلاً عن أن مقام الخلفاء في كلا الجانبين لم يبق ثابتاً في مكان واحد . مما جعل الجامع المؤسسة الاساسية الوحيدة في كل منهما .

غير ان الجانبين يفصلهما نهر دجلة . ولا يرتبطان الا بجسور لم تزد على الثلاثة . فهي اقل من ان تكفي لخلط الجانبين . ثم أن قلة اقطاعات العباسيين تدل على قلة من سكن منهم الجانب الشرقي . كما ان اقطاعات الاعاجم من اهل خراسان وما وراء قليلة . ولكن موقع هذا الجانب شرقي دجلة يزيد من صلته وتأثره بالمناطق الشرقية التي ربما كان المهاجرون منها الى الجانب الشرقي اكثر من المهاجرين الى الجانب الغربي الذي استوطن

عدد من المهاجرين من المناطق الواقعة غربي دجلة .

ان نمو الجانب الشرقي واتخاذ بعض الخلفاء مراكزهم فيه اكسبه اهمية كبيرة . غير ان التباين بينه وبين الجانب الغربي لم يبرز للعيان . اذ لم تمر ببغداد أزمة طيرة تتطلب من كل جانب كشف موقفه السياسي الى ان حدث النزاع بين الامين والمأمون . وتقدمت جيوش الاخير لحصار بغداد . فلم يظهر اهل الجانب الشرقي حماساً في تأييد الامين . ثم ما لبثوا ان استسلموا لهرثمة بن اعين قائد المأمون . وذلك قبل ان يستسلم الامين ولذلك لم تحدث في الجانب الشرقي معارك عنيفة ولم يصبه الخراب الذي اصاب الجانب الغربي . غير ان طاهر بن الحسين قائد المأمون ووالي بغداد والعراق بعد مقتل الامين اتخذ مقامه في الجانب الغربي بالرغم من حركات المعارضة التي واجهها في ذلك الجانب .

غير انه لما قدم الحسن بن سهل والياً للمأمون على العراق وبغداد . قام أهل الجانب الشرقي بالدور الرئيس في معارضة المأمون . وبالرغم من أنه لم تظهر فيه الحركات الشعبية التي ظهرت في الجانب الغربي . وفي هذه الفترة برز تنظيم جديد يعين بموجبه واليان في بغداد يحكم كل منهما على احد الجانبين فان الحسن بن سهل «ولى علي بن هشام الجانب الغربي من بغداد وزهير بن المسيب على الجانب الشرقي . وأقام هو بالخيزرانة»[١٤٦] .

ولما انهزم الحسن بن سهل تولى القيام بأمر الناس محمد بن أبي خالد ولى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي . ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقي»[١٤٧] .

ولما ولى ابراهيم بن المهدي الخلافة مؤقتاً ببغداد «ولى الجانب الشرقي من بغداد العباس بن موسى الهادي . والجانب الغربي اسحق بن موسى الهادي»[١٤٨] .

ولما انهزم ابراهيم بن المهدي «غلب على بن هشام على شرقي بغداد . وحميد بن عبدالحميد على غربيها»[١٤٩] .

ولما خرج طاهر بن الحسين الى مصر سنة ٢٠٧ «استخلف اسحق بن ابراهيم على بغداد . والسندي بن يحيى على الجانب الشرقي وعياش بن القاسم على الجانب الغربي»[١٥٠] .

ويبدو ان تعيين وال على كل من جانبي بغداد ظل معمولاً به . الا ان المصادر لم تذكر الا حالات قليلة . فيذكر الطبري أنه في سنة ٢٣١ كان «محمد بن عياش وهو عامل الجانب الغربي . . وعامل الجانب الشرقي العباس بن محمد بن جبريل القائد الخراساني»[١٥١] وفي سنة ٢٤٩ «كان والي الجانب الشرقي حينئذ احمد بن محمد بن خالد بن هرثمة»[١٥٢] .

الشـــرطة :

ويذكر الصولي انه لما صرف الحزشني عن شرطة بغداد «ولواكاحو الجانب الغربي وجعل الجانب الشرقي الى ابي الفتح تتج الحجري وأخيه ابي الفوارس سخرياس شركة بينهما»[١٠٣].

وبالنظر لاهمية والي الشرطة فانه كان من الموظفين القلائل الذين ذكرتهم المصادر المتعددة منذ تأسيس بغداد . وتتصف المصادر بأن عددا ممن ولى الشرطة كان يلي أحياناً منصب الحرس او قيادة بعض الحملات أو ولاية بعض الاقاليم . غير ان المصادر اختلفت في تسمية ولاة الشرطة وفي مدة ولايـة كل منهم . وفي تعـاقبهم ففي زمن المنصور ولي عبدالجبار الازدي وموسى بن كعب الذي وليها في خلافة المهدي ايضاً وولي المسيب بن زهير الشرطة في زمن المنصور . كما ولي ابنه محمد بن المسيب في زمن الرشيد والامين . والعباس بن المسيب في زمن المأمون .

وولي عبدالله بن خارم في زمن المهدي والهادي والرشيد والامين . كما ولى خزيمة بن خازم في زمن المهدي والرشيد ، وتميم بن خزيمة في زمن الرشيد وولها نصر بن مالك في زمن المهدي . وعبدالله بن مالك في زمن المهدي والهادي والرشيد وحمـزة بن مالـك في زمن المهدي . ومحمد بن حمزة بن مالك في زمن الرشيد والامين والقاسم بن نصر بن مالك في زمن الرشيد . كما وليها ابراهيم بن عثمان بن نهيك . وابنه وهب بن ابراهيم في زمن الرشيد أما منذ زمن المأمون فقد انحصرت الشرطة وولاية بغداد بآل مصعب وطاهر بن الحسين .

ان النصوص التي اوردناها عن ولاة بغداد يذكر بعضها أنهم كانوا ولاة على بغداد . ويذكر البعض الآخر أنهم كانوا على الشرطة في بغداد . وهذا الاختلاف في الوصف لنفس الموصوفين يدل على أن ادارة الشرطة هي العمل الرئيس في ولاية بغداد . والواقـع ان الشرطة هي المؤسسة الحكومية الرئيسة التي يتصل عملها بالعامة والناس . اذ انها مسؤولة عن الامن وتتبع مثيري الشغب واصحاب الجنايات والنظر في قضاياهم والاشراف على السجون . وتقتضي هذه المهمات الواسعة ان يكون صاحب الشرطة ذا شخصية قوية ومكانة بارزة . وأن يكون للشرطة مستقر ثابت في المدينة . وأن تعنى الدولة بتنظيم عطائهم وأرزاقهم . وتكون لهم تنظيمات خاصة تتناسب مع واجباتهم التي تختلف عن واجبات الجيش . كما ان هذه الواجبات واتساع المدينة ومشاكل المواصلات كانت تقضي بايجاد اكثر

من مركز واحد لها في المدينة .

تكاد المصادر تجمع على ان في خلافة المنصور ولى الشرطة كل عبدالجبار الازدي . وموسى بن كعب . والمسيب بن زهير .

فاما عبدالجبار الازدي فان اليعقوبي يذكر له قطيعة قرب قطيعة أم جعفر . في شمال المدينة[١٥٤] ويبدو ان هذه القطيعة صودرت بعد ثورته في خراسان ومقتله لان المصادر الاخرى لم تذكرها .

وأما موسى بن كعب فقد كانت له قطيعة في الربض الواقع في شمال غربي مدينة المنصور[١٥٥] أما المسيب بن زهير فكان له اقطاع يعرف باسمه «في شارع باب الكوفة ما بين حد دار الكندي الى حد سويقة عبدالوهاب الى داخل المقابر»[١٥٦] ويقول اليعقوبي ان المنصور «اقطع المسيب بن زهير الضبي صاحب الشرطة يمنة باب الكوفة الداخل الى المدينة مما يلي باب البصرة . فهناك دار المسيب ومسجد المسيب ذو المنارة الطويلة واقطع أزهر بن زهير أخا المسيب في ظهر قطيعة المسيب مما يلي القبلة . وهو على الصراة»[١٥٧].

وفي خلافة المهدي ولي الشرطة خزيمة وعبدالله بن خازم ونصر وعبدالله وحازم اولاد مالك ، فأما خزيمة فكان له اقطاع بالجانب الشرقي عند طاق اسماء[١٥٨]. وهو اول القطائع على رأس الجسر[١٥٩]. وأما نصر بن مالك فقد نسبت اليه سويقة[١٦٠].

يتوقف عدد أفراد الشرطة على مدى توسيع المدينة وعلى مدى استقرار الامن فيها . وقد وجدت عن عددهم رقمان . أحدهما يرجع الى سنة ٢٩٩ حيث «كان مؤنس الخادم يلي شرطة بغداد وتحت يده برسمها تسعة الاف فارس وراجل»[١٦١]. والرقم الثاني يرجع الى سنة ٣٦٠ حيث «كانت شحنة البلد برسم نازوك صاحب المعونة أربعة عشر الف فارس وراجل»[١٦٢]. ولا ريب في ان هذه الارقام عن فترة متأخرة اعقبت اضطرابات واختلال في أمن بغداد وما يجاورها . الامر الذي تطلب زيادة عددهم خاصة وان هذه القوة كانت على الارجح مسؤولة عن الأمن في خارج بغداد . أي ان القوة المرابطة ببغداد كانت أقل من ذلك . ولعلها كانت أقل من ذلك .

أما عن نفقاتهم فلم أجد الا ما ذكره الصابي في كلامه عن تقدير النفقات اليومية لبلاط الخليفة المعتضد حيث قال «المرتزقة برسم الشرطة بمدينة السلام والخلفاء عليهم . وأصحاب الارباع والمصالح والاعوان والسجانين واصحاب الطواف والمأصرين . ومن في جملتهم من الفرسان الذين ميزوا وألحقوا بطبقة الدون من المشايخ والمترفين . من هذه

سبيله من الرجالة الموكلين بأبواب المدينه وأيام شهرهم مائة وعشرون يوما . من جملة سبعة الاف دينار من المشاهرة . خمسين ديناراً[١٦٣]. ان هذا النص يبين رواتب الشرطة عن رواتب غيرهم . كما ان الارقام التي يذكرها غامضة يصعب فهمها .

يذكر اليعقوبي السكك التي بمدينة المنصور . فاول سكة بين باب البصرة وباب الكوفة سكة الشرطة وسكة الهيثم وسكة المطبق وهي متميزة عن سكة الحرس التي تقع شرقي باب البصرة[١٦٤] ويذكر الخطيب «سكة الشرطة في المدينة كان ينزلها أصحاب الشرطة[١٦٥] ويفهم من كلام الخطيب ان مركز صاحب الشرطة في هذه السكة . غير انه لم يذكر الزمن الذي كان ينزلها فيه . والارجح ان الشرطة كانوا عند تأسيس المدينة المدورة يسكنون هذه السكة كما يقول اليعقوبي .

ذكر اليعقوبي في وصفه مدينة المنصور المدورة «وليس حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن لأحد الا دار من ناحية باب الشام للحرس . وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص . يجلس في احداها صاحب الشرطة وفي الاخرى صاحب الحرس وهي اليوم يصلي فيها الناس»[١٦٦]. يتبين من هذا النص ان سقيفة صاحب الشرطة هي واحدة من اثنتين كانتا حول قصر المنصور . والاخرى لصاحب الحرس . وقد يفهم من هذا مدى اهمية الشرطة وارتباطها بالخليفة ودورها في حمايته . ويتبين منه أيضاً ان دار الحرس من ناحية باب الشام . وأن سقيفة صاحب الشرطة كانت مبنية بالآجر والجص . ولم يوضح النص السقيفة التي يصلي فيها الناس في زمن اليعقوبي . ولعلها كانت من جهة شمالية وسط المدينة المدورة . فتكون بذلك بعيدة نسبياً عن سكة الشرطة التي تقع عند باب البصرة . أي في الجنوب الشرقي من المدينة المدورة . وهذا الوضع الخططي يؤكد كون سكة الشرطة سميت بذلك لان الشرطة كانت تنزلها . وان صاحب الشرطة كان عمله في السقيفة أي في الجهة الشمالية الغربية من قصر الذهب . ولعله نقل مقره فيما بعد فجعله عند سكة الشرطة قرب باب البصرة غير ان المصادر المصادر لا تذكر متى تم ذلك النقل . وكم ظل مقره هناك .

وقد ذكر اليعقوبي في وصفه الابنية والمنشآت التي بين دجلة والمدينة المدورة فقال «والربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعد ذلك بأزائها الخلد وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض وقصر يشرع على دجلة . فاذا جاوز موضع الجسر فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة الجسر . فاذا جاوزت ذلك فأول القطائع قطيعة سليمان بن

ابي جعفر»[١٦٧].

ان ادعاء اليعقوبي بأنه يصف احوال بغداد عند تأسيسها يعني ان مجلس الشرطة قد انشىء في عهد ابي جعفر. ومعنى هذا اما أن يكون هذا المجلس هو أحد مراكز الشرطة. او ان صاحب الشرطة قد اتخذه بعد ان ترك مجلسه الاول قرب القصر. وهذا الموقع الجديد بعيد نسبياً عن قصر الذهب وعن ارباض المدينة المدورة. ولكنه قريب من قصور اولاد الخليفة ابي جعفر وقصر الخلد الذي أقام فيه ابو جعفر في السنة الاخيرة من حياته كما كان من اهم منازل الرشيد والامين ابان خلافتهما. هذا فضلاً عن قربه من الجسر الرئيسي ببغداد والذي يصل الحربية والمدينة المدورة مع الرصافة والجانب الشرقي. مما يكسب هذا الموقع اهمية استراتيجية كبيرة.

ورد ذكر مجلس الشرطة بالجانب الغربي في بعض المصادر. فذكر طيفور «ولي المأمون من قبل بشر بن الوليد القاضي من الجانبين الغربي الحسين القاضي حضور الجسر مع عياش. وولي عكرمة ابا عبدالرحمن. الجسر الشرقي مع السندي «وكان صاحب الجسر اذا انصرف عياش من مجلسه جلس في المسجد الذي في ظهر مجلس الشرطة. وكان الآخر اذا انصرف السندي صار الى مسجد حسنة ام ولد المهدي. وهو المسجد الذي بباب الطاق من الحدادين. وهناك دار خمسة»[١٦٨].

وذكر الطبري ان الموفق «أمر أن تقطع يد الذوايني ورجله من خلاف. فقطع في مجلس الجسر بالجانب الغربي»[١٦٩]. وذكر الصولي «ووصل أبو بكر بن مقاتل الى مجلس الشرطة من الجانب الغربي فرأى الجسر مقطوعاً»[١٧٠].

وقد ذكرت المصادر مجلس الجسر في الشرق. فيذكر الجهشياري أن الرشيد «جلس في مجلس الجسر الشرقي واحرق جثة جعفر»[١٧١].

وذكر الطبري ان العامة في فتنة المستعين هاجوا أبا مالك الموكل بالجسر الشرقي «فدخل داره وخلاهم فانتبهوا ما في مجلسه»[١٧٢].

كما ذكر في احداث تلك الفتنة «وصار جماعة من الغوغاء والعامة الى المجلس الذي يعرف بمجلس الشرطة»[١٧٣]. في الجسر من الجانب الشرقي. وتهدم حيطان مجلس الشرطة».

يتبين مما سبق أنه كان للشرطة في بغداد. مركزان احدهما في الجانب الغربي عند رأس الجسر. والثاني في الجانب الشرقي وقد ورد ذكره منذ زمن خلافة هارون الرشيد. مما يظهر انه أنشىء بعد تزايد أهمية الجانب الشرقي. ولعل إنشاءه يرجع الى خلافة المهدي.

ولم تصرح المصادر بموقع مجلس الشرطة الشرقي .

غير أن في المصادر اشارات قد يستنتج منها موقع المجلس الشرقي . فقد ذكر اليعقوبي أن خزيمة بن خازم الذي كان يلي الشرطة في زمن المهدي . كان اقطاعه على رأس الجسر(١٧٤) . ويذكر الخطيب في أول الفصل الذي عنونه (تسمية نواحي الجانب الشرقي) «درب خزيمة بن خازم اقطاع . طاق أسماء بنت المنصور وهي التي صارت لعلي بن جهشيار»(١٧٥) ويبدو من هذا التعبير ان طاق اسماء يقع قرب درب خزيمة . ويذكر الهمداني من كلامه عن طاق اسماء «وكان من دارها التي صارت لعلي بن الجهشيار بمشرعة الصخر . أقطعه اياها الموفق . ثم أقطعها أزكوتكين بن اسباتيكن» ويذكر الطبري من حوادث سنة ٢٥١ «وانتهبت دار علي بن الجهشيار ، وكانت في الخراب على باب الجسر الشرقي»(١٧٦) ويذكر ابن الجوزي «دار ابي ليلى بن عبدالعزيز أبي دلف وهي دار علي بن الجهشيار على رأس الجسر»(١٧٧) . ويذكر الصولي ان اللصوص في سنة ٣٠٨ «كبسوا دار صاحب الشرطة محمد بن عبدالصمد . وكان ينزل الجانب الشرقي في الدار المعروفة لعلي بن الجهشيار»(١٧٨) ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٣٠٩ «ابتدى بهدم دار علي بن الجهشيار في الفرضة وكان هذا الباب علماً ببغداد العلو والحسن . وبنى موضعه مستغل»(١٧٩) ويدل نص عريب على أن دار علي بن الجهشيار كان ينزلها صاحب الشرطة . وهي في رأس الجسر . قرب دار خزيمة ولعلها كانت هي مجلس الشرطة .

ومن الطبري نصوص تذكر أن الشرطة كانت تقيم في مجلس الجسر ، ففي فتنة المستعين «انتهب مجلس الجسر وأخذ كل ما فيها»(١٨٠) وفي احدى احتفالات النوروز تجاوزت العامة حدودها «وصبوا الماء على أصحاب الشرطة في مجلس الجسر»(١٨١) وفي زمن المعتضد «ضم الشرطة بمدينة السلام الى عمرو بن الليث وكتب عليها على الاعلام والمطاردوا الترسة التي تكون في مجلس الجسر اسمه»(١٨٢) . وقد ذكرنا من قبل مجلس الجسر في زمن المأمون .

يتضح مما ذكرنا أن مجلس الشرطة كان عند الجسر الذي بين درب سليمان وباب الطاق وهو الجسر الرئيس الذي كانت نهايته الغربية عند الاطراف الشمالية من الجانب الغربي والتي كان فيها الخلد والقرار ودور سليمان وصالح ابني أبي جعفر وكذلك دار محمد بن عبدالله بن طاهر الذي كان يلي بغداد إبان انتقال الخلفاء الى سامراء . كما يتصل به الشارع الذي يمتد الى الحربية التي كان يقيم فيها معظم الجيش العباسي في الجانب

الغربي . وكذلك قطائع كثير من الاقوام القادمة من خراسان وما وراء النهر . كما قامت فيه أبرز المراكز الصناعية في بغداد . وهي محلة العتابيين التي كان فيها مركز انسيج العتابي ويقربها مصانع الورق الرئيسة في بغداد . هذا الى أن في شمالها تمتد عدة قرى اشتهرت بما فيها من مركز للخمر القطربلي والانسجة القطنية .

أما النهاية الشرقية للجسر فكانت تتصل بالاسواق الرئيسة في الجانب الشرقي . فضلاً عن أنهار قريبة من ارصافة التي كانت أهم بقعة في الجانب الشرقي ويقيم فيها بعض أفراد الاسرة العباسية .

ان من وظائف الشرطة النظر في أمر اصحاب الدعارات والجنايات . مما كان يتطلب منهم تطبيق مبادىء العدالة ومعرفة أحكام الشريعة والقوانين . غير ان اختيار أصحاب الشرطة من القواد والعسكريين الذين لم تكن لهم خبرة واطلاع بهذه الاحكام كان مبعث مشاكل حاول المأمون معالجتها . فيذكر طيفور أنه في سنة ٢٠٦ «ولي المأمون من قبل بشر إبن الوليد القاضي من الجانبين الغربي (؟) الحسين القاضي حضور الجسر مع عياش . وولى عكرمة أبا عبدالرحمن الجسر الشرقي مع السندي . فلم يكن لعياش ولا للسندي نهى في أصحاب الجنايات الا بحضورهما ، قال فلم يزل ذلك كذلك الى آخر أيام المأمون .

وكان صاحب الجسر اذا انصرف عياش من مجلسه جلس في المسجد الذي في ظهر مجلس الشرطة . وكان الآخر اذا انصرف السندي صار الى مسجد حسنة ام ولد المهدي . وهو المسجد الذي بباب الطاق في الحدادين . وهناك دار حسنة على[١٨٣] .

ويذكر الصولي في حوادث سنة ٣٠٦ «أمر المقتدر نجحا الطولوني . وكانت اليه شرطة بغداد . بأن يجلس في كل ربع من الارباع ففيها يسمع من الناس ظلاماتهم . ويفتي في مسائلهم حتى لا يجري على احد ظلم . وأمره أن لا يكلف الناس ثمن الكاغد الذي تكتب فيه القصص . وأن يقوم به . والا يأخذ الاعوان الذين يشخصون مع الناس اكثر من دانقين في أجعالهم[١٨٤] .

وقد نقل مسكويه هذا الخبر باختصارهم ثم أضاف اليه «فضعفت هيبة الشرطة بذلك . واستلان اللصوص والعيارون جانب نجح . فكانت الجراحات والفتن . وتفاقم الامر في اللصوص . وكان العيارون يقولون «أخرج ولا تبالي . ما دام نجح والي»[١٨٥] .

يتبين من هذا أن والي الشرطة وضع سنة ٣٠٦ في كل من ارباع بغداد فقيهاً وان الجديد في هذا العمل هو وضع الفقهاء أما وجود الارباع فكان قائماً عند ذلك . وكانت له

اهمية سكنية ويلاحظ أن عضد الدولة عندما قدم بغداد في سنة ٣٦٩ جعل لبغداد اربعة قضاة على كل ربع واحد . وقد أشارت المصادر الى أرباع بغداد غير أنها لم تذكر ما كان يشمله كل منها او أهميته الادارية . سوى ما ذكرته المصادر من تخصيص المنصور لكل ربع قائد ومهندس يشرف على بنائها .

ووضع قضاة . كما حدث في زمن المأمون . او فقهاء . كما حدث في زمن المقتدر . عند مجالس الشرطة للنظر في ظلامات الناس لا يدل على أن هذا النظر كان من صلاحيات أصحاب الشرطة قبل ذلك . ولكنه يظهر ادراك الدولة الصة الوثيقة بين الشرطة ومشاكل الجنايات .

وقد أقام القضاة قرب مجالس الشرطة وليس فيها . واختار احدهم مسجداً . هو مسجد حسنة . أي أنه أكد على الصلة الظاهرية بين عمله وعمل القضاة الذين يتخذون المساجد مراكز لعملهم .

ويروي الصابي ان رجلا زور توقيعاً «فأمر ابو الحسن بن الفرات بحمل الرجل صاحب التوقيع المزور الى صاحب الشرطة يعاقبه ويشهره»[١٨٦].

كما يذكر مسكويه أن ناصر الدولة (حوالي سنة ٣٣٠) كان «ينظر في قصص أصحاب الجنايات العامة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة»[١٨٧] وكل هذا يستلزم للشرطة فروعاً كثيرة ومراكز متعددة في بغداد غير أن المصادر لم تورد معلومات عنها .

القضاء والمظالم :

القضاء من اهم المؤسسات الادارية في المجتمعات الحضرية نظراً لكونه المسؤول الاول عن تطبيق القوانين وقواعد الشريعة في الاحوال الشخصية والمعاملات وارساء مبادىء العدالة التي هي أساس الحكم الصالح[١٨٨]. وعمل القضاء يمس الناس جميعاً ولا يقتصر على فئة محدودة او طبقة معينة .

ويتسع عمل القضاء بازدياد نشاط الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتعقدها فكان لابد ان تكون له اهمية خاصة في بغداد التي بلغ فيها النشاط شأواً بعيداً .

وقد اهتم الخلفاء العباسيون بالقضاء اهتماماً خاصاً . فأوجدوا منصب قاضي القضاة ببغداد ، وكان الخلفاء هم الذين يعينون القضاة في بغداد والام مار . بعد أن كان هذا التعيين في العصر الراشدي والاموي بين الولاة[١٨٩].

ولما بنى أبو جعفر المنصور مدينته المدورة عين لها قاضياً خاصاً بها . وظل الخلفاء من

بعده يعينون قاضياً على «مدينة المنصور» حتى اوائل القرن الخامس الهجري . اذ لم أجد في المصادر ذكراً لقاضٍ عليها بعد أبي الحسن علي بن عبالله الهاشمي (تـ٤١٥)[١٩٠] والراجح ان الخلفاء لم يعودوا يعينوا لها والياً بعد ذلك بسبب الخراب الذي حل فيها .

وقد نقل المنصور في اواخر سني خلافته اهل السوق الى الكرخ الواقع جنوبي المدينة المدورة وخارجها . وجعل لها مسجداً يجتمعون فيه يوم الجمعة[١٩١]. وسرعان ما نشطت الحياة الاقتصادية فيها وزاد عدد سكانها مما تطلب تعيين قاضٍ خاص لها ! وقد عين اول قاضٍ لها في زمن هارون الرشيد . وكان يدعى «قاضي الشرقية» وظل يدعى بذلك حتى سنة ٣٧٠ . غير ان عدداً قليلاً من المصادر القديمة كانت تدعوه قاضي الكرخ . ومنذ اواخر القرن الرابع الهجري زاد استعمال تعبير «قاضي الكرخ» وأخذ يحل محل تعبير «قاضي الشرقية» أما الجانب الشرقي فان المهدي عيه فيه قاضياً يقضي بين الناس هو عافية بن يزيد الازدي[١٩٢]. غير ان اول من فرق القضاء في الجانبين (أي جعل للجانب الشرقي قاضياً مستقلا فيه) هو موسى الهادي[١٩٣] وظل تعيين قاضي خاص للجانب الشرقي يتتابع حتى اواخر القرن الرابع الهجري . حيث جعل عضد الدولة في سنة ٣٦٩ على الجانب الشرقي قاضيان . يحكم احدهما في الطرف الاعلى منه . ويحكم الثاني في الطرف الاسفل . ويفصل بينهما المخرم[١٩٤]. .

وقد حدث في بعض الفترات ان ولى قاض واحد على الجانب الغربي او على الجانبين . ولكن هذه التعيينات كانت فردية ووقتية» .

وردت اشارات متعددة عن عدة قضاة كانوا يقضون في المسجد الجامع بالرصافة ومنهم ابن علاثة[١٩٥]. وعمر بن حبيب[١٩٦] وقتيبة بن مسلم[١٩٧]. ويحيى بن اكثم[١٩٨]. والحسن بن علي بن الجعد[١٩٩]. ومحمد بن معروف[٢٠٠] ويوسف بن عمر[٢٠١]. وابن البهلول[٢٠٢]. وهذا يقطع بان جامع الرصافة كان مركز قاض الجانب الشرقي .

أما قاضي الشرقية ففي اليعقوبي اشارة صريحة الى انه كان يقضي في مسجد الشرقية[٢٠٣] وأما قاضي المدينة المدورة . فقد ذكر ان محمد بن يوسف الذي ولي قضاءها سنة ٣٨٤ «جلس في المسجد الجامع بالمدينة»[٢٠٤]. ولعله لم يبتدع في ذلك .

وذكر ابن سعد أن علي بن ظبيان «ولي القضاء في زمن الرشيد وكان يجلس في المسجد الذي ينسب الى الخلد فيقضي فيه»[٢٠٥] والواقع ان الخلد كان يقيم فيه الرشيد ووزيره يحيى البرمكي . ولكن لم ترد اشارة في غير هذا النص عن مسجد في الخلد او عن قاضٍ يقضي

فيه .

ومن المعلوم ان عمل القاضي يقتضي ان يكون له ديوان خاص يحفظ فيه السجلات والوثائق ويعمل فيه اعوانه وكتابه وموظفوه ولكن لم يرد من تخطيط مساجد بغداد ذكر لمكان مثل ذلك فيها . كما لم يذكر في خطط بغداد مخصص لدائرة القاضي او لحفظ سجلاته[٢٠٦].

اما المظالم ، وهي مؤسسة تنظر في شكاوي الناس من تعديات الموظفين والحكومة . فق صارت لها اهمية كبيرة منذ زمن خلافة المهدي . وقد ذكرت المصادر ممن اشغلها في زمنه كل من ابن ثوبان[٢٠٧]. وعمر بن المطرف[٢٠٨]. وسلام[٢٠٩] . وذكرت بعض المصادر ان ابن ثوبان «كان يجلس للناس بالرصافة فاذا ملأ كساءه رقاعاً رفعها الى المهدي»[٢١٠] ثم اعد في مسجد الرصافة بيت خاص تلقى فيه رقاع الشكاوي اذ يذكر ياقوت عن ابن المطرف انه «ينظر من القصص التي تلقى في البيت الذي يسمى بيت العدل في مسجد الرصافة»[٢١١]. وقد استمر النظر في المظالم في عهد الخلافة العباسية . ولكن المصادر لم تذكر مكان مقام صاحب المظالم . غير ان طبيعة عمله لم تتطلب ادارة واسعة . رغم اهمية العمل .

السجن :

ان نشر الامن وتثبيت الاستقرار يتطلب انشاء وسائل ردع للعابثين فيه . وحجز للمتجاوزين عليه . وقد أدرك أبو جعفر المنصور ذلك فأخذه بنظر الاعتبار منذ اول تخطيطه وبناءه المدينة المدورة . فذكر اليعقوبي عند تعداده سكك المدينة المدورة بين باب البصرة وباب الكوفة . سكة الشرطة . وسكة الهيثم ثم «سكة المطبق وفيها الحبس الاعظم الذي يسمى المطبق . وثيق البناء . محكم السور»[٢١٢].

وكان المطبق سجناً لعدد من السياسيين» المغضوب عليهم . وممن ذكرت المصادر حبسهم فيه عبدالله بن مروان[٢١٣] يعقوب ابن ابي داود[٢١٤]. وابراهيم بن عائشة[٢١٥]. ومحمد بن عمر الخارجي[٢١٦]. وكاتب للحسن بن اسماعيل[٢١٧] ويحيى بن عمر بن حسن بن يزيد[٢١٨] وبختيشوع الطبيب[٢١٩]. ثم الحلاج[٢٢٠].

وهدد المتوكل من يأتي قبر الحسين بعد حرثه «أن يسجن في المطبق»[٢٢١].

وفي الاضطرابات التي رافقت فتنة المستعين «كسرت أبواب السجون . . وخرج كل من كان في المطبق»[٢٢٢].

الحبس الجديد :

تردد في المصادر ذكر الحبس الجديد . وأشار بعضها الى موقعه . فذكر الخطيب نقلاً

عن وكيع «كان موضع الحبس الجديد اقطاعاً لعبدالله بن مالك . نزلها محمد بن يحيى بن خالد بن برمك ، ثم دخلت في بناء أم جعفر أيام محمد الذي سمته القرار»[٢٢٣] وقال أيضا «وأما شاطيء دجلة من قرن الصراة الى الجسر . فذلك الخلد . ثم ما بعده الى الجسر فهو القرار . نزله المنصور في آخر أيامه . ثم أوطنه الامين»[٢٢٤] وقد ذكر الهمداني النص الاول وأضاف اليه «المسجد الكبير قبالة الحبس مما يلي السجن الجديد مسجد عبدالله بن مالك . ثم أبتنت أم جعفر في أيام الامين القصر المعروف بالقرار . وهو القصر الذي أقطعه المتوكل لمحمد بن عبدالله بن طاهر . فأقطعه محمد جماعة من أصحابه . . ثم يلي الحبس درب سليمان بن جعفر» .

يفهم من النص انف الذكر أن السجن الجديد قرب دور أولاد الخلفاء الاولين وقرب دار ابن طاهر عند رأس الجسر . وأنه بني بعد خلافة الامين . والواقع أن ذكره يتردد في أحداث القرن الثالث الهجري فيما بعد . وان كانت المصادر لم تنص على زمن بناءه بالتحديد .

وقد ذكرت المصادر بعض من سجن فيه : ففي زمن المستعين أمر محمد بن عبدالله بن طاهر «ببعض الاسرى فحبسوا في سجن الجديد»[٢٢٥] وأار الطبري الى «رجل من عمال الجسر الجديد»[٢٢٦] .

وكان للسجن الجديد سور نصب عليه رأس الحلاج وقد ظل هذا السور حتى سنة ٣٥٥ حين هدمه معز الدولة ونقل آجره الى داره[٢٢٨] .

كتب معز الدولة الى طاهرك بن موسى أن يبنى موضع الحبس الجديد ببغداد مارستاناً . وعمل على ان يقف عليه وقفاً . وأفرد لذلك مستغلاً بالرصافة ببغداد . وضياعاً بكلواذي وقطربل وجرجريا ترتفع بخمسة الاف دينار . وأبتدأ طاهرك فبنى المسنة وأتمها . وابتدأ بالبناء داخلها . فمات معز الدولة قبل ان يستتم ذلك» . ومن الواضح أن موضع الحبس الجديد كان لا يزال معروفاً في سنة ٣٥٥ . غير أنه لم يكن عليه بناء آخر . الا أن بقاء موضع الحبس لا يستلزم بقاء الحبس نفسه حتى ذلك التاريخ الا أن المصادر لا تحدد زمن ابطال السجن فيه .

حبس باب الشام :

ومن السجون القديمة ببغداد هو سجن باب الشام . فقد ذكر اليعقوبي في وصفه ما في ربع باب الشام «فأول ذلك قطيعة الفضل بن سليمان الطوسي . والى جنبه السجن

المعروف بسجن باب الشام»[٢٣٠].

ويذكر الطبري في حوادث الشغب التي رافقت الاضطراب في زمن المهتدي أن الحسين بن اسماعيل لما ترك بغداد «حبس كاتبه في المطبق وحاجبه في سجن باب الشام» وأن محمد بن أوس ضرب شيعياً من المراوزة كان من خاصة الحسين بن اسماعيل «وحبسه بباب الشام» ثم يقول «فلما كان يوم الجمعة . اجتمع جماعة من الجند والشاكرية ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا الى سجن باب الشام ليلاً . فكسروا بابه واطلقوا في تلك الليلة اكثر من كان فيه . ولم يبق فيه من اصحاب الجرائم الا الضعيف والمريض والمثقل . فكان ممن خرج في تلك الليلة نفر من اهل بيت مساور بن عبدالحميد الشاري وخرج معهم المرحذي . . وأصبح الناس من يوم الجمعة وباب الحبس مفتوح . فمن قدر أن يمشي مشى . ومن لم يقدر اكترى له ما يركبه وما يمنع ذلك مانع ولا يدفع دافع . . وسد باب السجن بباب الشام بآجر وطين»[٢٣١] ويذكر الخطيب أن العامة كسرت الحبوس في مدينة المنصور . غير ان ابواب المدينة اغلقت فلم يفلت منهم احد[٢٣٢].

سجن نصر بن مالك :

وقد وردت في الاخبار معلومات عن سجن نصر بن مالك الذي يظهر انه كان في الجانب الشرقي . فيذكر الطبري أنه في سنة ٢٤٩ قتل عمر بن عبدالله الاقطع وعلي بن يحيى الارضي . وهو من أبرز القواد المسلمين في الثغور «فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير . وانضمت اليهم الابناء والشاكرية . . ففتحوا سجن نصر بن مالك واخرجوا من فيه وفي القنطرة بباب الجسر . . وقطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار وانحدرت وانتهبت ديوان قصص المحبسين وقطعت الدفاتر والقيت في الماء . . وذلك كله بالجانب الشرقي من بغداد»[٢٣٣].

سجن النساء :

يذكر الطبري ان بشراً كثيراً حضروا عند فتنة المستعين الى الجزيرة التي عند دار ابن طاهر . ثم صاروا الى الجسر من الجانب الشرقي . ففتحوا سجن النساء واخرجوا من فيه . ومنعهم علي بن الجهشيار ومن معه من الطبري من سجن الرجال . ومانعهم أبو مالك الموكل بالجسر الشرقي» ويتبين من هذا ان سجن النساء كان في الجانب الشرقي قرب سجن الرجال وغير بعيد عن الجسر . .[٢٣٤].

دار الاستخراج :

يذكر الطبري ان المنصور كان «لا يولي احداً ثم يعزله الا القاه في دار خالد البطين . . كان منزل خالد على شاطيء دجلة ملاصقاً لدار صالح المسكين فيستخرج من المعزول مالاً . فما اخذ من شيء امر به فعزل وكتب عليه اسم من اخذ منه وعزل في بيت المال وسماه بيت مال المظالم . فكره ما من ذلك البيت من المال والمتاع»[٢٣٥] .

نفقات السجون :

وفي سنة ٢٩٠ كانت «نفقات السجون وثمن اوقاف المحبسين ومائهم وسائر مؤنهم من جملة الف وخمسمائة دينار في الشهر . عشرة دنانير»[٢٣٦] .

المحتسب :

ان تنوع جوانب الحياة الاجتماعية وتعقدها . والازدهار الاقتصادي الذي بدأ يظهر وينمو منذ السنين الاولى لتأسيس بغداد تطلب وجود المحتسب للقيام بمراقبة الحياة العامة والمعاملات . وكان عمله اشد اتصالا بالاماكن المزدحمة وبمراكز المعاملات الاقتصادية وهي الاسواق . والواقع ان المنصور ادرك ضرورة وجود الاسواق لسد حاجات الناس من مختلف السلع . فوضع عند تأسيسه المدينة اسواقاً في طاقات المدينة المدورة . كما خصص في الارباض اسواقاً محلية . غير ان التطورات السريعة لحياة الاسواق الى الكرخ التي تقع جنوبي المدينة المدورة وخارجها . وقد تطور الكرخ بسرعة حتى اصبح يضم اعظم اسواق بغداد . غير انه بجانب ذلك نشأت ايضاً أسواق اخرى في شمالي المدينة المدورة وخارجها . كما نمت عدة اسواق في الجانب الشرقي . وستكون هذه الاسواق وتوزيعها موضوع دراسة خاصة . أما هنا فنقتصر الكلام عن مركز المحتسب وعمله دون الدخول في تفاصيل واجبات المحتسب ونطاق اختصاصاته .

لقد وجدت وظيفة المحتسب في بغداد منذ اول تأسيسها .[٢٣٧] غير انه بالرغم من أهمية هذه الوظيفة وقدم وجودها فأنه ليست لدينا قائمة كاملة او وافية باسماء من وليها بغداد . وخاصة قبل منتصف القرن الثالث الهجري . ويظهر من المعلومات المتوفرة عن اسماء من ولي الحسبة . انه كان في بغداد محتسب واحد . الا انه ذكر عدد قليل ما يشير الى وجود أكثر من محتسب واحد في بغداد . ففي سنة ٢٧٢ هـ «رتب من الحسبة بالحريم ابو

جعفر الخرقي[٢٣٨]. وفي سنة ٥٢٣ «ولي ابن الكرخي القضاء والحسبة بنهر المعلي[٢٣٩]. وذكرت المصادر ثلاثة تولى كل منهم الحسبة بالجانب الغربيوهم أحمد بن محمد بن عبدالواحد الصباغ[٢٤٠] ومنصور بن هبة الله بن محمد أبو الفوارس (تـ٥٢٣)[٢٤١] وعبدالقاهر بن محمد بن عبدالله الوكيل . ابن الشطوي (ولي بعد سنة ٥٢٩)[٢٤٢]. غير أن قلة هذه الاسماء تدل على هذه التعيينات شاذة ووقتية . وان كنا لا نعرف ظروفها او اسماء من عين في زمن كل منهم على الجانب الشرقي .

ومعظم من ولى الحسبة عملاً آخر . فقد ولي محمد بن ياقوت الشرطة مع الحسبة[٢٤٣]. وولى الكرخي القضاء والحسبة بنهر المعلى[٢٤٤]. وولى ابو جعفر محمد بن احمد السمناني الحسبة والمواريث[٢٤٥].

وتذكر المصادر المحتسب في بغداد والحسبة تعمياً دون تخصيص ما عدا ابن بطحا (تـ٣٢٤) حيث يذكر الصابي أنه «محتسب الحضرة وسوق الرقيق»[٢٤٦] ويقول ابن الجوزي انه (ولى حسبة سوق الرقيق وسوق مصر(؟)[٢٤٧].

ان تعدد الاسواق الكبيرة في بغداد . وسعة واجبات المحتسب كانت تتطلب ان يكون له نواب او معاونون . غير ان المصادر لم تذكر الا نصاً واحداً عن ابن قريعة (تـ٣٦٧) وكان محتسباً على بغداد «فكتب الى خليفته بباب الشام رقعة نسخها . . »[٢٤٨].

اما المكان الذي كان مقر عمل المحتسب في بغداد . فلم اجد في المصادر الا نصاً واحداً متأخراً عن الفترة . وهذا النص هو ما ذكره ابن الجوزي عن انه في سنة ٥٦٣ «جلس المحتسب بباب بدر على ما جرت به العادة»[٢٤٩] وواضح من هذا النص ان جلوس المحتسب بباب دار (وهو من ابواب دار الخلافة) كان جارياً قبل هذا التاريخ . غير ان المصادر لا تسعفنا بتحديد الزمن الذي بدأ فيه المحتسب يجلس بباب بدر . ولا المكان الذي كان يجلس فيه قبل ذلك .

مراكز الجباية المالية :

كانت بغداد عندما اسسها المنصور «ارض حر» ليس على المزروعات في داخلها خراج . شأن كافة المدن الاخرى . وقد حاول ابو عبيدالله الكوفي الذي ولى الوزارة فرض الخراج على ما فيها من بساتين . ولكنه لقى مقاومة أجبرته على ترك المحاولة . اما الاراضي التي حولها فقد كان يقوم بجباتها ديوان بادوريا الذي يدخل في جبايته البساتين الواقعة على نهر طابق وعند قطيعة النصارى . باعتبار ان اراضيها خارجة عن بغداد .

ونظراً لكون بغداد «ارض حر» فانه لم تفرض ضرائب على الصناعات والبياعات

فيها . واول محاولة لفرض العشر على مصانع النسيج «الابريسمات» جرت سنة ٣٨٩ في زمن الوزير أبي نصر بن سابور . ولكن المحاولة لقيت مقاومة وأثارت هياجاً مخرباً اضطر معه الوزير ان يتوقف عن فرض العشر(٢٥٠). غير انه لما نقلت الاسواق الى الكرخ فرض المنصور . ويقال المهدي . ضريبة اعتبرها «غلة على الحوانيت» وليست ضريبة على التجارات والبيوع . ولم تذكر المصادر من كان يجبيها او مركز عمله او الديوان الذي ينتسب اليه .

وبلغ اجرة الاسواق ببغداد في الجانبين جميعاً من رحا الطريق وما اتصل بها في كل سنة اثني عشر الف الف درهم(٢٥١)وكان على اهل الذمة المقيمين ببغداد ان يدفعوا للدولة الجزية وهي مبلغ محدد من المال يدفعه كل رجل منهم حسب دخله في بداية السنة الهجرية . ويقوم الرئيس الديني لكل ملة بجمع الجزية من ابناء ملته ثم يسلمها للدولة . وبذلك يكون مركز جبايتها هو مركز اقامة الرؤساء الدينيين لاهل الذمة . واهم الكتل الدينية في بغداد هم النساطرة . واليعاقبة . والملكانيون . واليهود . والمجوس . وكان الجاثليق رئيس النصارى النسطورية ينزل الدي العتيق عند مصب في دجلة(٢٥٢). اما رؤساء بقية الطوائف والملل فلم تذكر محل اقامتهم . ولعلهم اقاموا في المحلات المعروفة بمللهم .

غير ان الدولة كانت تجبي على بعض السلع المستوردة ضرائب المكوس . وبالرغم من نفرة الفقهاء من هذه الضريبة فان المعلومات التي حفظتها كتب الفقه تظهر ان جبايتها كانت قائمة منذ خلافة عمر وكان ممن عين على جباتها عدد من الفقهاء كمسروق . وزياد بن حدير ومع انه لم تجر دراسة دقيقة شاملة عن مقدار هذه الضريبة والسلع التي تجبي منها . الا أن من المؤكد ان اهم مراكزها هو الانهار حيث تقام المآصر . والمآصر سلسلة او حبل يمد على الطريق او النهر لحصر السفن او المارين لتؤخذ منهم هذه الضريبة(٢٥٣).

وقد تردد ذكر المأصرين في بغداد فذكر الصابي في ميزانية بلاط الخليفة المعتضد المرتزقة برسم الشرطة بمدينة السلام والخلفاء عليهم واصحاب الارباع والمصالح والاعوان والسجانين واصحاب الطوف والمأصرين . . »(٢٥٤)

وتردد ذكر المآصر الاعلى فيذكر الصولي انه في سنة ٣٢٧ «ضمنت دجلة والمآصر الاعلى بخمسمائة دينار وعقد القيار بالفي درهم»(٢٥٥) وفي سنة ٣٦٠ كان ابن بقية «ضامناً لتكريت وما يجري معها من المآصر العليا وابواب الاموال»(٢٥٦) وفي سنة ٤٢٥ «مضى البرجمي الى العامل على المآصر الاعلى بقطيعة الرقيق»(٢٥٧) وامر عميد الجيوش مرة غلاماً له

ان يسير وعلى راسه صينية مملوءة بالدراهم من النجمي الى المأصر الاعلى»([٢٥٨]).

اما المأصر الاسفل فقد ذكره الصابي فيما رواه من مفردات تقدر مصروفات بلاط الخليفة الذي اعده الوزير علي بن عيسى سنة ٣٠٦ حيث ذكر من هذه المصروفات «ثمن فلوس للمآصر الاسفل»([٢٥٩]) ولم أجد في المصادر اشارة الى موقع المأصر الاسفل ولعله المأصر الذي يلي كلواذي الذي ذكره المسعودي في كلامه عن حصار طاهر بن الحسين للامين . حيث يذكر ان هرثمة بن أعين بعث بزهير بن المسيب الضبي من الجانب الشرقي فنزل الماطر (كذا والصحيح الماحر) مما يلي كلواذا وعشر ما في السفن من أموال التجار الواردة من البصرة وواسط ونصب على بغداد المنجنيقات ونزل في رقة كلواذى»([٢٦٠]).

ويتبين مما اوردناه اعلاه ان الماحر الاعلى كان في قطيعة الرقيق . قرب الفرضة الشمالية التي تردها السفن من الموصل وبقية بلدان الشمال . وان الماحر الاسفل عند كلواذى حيث تمر فيه السفن الواردة من البصرة وواسط . غير انه يلاحظ انه لم يرد ذكر الماحر على المحول او نهر عيسى الذي تمر فيه السفن القادمة من الفرات علماً بانه كانت على عيسى فرضة كبيرة ايضاً . فيذكر اليعقوبي ان نهر عيسى «تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر . تصير الى فرضة عليها الأسواق وحوانيت التجار لا تنقطع في وقت من الاوقات . كالماء لا ينقطع»([٢٦١]).

الديوان ودار الضرب :

ان بغداد باعتبارها مركز الخلافة . كانت فيها الدواوين المتعلقة بمتطلبات الخليفة وباعمال الدولة من جباية او نفقات . ير انه بعد انتقال الخلافة الى سامراء نقل الى العاصمة الجديدة الدواوين المتعلقة بادارة الدولة . والتي نبحثها في مقالة تالية ولكن لابد انه بقيت فيها دواوين محلية يرتبط عملها بالمدينة . وابرزها البريد وديوان الجند ودار الضرب .

فاما البريد في بغداد فقد ذكر في عدة مواضع . وورد في بعضها اسماء شاغليه فيذكر الطبري ان محمد اشهد على موت ايتاخ «صاحب بريد بغداد»([٢٦٢]) وانه ورد الى المتوكل «كتاب صاحب البريد بمدينة السلام بوفاة محمد بن اسحق بن ابراهيم([٢٦٣]) ولما عزم المتوكل على دفن احمد بن نصر الخزاعي حصل في بغداد اضطراب» فكتب صاحب البريد ببغداد وكان يعرف بابن الكلبي . . »([٢٦٤]) ولما شاع ان عيسى بن جعفر شتم بعض الصحابة «فكتب صاحب بريد بغداد الى عبيدالله بن يحيى خاقان»([٢٦٥]). كما يذكر ان عبدالله بن المعتز «ولى

بريد بغداد رجلاً يقال له صالح بن الهيثم»[٢٦٦]. ولم اجد في المصادر ذكراً لمكان عمل صاحب البريد ببغداد .

ولما نقل الخلفاء مركزهم الى سامراء نقلوا معهم الجند ودواوينهم غير انه بقي في بغداد حامية وكان «جند بغداد يأخذون عطاءهم من ديوانهم في بغداد»[٢٦٧]. غير ان المصادر لم تذكر مكان هذا الديوان .

وكان في بغداد منذ انشاءها مركز لضرب الدراهم والدنانير . وقد استمر دار الضرب في عمله . حيث كانت تضرب الدراهم سنوياً والراجح ان الدنانير كانت تضرب فيه ايضاً . وقد استمر دار الضرب في عمله حتى خلال انتقال الخلافة الى سامراء . ولكني لم اجد اشارة الى موقع دار الضرب . الا نصاً متأخراً حيث يذكر الجوزي انه في سنة ٣٨٥ «وقع الحريق بنهر المعلى في الموضع المعروف بنهر الحديد الى خرابة الهراس والى باب دار الضرب»[٢٦٨]. ومن المؤكد ان موقع دار الضرب هذا متأخراً نسبياً . اذ لابد من انه كان في زمن المنصور . وربما في زمن الخلفاء العباسيين الاولين . في الجانب الغربي حيث كان مقر الدولة ولكننا لا نعلم زمن نقله . ولا الاماكن التي نقل اليها قبل ان يستقر قرب نهر المعلى .

(١) الدكتور صالح احمد العلي . منازل الخلفاء وقصورهم في بغداد (سومر ٣٢ ص ١٤٥ - ١٨٩)
(٢) الطبري ٣/٣٣٢ . ٣٥٢
(٣) الطبري ٣/٣٥٤ .
(٤) الطبري ٣/٣٦٩ - ٧
(٥) الطبري ٣/٣٧٢
(٦) يذكر مؤلف العيون والحدائق ان المنصور حج سنة ١٤٠ «واستخلف عيسى بن موسى» (العيون ٢٢٧) ويذكر الطبري ان المنصور حج سنة ١٤٤ «وخلف على عسكره والميرة خازم بن خزيمة» (الطبري ٣/١٤٣) غير أن النصين يتعلقان بفترة سابقة على انشاء بغداد .
(٧) الطبري ٣/٣٩٠
(٨) الطبري ٣/٤٨٣
(٩) الطبري ٣/٤٩٥ . ٤٩٨ الجهشياري ١٤٦ .
(١٠) الطبري ٣/٥٠٢
(١١) الطبري ٣/٥٠٦
(١٢) الطبري ٣/٥١٧ . ٥٢١
(١٣) الطبري ٣/٥٢١
(١٤) الطبري ٣/٥٤٥
(١٥) الطبري ٣/٥٤٧
(١٦) الطبري ٣/٦٠٣
(١٧) الطبري ٣/٦٤٦
(١٨) الطبري ٣/ ٧٣٠ العيون والحدائق ٣١٥
(١٩) الطبري ٣/٧١٣

ويلاحظ ان المعتصم قبل ان ينتقل الى سامراء خرج «الى القاطول واستخلف ببغداد ابنه هارون الواثق (طبري ٣/١١٨٠)

(٢٠) الطبري ٣/٣٨٢ الجهشياري ١٤٦ .
(٢١) الطبري ٣/٣٤٧ .
(٢٢) الطبري ٣/٦٠٤
(٢٣) الطبري ٣/ ٧٣٠ العيون والحدائق ٣١٥

ويلاحظ ان الرشيد حج سنة ١٨٦ «وخلف بالرقة ابراهيم بن عثمان بن نهيك واخرج معه ابنيه» (الطبري ٣/٦٥٢ . ٦٥٤) وانه في سنة ١٩٠ «غزا الرشيد الصائفة واستخلف ابنه عبدالله المأمون بالرقة وفوض اليه الامور . وكتب الى الافاق بالسمع له والطاعة» (الطبري ٣/٧٠٨) وكان الخلفاء العباسيون الاولون عندما يتفذون اولادهم في بعض الاعمال الكبيرة يضمون اليهم رجالاً لمعاونتهم فلما انفذ المنصور المهدي الى الري سنة ١٥٠ ضم اليه ابا عبيدالله معاوية بن عبيدالله بن يسار الجهشياري ١٢٦ ولما انفذ المهدي ابنه موسى انفذ معه ابراهيم بن ذكوان الحراني (الجهشياري ١٦٧) ولما اغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة سنة ١٨٨ جعل «على امره ابراهيم بن عثمان بن نهيك» (تاريخ اليعقوبي) ٣/١٥٤

(٢٤) الطبري ١٠٣٠/٣

(٢٥) الطبري ١٠٢٦/٣ . ١٠٢٧

(٢٦) الطبري ٩٧٥/٣

(٢٧) الطبري ١٠٠٥/٣

(٢٨) الطبري ١٠١٦/٣

(٢٩) الطبري ٩٧٥/٣

(٣٠) الطبري ٩٨٦/٣

(٣١) الطبري ١٠٣٩/٣

(٣٢) تاريخ طيفور ٢٠

(٣٤) تاريخ طيفور ٢٣ الطبري ١٠٤١/٣

(٣٥) الطبري ١٠٣٩/٣

(٣٦) الطبري ١٠٦٢/٣

(٣٧) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني في ١٧١

(٣٨) كذلك ١٦٩

(٣٩) كذلك ١٧١

(٤٠) الطبري ١٠٣٩/٣

(٤١) تاريخ حمزة الاصفهاني ١٦٦ .

(٤٢) كذلك ١٦٦ .

(٤٣) كذلك ١٦٩

(٤٤) الطبري ١٠٦٢/٣

(٤٥) الطبري ١١٠٢/٣

(٤٦) الطبري ١٤٠٣/٣

(٤٧) الطبري ١٠٦٥/٣ـ٧

(١٨) الطبري ١٣٣٩/٣

(٤٩) الطبري ٣/المحبر الطبري ١٤٠٦/٣ تاريخ اليعقوبي ٣ر٢١٢

(٥٠) المحبر ٣٧٦ الطبري ١٤١٠/٣ تاريخ اليعقوبي ٢١٢/٣

(٥١) الطبري ١٦٩٢/٣ . ١٦٩٦ . ١٧٢٦ .

(٥٢) الطبري ١٧٠٦/٣ .

(٥٣) الطبري ١٩٣٧/٣

(٥٤) الطبري ١٩٣٦/٣ . ٢١١٦ .

(٥٥) تجارب الامم ٤٥٢ .

(٥٦) الطبري ٩٠٢/٣ وانظر ياقوت ٥٤٠/٣ حيث يذكر انه جعل عيون الطف سوادية

(٥٧) تاريخ حمزة الاصفهاني ١٦٩ .

(٥٨) تاريخ اليعقوبي ٢١٢/٣

ويلاحظ ان المصادر الاخرى لم تذكر ما يؤيد ان ولاية محمد شملت مصر . لا في هذا العهد ولا في غيره . فقد كانت

ولاية مصر لايتاخ . وكان والي مصر من قبل ايتاخ في سنة ٢٣٤ هو هرثمة بن نصر الجبلي فلما مات في ٢٣ رجب سنة ٢٣٤ استخلف ابنه خاتم . ثم عزل ايتاخ خاتم وولى مصر علي بن يحيى الارمني (النجوم الزاهرة ٢ ، ٢٧٤ الولاة والقضاة للكندي ١٩٧) ثم عزل المتوكل ايتاخ وامر اسحق بن ابراهيم بالقبض عليه . وولى مصر ابنه محمد المنتصر فاقر المنتصر علي بن يحيى على مصر الى ذي الحجة سنة ٢٣٥ حيث ولاها اسحق بن يحيى بن معاذ . وعاد علي يحيى الى سامراء ثم ولي قيادة جيش ارمينية (النجوم الزاهرة ٢ /٢٧٨ وانظر ايضا الكندي ١٩٨) ويلاحظ ان ابن يحيى عزل بعد سنة وولى مصر مكانه عبدالواحد بن يحيى بن منصور بن طلحة بن زريق (النجوم ٢ /٢٨٨) .

(٥٩) الطبري ٣/١٤١٠
(٦٠) تاريخ اليعقوبي ٣/٢١٢
(٦١) الطبري ٣/١٤١٠ .
(٦٢) تاريخ حمزة ١٧١
(٦٣) الطبري ٣/١٧٢٨
(٦٤) الطبري ٣/١٧٢٧
(٦٥) الطبري ٣/١١٠٢
(٦٦) تاريخ حمزة ١٦٩ .
(٦٧) تاريخ اليعقوبي ٣/٢١٢
(٦٨) الطبري ٣/١٤١٠
(٦٩) تاريخ حمزة ١٦٩ .
(٧٠) الطبري ٣/١٤١٠ .
(٧١) تاريخ حمزة ١٦٩ .
(٧٢) اليعقوبي ٣/٢١٢
(٧٣) تاريخ حمزة ١٦٩ .
(٧٤) تاريخ اليعقوبي ٣/١٩٧ .
(٧٥) تاريخ اليعقوبي ٢١٢
(٧٦) الطبري ٣/١٥٢٣ .
(٧٧) الطبري ٣/١٧٢٧
(٧٨) تاريخ طيفور ٩٢
(٧٩) تجارب الامم ٤٥٢
(٨٠) تاريخ طيفور ٧٥ الطبري ٣/١٠٢
(٨١) تجارب الامم ٤٩٤
(٨٢) تاريخ حمزة ١٦٨
(٨٣) الطبري ٣/١٣٤٤ .
(٨٤) المحبر ٣٧٦
(٨٥) الطبري ٣/١٤٠٣ .
(٨٦) الطبري ٣/١١٨٠ .
(٨٧) الطبري ٣/١٤١٠ .

(٨٨) تاريخ اليعقوبي ٢١٢/٣ المحبر ٣٧٦ .

(٨٩) الطبري ١٤١٠/٣

(٩٠) تاريخ حمزة ١٦٩ .

(٩١) الطبري ١٦٩٢/٣ .

(٩٢) الطبري ١٧٠٦/٣ . ١٧١٤ .

(٩٣) الطبري ١٧٢٨/٣

(٩٤) معجم البلدان ٦٠٧/١ ـ ٩

(٩٥) الخطيب ٩٩/١ فما بعد

(٩٦) معجم البلدان ٢٥٥/٢

(٩٧) اليعقوبي ٢٤٩

(٩٨) الطبري ٢١٥٩/٣

(٩٩) الطبري ٢٢٥٣/٣ .

(١٠٠) الخطيب ١١٢/١ سهراب ١٣١ ياقوت ٣٧٨/٣ ويذكر اليعقوبي «قطيعة البغيين اصحاب حفص بن عثمان . وقد صارت دار حفص لاسحق بن ابراهيم . ثم السوق على دجلة في الفرضة . ثم قطيعة لجعفر بن امير المؤمنين المنصور صارت لام جعفر ناحية باب قطربل» (٢٤٠) وواضح من هذا النص ان الدار التي يذكرها اليعقوبي تقع عند البغيين وبعيدة عن النهر . فهي دار غير اسحق المشهورة .

(١٠١) الخطيب ٨٧/١ . ٥٢/٦ .

(١٠٢) المنتظم ١٥٣/٦ .

(١٠٣) الخطيب ٥٢/٦ .

(١٠٤) المنتظم ٢٨٦/٧

(١٠٥) المنتظم ٢٥٦/٧

(١٠٦) مناقب بغداد ٢٦

(١٠٧) المنتظم ٣١٦/٦ . ٢٨٦/٧ .

(١٠٨) الطبري ٢٢٠٧/٣ الخطيب ٦٩/١ مروج الذهب ٢٧٤/٤ .

(١٠٩) الطبري ٢٢٨١/٣ صلة الطبري لغريب ٢١ الخطيب ٦٩/١ . ٣١٧/١١

(١١٠) الخطيب ٣٤٠/١ صلة الطبري ١٨١ .

(١١١) الوزراء للصابي ٥٢

(١١٢) المنتظم ٨١/٦

(١١٣) تجارب الامم ٣٦٨

(١١٤) تكملة تاريخ الطبري بيهمداني ١٤٩ .

(١١٥) صلة تاريخ الطبري .٢٢

(١١٦) صلة تاريخ الطبري ١٨١

(١١٧) الطبري ١٦١٦/٣ . ١٦٢٨ . ١٦٣١ . ١٧٣٠

(١١٨) الطبري ١٥٤٣/٣ . ١٦١٦

(١١٩) انظر مقالتنا

(١٢٠) الطبري ٣/٨٩٢ وانظر مروج الذهب ٣/١٠٨

(١٢١) الطبري ٣/ ٨٤٨

(١٢٢) الطبري ٣/٨٤٩

(١٢٣) الطبري ٣/٨٦٥

(١٢٤) مروج الذهب ٣/٤٠٣

(١٢٥) الطبري ٣/٩١٧ . ٩٣٥

(١٢٦) الطبري ٣/١٠١٠

(١٢٧) الطبري ٣/١٠٠٨-١٠١٠ وانظر ايضا ١٠٢٥

(١٢٨) الطبري ٣/١١٧٩ .

(١٢٩) الطبري ٣/٣٦٦-٧

(١٣٠) ذكر الخطيب ان المنصور بعد نقل أهل السوق الى الكرخ وسع طرق المدينة وأرباضها ووضعها على مقدار اربعين ذراعاً وأر بهدم ما شاع من الدور عن ذلك القدر» (١/ ٧٩) غير ان هذا لا يدل على اعادة النظر في توزيع القطائع .

(١٣١) الطبري ٣: ٣٦٤-٣٦٥

(١٣٢) الخطيب ١/١٢٥ وهو يذكر ان الاصح انه مدفون في الجانب الغربي .

(١٣٣) الخطيب ١/١٢٥ . ٣/٣٢٤ . ٤٢٢ .

(١٣٤) تاريخ خليفة ١٤٥ الخطيب ١/٢١٤ . ٤/١٧٦ .

(١٣٥) اليعقوبي ٢٥٢

(١٣٦) اليعقوبي ٢٥١

(١٣٧) الخطيب ١/٤٠٩٣

(١٣٨) اليعقوبي ٢٥٣ .

(١٣٩) الخطيب ١/٨٢ الطبري ٣/٣٦٢

(١٤٠) الخطيب ١/٨٢ الطبري ٣/٣٩٣ .

(١٤١) الطبري ٣/٤٤٤

(١٤٢) المعرفة والتاريخ اللغوي ١/١٣١ الخطيب ١/١٠٩ الطبري ٣/٤٤٩

(١٤٣) معجم البلدان ٢/٧٨٢ .

(١٤٤) اليعقوبي ٢٥٣ ـ ٤ الخطيب ١/٩٣ .

(١٤٦) الطبري ٣/١٠٠١

(١٤٧) الطبري ٣/١٠٠٢

(١٤٨) الطبري ٣/١٠١٦

(١٤٩) الطبري ٣/١٠٣٦ مسكويه ٤٤٧

(١٥٠) تاريخ طيفور ٢٦ .

(١٥١) الطبري ٣/١٣٤٦

(١٥٢) الطبري ٣/١٥١٠

(١٥٣) اخبار الراضي والمتقي ٨٠

(١٥٤) اليعقوبي ٢٥٠

(١٥٥) اليعقوبي ٢٣٨

(١٥٦) الخطيب ١/٨٥

(١٥٧) اليعقوبي ٢٤٣

(١٥٨) الخطيب ٩٣١

(١٥٩) اليعقوبي ٢٥١

(١٦٠) الخطيب ١/٩٣

(١٦١) تجارب الامم ١/٢٠

(١٦٢) رسوم دار الخلافة ٩٠

(١٦٣) الوزراء ٢٠

(١٦٤) اليعقوبي ١٤٠

(١٦٥) الخطيب ١/٨٩

(١٦٦) اليعقوبي ٢٤٠

(١٦٧) اليعقوبي ٢٤٩

(١٦٨) تاريخ طيفور ٤٣

(١٦٩) الطبري ٣/٢١٠٩

(١٧٠) اخبار الراضي والمتقي ٢٠٧

(١٧١) الجهشياري ٢٣٧

(١٧٢) الطبري ٣/١٦٣٠

(١٧٣) الطبري ٣/١٦٦٤ .

(١٧٤) اليعقوبي ٢٥١

(١٧٥) الخطيب ١/٩٣ .

(١٧٦) الطبري ٣/١٦٣٢ .

(١٧٧) الطبري ٣/٢١٢٢

(١٧٨) ظلة الطبري لعريب ٥٦

(١٧٩) المنتظم ٦/١٥٩

(١٨٠) الطبري ٣/٢١٢١

(١٨١) الطبري ٣/٢١٦٥

(١٨٢) الطبري ٣/٢١١٥ .

(١٨٣) تاريخ طيفور ٤٣

(١٨٤) الاوراق : مخطوطة الأزهر صلة الطبري لعريب ٣٦

(١٨٥) تجارب الامم ١/٦٩ .

(١٨٦) الوزراء ٢٢٢

(١٨٧) تجارب الامم ٢/٣٨ .

(١٨٨) عن عمل القضاة انظر الفصل القيم الذي كتبه الماوردي في الاحكام السلطانية وانظر ايضا Tyan Organisation Judicaire en pays de 'L'Islam

(١٨٩) ابن سعد ٥/١١٧ اخبار القضاة لوكيع ١٤١١ الخطيب ١٤/١٠٣ نسب قريش مصعب الزبيد ٢٨٤ .

(١٩٠) ادارة القضاة . وقضاة بغداد انظر بحثنا قضاة بغداد في العهد العباسي المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي وقد لوردت في ذلك المقال تفاصيل ومصادر وما أقتضبته هنا .

(١٩١) الخطيب ١/٨٠

(١٩٢) اخبار القضاة لوكيع ٣/٢٥١ الخطيب ٥/٣٨٩ . ٨/٤٧٩ . ١٢/٣٠٨ .

(١٩٣) اخبار القضاة ٣/٢٥٤ .

(١٩٤) تجارب الامم .

(١٩٥) ابن سعد ٧-٢/١١ اخبار القضاة ٣/٢٥١ الخطيب ٥/٣٩٠. ١٢/٣٨

(١٩٦) الخطيب ١١/١٩٨ .

(١٩٧) الخطيب ١٤/١٩٤ .

(١٩٨) الخطيب .

(١٩٩) الخطيب ٣/٢٨٣ .

(٢٠٠) الخطيب ١٠/٣٦٦

(٢٠١) المنتظم ٦/٢٩٦ .

(٢٠٢) المنتظم ٦/٣٤٢ .

(٢٠٣) اليعقوبي ٢٤٥ .

(٢٠٤) الخطيب ٣/٤٠٢ المنتظم ٢/٤٥ . ١٦٠ . ٦/٢٤٧ .

(٢٠٥) ابن سعد ٦/٢٨٠ الخطيب ١١/٤٤٣ .

(٢٠٦) سجلات القاضي .

(٢٠٧) الطبري ٣/٤٠٨ .

(٢٠٨) معجم البلدان ٣/٢٠١ .

(٢٠٩) الطبري ٣/٥٢٩ .

(٢١٠) الطبري ٣/٢٠١ .

(٢١١) معجم البلدان ٣/٢٠١

(٢١٢) اليعقوبي ٢٤٠ .

(٢١٣) اطبري ٣/٥٠١ .

(٢١٤) الطبري ٣/٢٦٢ . ٤٦١ .

(٢١٥) تاريخ طيفور ٩٧.٩٨.١٠٠.١١٣ .

(٢١٦) الطبري ٣/١٣٥١ .

(٢١٧) الطبري ٣/١٧٢٧

(٢١٨) الطبري ٣/١٤٠٤

(٢١٩) الطبري ٣/١٤٤٧ .

(٢١٩) الطبري ٣/١٤٤٧ .

(٢٢٠) الخطيب ٨/١٦.٧/٤١٨ .

(٢٢١) الطبري ٣/١٤٠٧ .

(٢٢٢) الطبري ٣ / ٢١٢١ .
(٢٢٣) الخطيب ١/٨٧ .
(٢٢٤) الخطيب ١/٩٢ .
(٢٢٥) الطبري ٣/١٢٢٢
(٢٢٦) الطبري ٣/١٢٢١ .
(٢٢٧) الخطيب ٨/١٢٧ .
(٢٢٨) المنتظم ٢٠٧
(٢٢٩) المنتظم ٧/٣٣ وانظر احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ١٨٦ .
(٢٣٠) اليعقوبي ٢٤٨ .
(٢٣١) الطبري ٣/١٧٢٨-٩ .
(٢٣٢) الخطيب ١/٧٥ .
(٢٣٣) الطبري ٣/١٥١٠-١١ .
(٢٣٤) الطبري ٣/١٦٣٠ .
(٢٣٥) الطبري ٣/٤١٥ .
(٢٣٦) الوزراء للصابي ٥٦ .
(٢٣٧) الخطيب ١/٧٩-٨٠ .
(٢٣٨) المنتظم ٨/٣٢٣ .
(٢٣٩) المنتظم ١٠/٢٩ .
(٢٤٠) المنتظم ٩/١٢٢ . ١٢٥ ابداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٦ .
(٢٤١) المنتظم ١٠/١٤ .
(٢٤٢) ابن الدبيثي ١/١٨٨ (مخطوطة باريس)
(٢٤٣) تجارب الامم ١/٢٠٩ .
(٢٤٤) المنتظم ١٠/٢٩ .
(٢٤٥) المنتظم ٨/٢٠ .
(٢٤٦) الوزراة ١٧٦ .
(٢٤٧) المنتظم ٦/١٨٣ .
(٢٤٨) الخطيب ٢/٣١٨ .
(٢٤٩) المنتظم ١٠/٢٢٣
(٢٥٠) تاريخ الصابي المطبوع بذيل مسكويه ٣ : ٣٣٦
(٢٥١) البلدان ٢٥٤ .
(٢٥٢) ابلدان ٢٣٥ .
(٢٥٣) اورد الاستاذ ميخائيل عواد في كتابه «المآصر في بلاد الروم والاسلام» نصوصاً كثيرة توضح تعريف المآصر ومواقعها في عدد من البلاد ومنها بغداد . وقد اخذنا منه . ولكن يلاحظ انه اعتبر المآصر الاسفل في صريفين قرب واسط . وهو ما لا يكن قبوله .
(٢٥٤) الوزراء ٢٠ .

(٢٥٥) اخبار الراضي والمتقس ٢٧٦ .

(٢٥٦) انظر ادب القاضي . الماوردس ٢ : ٧٣. ٧٦ وانظر الفهرست ايضاً .

(٢٥٧) المنتظم ٧٧/٧ .

(٢٥٨) المنتظم ٢٥٢/٧ .

(٢٥٩) الوزراء ٢٥ .

(٢٦٠) مروج الذهب ٤٠٢/٣ (طبعة صادرة) وذكر الطبري ان زهير بن المسيب الضبي نزل قصر كلواذى حيث صار يعشر الناس (٨٦٨/٣) ولم يذكر الماحر بكلواذى .

(٢٦١) البلدان ٢٥٠ . ويلاحظ ان فرضة باب الشعير كانت في هذا المكان . وقد افردنا لغرض بغداد والمواصلات فيها بحثا مستقلا .

(٢٦٢) الطبري ١٣٨٦/٣

(٢٦٣) كذلك ١٤٠٦/٣

(٢٦٤) كذلك ١٤١٣/٣ .

(٢٦٥) كذلك ١٤٢٤/٣ .

(٢٦٦) كذلك ١٦٦١/٣ .

(٢٦٧) كذلك ١٧٢٦/٣ .

(٢٦٨) المنتظم ٦١/٩ .

الفصل الخامس

قضاء بغداد في العصر العباسي

لا ريب في ان العدالة هي المعيار الرئيسي الذي يحكم الناس بموجبه على صلاح الحكومات في الشرق الاوسط منذ أقدم الأزمنة ، فخير الحكام هو الحاكم العادل وأسوأهم هو الحاكم الظالم . وأحسن ما يخلد ذكر الحاكم الصالح هو ايراد القصص والأخبار التي تظهر حرصه على تطبيق العدالة ، وأقوى شعار يرفعه الثائرون ضد أي حاكم هو ادعاؤهم الدفاع عن العدالة ووصم الحاكم بالظلم .

وقد أولى الاسلام العدالة أهمية خاصة فقال تعالى ﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تتّقون ﴾ (النحل ٩٠) . ﴿ يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداءَ بالقِسْط ولا يجْرِمنّكم شنآنُ قومٍ على ألّا تعدِلوا ، اعْدِلوا هو أقربُ للتقوى واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون ﴾ (المائدة ٨) ﴿ إنّ الله يأمركم أن تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلها وإذا حكمْتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعِظُكم به إنّ الله كان سميعاً بصيراً ﴾ (النساء ٥٨) ﴿ وإذا قلتم فا عْدِلوا ولو كان ذا قُربىٰ ﴾ (الأنعام ١٥٢) ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكمُ لا يقدِر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجِّهْه لا يأتِ بخيرٍ هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيمٍ ﴾ (النحل ٧١) ﴿ . . . وقلْ آمنتُ بما أنزل الله من كتبٍ وأُمرتُ لأعدلَ بينكم . . ﴾ (الشورىٰ ١٥) .

ولا ريب ان تطبيق العدالة والحكم فيما ينشأبين الناس من خلافات يتطلب نظاما قضائيا يتناسب مع أهمية هذه المؤسسة . وقد كان فقدان هذا النظام واقتصاره على الحكام عند عرب الجاهلية من أبرز نقاط الضعف في الجاهلية ، وقد اهتم الرسول بمعالجتها منذ ان هاجر الى المدينة ووضع التنظيمات الخاصة بادارتها ، وتنظيم القضاء مستند الى الآية الكريمة ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموكَ فيما شَجَرَ بينهم ثُمَّ لا يجدوا حرجاً مما حكمت ويسلّموا تسليماً ﴾ أي انه جعل الرجوع الى الرسول في القضاء وقبول أحكامه وتنفيذها جزءاً من الايمان .

وقد تابع الخلفاء الراشدون والامويون العناية بأمر القضاء ، سائرين على الاسس التي وضعها الرسول . ولما كان بحثنا الحالي يقتصر على العصر العباسي ، فاننا نكتفي بالاشارة الى ان تنظيم ادارة القضاء كان في هذه الفترة في دور التكوين ، ولما تستقر اسسه .

لقد أولى الخلفاء العباسيون القضاء اهتماما خاصا فأوجدوا منصب قاضي القضاة

بغداد ، وكانوا هم الذين يعينون القضاة في بغداد والأمصار بعد ان كان تعيينهم في العصر الراشدي والاموي بيد الولاة (ابن سعد ٥/١١٧ وكيع : اخبار القضاة ١/١٤١ الخطيب : تاريخ بغداد ١٤/١٠٣ مصعب الزبيري : نسب قريش ٢٨٤) .

مصادر البحث :

لقد كان القضاء من الوظائف الرئيسة في الدولة ، ويتصل عمله بالناس من مختلف الطبقات ، كما يتصل بالشريعة والفقه اللذين أولى المفكرون المسلمون دراستهما عناية خاصة ، لذلك اهتم عدد من المؤرخين بالقضاة وأوردوا أسماء بعض قضاة بغداد وخاصة فيما عقدوه من فصول عن أسماء كبار موظفي كل خليفة او خلال الأحداث التي يذكرونها والتي كانت للقاضي صلة بها ، وممن فعل ذلك « خليفة بن خياط » و « اليعقوبي » و « الطبري » و « المسعودي » ثم « ابن الأثير » و « ابن الساعي » وصاحب « الحوادث الجامعة » .

غير أن أيا من هذه المصادر لم يقدم قائمة كاملة بأسماء كافة من ولي القضاء ببغداد ، فقد أغفل كل منهم ذكر عدد غير قليل من القضاة ، وكثيرا ما أغفلوا أماكن تعيينهم أوزمن ذلك التعيين . والواقع ان مجموع ما يذكره مؤرخو الحوادث لا يكوّن قائمة كاملة لكافة قضاة بغداد .

وبالنظر للصلة الوثيقة بين القضاء وعلم الفقه ، فان كتب طبقات الفقهاء وخاصة المصنفة لتراجم أصحاب مذهب فقهي معين كطبقات الشافعية لكل من الاسنوي والسبكي ، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لعبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي ، وتاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا ، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى وذيله لابن رجب ، أوردت عن بعض قضاة بغداد بضمن من ترجمت له من رجال المذهب ، وبذلك ثبتت معلومات عن مذاهب القضاة ، فضلا عن المعلومات الاخرى التي تقدمها عن تعيينهم ، غير انه حتى لو جمعت كافة الأسماء الواردة في كتب طبقات المذاهب الفقهية فانه لا يمكن تكوين قائمة كاملة لكل قضاة بغداد ، لأن عددا من هؤلاء القضاة لم يعرف عنهم انتماؤهم الى مذهب فقهي معين .

وأقدم قائمة كبيرة وصلتنا عن قضاة بغداد هي التي وردت في كتاب أخبار القضاة لوكيع ، محمد بن خلف (ت ٣٣٠ هـ) وقد تضمنت أسماء قضاة بغداد وقضاة الجانب

الشرقي والشرقية ومدينة المنصور ومن تولى قضاء القضاة بالاضافة الى معلومات قيمة عن عدد منهم وخاصة عن مذاهبهم الفقهية . وقد اعتمدنا أساسا لدراستنا قائمته التي تنتهي الى سنة ٣٠١ هـ .

وقد تضمن تاريخ بغداد للخطيب تراجم غنية لمن ولي منصب القضاء في بغداد وذكر لشيوخ كل منهم ورواته ومعلومات عن توليهم القضاء وتنقلهم في مناصبه وهي معلومات تتصل بصميم بحثنا . وقد اعتمد الخطيب في هذه المعلومات على « علي بن المحسن » الذي كان ممن ولي القضاء في عد من البلدان ، ومن الغريب ان الخطيب الذي اقتبس من وكيع معظم نصوصه عن خطط بغداد ، لم يشر الى أنه أخذ من وكيع أي نص يتعلق بالقضاة بالرغم من شهرة كتاب الأخير في أخبار القضاة .

اعتمد علي بن المحسن بدوره فيما نقله عنه الخطيب عن قضاة بغداد عل طلحة بن محمد بن جعفر (٢٩١ - ٣٨٠) الذي تصل رواياته عن القضاة الى قبيل سنة ٣٦٠ حيث ان آخر رواياته تتعلق بعمرو بن أكثم الذي ولي قضاء القضاة بين سنة ٣٥٢ - ٣٥٦ (الخطيب ٢٥٠/١١) ؛ وقد ترجم لأبي الحسن محمد بن صالح بن ام شيبان ولم يذكر توليه قضاء القضاة سنة ٣٩٤ كما انه لم ينقل عنه ترجمة لابن محمد عبيدالله بن معروف الذي ولي قضاء القضاة سنة ٣٦٠ (الخطيب ٣٦٧/١٠) .

وقد ذكر علي بن المحسن « وحدثنا طلحة بن محمد بن جعفر في تسمية قضاة بغداد » (٣١/٤) وهي عبارة قد يفهم منها ان طلحة بن محمد ألف كتابا في تسمية قضاة بغداد ، غير ان الخطيب لا يذكر في ترجمته المقتضبة لطلحةبن محمد بن جعفر (٣٥١/٩) انه ألف مثل هذا الكتاب .

ويلاحظ ان المعلومات التي أوردها طلحة بن محمد عن قضاة بغداد الى سنة ٣٠١ تشبه كثيرا ما أورده وكيع مما قد يدل على اعتماده على وكيع . وجدير بالملاحظة ان طلحة بن محمد لم يترك في بحثه أحدا من قضاة بغداد الى نهاية الفترة التي يتناولها . ومن المعلوم ان تنظيم ادارة القضاء قد تبدل أساسيا بعد تلك الفترة كما سنبين فيما بعد ، ولا نعلم ما اذا كان عدم تدوين « طلحة بن محمد» راجع الى عدم رضاه عن التبديلات التي حدثت ام انه انجز تأليف كتابه قبل حدوث هذه التبدلات .

وقد نقل الخطيب ايضا عن اسماعيل بن علي الخطبي نصوصا عن تولية محمد بن أبي موسى (٤٠٣/٢) وابي الطاهر الذهلي (٣١٣/١) ومحمد بن عيسى بن أبي موسى

(٢/٤٠٣) .

اما الفترة التالية فقد اعتمد فيها الخطيب على علي بن المحسن فقط ، ويلاحظ ان المعلومات التي قدمت عن هذه الفترة التالية غير كاملة ولا دقيقة ، فهو لم يذكر كل قضاة بغداد ، كما انه لم يذكر مكان تولية من ذكرهم وسني توليتهم وعزلهم . واذا كان لغياب الخطيب عن بغداد في هذه الفترة بعض العذر في اغفاله ترجمة بعض قضاة هذه الحقبة في بغداد ، فان هذا العذر لا يكفي لاهمال ذكر من اشغل وظيفة رئيسة ذات صلة بنطاق اختصاص الخطيب اي الفقه والحديث ، والراجح ان هذا الاغفال راجع الى الاضطراب الذي رافق الأوضاع السيئة التي سادت بغداد آنذاك ، وفي طبقات الحنابلة اشارة الى ذلك حيث يقول في ترجمة القاضي الموقر الحنبلي المتوفى سنة ٤٣٧ « كان يقضي بين عسكر بغداد نحو اربعة آلاف غلام تمضي قضاياه بهم أبلغ من قضاة (كذا ولعله قضاء) المقدم عليه وهو ابو عبدالله بن ماكولا ، لما كان له في نفوسهم من الدين ولا يبرم الاحكام بينهم إلا على مذهب امامنا » (طبقات الحنابلة ٢/١٨٩) .

لقد كان كتاب الخطيب المصدر الذي اعتمد عليه كليا ونقل ما فيه من تراجم كل من ابن الجوزي في المنتظم ، وابن الفراء في طبقات الحنابلة ، والقرشي في الجواهر المضيئة ، وابن خلكان في وفيات الأعيان . وكان آخر من ترجم له الخطيب هو ابو عمرو عبدالله بن محمد الدامغاني الذي ولي قضاء القضاة سنة ٤٤٧ هـ .

فأما ابن الجوزي فان طريقته في المنتظم هي ان يذكر الأحداث التي جرت في كل سنة ثم يذكر تراجم أشهر من توفي في تلك السنة ، وفي هذه التراجم اعتمد كليا على الخطيب الى سنة ٤٥٠ هـ أما تراجم السنوات التالية فلا نعلم من أين استقاها .

غير ان ابن الجوزي يورد في كلامه عن الأحداث معلومات غير قليلة عن تولية القضاة او عزلهم وبذلك يساعد في تحديد سني ولاية القضاة الذين يتحدث عنهم . ويبدو انه اعتمد كثيرا على هلال بن المحسن الصابي كما يتجلى ذلك من التطابق الحرفي بين كثير مما أورده مع القطعة المنشورة من كتاب هلال في ذيل تاريخ مسكويه .

غير ان ابن الجوزي اهتم بذكر من ولي منصب قاضي القضاة ، أما بقية القضاة فلم يهتم بذكرهم ، ولم يذكر إلا قليلا منهم وبصورة عرضية ، ولذلك فان القائمة المستمدة مما ذكره غير كاملة ولا وافية فضلا عن انها تقف عند سنة ٥٧٤ هـ حيث ينتهي الكتاب .

أما كتب الأحداث التاريخية التي تلت المنتظم ، مثل مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي

وذيله لليونيني ، وتاريخ ابن الفرات فلم تشر الى القضاة إلا نادرا .

وقد دون ابن الأثير قدرا طيبا من أخبار القضاة وتوليتهم ، وتابعه مؤلف العسجد المسبوك .

وقد ألف أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي المندائي الواسطي (ت ٥٥٢ هـ) « تاريخ الحكام في مدينة السلام » لم تصلنا منه إلا المقتطفات الكثيرة التي اقتبسها ابن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد ، ويتبين من هذه المقتطفات ان ابن بختيار اهتم بذكر الشهود ومن زكاهم وتاريخ تزكيتهم وتوليتهم القضاء ، يبدأ النقل عنه من تزكية الحسن بن محمد بن الحسن التي تمت سنة ٥١٣ ، غير اننا لا نستطيع الجزم فيما اذا كان حصر الحكام الذين نقل ابن الدبيثي أخبارهم عن ابن بختيار بهذه الفترة راجع الى ان كتاب ابن بختيار اقتصر على هذه الفترة من الزمن او الى ان الدبيثي اهتم بنقل ما يتعلق بهذه الفترة فقط .

ولكتاب ابن البيثي الذي ذيل به على ذيل تاريخ بغداد للسمعاني اهمية خاصة فقد ذكر فيه من تأخر وخاصة عن وفاة السمعاني الى سنة ٦٢٠ هـ ، وفيهم عدد غير قليل من القضاة .

وقد بقيت منه ثلاثة أجزاء في ثلاث مخطوطات في باريس برقم ١٩٢١ وهي تشمل تراجم من اسمه محمد وأحمد ، وقد وضعت لها فيما ذكرته من مصادر رقم (٢) والثانية في باريس برقم ١٩٢٢ تشمل تراجم من اسمه الحسن الى علي بن الحسن ، وقد جعلتها في مصادري رقم (٢) ، والثالثة برقم ٧١٧ وهي تشمل تراجم من اسمه أحمد الى من اسمه حبش ابن محمد وقد رمزت اليها برقم (٣) . ويتبين من ذلك ان الموجود من الكتاب يشمل الأسماء من محمد الى علي بن الحسين ، أي أكثر من ثلثي الكتاب .

ولا بد من الاشارة الى ان لكتاب ابن الدبيثي ملخصا عمله الذهبي ونشر بعضه الاستاذ مصطفى جواد مع تعليقات قيمة واضافات لبعض ما ترك الذهبي في تلخيصه .

لقد كان ابن الدبيثي من المصادر الرئيسة للمنذري الذي شمل كتابه « التكملة في وفيات النقلة » تراجم من توفوا بين سنة ٥٨٠ هـ ـ ٦٤٠ هـ واعتمد في كثير من معلوماته على ابن الدبيثي (انظر في ذلك المقدمة التي كتبها بشار بن عواد لكتاب التكملة) .

وقد اعتمد ابن قطلوبغا أيضا على ابن الدبيثي في تراجم القضاة الذين ذكرهم في كتابه « الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية » .

أما الدراسات الحديثة عن القضاء فلا ريب ان أوسعها هي دراسة « تيان » عن تنظيم القضاء في الأقطار الاسلامية . Emile Tyan. Histoire de L'Organization Judicaire de Pays D islam 1933-1943

وقد شملت دراسة واسعة لمكانة القضاة واختصاصاتهم والجهات التي كانت تمارس سلطات قضائية من غير القضاة ، ولكن بحثه بالرغم من سعته عام لكل بلاد الاسلام ، ولا يختص بالعراق ، كما انه لم يتطرق الى ادارة القضاء وتوزيع القضاه .

ولا ريب فيه ان كثيرا من الكتب التي تبحث عن الحضارة الاسلامية ومؤسساتها في العالم الاسلامي او في اقليم معين قد تطرقت الى بحث القضاء أما عن قضاة بغداد فلا أعلم إلا القائمة التي نشرها الاستاذ لويس ماسينون سنة ١٩٤٨ بعنوان :

Cadis et Naqib Baghdadiens

واعيد نشرها سنة ١٩٦٣ في مجموعة كتاباته : Opera Minori 1958

وهي تقتصر على أسماء من ولي منصب قاضي القضاة ببغداد وسني اشغالهم هذا المنصب ، وهي قائمة مقتضبة محدودة .

وفي العربية بحوث كثيرة عن أدب القضاء ، بعضها فصول من كتب في الفقه ، وبعضها كتب قائمة بذاتها ، تبحث في القضاء وشروطه والمبادىء التي ينبغي السيرعليها ، وتتطرق أحيانا الى ديوان القضاء والشهود ، ولما كانت هده البحوث تتطرق الى الأحكام الفقهية ، والى المبادىء ، العامة ، فاننا لم نعتمد عليها ، خاصة وانها قلما تتطرق الى الأوضاع الواقعية من ادارة القضاء وهو موضوع بحثنا .

ويتضح من مطالعة الجدول الذي وضعته في آخر المقال عن قضاة بغداد ، ان فيه بعض النقائص ، وخاصة في قضاة النصف الأول من القرن الخامس ، وقضاة العقود الأخيرة من العهد العباسي . وقد فضلت نشرها بشكلها الناقص ، باعتبارها استوعبت ما في الكتب المتداولة ، وعسى ان نجد في المستقبل ما يكمل نقائصها القليلة .

ان بحثي مقتصر على اعداد قائمة شاملة لأسماء القضاة في بغداد وسني عملهم ومراكز عملهم ، مع ملاحظات عامة عن التكوين الثقافي والاجتماعي لهؤلاء القضاة ، وهو بحث أشد صلة بالادارة منه بعمل القضاء ، فان هذا الموضوع الأخير يتطلب دراسة الفصول والكتب التي ألفت عن أدب القضاة ومدى تطبيق الآراء الفقهية ، وهو موضوع شامل نرجو ان نوفق الى الكتابة فيه في المستقبل .

مكان القضاء :

لقد كانت بغداد مدينة محدثة بناها أبو جعفر المنصور بعد ان استقر ملكه وتثبتت دولته ، لذلك لم يتأثر هو ومن تلاه في تنظيم القضاء في عاصمة ملكه إلا باعتبارات العملية ؛ ولما كانت المدينة عند انشائها غير كبيرة ، وهي تتبع خليفة واحدا يرى انه ظل الله في أرضه ، لذلك كان يكفي لسد حاجات هذه المدينة الجديدة قاضٍ واحد ، خاصة وانه لم يكن في الادارة القضائية ما نراه اليوم من تخصص كمحاكم جزائية ومدنية . . الخ . هذا الى ان الدولة لم تعترف بوجود مذاهب تستلزم تعدد القضاة .

ولا ريب في ان عمل القضاة هو الحكم في الخلافات التي تظهر بين الناس ، فصلته بالسكان وثيقة ، وهم ملزمون بتطبيق القواعد المعترف بها بين الناس ومراعاة المبادىء التي يؤكد عليها الاسلام ، فلم يكن للقضاء سلطان على السياسة والادارة التي تدخل في صميم واجبات الخليفة ، اي انها كانت بعيدة نسبيا عن الخليفة وأشد صلة بالناس والقواعد التي يقرها الاسلام ومبادئه ، ولهذا لم تفرد للقضاء بناية خاصة يقوم فيها القاضي بعمله ، بل كان مركز عمله في الجامع الذي يعبر عن الاسلام وروحه وقواعده ويتصل بالجماهير والشعب فهو لذلك أكثر الأماكن ملاءمة لعمل القاضي ، واتخاذ القضاة الجامع مركزا لعملهم يجعل القضاء مفتوحا للشعب ويكسبه صُبغة قدسية .

وقد كان هذا الطابع الشعبي والديني هو الذي جعل مجالس القضاة بسيطة ، فقد كانوا « يجلسون على الوطاء ويتكأون حتى جاء علي بن ظبيان فكان يجلس على بارية » (وكيع ٣/٢٨٦ الخطيب ١١/٤٤٥) وبالرغم من بساطة البارية في نظرنا إلا انها اعتبرت من مظاهر الترف التي لفتت أنظار المؤرخين فسجلوها .

كما ان مقتضيات عمل القاضي كان بسيطا الى ان جاء سوار (حوالي سنة ١٤٠ هـ وكان على قضاء البصرة) فكان « أول من تشدد في القضاء وعظم أمره واتخذ الامناء وأجرى عليهم الأرزاق وقدم على القرعة وقبض الوقوف وأدخل على الأوصياء الامناء وطول السجلات ودعا الناس بأسمائهم لم يكنّهم وضم الأموال المجهول أربابها وسماها الحشرية » (وكيع ٢/٥٨) .

لقد ذكرنا ان صلة القضاء بالناس والدين قضت ان يكون الجامع مركز عمل القضاة ويقتضي منطق الأحوال ان يتخذ قاضي مدينة المنصور محل قضائه في جامعها ، غير انه ليست لدينا عن ذلك إلا إشارة واحدة ، فيذكر الخطيب ان محمد بن يوسف لما ولي قضاء

مدينة المنصور والأعمال المتصلة بها سنة ٣٨٤ هـ « جلس في المسجد الجامع بالمدينة » (٤٠٢/٣ انظر ايضا المنتظم ، ٤٥/٥ ـ ١٧٠ ، ٢٤٧/٦) .

أما قضاة الجانب الشرقي فقد وردت عدة اشارات الى انهم كانوا يقضون في مسجد الرصافة ، فيذكر الخطيب ان محمد بن عبدالله بن علاثة « وعافية بن يزيد » كانا يقضيان في المسجد الجامع بالرصافة » (الخطيب ٣٩٠/٥ ، ٣٠٨/١٢ ، انظر ايضا ابن سعد ٧ ـ ٦٩/٢ وكيع ٢٥١/٣) . « وكان عمر بن حبيب يقضي في مسجد الرصافة » (الخطيب ١٩٨/١١) « وقتيبة بن مسلم يحكم في جامع الرصافة » (الخطيب ١٩٤/١٤) « وكان يحيى بن أكثم يجلس في مسجد الرصافة مجلس القضاء » (الخطيب ١٩٤/١٤) ويقول ابراهيم الحربي عن القاضي الحسن بن علي بن الجعد (سنة ٢٤٢) « فرأيته في المسجد جالسا كلما تقدم أحدهم الى الحسن . . . » (وكيع ٢٨٣/٣) وكان محمد بن معروف (سنة ٣٥٩ هـ) « يجلس للقضاء في مسجد الرصافة » (الخطيب ٣٦٦/١٠) كما ان أبا نصر يوسف بن عمر « استخلف أباه وجلس سنة ٣٢٧ هـ في جامع الرصافة وقرأ عهده بذلك » (المنتظم ٢٩٦/٦) وكذلك ابن البهلول (المنتظم ٣٤٢/٦) .

أما قاضي الشرقية فيذكر اليعقوبي « وانما سميت الشرقية لأنها قدرت مدينة للمهدي قبل ان يعزم على ان يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة ، فسميت الشرقية ، وبها المسجد الكبير وكان يجمع فيه يوم الجمعة وفيه منبر ، وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ، ثم أخرج المنبر منه » (البلدان ٢٤٥) ويذكر الخطيب ان المنصور أمر باخراج الأسواق من المدينة وان يبنى ما بين الصراة الى نهر عيسى ، ثم أمر ان يبنى لأهل الأسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون فيه المدينة ، ويفرد لهم ذلك ، وقلد ذلك رجل يقال له الوضاح بن شبا ، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح والمسجد الذي فيه ، وسميت الشرقية لأنها شرقي الصراة . . ثم اخرج منه المنبر بعد » (٨٠/١ ـ ٨١) . ويلاحظ ان الخطيب في كلامه عن المساجد التي تقام فيها الجمعة ببغداد لم يشر الى مسجد الشرقية ، مما يؤيد اليعقوبي في ذلك .

ويذكر ابن سعد ان علي بن ظبيان ، الذي ولي القضاء في عهد هرون الرشيد ، كان يجلس في المسجد الذي ينسب الى الخلد فيقضي فيه (الطبقات ٢٨٠/٦ الخطيب ٤٤٣/١١) .

ولما كان عمل القضاة متصلا بالمسجد فقد كانت عهود توليتهم تقرأ فيه ، فيذكر الصولي ان عهد أحمد بن اسحق الخرقي قرىء في جامع الرصافة (أخبار الراضي والمتقي ٢٢٦)

وقد قرىء عهد ابن ماكولا الذي تولى قضاء القضاة سنة ٤٢٠ هـ ، في دار الخلافة وخلع عليه « ثم قرىء بعد ذلك في جامع الرصافة وجامع المدينة » (المنتظم ٨/٤٤) وقد قرىء بجامع القصر عهد كل من أبي الحسن علي بن محمد الدامغاني (الجامع المختصر ٢٠١) ، الدبيثي ١/٢١٣ أ) وأبي القاسم الدامغاني (الدبيثي ١/٩١ أ) .

وقرىء عهد الأكمل الزينبي « وخلع عليه بالديوان ومضى الى جامع المنصور للتثبيت » (المنتظم ١٠ - ٢٠٤) .

أما قضاة الجانب الغربي فقد كانت عهودهم تقرأ في جامع المنصور (الدبيثي ٢ - ٨٨ أ) .

سلطة التعيين :

والقضاء مؤسسة حكومية رسمية كان اختيار من يليها من اختصاصات الخليفة بصرف النظر عن المؤثرات التي يخضع لها او الاستشارات والآراء التي قد يسمعها عند اختيار أي قاضٍ . ولم تذكر المصادر حادثة تساهل فيها الخليفة في استعمال هذا الحق في القرون الأربعة الاولى حتى في الفترات التي كان سلطانه الزمني هزيلا او بحكم المعدوم ، ويبدو انه حتى الذين سيطروا على بغداد وجردوا الخليفة من سلطاته الزمنية لم يحاولوا مس هذا الحق او تجريد الخليفة منه اللهم إلا حادثة واحدة تعين فيها قاضي قضاة رغم ارادة الخليفة وهي انه عندما توفي أبو السائب سنة ٣٥٠ هـ ضمن أبو العباس بن عبدالله بن الحسن بن أبي الشوارب» ان يؤدي كل سنة مائتي ألف درهم ، وهو أول من ضمن القضاء وكان ذلك أيام معز الدولة ، ولم يسمع بذلك قبله فلم يأذن له الخليفة المطيع لله بالدخول عليه وأمر بأن لا يحضر الموكب ، لما ارتكبه من ضمان القضاء » (الهمذاني . تكملة تاريخ الطبري ١٧٩ ، ابن الأثير ٨ - ١٩٣) .

ولما قلد بهاء الدولة الحسين بن موسى قضاء القضاة « لم ينظر في قضاء القضاة لامتناع القادر بالله من الاذن له وترددت في هذا أقوال انتهت الى الوقوف » (المنتظم ٧ - ٢٢٦ - ٧) .

لم تذكر المصادر ان الخلفاء استجابوا لآراء الناس في اختيار قضاة بغداد إلا في حادثة واحدة حيث يذكر الخطيب « وكان أهل بغداد قد ضجوا من أصحاب ابن أبي دؤاد وقالوا بعد ان عزل عبيدالله بن أحمد بن غالب لا يلي علينا إلا من نرضى بـه » (١١ ـ ٥٢) والواقع ان عمل القضاء في العصر العباسي كان ضعيف الصلة بالسياسة والادارة ، ووثيق الصلة بالناس ، وبالفقه الذي اكتسب طابعا دينيا وكان موضوع دراسة الفقهـاء الذين اعتبروا مكانتهم متوقفة على عمق دراساتهم ونضج أفكارهم وسلامة سلوكهم وحسن سمعتهم بين الناس أكثر مما تتوقف على ثرواتهم او مكانتهم عند رجال الادارة .

وقد ذكرت المصادر عددا من الحالات ، وخاصة في القرن السادس الهجري ، كان فيها الوزراء وليس الخلفاء ، هم الذين يعينون قاضي القضاة .

فقد ذكر ابن الدبيثي في ترجمته لكل من أبي الحسن علي بن أحمد الدامغاني وروح بن أحمد الحديثي والبخاري وأبي القاسم عبدالله بن الحسن الدامغاني أن الذي ولاهم قضاء القضاة هو الوزير . فأما عن أبي الحسن الدامغاني فقد ذكر انه « تولى قضاء القضاة في ١٥ ذي الحجة سنة ٥٤٣ هـ ولاه نائب الوزراء يومئذ نقيب النقباء أبو أحمد طلحة بن علي الزينبي والديوان العزيز ولما اعيد الى قضاء القضاة في ١٣ ربيع الأول سنة ٥٧[٥] » ولاه ذلك نائب الوزارة يومئذ علم الدين أبو الفضل يحيى بن جعفر (١ ـ ٢١٣ أ) .

أما روح بن أحمد فانه في سنة ٥٦٦ هـ ولاه الوزير أبو الفرج محمد بن عبدالله بن المظفر قضاء القضاة شرقا وغربا باذن الامام المستضيء بالله وخاطبه بالولاية من غير ان يخلع عليه ولا كتب عهده لأجل ان الامام المستنجد بالله لم يخلع عليه ، وقرىء عهده بعد ذلك (١ ـ ١٥٢) .

أما أبو الفضل أحمد بن علي البخاري (٥٩٥ هـ) فقد ولاه أبو القاسم الحسن بن نصر بن الناقد وكان يومئذ صدر المخزن المعمور والنائب عن ديوان المجلس في داره بدرب الجب » (الجامع المختصر ١٩٤) .

أما أبو القاسم عبدالله بن الحسين الدامغاني « فانه ولي قضاء القضاة شرقا وغربا سنة ٦٠٣ هـ » ، ولاه ذلك الوزير يومئذ أبو الحسين ناصر بن مهدي وخلع عليه الخلعة السوداء والعمامة الكحلية والطرحة الكحلية وسلم اليه العهد بذلك (١ ـ ٩١ أ انظر ايضا الجامع المختصر ٢٠١) .

وكان تعيين القضاة في القرون الاولى بيد الخليفة ايضا ، إلا ان للقاضي ان يختار من

بخلفه ، وفي القرن الخامس تشير الأخبار الى ان تعيين القضاة كان يتم من قبـل قاضي القضاة الأمر الذي يدل على ان سلطة تعيينهم أصبحت بيد قاضي القضاة بعد ان كانت بيد الخليفة ومن الطبيعي ان يصبح عزل القضاة بيد قاضي القضاة أيضا .

ويـلاحظ ان المصادر كـانت تستعمل في القـرون المتأخـرة لتعيين القـاضي كلمة (جعله) او (استنابه) بينما استعملت في القرون الاولى كلمة (استخلف) . وهي أيضا تذكر في الفترة المتأخـرة (الحكم والقضاء) وأحيـانا تستعمـل كلمة (الحكم في مـدينة السلام) ويلاحظ ان وظيفة القضاء في الجاهلية كـان يقوم بهـا « الحكم » ، وان كلمة الحُكْم ، والحَكَم وردت في عدد كبير من الآيات الكريمة ولكن المسلمين استعملوا كلمة القضاء دون الحكم ، وصارت كلمة الحكم والحاكم منحصـرة بالسلطة التنفيـذية وبمن يمارسها دون السلطة القضائية . وقد ظل الأمر كذلك حتى القرن السادس الهجري حيث بدأت كلمة الحكم والحاكم يكثر استعمالها مكان كلمة القضاء والقاضي او بجانبهما ، ولا نعلم سبب ذلك .

والمفروض ان يعين للقضاء من قبلت شهادته واثبتت تزكيتـه وخاصـة في العهود المتأخرة التي أصبحت فيه للشهادة والتزكية أهمية خاصة ونظاما مستقرا ، والواقع ان معظم من عين للقضاء تم تعيينهم بعد ان قبلت شهادتهم واثبتت تزكيتهم ، ولكن يبدو ان هذا لم يكن قاعدة عامة فان المصادر أشارت الى من ولي القضاء قبل ان تتم تزكيته ، فيذكر ابن الدبيثي في ترجمته لأبي المظفر الحسين بن أحمد بن علي الدامغاني ، ان أخاه قاضي القضاة أبا الحسن علي بن أحمد استنابه في الحكم والقضاء بمدينة السلام سنـة ٥٤٦ هـ ، ثم قبل شهادته سنة ٥٥٢ هـ (٣ - ١٨٤ ب) ويذكر أيضا ان قاضي القضاة أبا القاسم عبدالله بن الدامغاني استناب أخا محمد بن الحسن بن أحمد يوم ولايته سنة ٦٠٣ هـ « في الحكم بدار الخلافة المعظمة وما يليها واذن للشهود بالشهادة عنده وعليه فيما يسجله ، ثم قبل شهادته » (٢ - ٨٨ أ) .

ولا بد ان نشير الى ان اختصاص القاضي كان حينئذ النظر في الأحوال الشخصية وفي شؤون اليتامى والحفاظ على أموالهم وفي بعض الخلافات التي تـدخل اليـوم ضمن القانون المدني والتجاري ، فلم يكن في اختصاص القاضي الخلافات السياسية والادارية الناجمة من تصـرفات الخليفـة وموظفي الادارة ، وقـد أدى هذا الى اقفـال باب رئيسي للخلاف بينه وبين الحكومة وجعله قادرا على العمل بمعزل عن التقلبات الادارية والسياسية العنيفة التي طالما اجتاحت الدولة العباسية .

ثم ان الخلفاء العباسيين بتركيز اهتمامهم بـالجيش وحفظ الأمن ، لم يكثروا من التدخل المباشر في شؤون التجار وأصحاب الأعمال والحرف والعمال الذين تزايد عددهم واتسع نشاطهم وأنشأوا لأنفسهم تنظيمات خاصـة بهم قامت بصـورة شبه مستقلة عن الدولة ، وكانوا يتبعون قواعد قانونية معترف بها يحكم بموجبها في الخلافات التي قد تظهر بينهم .

وقد نمى بجانب هذه التطورات دراسات نظرية دقيقة للقواعد والأحكام الفقهية قام بها علماء من أماكن وأوساط مختلفة ، ولكن قلما أشغل واحد من علماء الفقه المبرزين وظيفة في الدولة ، فكانوا « رقيبا غير رسمي » على القضاة مما عزز الصلة بينه وبين العامة .

اصول القضاء

تحاشى الخلفاء العباسيون تولية القضاء رجالا من أفراد اسرتهم ، فيـذكر طلحة بن محمد بن جعفر الذي ترجم قضاة بغداد الى سنة ٣٦٠ هـ في كلامه عن أبي الحسن محمد بن صالح المعروف بابن ام شيبان الذي ولاه المطيع القضاء (٣٣٤ هـ) « ولا أعلم قـاضيا تقلد القضـاء بمدينـة السلام من بني هـاشم غيره» (٥-٣٦٤) ويبـدو ان طلحـة بن محمد لم يدخل في قضاء بغداد من ولي قضاء القضاة عندما كانت الخلافة العباسية في سامراء ، اذ وليه في تلك الفترة من العباسيين جعفر بن عبدالواحد بن جعفر بن سليمان بن علي (الخطيب ٦ ـ ٢٨٧ ، ٧ ـ ١١٤ ، ٤١٠) .

ثم ولي القضاء ببغداد بعد زمن طلحة بن محمد ، علي بن محمد بن عبدالصمد بن المهتدي بالله المعروف بابن الغـريق فانـه « ولي القضاء بمـدينة المنصـور وما اتصـل . . بها ...) . (الخطيب ٣ ـ ١٠٨ المنتظم ٨ ـ ٢٨٣) كما وليه منهم أيضا علي بن عبدالله الهاشمي (ت ٤١٥ هـ) الذي ولي قضاء مدينة المنصور (الخطيب ١٢ ـ ٨) وفي العهود المتأخرة ولي من العباسيين قضاء القضاة كل من أبي القاسم الـزينبي ومحمد بن جعفـر العباسي .

لقد قضت الأحوال السائدة في أوائل عهد انشاء بغداد ان يولي الخلفاء عليها قضاة يجلبون من أماكن اخرى ، وقد حرص الخلفاء العباسيون الأولون ان يولوا القضاء في بغداد رجالا من أهل المدينة المنورة من الأنصار وقريش ، وكذلك من أهل الكوفة ، ولكنهم لم يتمسكوا بمبدأ قصر ولاية القضاء علـى العـرب كما كان الحال في العهد الاموي ، بـل

استخدموا منذ أوائل عهدهم بعض الموالي مثل نوح بن دراج وعبدالرحمن بن اسحق مولى بني امية ، غير ان عدد هؤلاء الموالي قليل نسبيا اذا ما قورن بالقضاة من العرب .

لا يمكن استنباط قاعدة عامة تقيد بها الخلفاء العباسيون في اختيار قضاة بغداد ، فدراسة أسمائهم وتراجمهم تبين انهم كانوا متباينين في معظم خصائصهم ، فاصولهم ، ما عدا الأولين منهم ، ترجع الى مدن مختلفة ، وفيهم عدد ممن ولي القضاء ببغداد لأول مرة ، بجانب عدد غير قليل ممن ولي القضاء في مدن اخرى قبل توليته ببغداد ، كما ان عددا غير قليل منهم نقل الى مدن اخرى بعد توليه القضاء ببغداد .

غير ان بعض الاسر تولى منها عدة قضاة ، فيذكر الخطيب في ترجمته ليوسف بن عمرو ابن أبي عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم « ولا نعلم قاضيا تقلد هذا البلد أعرق في القضاء منه ومن أخيه الحسين ، لأنه يوسف بن عمرو بن محمد بن يوسف بن يعقوب ، وكل هؤلاء تقلدوا الحضرة غير يعقوب فانه كان قاضيا على مدينة الرسول (ص) ثم تقلد فارس ومات بها » (١٤/٣٢٣ ، انظر أيضا المنتظم ٤٢/٧) وكان « أبو نصر يوسف بن عمرو بن محمد بن محمد بن يوسف آخر من ولي القضاء ببغداد من ولد حماد بن زيد » (طبقات الفقهاء للشيرازي ١٩٠) ويجدر ان نذكر ان اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد ولي القضاء في الجانب الغربي والجانب الشرقي ، ثم جمعت له بغداد كلها « وكان اسماعيل بن اسحق نيفا وخمسين سنة على القضاء ، ما عزل إلا سنتين » (الخطيب ٢٨٧/٦) .

ومن أبرز الاسر التي أنجبت رجالا تولوا القضاء ببغداد هم ال ابي الشوارب وهم امويون من نسل سعيد بن العاص ، وجدهم الاعلى عتاب بن أسيد الذي ولاه الرسول (ص) مكة ، فقد ولي القضاء منهم أربعة وعشرون أكثرهم ببغداد وولي ثمانية منهم قضاء القضاة (الخطيب ٤٨/٥ المنتظم ٢٥/٨ وانظر ايضا جمهرة النسب لابن حزم ١٠٥) .

وفي القرنين الخامس والسادس ولي أربعة من اسرة الدامغاني منصب قضاء القضاة (الجامع المختصر ٢٠١) ، تلخيص مجمع الألقاب ٤ ـ ٧٤٨/٢) كما ولي عدد غير قليل من أفراد هذه الاسرة القضاء في بغداد ، وفي المدن الاخرى .

وقد توارث القضاء من كل من اسرة البيضاوي ، وعلي بن عبدالرشيد الهمداني ثلاثة أجيال ، كما ان عددا من القضاة أعقبوا آباءهم في المنصب .

المذاهب الفقهية للقضاة :

لاريب في ان للقضاء علاقة وثيقة بالفقه الذي هو دراسة القواعد القانونية التي ينبغي السير عليها والحكم بموجبها فيما ينجم من خلافات بين الناس . غير ان العلاقة بين القضاء والفقه بالرغم من قوتها لـم تصل الى حد المطابقة التامة من الناحية العملية ، ومن المعلوم ان القضاة يقومون بتطبيق القواعد الفقهية ، اي ان عملهم متصل بالجانب التـطبيقي العملي الذي لا يستلزم حتما التبحر في الدراسات النظرية التي يتطلبها الفقـه ، ولدينـا شواهد كثيرة اليوم من علماء في القانون متبحرون في دراسته وأساتذة نظريون لم يمارسوا تطبيق القانون ، في حين نجد عددا كبيرا من حكام وقضاة بارزين لم يؤلف واحد منهم كتابا اوينشر بحثا في القانون الذي يطبقه ، واذا كان الجمع بين البحث النظري والتطبيق العملي يعتبر مفخرة تستحق الاشادة بها ، فان عدم الجمع بينهما لا يعتبر عيبا او مطعنا .

ان هذا الوضع القائم اليوم كان له ما يشبهه في العصر العباسي الذي انجب فيه العالم الاسلامي عددا كبيرا جدا من الفقهاء الذين درسوا الفقه وألفوا فيه فأبدعوا ، لم يشغل منهم منصب القضاء إلا عدد قليل جدا . كما ان قلة من قضاة بغداد من عرف انه ألف كتبا في الفقه او اشتهر عنه تبحره في دراساته النظرية .

وقد أشار وكيع الى ان عبدالرحمن بن اسحق « لا علم له بالفقه » (٢٨٣/٣) ونقل عن محمد بن سماعة ان « محمد بن أبي رجاء لم يكن له علم بالاصول » (٢٨٩/٣) .

غير ان هذه حالات شاذة ، أمـا الأغلبية المـطلقة من القضـاة فقد عـرف عنهم اطلاعهم على العلوم النقلية ، وخاصة الفقه وكان بعضهم ممن أخذ عنه العلم .

ويبدو ان الخلفاء العباسيين لم يراعوا في اختيارهم قضاة بغداد ان يكون القاضي ممن يتبع مذهبا فقهيا معينا ، ولذلك ولي قضاء بغداد رجال مذاهبهم الفقهية مختلفة .

فأما المذهب المالكي (المنسوب الى الامام مالك بن أنس الأصبحي) مذهب أهل المدينة ، فالراجح انه كان مذهب المدنيين الذين ولوا القضاء ببغداد في العهود الاولى .

وقد أشارت المصادر صراحة الى اتباع عدد من قضاة بغـداد المذهب المـالكي في الفقه ، ومن هؤلاء « أبو يحيى الزهري ، هارون بن عبدالله ، وكـان من الفقهاء عـلى مذهب أهل المدينة من أصحاب مالك » (وكيع ٢٧٤/٣ الخطيب ١٣/١٤) .

ومنهم أيضا اسماعيل بن اسحق الذي كان « من الفقهاء على مذهب مالك بن أنس يعتل ويحتج وعمل كتبا حملها الناس » (وكيع ٢٨٠/٣) ، « وهو الذي بسط فقه مالك

واحتج له ، وصنف فيه الكتب ، ودعا اليه الناس ورغبهم فيه » (الفهرست ٢٨٢) « ونشر عن مذهب مالك وفضله ما لم يكن بالعراق في وقت من الأوقات ، وصنف في الاحتجاج لمذهب مالك ، وشرع له ما صار لأهل هذا المذهب مثالا يحتذونه وطريقا يسلكونه » (الخطيب ٣٦٤/٥ عن طلحة بن محمد بن جعفر) وقد ظل اسماعيل بن اسحق يلي القضاء ببغداد قرابة خمسين سنة ، كما ان عددا غير قليل من نسله ولي القضاء فيها ، ولعلهم كانوا من المالكية ايضا ، وان لم تشر المصادر الى ذلك صراحة ما عدا أخاه حماداً الذي يشير ابن النديم صراحة الى انه كان من المالكية (الفهرست ٢٨٢) .

ومن المالكية أيضا محمد بن أحمد أبو الطاهر الذهلي الذي ولي القضاء في زمن المتقي والمستكفي ، وكان « متوسط الفقه على مذهب مالك » (الخطيب ٣١٣/١) .

ومنهم أيضا محمد بن صالح الهاشمي (الخطيب ٣٦٤/٥ ،شذرات الذهب ٧٠/٣) .

أما من الشافعية فقد ولي قضاء القضاة أبو السائب (الخطيب ٢٤٩/١١ ، ٣٢٠/١٢) وهو أول من ولي قضاء القضاة من الشافعية (شذرات الذهب ٥/٣) كما وليه كل من عمرو بن أكثم الأسدي (الخطيب ٢٤٩/١١) وابن ماكولا (الخطيب ٨٠/٨ المنتظم ١٦٧/٨ ابن الأثير ٦١٥/٩ شذرات الذهب ٢٧٥/٣) ومحمد بن المظفر الحموي (شذرات الذهب ٣٩١/٣ ومحيي الدين بن فضلان (شذرات الذهب ١٤٦/٥) وعبدالله بن محمد البدراني (شذرات ٢٦٩/٥) .

ومن القضاة الشافعية أحمد بن عمر بن سريج (الخطيب ٢٨٧/٤) وأبو عمران موسى ابن الأشيب (الفهرست ٣٠١) وأبو المعالي عزيزي (ابن الأثير ٣٢٦/١٠ ، شذرات الذهب ٤٠١/٣) وابن السيبي (ابن النجار ٧٣ أ) وأحمد بن سلامة الرطبي (شذرات الذهب ٨٠/٤) وأحمد بن محمد أبو العباس الابيوردي (الخطيب ٥١/٥ ، المنتظم ٨٠/٨) وطاهر بن عبدالله ابو الطيب الطبري (الخطيب ٣٥٩/٩ اللباب لابن الأثير ٨١/١) ومحمد بن عبدالله البيضاوي (الخطيب ٤٧٦/٥) ، وباي بن جعفر الجيلي (الخطيب ١٣٦/٧ أنساب السمعاني ٣ ـ ٤٦٢) .

وكان من أصحاب داود الظاهري عبدالعزيز بن أحمد الخرزي (الخطيب ١٠ ـ ٤٦٦) غير ان ابن النديم يذكر انه كان شافعيا . الفهرست ٣٠٧) .

أما الحنابلة فلم يتول منهم قضاء القضاة غير أبي صالح نصر بن أبي بكر بن

عبدالرزاق الجيلي (الحوادث الجامعة ٨٧ شذرات الذهب ٥ ـ ٢٨٤) ويذكر ابن رجب الحنبلي عنه « لا أعلم أحدا من أصحابنا دعي بقاضي القضـاة قبله ، ولا استقل منهم بولاية قضاء القضاة بمصر غيره » (ذيل طبقات الحنابلة ٢ ـ ١٩١) .

غير ان عددا من الحنابلة ولي القضاء في العهود المتأخرة ، ومنهم يعقوب بن ابراهيم البرزبيني (اللباب لابن الأثير ١ ـ ١١١ الاكمال لابن ماكولا ١ ـ ١٦١ طبقات الحنابلة لابن الفراء ٢ ـ ٢٤٨ ذيله ١ ـ ٩٢) وعلي بن محمد أبو منصور الانباري (طبقات الحنابلة ٢ ـ ٢٥٧ ذيله ١ ـ ١٣٧) وعلي بن روح النهرواني (الجامع المختصر ٢٣٧) ومحمد بن الحسين الفراء (طبقات الحنابلة ٢ ـ ٢٠٠) .

ومن الشيعة كان القاضي الجعابي (الفهرست ٢٧٩ وانظر ايضا الخطيب ٤ ـ ٢٦ فما بعد) . ويذكر ابن الجوزي ان قاضي القضـاة روح بن أحمد الحـديثي كان « ينبـز بالرفض » (المنتظم ١٠ ـ ٢٥٥) ، ومنهم ابن الجير (شذرات الذهب ٥ ـ ٣١) ومحمد بن عبدالله السامري (شذرات الذهب ٤ ـ ٧٠ ، ٢٠٥) .

ومن الطبيعي ان يكون أكثر قضاة بغداد ممن كانوا يعتنقون المذهب الحنفي ، وقد خصت المصادر ، وخاصة الخطيب ، بالذكر عددا غير قليل منهم فقد ذكر الخطيب انه كان على مذهب أهل العراق كل من أحمد بن يحيى بن أبي يوسف (٥ ـ ٢٠١) والحسن ابن عبدالله السيرافي (٧ ـ ٢٤١) وعبيدالله بن غالب (٨ ـ ٢١٨) ومحمد بن عيسى الضرير (٢ ـ ٤٠٣) وأحمد بن محمد بن عيسى البـرتي (٥ ـ ٦٢) وكان ابن البهلول « حسن المعرفة بمذهب أهل العراق » (٤ ـ ٣١) .

وذكرت لنا المصادر عن أصحاب أبي يوسف كلا من محمد بن أبي رجاء (الخطيب ٥ ـ ٢٧٥) وعكرمة بن طارق السرخسي (الخطيب ١٢ ـ ٢٦٣) ومحمد بن سماعة (وكيع ٣ ـ ٢٨٢) وابن أبي يـوسف (وكيع ٣ ـ ٢٨٦) ، وحمـاد ، والحسن بن زياد اللؤلؤي (وكيع ٣ ـ ٢٨٢) وقتيبة ابن زياد (وكيع ٣ ـ ٢٩١) وأبي حازم عبدالحميد بن عبدالعزيز (وكيع ٣ ـ ٢٩٢) .

وذكرت المصادر مـن القضاة الحنفية أسد بن عمرو البجلي (الخطيب ٧ ـ ١٦) وبشر بن الوليـد (الخطيب ٧ ـ ٨١) ، وقـد ذكر ابن النـديم انه من أصحـاب الرأي (الفهرست ٢٨٩) وعبدالرحمن ابن اسحق الضبي (الخطيب ٨ ـ ٣١٨) وعبدالله بن محمد الخلنجي (الخطيب ٨ ـ ٧٣) وأبي خازم (الخطيب ١١ ـ ٥٢ تـاج التراجم لابن

قطلوبغا ٣٣١) وعلي بن حرملة التيمي (الخطيب ١١ ـ ٤١٠ وكيع ٣ ـ ٢٨٨) ومحمد بن عبدالله المؤذن (الخطيب ٥ ـ ٤١٦) . والصيمري « قاضي الكرخ شيخ أصحاب أبي حنيفة في زمنه » (ابن الأثير ٩ ـ ٥٢٧ ، اللباب ٢ ـ ٦٦ ، تاج التراجم ٢٦ ، شذرات الذهب ٣ ـ ٢٥٦) .

ومن أبرز القضاة الحنفية آل الدامغاني ، فان رأس العائلة ابوعبدالله آل الدامغاني « انتهت اليه الرئاسة في مذهب العراقيين » (الخطيب ٣ ـ ١٠٩) وقد سيطرت هذه الاسرة على القضاء فترة غير قصيرة من الزمن ، حيث ولي منها منصب قاضي القضاة عـ ٤ رجال ، فضلا عمن كان ينيبه كل منهم من اسرته على القضاة ببغداد .

وقد اعتبر صاحب الجواهر المضيئة كافة القضاة من اسرة الدامغاني من رجال المذهب الحنفي .

امتداد سلطان القاضي :

كان عمل بعض القضاة في بغداد يشمل ايضا عددا من المدن والاماكن الاخرى ، فقد ذكر ان يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد «قد ولي القضاء بالبصرة سنة ٢٧٦ هـ وضم اليه قضاء واسط ثم اضيف الى ذلك قضاء الجانب الشرقي من بغداد . . اي انه ولي القضاء بين اهل الجانب الشرقي اضافة الى ما كان يتولاه من قضاء واسط والبصرة (الخطيب ١٤ ـ ٣١٠) ويذكر ابن الجوزي ان يوسف بن يعقوب «قلد قضاء الجانب الشرقي من بغداد ، وكلواذى ، ونهر بين ، والنهروانات ، وكور دجلة ، وواسط ، مضافا الى ما تولاه من القضاء بالكوفة واعمالها ، وذلك بعد ان مكثت بغداد ثلاثة اشهر وثمانية عشر يوما بعد وفاة اسماعيل بن اسحق بغير قاض» (المنتظم ٥ ـ ١٦٢ ، ٦ ـ ٩٦) .

وفي سنة ٢٨٣ هـ «جعل علي بن محمد بن ابي الشوارب على قضاء المدينة ، يعني مدينة المنصور ، مضافا الى ما كان يتقلده من القضاء بسر من رأى واعمالها» (الخطيب ١٢ ـ ٦٠) ويذكر ابن الجوزي انه ولي قضاء مدينة المنصور «وقطربل مضافا الى ماكان يتولاه من الحكم بسامرا وتكريت وطريق الموصل» (المنتظم ٥ ـ ١٦٢ ، ٦ ـ ٩٦) .

وفي سنة ٢٨٤ «ولي محمد بن يوسف قضاء مدينة المنصور والاعمال المتصلة بها والقضاء بين اهل بزرج سابور ، والراذانين وسكرود (مسكن ؟) وقطربل» (الخطيب

٣ ـ ٤٠٢) وفي سنة ٣٠١ هـ رد المقتدر محمد بن يوسف الى القضاء بعد ان كان معزولا «وقلده الجانب الشرقي والشرقية وعدة نواحي من السواد والشام والحرمين واليمن وغير ذلك (الخطيب ٣ ـ ٤٠٢) ويقول وكيع ان محمد بن يوسف اعيد في هذه السنة «على قضاء الشرقية والجانب الشرقي من مدينة السلام ، والمدائن ، والنهروانات ، وسقي الفرات من طريق الكوفة» (٣ ـ ٢٩٣) .

وقد تولى أحمد بن اسحق بن البهلول « القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام وصسوجي قطربل ومسكن والأنبار وهيت وطريق الفرات ، ثم أضاف له الى ذلك بعد سنين القضاء بكور الأهواز مجموعة لما مات قاضيها إذذاك محمد بن خلف المعروف بوكيع ، فما زال على هذه الأعمال الى ان صرف عنها في سنة سبع عشرة وثلاثمائة (الخطيب ٤ ـ ٣٢) .

وفي سنة ٣٢٨ هـ « خلع الراضي على ابي نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف وقلده قضاء الحضرة بأسرها : الجانب الشرقي والغربي ، المدينة والكرخ ، وقطعة من أعمال السواد » (الخطيب ١٤/١٢٣) ويذكر الصولي ان الراضي جعل الى أبي نصر قضاء بغداد والمدائن (أخبار الراضي والمتقي ١٤٣) .

وفي سنة ٣٣٠ هـ « قلد المتقي بغداد بأسرها : الجانب الشرقي ومدينة المنصور والكرخ أبا الحسن أحمد بن عبدالله بن اسحق الخرقي مضافا الى ما كان قلده قبل الحضرة من القضاء بمصر والمغرب والرملة والبصرة وواسط وكور دجلة وقطعة من السواد » (الخطيب ٤/٢٣١) .

وفي سنة ٣٣٤ هـ ولي الخلافة المطيع « فقلد أبا الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب الشرقية والحرمين واليمن ومصر وسر من رأى وقطعة من أعمال السواد وبعض أعمال الشام وسقي الفرات وواسط ، ثم صرف عن جميع ذلك في رجب سنة ٣٣٥ » (الخطيب ٢/٢٠٠) .

ولما قلد الطائع محمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي معروف قضاء القضاة سنة ٣٦٣ هـ خوله « الحكم بين أهل سر من رأى ، وتكريت ، والطيرهان ، والسن ، والبوازيج ، ودقوقا ، وخانيجار ، وبزرج سابور ، والراذانين ، ومسكن ، وقطربل ، ونهر بوق ، والذيبين ، وجميع الأعمال المضافة الى ذلك ، المنسوبة اليه (رسائل الصابي ص ١١٧) .

وكان القاضي أبو عبيدالله الحسين بن هارون الضبي قد « ولي القضاء بربع الكرخ

من مدينة السلام ، ثم اضيف اليه القضاء بمدينة المنصور ، وقضاء الكوفة وسقي الفرات بأسره » (الخطيب ١٤٦/٨) وفي سنة ٣٩٠ « قلد القاضي أبو عبدالله الحسين بن هارون الضبي مدينة المنصور مضافة الى الكرخ والكوفة وسقي الفرات ، وقلد القاضي أبو محمد عبدالله ابن محمد الأكفاني الرصافة وأعمالها عوضا عن المدينة التي كان يليها ، وقلد القضاء أبو الحسن الخرزي طريقي دجلة وخراسان ، مضافا الى عمله بالحضرة ، وقرئت عهودهم على ذلك » (ذيل تجارب الامم للصابي ٣٧٢/٣ المنتظم ٢٠٨/٧ ، الخطيب ١٤٦/٨) وفي سنة ٣٩٠ هـ اضيف الى القاضي أبي الحسن الخرزي « النظر بطريق دجلة وخراسان » (الصابي ٣٧٢/٣ انظر ايضا المنتظم ٢١٨/٨) .

ويبدو ان تولية قضاة بغداد على مناطق اضافية اخرى ، لم تتبع كثيرا في العصور العباسية المتأخرة ، اذ لم تذكر المصادر إلا اشارة في عهد قاضي القضاة أبي الحسن علي بن أحمد الدامغاني الذي ولّى سنة ٥٠٢ هـ ابنه محمداً « قضاء الجانب الغربي من مدينة السلام وواسط وغير ذلك » (ابن الدبيثي ٢ /٨٨ أ) وولّى أخاه أبا جعفر القضاء بالرصافة وباب الطاق ، ومن أعلى بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد (المنتظم ٨٣/٩) وولي أيضا أخاه الحسن بن أحمد القضاء بربع الكرخ من الجانب الغربي سنة ٥٤٦ هـ ، ثم أضاف اليه في سنة ٥٥٥ واسط (الدبيثي ١٥٤/٣ أ) .

وقد جمع القضاء في بعض الفترات ، في عدة مناطق بيد قاض واحد : فقد جمع قضاء الجانب الغربي كله ، مدينة المنصور والشرقية ، لكل من محمد بن سماعة (سنة ٢٠٧ ـ ٨) وعبدالرحمن بن اسحق (٢١٣ ـ ٢٢٨ هـ) واسماعيل بن اسحق ، ومحمد بن الحسن بن أبي الشوارب (٣٣٣ هـ) ومحمد بن عيسى بن أبي موسى الضرير (٣٣٣ هـ) وأبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي (٣٣٥ ـ ٦) وأبي السائب عتبة بن عبدالله (٣٣٦ هـ) .

وجمع الجانب الشرقي والكرخ لكل من عبدالله بن علي بن أبي الشوارب (٢٩٦ هـ ـ ٣٠١ هـ) وأبي نصر يوسف بن عمر الأزدي (٣٢٩) ومحمد بن عيسى بن أبي موسى (٣٢٩ هـ) .

وجمعت بغداد كلها لكل من اسماعيل بن اسحق (٢٦٤ ـ ٢٨٢ هـ) وأبي نصر يوسف بن عمر بن يوسف (٣٢٨ هـ ـ ٣٢٩ هـ) وأحمد بن عبدالله بن اسحق الخرقي (٣٣٠ هـ ـ ٣٣٥ هـ) ومحمد بن صالح (٣٣٥ ـ ٦) وأبي السائب عتبة بن عبدالملك بن

موسى (٣٣٦) وعبدالله بن الحسين ابن أبي الشوارب (٣٥٠) وأبي محمد عبيدالله بن معروف ٣٥٦) .

وقد ذكر ابن الدبيثي عددا من القضاة الذين ولوا الحكم والقضاء في القرن السادس وأوائل القرن السابع بمدينة السلام دون تخصيص منطقة فيها ، وممن ذكر منهم .

١ ـ أبو منصور محمد بن أحمد بن علي الدامغاني « استنابه أخوه أبو الحسن سنة ٥٤٣ هـ في الحكم والقضاء بمدينة السلام ، فلم يزل على ذلك الى ان توفي في سنة ٥٤٦ هـ » (٢/٥ ب) .

٢ ـ أبو المظفر الحسين بن أحمد بن علي « استنابه أخوه قاضي القضاة أبو الحسن علي بن أحمد بن الدامغاني في الحكم والقضاء بمدينة السلام سنة ٥٤٦ هـ الى ان عزل أخوه سنة ٥٥٥ هـ ، فانعزل ولزم بيته ، فلما اعيد أخوه الى قضاء القضاة سنة ٥٧٠ هـ ، استنابه في الحكم والقضاء على عادته المتقدمة فلم يزل على ذلك الى ان توفي سنة ٥٧٩ هـ » (٣ ـ ١٨٤ ب) .

٣ ـ عبدالله بن عبدالواحد بن أحمد بن محمد الثقفي « استنابه أبوه على القضاء والحكم بمدينة السلام (سنة ٥٥٥ هـ) » (١ ـ ٩٥ أ) .

٤ ـ أبو طالب روح بن احمد الحديثي كان ينوب في القضاء بمدينة السلام قبل ولايته قضاء القضاة سنة ٥٦٥ هـ (١ ـ ١٥٤ ب) .

٥ ـ أبو عبدالله الحسين الدامغاني « كان قاضيا بمدينة السلام قبل ولايته قضاء القضاة سنة ٥٨٨ » (١ ـ ١٣٩ ب) .

٦ ـ أبو القاسم عبيدالله تولى القضاء والحكم بمدينة السلام سنة ٥٨٦ هـ » وقد ظل في عمله الى ان ولي قضاء القضاة علي بن علي البخاري ، ثم انفرد بالحكم ببغداد (١ـ ٩١ أ وانظر أيضا ٣ ـ ١٧ ب) .

٧ ـ عبدالحق بن محمد بن عبدالله المقرون « شهد عند القاضي محمود بن أحمد الزنجاني النائب في الحكم بمدينة السلام سنة ٦١٢ هـ » (١ ـ ١٦٩ أ وانظر أيضا ٢ ـ ٢٢ ب) .

ولاريب في ان المقصود بمدينة السلام هو غير « مدينة المنصور » . ومع اننا لا نستطيع الجزم ما اذا كانت ولايات القضاة المذكورة في هذه النصوص على بغداد كلها (واسمها الرسمي مدينة السلام) ام ان ولايتهم كانت مقصورة على بعض أجزائها .

لا تذكر المصادر كيف كان يتم بالفعل قيام القاضي بالنظر في أمر الجانب الغربي كله ، او بغداد وما يضاف اليها ، خاصة وانها لم تذكر نوابا عنهم أو أشخاصا مخولين بالقيام بهذا العمل كله ، وكل ما أشارت اليه هو الشهود والامناء الذين لا نعتقد ان عملهم يمتد الى النيابة عن القاضي في كل عمله .

ومما يلفت النظر قلة عدد القضاة في بغداد اذا قورن بعدد الحكام في الوقت الحاضر ، ولاريب في ان هذا قد يرجع الى ان عدد سكان بغداد كان أقل مما هو عليه الآن ، وان بعض الأعمال التي تعتبر اليوم من اختصاص الحكام كانت آنذاك خارجة عن اختصاص القضاة وداخلة في اختصاصات الوالي او صاحب الشرط او المحتسب ، كما ان المشاكل التي واجهت أهل بغداد آنذاك كانت أقل مما تواجه سكانها في العصر الحاضر ، نظرا لقلة تعقد المجتمع وقوة الوازع الديني ، غير ان هذه العوامل مجتمعة مهما كانت قوة تأثيرها فانها لا تبرر اقتصار بغداد على أربعة قضاة ، وهو أقصى ما كان فيها ، علما بأنه كان ببغداد في فترات غير قليلة قاضيان او قاضٍ واحد فقط ، هذا فضلا عن ان القاضي ببغداد او في بعض أقسامها ، كان عليه في بعض الفترات ان ينظر في قضاء مناطق واسعة وبلدان كثيرة خارج بغداد ، وهي أوضاع لا تمكنه من النظر شخصيا في كل القضايا التي تظهر في هذه المناطق ، هذا بالاضافة الى ما يصيب بعض القضاة من المرض او الشيخوخة مما يعيقهم عن النظر في القضايا .

لقد ذكرت المصادر عددا من الأشخاص كانوا يخلفون القضاة في الحكم ، وان كلا من هؤلاء كان يقوم بالعمل نيابة عن القاضي الأصيل وبتخويل شخصي منه ، دون حاجة الى تأييد الخليفة او ذي السلطان التنفيذي ، وأغلب من كان ينوب عن القاضي هم ممن كانت تربطهم صلة نسب بالقاضي الأصيل ، فقد كان زياد بن عبدالله بن علاثة يخلف أخاه محمدا على القضاء بعسكر المهدي (وكيع ٣ ـ ٢٥٢ الخطيب ٥ ـ ٣٨٩ ، ٨ ـ ٤٧٨ ، ١١ ـ ١٩٦) واستخلف أبو يوسف ابنه يوسف على قضاء مدينة المنصور (وكيع ٣ ـ ٣٨٢) ، وكان أبو الحسين عمرو بن يوسف يخلف أباه على القضاء بالجانب الشرقي والشرقية وسائر ما كان الى قاضي القضاة أبي عمرو (المنتظم ٦ ـ ١٦٧ انظر ايضا المنتظم ٦ ـ ١٤٧) .

ولما اصيب عبدالله بن علي بن أبي الشوارب بالفالج استخلف له ابنه محمد على عمله كله (الخطيب ٥ ـ ٤٣١ المنتظم ٦ ـ ٩٧) .

وكان أحمد بن اسحق بن البهلول « ربما اعتل فيخلفه ابنه » (الخطيب ١ - ٢٧٨) وقد « خلف أبو نصر يوسف أباه على القضاء بالحضرة سنة ٣٢٧ هـ » (الخطيب ١٤ - ٣٢٢ المنتظم ٦ - ٢٩٦) واستخلف أبو الحسين عمر بن يوسف محمد بن محمد راهويه سنة ٣٢٦ هـ (.الخطيب ٥ - ٢١٥) .

ولما خرج المتقي الى الموصل اختفى القاضي الخرقي فاستخلف على مدينة المنصور أبا الفضل محمد بن عبدالله بن العباس بن أبي الشوارب ، ثم عاد المتقي فظهر القاضي الخرقي وأخذ يحكم بنفسه (الخطيب ٥ - ٤٤٩) .

وعندما خرج القاضي أبو السائب عتبة من بغداد خلفه عمر بن أكثم على الجانب الشرقي ، ثم جمع البلد لأبي السائب ، وهو بالبصرة مع المطيع ، فكتب بذلك الى الحضرة واستخلفه على بغداد بأسرها (الخطيب ١١ - ٢٤٩) .

وفي سنة ٣٧٦ هـ استخلف قاضي القضاة ابن معروف الحسين بن هارون الضبي على الحكم والقضاء بالمدينة الشرقية قبل ان يولاها رئاسة (الخطيب ٨ - ١٤٦ ، المنتظم ٧ - ٢٤٠) .

وقد ناب عن أبي عبدالله الحسين بن هارون الضبي ، محمد بن محمد بن جعفر ابو بكر الدقاق المتوفى سنة ٣٩٢ هـ (المنتظم ٧-٢٢٢) كما ناب عنه على بعض عمله بالكرخ القاضي النصيبي (الخطيب ٣ - ٥٢) .

وكان يخلف ابن الأكفاني على ربع الرصافة عبدالوهاب بن مكرم أبو خازم (الخطيب ٩١ - ٣٠) ويخلفه على عمله بالكرخ الحسين بن بكر بن عبدالله (الخطيب ٨ - ١١٢) .

وقد ولي المعافى بن زكريا القضاء بباب الطاق نيابة عن ابن صبر (الخطيب ١٣ - ٢٣) وناب المبارك بن علي في القضاء عن ابن السيبي والهروي الى سنة ٥١١ هـ (المنتظم ٥ - ٢١٧) .

ان تولية قاض واحد على أكثر من مركز ، او اضافة مناطق اخرى خارج بغداد له ، او استخلاف آخرين ليمارسوا سلطانه ، قد تكرر حدوثه بصورة خاصة في أواخر القرن الثالث وفي القرن الرابع الذي اضطربت خلاله الادارة العباسية وبدأت الأحوال العامة بالتردي والانحطاط في بغداد وبصورة خاصة في الجانب الغربي منها ، يذكر ابن الجوزي ان عضد الدولة لما دخل بغداد سنة ٣٧٢ هـ كان « قد هلك أهلها قتلا وحرقا وجوعا للفتن التي اتصلت بين الشيعة والسنة » (المنتظم ٧ - ٨٨ ، وانظر ايضا طبقات الحنابلة لابن

الفراء ٢ ـ ١٥٨) .

المناطق القضائية في بغداد

مدينة المنصور : استهدف المنصور من بنائه مدينته المدورة ايجاد قاعـدة للخليفة وحاشيته ومواليه وصحابته وأنصاره وموظفيه وكذلك لحرسه وجيشه الخاص الذي لا بد من بقائه قريبا منه وتحت تصرفه للتغلب على الأزمات والملمات التي تواجهه ، أي انه أراد ان تكون مركزا اداريا وعسكريا ، وهو غرض محدد عبر عنـه الخندق والأسـوار التي جعل حدودها ثابتة ورقعتها صغيرة . وبالرغم من استيطان الناس في أرباضها منذ بدء بنائها . فان عدد سكانها كان محدودا نسبيا . ولذلك اكتفي بتعيين قاض واحد لها .

وقد ظلت مدينة المنصور المدورة مركزا لقاضٍ خاص بها الى أواخر القرن الرابع الهجري ، فمن المعلوم ان أبا عبيدالله الحسين بن هارون الضبي عين سنة ٣٩٠ هـ « على مدينة المنصـور والكرخ وسقي الفـرات » (الخطيب ٨ ـ ١٤٦ المنتـظم ٧ ـ ٢٠٧ هلال الصابي ٣ ـ ٣٧٢) .

ويذكر الخطيب ان أحمد بن محمد الابيوردي « سكن بغداد وولي القضاء بها ، على الجانب الشرقي بأسره ومدينة المنصور في أيام ابن الأكفاني ثم عزل ورد ابن الأكفاني الى عمله » (٥ ـ ٥١ ، انظر أيضا الأنساب للسمعاني ١ ـ ١٠٨) . أما ابن الجوزي فقد ذكر ان الابيوردي ولي القضاء ببغداد على الجانب الشرقي ومدينة المنصور في أيام ابن الأكفاني ثم عزل » (٨ ـ ٨٠) والراجح ان الفقرة الأخيرة المذكورة عند الخطيب « ورد ابن الأكفاني الى عمله » قد حذفت من المنتظم بسبب خطأ النساخ ، لأن ابن الجوزي ينقل عن الخطيب ومما يؤيد وجود هذه الجملة في كتابه نقل السمعاني لها في كتابه الأنساب . ولا ريب ان سياق الجملة يقتضي ان الابيوردي ولي قضاء مدينة المنصور ابان تولية ابن الأكفاني القضاء على كل بغداد وممارسته سلطة قاضي القضاة التي حدثت بين سنة ٣٩٦ هـ (حيث كان في هذه السنة على باب الطاق) وسنة ٤٠٥ هـ وهي سنة وفاته (الخطيب ١٠ ـ ١٤١) أي انه كان على قضاء مدينة المنصور حوالي سنة ٤٠٠ هـ .

وقد ورد في بداية القرن الخامس الهجري ذكر لقاضيين من قضاة مدينة المنصـور هما :

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبيدالله بن عبدالصمد بن المهتدي بالله أبو الحسين

الهاشمي الخطيب المعروف بابن الغريق « الذي ولي القضاء بمدينة المنصور وما اتصل بها » (الخطيب ٣ ـ ١٠٨) ويذكر ابن الجوزي إنّ ابن الغريق ولي القضاء في سنة ٤٠٩ هـ (المنتظم ٨ ـ ٢٨٣) ويذكر ابن العماد انه كان سيد بني العباس في زمانه وشيخهم مات (سنة ٤٦٦ هـ) وله خمس وتسعون سنة (٣ ـ ٣٢٤) .

(٢) علي بن عبدالله بن ابراهيم بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن داود بن موسى أبو الحسن الهاشمي وكان قد شهد وتولى قضاء مدينة المنصور ومات سنة ٤١٥ (الخطيب ١٢ ـ ٨) ولا يذكر الخطيب سنة تولية أبي الحسن الهاشمي القضاء ولا ما اذا كان قد تولاه قبل ابن الغريق او بعده . ومن المؤكد انه تولاه قبل سنة ٤١٥ وهي سنة وفاته .

ان هذين القاضيين هما آخر من وجدت في المصادر ذكرا لتوليهما القضاء بمدينة المنصور واذا كنا لا نستطيع الجزم بالسنة التي انتهى فيها تعيين القضاة على مدينة المنصور فالراجح انها تمت بعد عهد ولاية أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي الشوارب قضاء القضاة (سنة ٤١٧ هـ) ولعلها في الفترة التي انقضت بين وفاته وبين تولية ابن ماكولا .

وجدير بالذكر ان مدينة المنصور أصابها الانحلال منذ أواخر القرن الرابع ، قال فيها المقدسي «فأما المدينة فخراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب احسن التقاسيم (٣٠) ويذكر هلال بن المحسن «وأما ما بين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراسا كليا ، وصار الجامعان بالمدينة والرصافة في الصحراء بعد ان كانا وسط العمارة » (مناقب بغداد ٣٣) ولعل من أهم مظاهر هذا الانحلال ان مدينة أبي جعفر المنصور أصبحت تدعى بباب البصرة (ياقوت ٣ ـ ٦٧٥) وان طرقها وسككها أصبحت تنسب الى باب البصرة (انظر الخطيب ٢ ـ ٣٨٢ ، ٨ ـ ١٤٢ ، ١٤ ـ ٢٤١) .

ووردت في المصادر المتأخرة ثلاث اشارات عن قضاة تولوا مدينة المنصور في العهود العباسية المتأخرة .

فقد ذكر ابن الجوزي ان محمد بن المظفر بن بكران الحموي الشامي « شهد عند قاضي القضاة أبي عبدالله الدامغاني في ربيع الأول سنة [٤] وزكاه القاضي ابو يعلى بن الفراء وأبو الحسن ابن السمناني وناب عنه في القضاء بربع المدينة (المنتظم ١٠ ـ ٩٥) .

وذكر الصفدي ان « محمد بن عبدالمتكبر بن الحسن بن عبدالودود بن عبدالمتكبر بن هارون بن محمد بن عبدالله بن المهتدي ابو جعفر الهاشمي الخطيب قاضي باب البصرة وقد

توفي سنة ٥٣٣ هـ » (الوافي ٤ ـ ٧٥) .

غير انني لم أجد في الكتب الاخرى ترجمة لهذين الرجلين او اية اشارة الى نيابة الشامي في القضاء بربع المدينة او الى تولية أبي جعفر الهاشمي قضاء باب البصرة وهو الاسم الذي يطلق على مدينة المنصور .

ذكر ابن الدبيثي ان عبدالملك بن المبارك (ت ٦٠٩ هـ) ولي القضاء بمدينة المنصور والحريم الطاهري وما يلي ذلك وشهد سنة ٥٨٨ هـ ، (١ ـ ١٣٩ ب ، انظر أيضا ذيل طبقات الحنابلة ١ ـ ٢٤٨ طبعة لاوست) ويذكر صاحب الجواهر المضيئة (١ ـ ٣٢٦) عن ابن النجار انه عين على الحريم غير انه ذكر في ترجمة ثابت بن أحمد انه « ابن عم القاضي أبي منصور عبدالملك بن المبارك قاضي الحريم الطاهري (٣ ـ ١٤١ ب) كما يذكر ان أحمد ابن موهوب (ت ٥٧٠ هـ) كان من أهل الحريم الطاهري كان أمين القضاة بالحريم وما يجاورها (٣ ـ ٢٣٠) وان الحسن بن المبارك (ت ٦٠٦ هـ) « كان من أهل الحريم الطاهري ، كان أمين القضاة بالحريم وما يجاورها » (٢ ـ ١٨) .

ان النص الذي أورده ابن الجوزي لم يحدد أية مدينة ناب فيها محمد بن المظفر بن بكران . وقد أوردنا من قبل النصوص التي أشارت الى من ولي الحكم او ناب فيه بمدينة السلام التي لا يمكن اعتبارها مرادفة لمدينة المنصور .

أما رواية الصفدي فلم يؤيدها مصدر آخر ولم نجد أية اشارة اخرى لقاض ولي القضاء بباب البصرة ، ولا شك ان انفراد الصفدي بهذه الاشارة يرجح عدم صحتها ، أما ذكر ابن الدبيثي ولاية ابن المبارك على مدينة المنصور فيدل على عدم دقته عدم ذكر المصادر الاخرى لمن ولي مدينة المنصور (التي زال اسمها) قبل تاريخ ولاية ابن المبارك بزمن وأصبحت خالية من السكان . أما الاشارة الى قاض على الحريم فان تكررها يدل على وجود (أمين) فيها أي وكيل قاضٍ ، وليس بقاض .

الشرقية والكرخ :

لقد ذكرنا ان المنصور استهدف من بناء بغداد ان يتخذها مقرا رسميا له ولجنده وموظفيه وحاشيته والمتصلين به ، غير انه سرعان ما تقاطرت عليها أعداد كبيرة من العمال وأصحاب الحرف والصناع والتجار ورجال الأعمال الذين قدموا الى هذا المركز الجديد للاستفادة من المجالات الواسعة للحياة فيه . ومن الطبيعي انه لم يكن لهم الضبط

العسكري المتوفر في جند المنصور ، كما انه لم يكن لهم تجاه الخليفة نفس روابط الاخلاص المتوفرة في الموظفين والحاشية ، وقد أثر ذلك في تشويه الطابع الذي أراده المنصور لمدينته الجديدة ، الأمر الذي حمله على اقصائهم عن مدينته المدورة حيث أمر في سنة ١٥٧ هـ « باخراج الأسواق من المدينة الى الكرخ ، وأن يبنى ما بين الصراة الى نهر عيسى . . ثم أمر ان يبنى لأهل الأسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون فيه المدينة ويفرد لهم وقلد ذلك رجلا يقال له الوضاح بن شبا ، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح والمسجد فيه ، وسميت الشرقية لأنها شرقي الصراة » (الخطيب ١ ـ ٨٠ ، ٨١) .

ويذكر اليعقوبي « وانما سميت الشرقية لأنها قدرت مدينة للمهدي قبل ان يعزم على ان يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة ، فسميت الشرقية ، وبها المسجد الكبير وكان يجمع فيه يوم الجمعة وفيه منبر ، وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ثم اخرج المنبر منه » (البلدان ٢٤٥) . ويبدو ان صلاة الجمعة لم تعد تقام في مسجد الشرقية بعد ذلك بأمد قصير ، اذ ان الخطيب لم يشر اليه في الفصل الذي خصصه للجوامع التي اقيمت فيها صلاة الجمعة ببغداد (١ ـ ١٠٧ ، ١١٠) .

وقد أدى استمرار تقاطر الناس الى بغداد ومقامهم في الجانب الغربي الى توسع رقعة المناطق السكنية وامتدادها جنوبا الى نهر عيسى ، فازدحمت هذه المنطقة وخاصة محلة الكرخ غير ان اسم « الشرقية » ظل مستعملا .

وقد تطلب ازدحام السكان في الشرقية والكرخ وازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها الى ان يعين لها قاض خاص . ويذكر وكيع ان أول قاض على الشرقية هو عمر بن حبيب العوذي (٣ ـ ٢٨٢) كما يذكر ان ابن علاثة استعان بعمر بن حبيب العوذي لينظر في امور الناس بالشرقية ثم ولي رياسة في أيام المهدي (٣ ـ ٢٥٢ انظر ايضا الخطيب ١٦ ـ ١٩٦) ويستدل من هذا الكلام ان عمر بن حبيب كان ينظر في القضاء بالشرقية منذ زمن المهدي نيابة ، أي « بصورة غير رسمية » وان القضاء بالشرقية لم يثبت « رسميا » إلا منذ عهد هارون الرشيد حيث أصبح الجانب الغربي منذ ذلك الحين مقسما لغرض الادارة القضائية الى منطقتين هما : مدينة المنصور التي تحدثنا عن منصب القاضي فيها ، والشرقية التي نتكلم عنها الآن .

لقد ذكرت « الشرقية » للقاضي الثاني في الجانب الغربي من بغداد في كتاب « أخبار القضاة » لوكيع الذي ينتهي حوالي سنة ٣٠٢ هـ ، وفي كتاب « أخبار الراضي والمتقي »

للصولي الذي ينتهي بحوادث سنة ٣٣٧ هـ ، وفي كتاب « تكملة تاريخ الطبري » لمحمد بن عبدالملك الهمداني الذي ينتهي القسم المطبوع منه بحوادث سنة ٣٧٠ هـ ، وكذلك في كتاب « تجارب الامم » لمسكويه الذي ينتهي فيه بحوادث سنة ٣٧٠ هـ أيضا ويذكر الأخير ان عضد الدولة عين على بغداد أربعة قضاة أحدهم أبو محمد عبدالرحمن بن محمد العماني « . . . . على المدينة التي تعرف بالشرقية وهي على غربي دجلة الى الطرف الأسفل منه » (تجارب الامم ٢ ـ ٤٠٠) .

أما طلحة بن محمد بن جعفر الذي ينتهي ما نقله عنه الخطيب بحوالي سنة ٣٦٠ هـ فانه لا يذكر الشرقية إلا في أربعة قضاة هم عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب الذي ظل من سنة ٢٩٦ هـ الى ٢٩٨ هـ « على القضاء بالجانب الشرقي من بغداد وعلى الكرخ ايضا » (الخطيب ٥ / ٤٣٦) ومحمد بن عيسى بن أبي موسى الذي كان سنة ٣٢٩ هـ « على الجانب الشرقي والكرخ » (الخطيب ٢ / ٤٠٣) وأبو يوسف بن عمر الذي كان على « الحضرة بأسرها : الجانب الشرقي والغربي والمدينة والكرخ . . . الى سنة ٣٢٩ هـ فان الراضي صرفه عن مدينة المنصور بأخيه الحسين وأقره على الجانب الشرقي والكرخ » (الخطيب ١٤ ـ ٢٢٣ ، المنتظم ٦ ـ ٢٠٠) والخرقي الذي كان بين سنة ٣٣٠ هـ ـ ٣٣٥ هـ « على بغداد بأسرها : الجانب الشرقي ومدينة المنصور والكرخ » (الخطيب ٤ ـ ٢٣١) .

وذكر الخطيب نقلا عن أبي الحسين الصيمري ان أبا خازم عبدالحميد بن عبدالعزيز الحنفي ولي القضاء بالشام والكوفة والكرخ من مدينة السلام » (الخطيب ١١ ـ ٦٢) وقد كانت ولايته القضاء ببغداد بين سنة ٢٨٢ هـ ـ ٢٩٢ هـ .

لا نعلم فيما اذا كانت كلمة الكرخ الواردة في النصوص المذكورة أعلاه ترجع الى استعمال طلحة بن محمد اياها في كتابه المفقود ، ام الى ان الخطيب وضعها من عنده بدل كلمة الشرقية . وقد بينا ان المصادر التي الفت قبل سنة ٢٧٠ هـ استعملت كلها كلمة الشرقية ، ولم يستعمل أحد منها كلمة الكرخ لوصف منطقة قضاء من كان يلي الجانب الغربي ، الأمر الذي يرجح ان كلمة الكرخ استعملت في نصوص الخطيب تجوزا ، وان الخطيب قد استعمل تعبيرا متأخرا وصفا لمؤسسة قائمة كان يطلق عليها في القديم اسم يختلف عن اسمها في العهود المتأخرة . او قد يرجع ذلك الى ان طلحة بن محمد قد ألف كتابه بعدما صارت كلمة الكرخ تستعمل مكان كلمة الشرقية ، ولما كان طلحة قد ألف

كتابه حوالي سنة ٣٧٠ هـ ، فان كلمة الشرقية ظلت مستعملة الى حوالي ٣٧٠ هـ ثم حلت محلها كلمة الكرخ ، ويبدو ان كلمة الشرقية نسي استعمالها بعد ذلك ، مما جعل الخطيب يشير في عدة مواضع من كتابه الى ان الشرقية هي الكرخ (انظر ٣ ـ ٤٠٢ ، ٥ ـ ١٠٢ ، ٦ ـ ٢٨٨ ، انظر أيضا المنتظم ٥ ـ ١٥٢) .

وقد أخذت المصادر تستعمل ربع الكرخ منذ أواخر القرن الرابع الهجري ، فقد ذكر الخطيب ان أبا محمد عبدالرحمن بن محمد العماني المتوفى سنة ٣٨٦ هـ « ولي القضاء بربع الكرخ » (١٠ ـ ٣٠٠) وقد ذكر ذلك أيضا ابن الجوزي إلا انه جعل خطأ سنة وفاته ٤٨٥ هـ وقد ذكر الخطيب أيضا ان ابا عبدالله الحسين بن هارون الضبي المتوفى سنة ٣٩٢ هـ « ولي القضاء بربع الكرخ من مدينة السلام ثم اضيف اليه القضاء بمدينة المنصور وقضاء الكوفة وسقي الفرات بأسره » وان قاضي القضاة ابن معروف « استخلفه على الحكم والقضاء بالمدينة الشرقية وأعمالها » (٨ ـ ١٤٦ ، انظر ايضا المنتظم ٧ ـ ٢٤٠ حيث يضيف انه ولي القضاء نيابة عن ابن معروف سنة ٧٦[٣] ثم رياسة ثم عزل سنة ٧٧[٣] .

غير انه تجدر الاشارة الى ان مسكويه يذكر ان العماني ولي على الشرقية سنة ٣٦٩ هـ (٢ ـ ٣٩٩) مضافة الى الكرخ والكوفة وسقي الفرات » (٣ ـ ٣٧٢) ولما كان مسكويه مؤرخا معاصرا موثقا به ، فالراجح ان تعبير ربع الكرخ لم يكن مستعملا في وقته وان الخطيب لم يكن دقيقا في استعماله تعبير « ربع الكرخ » لمكان ولاية كل من العماني والضبي ، كما ان استعمال هلال كلمة « الكرخ » لمكان تقلد الضبي يدل على ان هذا التعبير بدأ استعماله بين سنتي ٣٦٩ هـ و ٣٩٠ هـ ، أما تعبير « ربع الكرخ » فان عدم وروده عند هلال يدل على انه قد ظهر بعد سنة ٣٩٠ هـ ويلاحظ ان بغداد جمعت سنة ٣٩٦ هـ لابن الأكفاني الذي ظل قاضيا على كل بغداد الى ان توفي سنة ٤٠٥ هـ (الخطيب ١٠ ـ ١٤١ المنتظم ٧ ـ ٢٧٣) فلم تكن حاجة لاستعمال كلمة « الكرخ » ، او « ربع الكرخ » .

ان أول قاض يردنا اسمه بعد ابن الأكفاني هو محمد بن عبدالله بن أحمد البيضاوي المتوفى سنة ٤٢٤ هـ . ويذكر الخطيب (٥ ـ ٤٧٢) والسمعاني (الانساب ٢ ـ ٣٩٨) طبعة حيدر آباد ، والسبكي (٣ ـ ٦٣) والصفدي (الوافي ١ ـ ١٢١) انه كان قاضيا على ربع الكرخ ، الأمر الذي يدل على ان تعبير « ربع الكرخ » كان مستعملا في حوالي سنة

٤٢٠ هـ ، غير اننا لا نستطيع تحديد سنة ظهور استعماله لأننا لا نعرف شيئا عن القضاة الذين عينوا بعد ابن الأكفاني (ت ٤٠٥ هـ) وقبل البيضاوي (ت ٤٢٤ هـ) فضلا عن اننا لا نعلم سنة تولية البيضاوي بالضبط .

ومما يجدر ذكره ان تعبير « ربع الكرخ » استعمله ابن الجوزي لوصف ما يقع فيه بركة زلزل (٩ ـ ٢٩) ومقابر باب التبن (٩ ـ ٢٩) ومقابر قريش (٩ ـ ٢٨) علما بأن مقابر باب التبن ومقابر قريش تقع شمال خندق مدينة المنصور المدورة ، وبذلك صار يشمل منطقة واسعة تمتد من الكرخ القديمة الى أقصى شمال الجانب الغربي .

الجانب الشرقي (عسكر المهدي ، الرصافة) :

ان الازدهار السريع الذي رفلت به بغداد منذ السنوات الاولى من إنشائها ، جعل الجانب الغربي غير كاف لاستيطان كافة القادمين الى العاصمة الجديدة ، خاصة وان رقعتها كانت محصورة بين دجلة ونهر عيسى وذنائب الدجيل . فكان لا بد من التوجه الى الجانب الشرقي لاتخاذه مستوطنا للعدد المتزايد من الموظفين وعلية القوم والجيش وبقية المتقاطرين اليها . وقد ظهر ذلك جليا بعد سنوات قليلة من اكمال بناء مدينة المنصور ، ففي سنة ١٥١ هـ قدمَ المهدي ، وكان وليا للعهد ، مع جيش من الري ، فأمر الخليفة المنصور بانشاء الرصافة لتكون مقاما له ولجنده ولعدد من كبار رجال الدولة . وقد كمل بناؤها سنة ١٥٩ هـ (الخطيب ١ ـ ٨٣) وفي هذه السنة تم بناء جامع الرصافة الذي ظل واحدا من الجامعين اللذين تقام فيهما الجمعة ببغداد الى زمن المعتضد حيث انشئت بعد ذلك جوامع اخرى (الخطيب ١ ـ ١٠٩) .

وقد تطلب استيطان الناس في الجانب الشرقي تعيين قاض خاص له ، ويذكر وكيع ان أول من فرق القضاء في الجانبين موسى الهادي (٣ ـ ٢٥٤) ، غير انه يذكر في مكان آخر ان المهدي عين محمد بن عبدالله بن علاثة وعافية بن يزيد الأزدي على الجانب الشرقي (أخبار القضاة ٣ ـ ٢٥١ انظر ايضا الخطيب ٥ ـ ٣٨٩ ، ٨ ـ ٤٧٩ ، ١٢ ـ ٣٠٨) . ولا ريب فيه ان الرواية الأخيرة هي الأرجح اذ يؤيدها ذكر القاضيين على الجانب الشرقي في زمن المهدي ، بالاضافة الى انه لا يعقل ان يهتم المهدي بالرصافة وينشىء فيها جامعا ، ثم يبقيها تابعة في امور القضاء الى الجانب الغربي .

ويمكننا ان نحصل مما ذكره وكيع والمصادر الاخرى على قائمة كاملة بأسماء القضاة

الذين تولوا القضاء في الجانب الشرقي الى أواخر القرن الرابع الهجري ، وكان يعين عليها طوال تلك المدة قاضٍ واحد فقط مما يدل على انها كانت منطقة قضائية واحدة ، وقد ذكرت بعض المصادر « قاضي الرصافة » وسمته بعضها « قاضي عسكر المهدي » ولكن أغلبيتها المطلقة تذكر « قاضي الجانب الشرقي » ، ولا نرى كبير فائدة في ذكر كافة الاشارات الواردة في الكتب حول هذه التعابير الثلاثة ما دام لم يعين على الجانب الشرقي غير قاض واحد ، وما دامت التعبيرات الثلاثة ذات مدلول مقارب ، وان كان تعبير « الجانب الشرقي » أدق من حيث شموله على الرصافة وما حولها .

ولاشك في الجانب الشرقي لم تكن له في العهود الاولى الأهمية التي كانت للجانب الغربي ، حيث كان الخلفاء العباسيون الأولون يقيمون فيه الى زمن المأمون ، غير ان أهمية الجانب الشرقي بدأت تتزايد بعد عودة الخلفاء من سامراء في النصف الثاني من القرن الثالث واتخاذ مقامهم في دار الخلافة ، ثم انشاء دار السلطان فيه .

وفي القرن الرابع الهجري اضطربت الادارة العباسية في بغداد وبدأت الأحوال ، وخاصة في الجانب الغربي ، بالتردي والانحطاط ، ولعل من أبرز مظاهر وآثار هذا التردي هو تكرر اختصار عدد القضاة والاكتفاء بقاض واحد على منطقتين او أكثر من المناطق القضائية الثلاث في بغداد ، فضلا عن تحويل قضاة بغداد النظر في قضاء مناطق واسعة خارج بغداد ، وكثرة استخلاف القضاة من يقوم بالنظر الفعلي في امور القضاء ، مما أسلفنا ذكره مفصلا .

ومع ان عضد الدولة بعد ان دخل بغداد « عمد الى مصالح بغداد فأوجدها بعد العدم ، وأعادها الى ريعانها بعد الهرم ، واستدر أفاويق الأعمال بعد ان كانت منصرمة ، واستمد ينابيع الأموال بعد ان كانت مستهدمة ، وفعل في تجديد العمران وبناء البيمارستان ووقف الوقوف الكثيرة عليها ونقل أنواع الآلات والأدوية من كل ناحية اليه ، ما يدرك العيان بعضه الى الآن . . . » . (الروذراوري : ذيل تجارب الامم ٣ ـ ٦٩) . إلا ان وفاة عضد الدولة في تلك السنة أدت الى استمرار عوامل التردي والانحطاط في بغداد ، حتى ان هلال الصابي ألف كتابا في مظاهر انحلال بغداد وذكر في تاريخه عن أحداث سنة ٣٩٢ هـ « لا جرم ان البلد خرب وانتقل أهله عنه ، فمنهم من مضى الى البطيحة ، ومنهم من اعتصب بباب الأزج ومنهم من بعد الى عكبرا والأنهار ، ولقد حدثني جماعة من الناس انهم شاهدوا صينية الكرخ فيما بين طرف الحذائين والبزازين ، والفواخت والعصافير تمشي

في أرضها انتصاف النهار وفي الوقت الذي جرت العادة بازدحام الناس فيه بهذا المكان » (٤١٣/٣) .

وقد أشار الخطيب عند كلامه في مقدمة كتابه « تاريخ بغداد » ، عن أنهارها الى ان معظم تلك الأنهار كانت جافة في زمنه .

ولا ريب فيه ان هذا الانحطاط الذي أوردنا فيه بعض النصوص التي توضحه والذي درسناه بتفصيل أوفى في كتاب مستقل ، كان أقل أثرا على الجانب الشرقي الذي كان فيه مقام الخلفاء والوزراء ومعظم المتنفذين بعد عودة الخلافة من سامراء ، هذا بالاضافة الى قلة المناوشات المذهبية فيه والى بقاء شبكة الأنهار والترع التي تزوده بالماء دون ان تتعرض للاندثار ، وكان لا بد ان تؤدي هذه التطورات الواسعة الى اعادة النظر في التنظيمات الادارية في بغداد وخاصة ادارة القضاء .

لم تظهر تبدلات الأوضاع في بغداد فجأة او تتركز كلها في سنة واحدة بل حدثت تدريجيا خلال فترة امتدت قرنا من الزمن احتفظت خلاله الأنظمة بكثير من مظاهرها الخارجية بالرغم من عدم ملاءمة هذه المظاهر للأوضاع الجديدة ، فقد ظلت بغداد مقسمة الى ثلاث مناطق قضائية ، اثنتان منها في الجانب الغربي والثالثة في الجانب الشرقي ، كما ان الخليفة كان صاحب السلطة في تعيين قاضي القضاة والقضاة ، ومع ان تولية قاض واحد على منطقتين او أكثر يمكن اعتباره محاولة لخلق انسجام بين الادارة وواقع الأوضاع الجديدة ، إلا ان هذه التعيينات لم تؤثر في عدد المناطق القضائية ، يضاف الى ذلك ان القاضي قد يختار من يخلفه ، اي من يمارس فعليا عمل القضاء مكان القاضي ، إلا ان هذا الممارس كان « يستخلف » ولا « ينوب » اي انه يقوم بالعمل بصورة شخصية ، فهو خليفة القاضي وليس بقاضٍ لذلك كانت المصادر تشير الى ان أمثال هؤلاء القائمين « مستخلفون » ولم تصف أحدا منهم بأنه « قاضٍ » إلا اذا صدر أمر الخليفة بتعيينه قاضيا .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ادخلت على القضاء تغييرات ادارية فجعلت المراكز القضائية في بغداد أربعة بدلا من ثلاثة ، وذلك بجعل مركزين للقضاء في الجانب الشرقي بدلا من مركز واحد ، غير اننا لا نستطيع تحديد السنة التي حدث فيها هذا التبدل . فيذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٥٦ هـ انه « في يوم الخميس لسبع خلون من شعبان خلع على القاضي أبي محمد عبدالله بن أحمد بن معروف ، وقلد القضاء بالجانب

الغربي من بغداد ومدينة المنصور وحريم دار السلطان ، وقلد القاضي أبو بكر أحمد بن سيار القضاء فيما بقي من الجانب الشرقي ببغداد ، وخلع عليهما ، وبعد مديدة ، قلد القاضي أبو محمد بن معروف الاشراف على الحكم » (المنتظم ٧ ـ ٣٨) . وقد تم هذا في عهد عز الدولة بختيار بن معز الدولة الذي تولى السلطنة في ربيع الآخر من السنة نفسها .

لم يذكر مسكويه تولية ابن معروف القضاء ، ولم يشر الخطيب في ترجمته لابن معروف (١٠ ـ ٢٦٥) الى ما تولاه قبل ان يصبح قاضي قضاة ، كما اني لم أجد لأبي بكر أحمد بن سيار ترجمة في كتاب الخطيب ، وقد ذكر محمد بن عبدالملك الهمداني انه في شعبان من تلك السنة (٣٥٦ هـ) خلع على القاضي ابي محمد بن معروف وولي القضاء بالجانب الغربي وخلع على ابن سيار وقلد القضاء بالجانب الشرقي (تكملة الطبري ١٩٦) ويلاحظ ان مسكويه لم يهتم كثيرا بذكر القضاة وأخبارهم ، وان الهمداني دون كتابه بعيدا عن زمن حدوثها ، فعدم ذكرهما منطقة قضاء ابن معروف لا يمكن اتخاذه حجة على خطأ ما ذكره ابن الجوزي .

لم يذكر ابن الجوزي المصدر الذي استقى منه الخبر المذكور اعلاه ، ولكننا نرجح انه أخذه من هلال بن المحسن الذي تدل مقارنة القطعة المنشورة منه بما أورده ابن الجوزي على مدى اعتماد الأخير على هلال .

ويلاحظ ان ابن الجوزي يذكر من الجانب الشرقي « حريم دار السلطان » و « ما بقي من الجانب الشرقي » وهو تقسيم لم يذكر فيما بعد مما يدل على انه تقسيم أحدث موقتا ثم الغي ومحل محله تقسيم آخر ، فأغفل المؤرخون ذكر التقسيم الأول لعدم استمراره .

ويذكر مسكويه ان عضد الدولة في سنة ٣٦٩ هـ « قلد قضاء القضاة أبا سعد بشر بن الحسن ، وهو شيخ كبير مقيم بفارس ، واستخلف له ببغداد أربعة خلفاء على أرباع بغداد وهم :

محمد بن عبدالله المعروف بابن صبر وكان خليفته على الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الأعلى منه .

وأبو الحسن عبدالعزيز بن أحمد الخرزي وصيره خليفته على ما بقي من الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الأسفل منه .

وأبو محمد عبدالله بن محمد المعروف بابن الأكفاني خليفته على مدينة أبي جعفر

المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي الى طرفه الأعلى .
وأبو محمد عبدالرحمن بن محمد العماني خليفته على المدينة التي تعرف بالشرقية ، وهي على غربي دجلة ، الى الطرف الأسفل منه .
وضمت نواحي بغداد على هذه الحصص (تجارب الامم ٢ ـ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) .
ومما يؤيد حدوث هذا التقسيم قول ابن النديم ان أبا الحسن عبدالعزيز بن أحمد الأصفهاني الخرزي « ولاه عضد الدولة قضاء الربع الأسفل من الجانب الشرقي من مدينة السلام والى وقتنا هذا وهو سنة ٣٧٧ هـ » (الفهرست ٣٠٧) كما ان الخطيب ذكر في ترجمة عبدالعزيز بن أحمد الخرزي انه « ولي القضاء من حد المخرم الى باب الأزج » (١٠ ـ ٤٦٦ انظر ايضا المنتظم ٧ ـ ٢١٨ حيث يضيف انه كـان على النهـروانات وطـريق خراسـان أيضا) .
ويلاحظ ان هذا التقسيم جعل القضاة خلفاء لقاضي القضاة ولكنه لم يجعل تعيينهم بيده كما انه أبقى للجانب الغربي مركزين هما : مدينة أبي جعفر والمدينة الشرقية ، فهو لم يستعمل كلمة الكرخ ، مما يدل على ان تعبير « ربع الكـرخ » بدأ استعمـاله بعـد هذا التاريخ ، أما الجانب الشرقي فقد جعل له قاضيان يفصـل بين حـدود عمل كـل منهما المخرم ، وهو تقسيم جديد لم يكن موجودا في السابق .
ويبدو انه حدثت في هذه الفترة تبدلات أساسية ، فقد اختفى بعدها اسم مدينة المنصور وحل محله اسم باب البصرة فلم يعد يذكر لها قاض ، كما بينا سابقا .
ان تقسيم عضد الدولة المناطق القضائية في بغداد الى اربعة أقسام : اثنان منها في الشرق واثنان في الغرب أكسب تعبير « الربع » معنى خاصا ، وصارت كلمة « الأرباع » تطلق على مراكز القضاة في بغداد .
ويلاحظ ان للربع سمة الخير والبركة والتفاؤل عند العرب ، وكانت الكعبة مبنية بناء مربع الشكل . كما كانت المناطق السكنية التي تقيم فيها عشائر مكة وقبائلها تسمى الرباع ، وكانت الكوفة مقسمة الى أربعة أرباع .
ويذكر البيهقي ان « الربع هو أحد أرباع الشيء . . والربع محلة القوم ، اذا اجتمع كل قوم في مكان وتقاربت بيـوتهم ومحلات سكنـاهم وقويت أواصـر علاقتهم يسمـون بالربع ، (تاريخ بيهق ٣٤ ـ ٣٥ طبعة أحمد بهمينار) .
أما في بغداد فان المناطق السكنية كان يطلق عليها عادة « القطائع » ثم « المحلات »

إلا ان فكرة الأرباع كانت قائمة فيها منذ بناء بغداد حيث ان المنصور قسم أرباض بغداد الى أربعة أرباع وجعل على كل ربع قائدا من قواده ، غير ان استعمل كلمة أرباع لم يكن لها معنى محدد ، ولم أجد لها ذكرا لها إلا في المنتظم في حوادث سنة ٢٨٤ هـ انه « نودي في الأرباع والأسواق ببغداد بالنهي عن وقود النار ليلة النيروز » (٥ ـ ١٧٧) .

وقد جعل عضد الدولة بغداد أرباعا وولى على كل ربع قاض ، ومنذ ذلك الحين بدأ يتردد استعمال كلمة « ربع » التي استعملت في النصوص وصفا للمدينة والرصافة وسوق الثلاثاء ، وباب الطاق .

فيذكر الخطيب ان ابن الأكفاني كان « يخلفه على ربع الرصافة عبدالوهاب بن مكرم » (١٢ ـ ٣١) ويذكر ابن الجوزي ان محمد بن المظفر بن بكران الحموي شهد عند قاضي القضاة ابن الدامغاني وناب عنه في القضاء بربع المدينة (المنتظم ٩ ـ ٩٥) ويذكر أيضا ان أبا جعفر الدامغاني « كان اليه القضاء بربع باب الطاق » (المنتظم ٩ ـ ١٥٠) ويذكر ابن النجار ان عمر بن علي بن خضر الدمشقي « ولي القضاء بدار الخلافة ، ثم القضاء بربع سوق الثلاثاء » (ذيل تاريخ بغداد ١٣ أ) .

غير انه لا بد من الاشارة الى ان ما أوردناه هنا ، ما هو إلا نصوص مفردة ، وان أكثر ما يتردد في المصادر هو « ربع الكرخ » الذي ظهر في الربع الأخير من القرن الرابع وظل مستعملا حتى أواخر القرن الخامس ، كما أسلفنا ذكره .

ان عضد الدولة بتقليده أربعة قضاة على بغداد ، أبقى من غير تبديل ما كان قد استقر عليه من تعيين قاضيين على الجانب الغربي احدهما على مدينة المنصور والآخر على الشرقية (التي أصبحت الآن تسمى الكرخ) ومن المؤكد ان وجود أربعة قضاة على بغداد كان قائما في سنة ٣٨٦ هـ حيث يذكر الروذراوري « القضاة الأربعة وهم أبو عبدالله الضبي ، وأبو محمد بن الأكفاني ، وأبو الحسين بن معروف ، وأبو الحسين الخرزي » (ذيل تجارب الامم ٣ ـ ٢٧٧) .

غير ان تنظيم المناطق القضائية ببغداد تعرض في الفترة التي امتدت من هذا التاريخ الى نهاية ولاية ابن ماكولا قضاء القضاة (سنة ٤٤٧ هـ) الى تطورات لا توضحها المصادر ، فقد جمعت بغداد للحسين بن هارون الضبي (٣٩٠ ـ ٣٩٧) ولأحمد بن محمد الابيوردي كما جمع الجانب الشرقي لابن الأكفاني (سنة ٣٩٦ هـ) وفي سنة ٤٠١ هـ وقع على محضر الطعن في نسب الخلفاء الفاطميين ، من القضاة أبو محمد الأكفاني وأبو القاسم

الخرزي وأبو العباس السوري (المنتظم ٧ ـ ٢٥٦) مما قد يدل على انه كان في تلك السنة ثلاثة قضاة في بغداد ، ولكننا لا نعلم عن مناطق عملهم سوى ابن الأكفاني منهم .

وليس لدينا عن هذه الفترة غير اسم قاضيين على مدينة المنصور وثلاثة على الكرخ وواحد على باب الطاق .

ويبدو ان التبدلات التي حدثت في هذه الفترة كانت اساسية ، إذ يلاحظ ان اسم مدينة المنصور اختفى بعد هذه الفترة وحل محله اسم باب البصرة ولم يعد عليها قاض ، كما اسلفنا .

ان التغيير الاساسي الذي ادخله عضد الدولة على تنظيم القضاء ببغداد هو ان الجانب الشرقي اصبح له قاضيان ، بدلا من قاض واحد ، يفصل بين حدود اختصاصهما المخرم ولعل هذا راجع الى ان الجانب الشرقي كانت قد تزايدت اهميته اذ صار فيه مقام الخلافة والوزارة والسلطان بعد عودة الخلافة من سامراء ، فضلا عن استتباب الامن فيه ، وقلة الفتن والاضطرابات الطائفية فيه ،

يبدو ان تنظيم عضد الدولة فيما يخص مناطق القضاء في الجانب الشرقي لم يستمر السير عليه ، فقد عين له بعد ذلك قاض واحد هو أبو الحسين بن معروف (٣٨١ هـ) ثم احمد بن محمد الابيوردي ثم ابن الاكفاني (٣٩٠ ـ ٣٩٦) ثم تلت ذلك فترة لم يذكر فيها من القضاة على الجانب الشرقي سوى محمد بن علي بن يعقوب ابي العلاء الواسطي المتوفى سنة ٤٣١ هـ ، ويقول الخطيب انه «رد اليه القضاء بالحريم من شرقي بغداد وبالكوفة وبغيرها من سقي الفرات (الخطيب ٣ ـ ٩٥ ، أنظر أيضاً شذرات الذهب ٣ ـ ٢٤٩) كما ذكرت المصادر تولية أبي جعفر السمناني على باب الطاق والرصافة سنة ٤١٥ هـ (ابن الاثير ٩ ـ ٣٤٣) وتوليه أبي الطيب الطبري (ابن الاثير ٩ ـ ٥٢٧) .

غير انه منذ ان ولي ابو عبدالله محمد بن علي الدامغاني قضاء القضاة (سنة ٤٣٧ هـ) ترد سلسلة متصلة الحلقات تقريبا من القضاة على حريم دار الخلافة وباب الطاق وباب الازج ، مما يدل على ان الجانب الشرقي أصبحت فيه هذه المراكز الثلاثة للقضاء ، ولم يعد للجانب الشرقي ذكر في المصادر .

باب الطاق :

ورد اول ذكر لولاية القضاء بباب الطاق عند الخطيب الذي يذكر ان المعافي بن زكريا

«ولي القضاء بباب الطاق نيابة عن ابن صبر» (٨ - ٢٣٠) . غير ان مسكويه ذكر ان ضبر كان «على الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الاعلى منه» (٢ - ٣٩٩) . ولما كان مسكويه معاصرا ومتصلا بالمراجع الرسمية : فالراجح ان كلامه عن ولاية ابن صبر أدق ، أي ان باب الطاق لم يكن اسم منطقة قضائية في هذه الفترة ، وان الخطيب قد استعمل هذا التعبير تجوزا . والواقع ان ابن الجوزي في كلامه عن المعافي اقتصر على القول انه «ناب في القضاء» دون ان يذكر باب الطاق او يشير اليه .

ولما كان القطاع من بغداد الذي يقع من حد المخرم الى الطرف الاعلى منه يشمل الرصافة وباب الطاق ، وان الرصافة التي اصبحت مدفن الخلفاء قد تناقصت اهميتها بالنسبة الى باب الطاق الذي شيد البويهيون في اعلاه عدة منشآت وقصور ضخمة ، فان الناس صاروا يطلقون باب الطاق على ولاية القاضي في هذه المنطقة . ومن المؤكد ان هذا التعبير بدأ استعماله بعد سنة ٣٧٠ هـ ، غير اننا لا نعلم في أي سنة اصبح تعبيرا رسميا .

والواقع ان الخطيب يذكر ان ابن الاكفاني «ولي قضاء مدينة المنصور ثم ولي قضاء باب الطاق وضم اليه سوق الثلاثاء ثم جمع له قضاء جميع بغداد في سنة ٣٩٦ هـ (الخطيب ١٠ - ١٤١ المنتظم ٧ - ٢٧٣) .

وقد تتابع ذكر القضاة على باب الطاق بشكل متسلسل تقريبا الى اوائل خلافة المستنجد حيث ولي عليه ابو الفضل محمد بن احمد بن محمد (الدبيثي ١ - ١١٥ ب) ثم لم يعد يذكر قاض لباب الطاق مما قد يدل على انه لم يعد يعين له قاض منذ ذلك التاريخ .

ولابد ان التوقف عن تعيين قاض على باب الطاق يرجع الى استقرار تطورات مهمة في سكان بغداد لا نعلم تفاصيلها . ويلاحظ ان النسخ الباقية من ابن الدبيثي لا تترجم لقاض على باب الطاق غير أبي الفضل المذكور آنفاً .

ويلاحظ ان تعبير «ربع باب الطاق» لم يرد الا في نص واحد يرجع الى سنة ٥٠٠ هـ في زمن أبي الحسن الدامغاني (المنتظم ٩ - ١٥٠) كما يلاحظ ان تعبير «الرصافة» زال ذكره من المصادر فلم يرد له ذكر الا عند ابن الاثير الذي يقول ان أبا جعفر السمناني «قلد قضاء الرصافة وباب الطاق سنة ٤١٥ هـ» (٤ - ٣٤٣) . والراجح ان قاضي باب الطاق كانت ولايته تشمل الرصافة ايضا نظرا لتجاوز المكانين .

ويلاحظ ايضا ان القضاة كانوا يلون باب الطاق الا ابو الطيب الطبري الذي ولي الكرخ وباب الطاق (ابن الاثير ٩ - ٥٢٧) .

باب الازج :

ذكر الخطيب ان عبدالعزيز الخرزي ولي القضاء بالجانب الشرقي من حد المخرم الى باب الازج (١٠ ـ ٤٦٩) وذكر ابن الجوزي ان الخرزي كان يقضي بالمخرم وحريم دار الخلافة وباب الازج والنهروانات وطريق خراسان (المنتظم ٧ ـ ٢١٨) .

ان هذين النصين هما اول ما يظهر فيهما استعمال تعبير باب الازج ، غير ان مسكويه وابن النديم ، وهما معاصران لتولية الخرزي ، ذكر ان الخرزي استعمل على الطرف الاسفل من بغداد ولم يذكرا «باب الازج» وهذا يدل على ان باب الازج لم يكن قد استعمل لولاية القضاء انذاك وان استعمال الخطيب وابن الجوزي له كان تجوزا .

ويذكر ابن الجوزي أن اسماعيل بن محمد بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن تسنبك (توفي ٤٠٣ هـ) كان يسكن باب الازج وتقلد النظر والحكم هناك (المنتظم ٧ ـ ٢٦٣) ومن الواضح ان هذا النص لا يجزم بوجود ولاية قضاء على باب الازج .

ان اول اسم في السلسلة المتصلة لقضاة باب الازج ورد ذكره في اواسط القرن الخامس ، حيث يذكر ابو يعلى الفراء انه بعد وفاة ابن ماكولا سنة ٤٤٧ هـ اراد الخليفة القائم بأمر الله محمد بن الحسين بن الفراء على ولاية القضاء بدار الخلافة والحريم ، وان ابن الفراء قبل ذلك على ان يقصد نهر المعلى يوما وباب الازج يوما ، ويستخلف من ينوب عنه في الحريم ، وان الفراء قد رد القضاء بباب الازج الى الجيلي وجعل صاحبه ابا علي يعقوب (البرزبيني) مشرفا عليه ، فلما تبين له من حال الجيلي الاختلال عزله ثم رد النظر في عقد الانكحة والمداينات بباب الازج الى تلميذه ابي علي يعقوب (طبقات الحنابلة ٢ ـ ٢٠٠) .

ويلاحظ ان الخطيب وابن الجوزي يذكران ان محمد ابن الجيلي «ولي القضاء بباب الطاق وبحريم دار الخلافة» (الخطيب ٧ ـ ١٣٦ المنتظم ٨ ـ ٢١٧) اما السمعاني فيذكر انه كان على باب الطاق (الانساب ٣ ـ ٤٦٢) .

ونستدل من هذا على ان القضاء بباب الازج كان داخلا مع قضاء الحريم حتى سنة ٤٤٧ هـ حيث بدأ يتميز عنه ويتولى عليه قضاة خاصون ذكرت المصادر اسماءهم وظل الامر كذلك الى اوائل القرن السابع .

وقد استعمل ابن الجوزي تعبير «باب الازج» ، وكذلك فعل ابن الدبيثي الا في

كلامه عن ولاية أبي الفتوح ابن البخاري (١ - ٦٠١) ومحمد بن روح الحديثي (٢ - ٤٩ ب) فانه استعمل تعبير (ربع باب الازج) .

الحريم :

ذكر ابن الجوزي انه في سنة ٣٥٦ هـ «خلع على القاضي أبي محمد عبيدالله بن احمد بن معروف وقلد القضاء بالجانب الغربي من مدينة المنصور وحريم دار السلطان وقلد القاضي ابو بكر احمد بن سيار القضاء فيما بقي من الجانب الشرقي ، وبعد مدة قلده القاضي ابو محمد عبيدالله بن معروف الاشراف على الحكم والحكام» (المنتظم ٧ - ٣٨) ويذكر انه في سنة ٣٥٧ هـ «صرف القاضي ابي محمد عبيدالله بن معروف عن القضاء في حريم دار السلطان وتقلد القاضي ابو بكر بن سيار مضافا الى ما كان اليه من الجانب الشرقي» (٧ - ٤٣) ، ويتبين من هذين النصين المتكاملين ان الجانب الشرقي جعل منذ سنة ٣٥٦ هـ منطقتي قضاء احداهما حريم دار السلطان والاخرى ما يتبقى من الجانب الشرقي ، وان هذا التقسيم لم يستمر طويلا لان ابن سيار اصبح بعد سنة على الجانب الشرقي كله .

والواقع ان «حريم دار السلطان» لم يذكر كوحدة قضائية في اي مصدر آخر .

ويذكر ابن الجوزي (٧ - ٥١) ومحمد بن عبدالملك الهمداني (تكملة تاريخ الطبري ٢٠٤) انه في سنة ٣٥٩ هـ «صرف القاضي ابو بكر بن سيار عن القضاء في حريم دار الخلافة وتولاه ابو محمد بن معروف» .

كما أن ابن الجوزي يذكر ان عمر بن محمد بن ابراهيم البجلي «استخلفه أبو محمد بن معروف على الحكم بسوق الثلاثاء وحريم دار الخلافة» (٧ - ٣٣ هـ) وقد يدل هذا النص على ان ابن الجوزي لم يكن دقيقا في استعمال تعبير «حريم دار السلطان» الذي كان يقصد منه «حريم دار الخلافة» .

وقد ذكر ابن الجوزي ان عبدالعزيز بن احمد الخرزي «كان يقضي بالمخرم وحريم دار الخلافة وباب الازج والنهروانات وطريق خراسان» (٧ - ٢١٨) غير ان استعمال تعبير «حريم دار الخلافة» في هذا النص كان عاما وليس دقيقا لان مسكويه وابن النديم ، هما مصدران معاصران ، لم يذكراه .

ويذكر الخطيب (٣ - ٩٥) وابن الجوزي (٨ - ١٠٧) ان محمد بن علي بن احمد بن

يعقوب ، ابو العلاء الواسطي (٣٤٨ ـ ٤٢١) كان «اليه القضاء بالحريم من شرقي بغداد» غير ان المصادر لا تحدد سنة تعيينه ، كما ان هذا النص لم يوضح اي حريم مقصود ، وان كان الوضع العام يقضي باعتباره الحريم الطاهري .

كل هذه النصوص تدل على ان قاضي الحريم قد انشىء منصبه منذ اواخر القرن الرابع الهجري ، غير ان جمع ابن معروف وابن الاكفاني قضاء الجانب الشرقي لابد وان ادى الى اختفاء عمله كوحدة قائمة بذاتها اما ابان ولاية ابن الاكفاني قضاء القضاة فلا نجد ذكرا لقاض على الجانب الشرقي ، مما قد يدل على ان قاضي القضاة كان يقوم بعمله .

غير ان وفاة ابن ماكولا سنة ٤٤٧ هـ ادت الى ظهور وضع جديد وقد تبين «للامام القائم بأمر الله احتياج الحريم الى قاض عالم زاهد ، فطلب من محمد بن الحسين بن الفراء ان يلي القضاء بدار الخلافة والحريم ، فوافق على شروط منها انه في كل شهر يقصد نهر المعلى يوما وباب الازج يوما ، ويستخلف من ينوب عنه في الحريم فاجيب الى ذلك . . ثم اضيف الى ولايته بالحريم قضاء حمران (؟) وحلوان واستناب فيهما» (طبقات الحنابلة ٢ ـ ١٩٩) .

يتبين من هذا النص ان الحاجة الى قاض للحريم ظهرت بعد وفاة ابن ماكولا ، وذلك اما لتزايد اهمية الحريم في ذلك الوقت ، او لان ابن ماكولا كان يقوم في حياته بعمل قاضي الحريم فلما توفي ظهرت الحاجة الى تعيين قاض جديد .

ويتبين من النص ايضا ان قضاء دار الخلافة كان في ذلك الوقت متميزا عن قضاء الحريم ، اذ ان الفراء وافق على ان ينيب عنه في الحريم ، وان قضاء حمران وحلوان اضيفا الى قضاء الحريم ، اما قضاء دار الخلافة فكان يتولاه بنفسه ، ويدل هذا النص ايضا على ان قضاء دار الخلافة كان يشمل نهر المعلى وباب الازج .

وقد أدت تولية قاض واحد على الحريم ودار الخلافة الى الخلط بينهما ، فيذكر ابن الفراء ان محمد بن الحسين الفراء «استناب النظر في الحكم بدار الخلافة ونهر المعلى ابا الحسن السيبي (طبقات الحنابلة ٢ ـ ٢٠٠) كما يذكر ابن الجوزي انه في سنة ٤٧٨ هـ ، توفي القاضي ابو الحسن هبة الله بن محمد السيبي قاضي الحريم بنهر المعلى» (المنتظم ٩ ـ ١٨) .

ومنذ هذا التاريخ تبدأ سلسلة متتابعة للقضاة الذين تذكر المصادر انهم تولوا حريم دار الخلافة ، وتستمر هذه السلسلة الى اوائل القرن السابع ، ويلاحظ ان المصادر التي

ذكرت هؤلاء القضاء اطلقت على منطقة ولايتهم حريم دار الخلافة ولم تسمه ربع دار الخلافة ، ويلاحظ ايضا ان القضاة الذين تولوا الحريم كانوا من ذوي المكانة البارزة .

باب النوبي :

ذكر صاحب الجواهر المضية ان محمد بن نصر بن منصور الهروي لما ولي القضاء على حريم دار الخلافة وما يليه من النواحي والاقطار وديار مضر وربيعة استناب ابا سعد المبارك بن علي المخرمي الحنبلي على باب المراتب ، وابا محمد الحسن بن محمد بن احمد بن علي الاسترابادي الحنفي على باب النوبي» (الجواهر المضية ٢ ـ ١٣٧) .

ويتبين من هذا ان قضاء حريم دار الخلافة يتكون من باب المراتب وباب النوبي ، فاما باب المراتب فلم اجد ذكرا لقاض ولي عليه . واما باب النوبي فقد ورد في ثلاثة مواضع من ابن الدبيثي ، فاما اولاهما فهي قوله ان عبدالله بن محمد بن محمد بن احمد الكرخي «تولى القضاء بباب النوبي المحروس ومن بعد وفاة ابيه وكان يلي ذلك ، ولم يزل ابو منصور على ولايته الى ان توفي سنة ٥٥٧ هـ» (١ ـ ١٠٠ ت) والثانية قوله ان الحسين بن علي الشهرزوري «كان يجلس بباب النوبي (٣ ـ ١٨٩ ت) والثالثة كلامه عن محمد بن عبدالواحد بن محمد ابن علي بن عبدالواحد بن الصباغ الذي «تولى القضاء بباب النوبي المحروس» (٢ ـ ٤٣ أ) .

لم اجد في المصادر الاخرى اشارة الى ولاية الشهرزوري اما ولاية عبدالله بن محمد الكرخي ، فان المصادر الاخرى تذكر انه ولي القضاء بحريم دار الخلافة ، الامر الذي يدل على عدم وجود تمييز بين الحريم وبين باب النوبي ، وان قول الدبيثي ان الشهرزوري كان يجلس بباب النوبي يوحي ان باب النوبي هو مكان جلوس قاضي الحريم .

نهر المعلى :

لقد ذكر ابن الفراء أن ابا يعلى الفراء ذكر ان محمد بن الحسين الفراء عندما عرضت عليه ولاية القضاء بدار الخلافة والحريم «قبل على ان يقصد نهر المعلى يوما وباب الازج يوما ، ويستخلف من ينوب عنه في الحريم» وانه استناب عنه في دار الخلافة ونهر المعلى السيبي (طبقات الحنابلة ٢ ـ ٢٠٠) . ويتضح من هذا النص ان دار الخلافة كانت آنذاك تتميز عن الحريم وانها كانت تشمل نهر المعلى وباب الازج .

لقد ذكر ابن الجوزي وابن الاثير انه في سنة ٤٧٨ هـ «توفي القاضي ابو الحسن هبة الله بن محمد السيبي قاضي الحريم ونهر المعلى» (المنتظم ٩ ـ ١٨ ابن الاثير ١٠ ـ ١٣٦) ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٢٧ هـ «ولى ابن الكرخي القضاء والحسبة بنهر المعلى وولي ابن يعيش القضاء بباب الازج (المنتظم ١٠ ـ ٢٩) ويذكر ايضا انه في سنة ٥٦٦ هـ «ولي ابو المحاسن عمر بن علي الدمشقي الحكم بنهر المعلى» (المنتظم ١٠ ـ ٢٩) .

غير ان نصوصا اخرى تذكر انه كان على قضاء الحريم كل من ابن الكرخي (المنتظم ١٠ ـ ٢٠٢) وعمر بن علي (ابن النجار ١١٣ ت ابن الاثير ١١ ـ ٤٦١) . الامر الذي يدل على ان قاضي نهر المعلى هو قاضي الحريم وانه لا فرق بين قضاء الحريم وقضاء نهر المعلى .

الخليفة	القاضي
السفاح ١٣٢	يحيى بن سعيد الانصاري[1]
المنصور	يحيى بن سعيد الانصاري[2]
١٣٦	الحسن بن عمارة مولى بجيلة[3]
	عبدالله بن محمد بن صفوان الجمحي
المهدي	عبدالله بن محمد بن صفوان[4]
١٥٨	
	محمد بن عبدالله بن علاثة الكلابي (على عسكر المهدي)[5]
	عافية بن يزيد الاودي (على الجانب الشرقي)[6]
	عمر بن حبيب العدوي (على الشرقية)[7]
موسى الهادي	ابوبكر بن عبدالله بن أبي سبرة[8]
١٦٩	ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (الجانب الغربي)[9]
	سعيد بن عبدالرحمن الجمحي (الجانب الشرقي)[10]

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية ـ الكرخ	الجانب الشرقي الرصافة ـ عسكر المهدي
الرشيد ١٧٠	ابو يوسف[١١] ٢٨٢	ابو يوسف[١٦]	عمر بن حبيب[١٩]	سعيد بن عبدالرحمن الجمحي[٢٦] ١٥٧ ـ ١٧٤
			نوح بن دراج[٢٠]	
	ابو البختري وهب بن وهب القرشي[١٢]	يوسف بن ابي يوسف[١٧]	حفص بن غياث[٢١]	عمر بن حبيب[٢٧]
		محمد بن سماعة التيمي[١٨]	الحسين بن الحسن العوفي[٢٢]	الحسين بن الحسن العوفي[٢٨]
	علي بن ظبيان[١٣]		اسد بن عمرو البجلي[٢٣]	عبدالملك بن محمد بن ابي بكر بن حزم[٢٩]
	محمد بن الحسن التيمي[١٤]		علي بن ظبيان العبسي[٢٤]	عون بن عبدالله المسعودي[٣٠]
	علي بن حرملة التيمي[١٥]		**علي بن حرملة التيمي**[٢٥]	محمد بن عبدالله الانصاري[٣١]

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية ـ الكرخ	الجانب الشرقي
الامين ١٩٣			محمد بن ابي رجاء الخراساني[٣٩] ٢٠٧ ـ ٨	محمد بن عبدالله الانصاري[٣١] اسماعيل بن حماد[٣٢] ابو البختري[٣٣]
المأمون ١٩٨	يحيى بن اكثم[٣٤]		محمد بن ابي رجاء الخراساني[٣٩] ٢٠٧	سعد بن ابراهيم الزهري[٤٣]
		محمد بن سماعة[٣٥] ٢٠٧ ـ ٨		
		اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة[٣٦] ٢٠٨ ـ ٢١٠	عكرمة بن طارق السرخسي[٤٠] ٢٠٨ ـ ٢١٤	قتيبة بن زياد الخراساني[٤٤]
		بشر بن الوليد الكندي[٣٧] ٢١٠ ـ ٢١٣	حفص بن غياث[٤١]	محمد بن عمر الواقدي[٤٥] ٢٠٤ ـ ٨
			الحسين بن الحسن بن عطية العوفي[٤٢]	محمد بن عبدالرحمن المخزومي[٤٦] ٢٠٨
		عبدالرحمن بن اسحق مولى بني ضبه[٣٨] ٢٢٨		بشر بن الوليد الكندي[٤٧] ٢٠٨ ـ ٢١٠
				جعفر بن عيسى الحسني[٤٨]
				هارون بن عبدالزهري

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية	الجانب الشرقي
المعتصم ٢١٨	احمد بن ابي داود[49]			شعيب بن سهل[51]
		عبدالرحمن بن اسحق[50]		شعيب بن سهل[57] ٢٢٨
		عبدالرحمن بن اسحق الضبي[54] ـ ٢٢٨		
الواثق ٢٢٧	احمد بن ابي داود[52] ٢٣٠			
	يحيى بن اكثم[53] ٢٣٠ ـ ٢٤٠	الحسن بن علي بن الجعد[55] ٢٢٨ ـ ٢٤٢	عبدالله بن محمد الخلنجي[56] ٢٢٨ ـ ٢٣٧	عبيدالله بن احمد بن غالب[58] ٢٢٨ ـ ٢٣٤
المتوكل ٢٣٢	يحيى بن اكثم[59] ٢٣٠ ـ ٢٤٠	الحسن بن علي بن الجعد[63] ٢٤٢	حيان بن بشر[65] ٣٣٧ ـ ٣٣٨	عبدالسلام الوادعي[69] ٢٣٤ ـ ٢٣٧
	جعفر بن عبدالواحد[60] ٢٤٠ ـ ٢٤٩	احمد بن محمد بن سماعة[64] ٢٤٣ ـ ٢٥٣	محمد بن عبدالله المؤذن[66] ٢٣٨ـ٢٤١	اسماعيل بن اسحق[70] ٢٤٦ـ٢٥٥
	جعفر بن محمد بن عمارة[61]		الحسن بن عثمان الزيادي[67] ٢٤١ ـ ٢٤٣	
	محمد بن رزين البصري[62]		محمد بن يزيد الرفاعي[68] ٢٤٣ ـ ٢٤٩	
المنتصر ٢٤٧				

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية	الجانب الشرقي
المستعين ٢٤٨	الحسن بن محمد بن ابي الشوارب ٢٥٢ - ٢٥٥[٧١]	ابراهيم بن اسحق الزهري[٧٢] ٢٥٣ - ٢٥٤ احمد بن يحيى بن ابي يوسف[٧٣] ٢٥٤	احمد بن محمد بن عيسى البرتي[٧٤] ٢٤٩ - ٢٥٨	اسماعيل بن اسحق
المعتز ٢٥٥	كذلك	عمر بن عبدالرحمن العمري[٧٥] ٢٥٤ احمد بن يحيى بن ابي يوسف[٧٦] ٢٥٤ - ٢٦٢		كذلك
المهتدي ٢٥٥	كذلك عبدالرحمن بن نائل بن نجيح[٧٧] ٢٥٥ الحسن بن محمد بن ابي الشوارب[٧٨] ٢٥٨			القاسم بن منصور التميمي[٧٩] (سبعة شهور
المعتمد ٢٥٦	كذلك علي بن محمد بن عبدالملك[٨٠] ٢٦٢	احمد بن يحيى بن ابي يوسف[٨١] ٢٦٤	احمد بن محمد بن عيسى البرتي[٨٢] ٢٥٨ اسماعيل بن اسحق[٨٣] ٢٥٨ - ٢٦٢ اسماعيل بن اسحق[٨٤] ٢٦٤ - ٢٨٢	اسماعيل بن اسحق[٨٥] ٢٥٦ - ٢٥٨ احمد بن محمد بن عيسى البرتي[٨٦] ٢٥٨ - ٢٦٢

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية - الكرخ	الجانب الشرقي
المعتضد ٢٧٩	الحسن بن ابي الشوارب[٨٧]	اسماعيل بن اسحق[٨٨] ٢٥٨ - ٢٨٢		
		علي بن محمد بن ابي الشوارب ٢٨٣ - ٢٨٤[٨٩]	ابو خازم عبدالحميد بن عبدالعزيز[٩١] ٢٨٢ - ٢٩٢	يوسف بن يعقوب بن اسماعيل ٢٨٣[٩٢]
		ابو عمرو محمد بن يوسف[٩٠] ٢٨٤ - ٢٩٢	كذلك	
المكتفي ٢٨٩		عبدالله بن علي بن ابي الشوارب ٢٩٢ - ٢٩٦[٩٣]	ابو عمرو محمد بن يوسف ٢٩٢ - ٢٩٦[٩٤]	
المقتدر ٢٩٥	ابو عمرو محمد بن يوسف[٩٥] ٣١٧ - ٣٢٨	احمد بن اسحق البهلول[٩٦] ٢٩٦ - ٣١٦	عبدالله بن علي بن ابي ابي الشوارب ٢٩٦ - ٢٩٨[٩٩]	عبدالله بن علي بن ابي ابي الشوارب[١٠٠] ٢٩٦-٣٠١
		عمر بن الحسين بن علي الاشناني[٩٧] ٣ ايام	محمد بن عبدالله بن علي ابن ابي الشوارب[٩٩]	
		الحسن بن عبدالله بن ابي الشوارب[٩٨] ٣١٦-٣٢٠		ابو عمر محمد بن يوسف[١٠١] ٣٠١ - ٣١٠
القاهر	كذلك	كذلك		عمر بن محمد بن يوسف[١٠١]

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية	الجانب الشرقي
الراضي ٣٢٢	ابو الحسين عمر بن محمد بن يوسف[101] ٣٢٥-٣٢٨	ابو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف[102] ٣٢٨-٣٢٩		
		الحسين بن عمر بن محمد[103] ٣٠٩	يوسف بن عمر[104]	
المتقي ٣٢٩		ابو طاهر الذهلي[105] ٣٢٩	محمد بن عيسى بن ابي موسى الضرير[106] ٣٢٩	
		احمد بن عبدالله بن	اسحق الخرقي[107] ٣٣٠ - ٣٣٥	
المستكفي ٣٣٣ - ٤		محمد بن الحسن بن ابي الشوارب[108] ٣٣٣ - ٤		محمد بن عيسى بن ابي موسى[109]
المطيع ٣٣٤		ابو السائب عتبة بن عبدالله بن موسى[110] ٣٣٤	ابو طاهر الذهلي[112]	
		محمد بن صالح بن ام شيبان[111] ٣٣٤	محمد بن الحسن بن ابي الشوارب[118] ٣٣٥-٣٤٤	ابو السائب عتبة بن عبدالله[113]
		محمد بن صالح بن ام شيبان[119] ٣٣٥ - ٦		
	ابو السائب عتبة[116] ٣٢٨-٣٣٥			
	ابو العباس بن عبدالله بن ابي الشوارب[115] ٣٥٠			
	عمر بن اكثم ابو بشر[116] ٣٥٢-٣٥٦	ابو محمد عبيدالله بن احمد بن معروف[120] ٣٦٥		ابو بكر احمد بن سيار[121] ٣٥٦-٣٩٠
	ابو محمد عبيدالله بن احمد بن المعروف[117] ٣٦٠-٣٦٣			
				ابو سعيد السيرافي[122] ٣٦٠

قاضي القضاة	مدينة المنصور	الكرخ	الجانب الشرقي
ابو محمد عبيدالله بن معروف[١٣٣] ٣٦٠-٣٦٣			ابو سعيد الحسين بن عبدالله السيرافي[١٣٥]
ابو الحسن محمد بن صالح[١٢٤] ٣٦٤			
ابو محمد عبيدالله بن معروف[١٣٥] ٣٦٤-٣٦٩		عبيدالله بن احمد بن القاسم بن نجاح[١٣٢]	
ابو سعد بشر بن الحسين[١٢٦] ٣٦٩	ابو محمد عبدالله بن محمد الاكفاني[١٣١] ٣٦٩	ابو محمد عبدالرحمن بن محمد العماني[١٣٣] ٣٦٩	محمد بن عبدالله بن صبر[١٣٦] ابو الحسن عبدالعزيز ـ ٣٦٩ ابن احمد الخرزي[١٣٧] ٣٦٩-٣٩١
ابو محمد عبيدالله بن معروف[١٢٧]	ابو عبدالله الحسن بن هارون الضبي[١٣٤]	ابو القاسم ابن عبدالعزيز الخرزي[١٣٨] ٣٩١	ابو الحسين محمد بن عبيدالله ابن معروف[١٣٩]
ابو الحسن بن عبدالعزيز[١٢٨]	الحسين بن هارون الضبي ٣٩٠-٣٩٧ احمد بن محمد الابيوردي[١٤١]		
ابو محمد عبدالله بن محمد الاكفاني[١٢٩] ٣٩٦-٤٠٥	علي بن عبدالله الهاشمي[١٤٢]		ابو محمد عبدالله بن محمد الاكفاني[١٤٤] ٣٩٠-٣٩٦
احمد بن محمد بن عبدالله بن ابي الشوارب[١٣٠] ٤٠٥-٤١٧	محمد بن علي بن عبدالله بن الغريق[١٤٣]		اسماعيل بن عمر بن محمد ابن السنبك[١٤٥]

الخليفة	قاضي القضاة	ربع الكرخ ـ الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	باب الازج	باب الطاق
القائم ٤٢٢	الحسين بن علي ، ابن ماكولا[1] ٤٢٠-٤٤٧	محمد بن عبدالله بن احمد البيضاوي[3] -٤٢٤	محمد بن علي بن يعقوب ، ابو العلاء الواسطي[6]		احمد بن محمد ابو جعفر السمناني[11] ٤١٥
		الحسين بن علي الصيمري[4] -٤٣٦	عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن ، ابن اللبان[6] ٤٤٦		طاهر بن عبدالله ابو الطيب الطبري[12]
	محمد بن علي ابو عبدالله الدامغاني[2] ٤٤٧-٤٧٧	طاهر بن عبدالله ، ابو الطيب الطبري[5] ٤٣٦-٤٥٠	باي بن جعفر الجد[8] -٤٥٢	محمد بن الحسين بن الفراء[7] ٤٥٢	باي بن جعفر الجيلي[13]
			ابو الحسن هبة الله بن السيبي[9] (ت ٤٧٨)	يعقوب بن ابراهيم البرزبيني[10] ٤٥٢-٤٧٢	احمد بن محمد ، ابو جعفر السمناني[14] ٤٦٦

الخليفة	قاضي القضاة	ربع الكرخ - الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	باب الازج	باب الطاق
المقتدي ٤٦٧		محمد بن محمد بن عبدالله البيضاوي[17](ت-٤٦٨)		علي بن محمد علي الدامغاني[20] ٤٧٤-٤٧٧	علي بن محمد بن علي الدامغاني[19] ٤٦٦ - ٤٧٤
		عبدالله بن محمد بن طلحة الدامغاني[18]٤٧٤-٤٧٨		الحسين بن علي البلداوي ابن البقال[21] - ٤٧٧	علي بن محمد بن محمد ابن الحسين البسطامي[24]ت-٤٨٢
	محمد بن المظفر بن بكران الحموي[16] ٤٧٨-٤٨٨	استناب بمحمد بن عبدالله ابن محمد بن البيضاوي[18]	عبدالوهاب بن هبة الله ابو الفرج بن السيبي[19]٤٨٨	يعقوب بن ابراهيم البرزبيني[22]٤٧٨ - ٤٨٦	
				ابو المعالي عزيزي[23] ٤٨٦ - ٤٩٤	علي بن محمد ، ابو منصور الانباري[25]٥٠٧

المستظهر	علي بن محمد الدامغاني[٢٦]		المبارك بن علي المخرمي[٣١]	عبدالله بن محمد ، ابو	
٤٨٧	٤٨٨ - ٥١٣	احمد بن محمد بن عبدالواحد،	ابو الفرج ابن السيبي[٣٢]	جعفر الدامغاني[٣٤]	
		ابو منصور ، ابن	٤٩٤ - ٥١٧		
		الصباغ[٢٧] - ٤٩٤			
		عبدالله بن محمد بن علي ،	عبدالوهاب ابو الفرج	ينوب عنه ابو سعد	
		ابو جعفر الدامغاني[٢٨] ٥٠٢	ابن السيبي[٣٠] ٤٨٨	المخرمي[٣٣] ٤٩٤ - ٥١١	
		محمد بن علي بن محمد ،	محمد بن نصر بن · ر		
		عبدالله الدامغاني[٢٩] ٥٠٢	الهروي[٣١] ٥٠٢ - ٥٠٤		
المسترشد	علي ابن ابي طالب ، ابو	ابراهيم بن سالم ، ابو	ابو بكر قاضي الدجيل[٣٨]	ابراهيم نصر بن يوسف	عبدالله بن احمد بن
٥١٢	القاسم الزينبي[٣٥] ٥١٣-٥٤٣	منصور الهيتي[٣٦] ٥٢٩-٤٨٨		ابن الحسن[٤٠] ٥١٧ - ٥١٨	عسكر[٤٣]
		عبدالقاهر بن محمد	احمد بن سلامة، ابو العباس	احمد بن سلامة ابن الرطبي[٤١] ٥٢٧	
		الشطوي[٣٧] ٥٢٩	ابن الرطبي[٣٩] ٥٢٧	محمد بن علي بن يعيش[٤٢] ٥٢٧	

الخليفة	قاضي القضاة	ربع الكرخ - الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	باب الازج	باب الطاق
الراشد ٥٢٩		عبدالله بن محمد بن طلحة، الدامغاني[٤٤]	محمد بن احمد بن ابي طاهر الكرخي[٤٥]		
المقتفي ٥٣٠		محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن احمد البيضاوي[٤٧] ٥٣٧ - ٥٤٦	محمد بن عبدالواحد بن محمد ، بن الصباغ[٥٣]	محمد بن محمد بن محمد ابن الفراء[٥٥] ٥٣٣ - ٥٣٧	
		احمد بن علي بن محمد[١٨] ٥٤٠		عبدالواحد بن احمد الثقفي[٥٦] ٥٤٠	
	علي بن احمد ، ابو الحسن الدامغاني[٤٦] ٥٤٣-٥٥٥	عبدالله بن احمد بن علي ، ابو جعفر الدامغاني[٤٨]		احمد بن علي بن احمد، ابو الحسن الدامغاني[٥٧] ٥٤٣	
		محمد بن احمد بن على، ابو منصور الدامغاني[٤٩] ٥٤٣-٥٤٦		محمد بن طاهر الخوارزمي[١٨] محمد بن طاهر الخوارزمي[٥٨] ٥٤٣-٥٤٥	
		الحسن بن احمد بن علي، ابو محمد ، الدامغاني[٥٠] ٥٤٦-٥٥٥	عبدالله بن محمد بن الكرخي[٥٤] ٥٥٥-٥٥٧	محمد بن طاهر الخوارزمي[٦٠] ٥٤٥ - ٥٤٦	
		محمد بن علي بن احمد[٥١]	ابن المرخم[٥٩] ٥٥٥	محمد بن احمد بن محمد ، ابو الفضل[٦١] ٥٥٥	
		الحسين بن علي بن محمد، ابو نصر[٥٢]			

الخليفة	قاضي القضاة	ربع الكرخ - الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	باب الأزج	باب الطاق
المستنجد ٥٥٥	عبدالواحد ، ابو جعفر الثقفي[٦٢] ٥٥٥	علي بن عبدالرحمن بن مبادر ٥٥٥ (ت-٥٦٣)		ابن الثقفي الصغير[٦٧]	محمد بن عبدالله البيضاوي[٦٩] ٥٥٥ - ٨
	جعفر بن عبدالواحد الثقفي[٦٣] ٥٥٦-٥٦٣	عبدالله بن عبدالواحد[٦٥]	الحسين بن القاسم الشرزوري[٦٦] ٥٥٦ - ٧	احمد بن عبدالباقي القرشي[٦٨]	القاسم بن علي ابو نصر الزينبي[٧٠] ٥٥٦
الزينبي[٧٠] ٥٥٦					
المستضيء ٥٦٦	روح بن احمد الحديثي[٧١] ٥٦٦ - ٥٧٠	احمد بن عبدالله بن احمد البندنيجي[٧٢] ٥٦٦ - ٥٧٣	عمر بن علي بن خضر[٧٥] ٥٦٦		
			عبدالملك بن روح بن احمد[٧٦] ٥٦٦ - ٥٦٩		
			ابراهيم بن عبدالله بن احمد الرطبي[٧٧] ٥٦٨-٥٧٠		
	علي احمد ابو الحسن الدامغاني[٧٣] ٥٧٠-٥٨٤	عبدالله بن احمد بن عبدالله البندنيجي[٧٤] ٥٧٣-٥٧٥	الحسين بن احمد ، ابو المظفر الدامغاني[٧٨]		ابراهيم بن عبدالله بن احمد الرطبي[٧٩] ٥٧٠-٥٧٧

الخليفة	قاضي القضاة	الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	قضاة في باب الازج اماكن متنوعة
الناصر 575	علي بن احمد ابو الحسن الدامغاني 570 - 584	عبدالله بن عبدالواحد[89] 576 - 580	عبدالله بن محمد بن الساوي[95] 584	محمد بن روح بن احمد[110] 577 - 8
			محمد بن علي بن احمد الدامغاني[96]	
			محمد بن الحسن بن محمد بن زرقان[97] 583 - 584	
	علي بن علي ، ابو طالب البخاري[80] 584 - 586	عبدالرحمن بن أحمد بن محمد العمري[90] 586		
	محمد بن جعفر ، فخرالدين العباسي[81] 586-588		يحيى بن الربيع ، ابو علي الواسطي[98]	
		علي بن عبدالرشيد الهمداني[91] 586-598	عبدالله بن الحسين ابو القاسم الدامغاني[99] 586 - 594	
			(ينيب عنه عبدالله بن محمد الساوي[100]	
	علي بن علي ، ابو طالب البخاري[82] 588 - 595	احمد بن علي، ابو الفضل البخاري[92]	عبدالسلام بن اسماعيل . . ابن اللمغاني[101] 595	
			احمد بن علي ، ابو الفضل البخاري[102] 593	
	احمد بن علي ، ابو الفضل البخاري[83] 595		محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي[103]	
	القاسم بن يحيى الشهرزوري[84] 595 - 597	نصرالله بن علي بن عبدالرشيد[93]	احمد بن نصر بن الحسين الانباري[104] 597 - 599	
	على بن عبدالله بن سلمان الحلي[85] 598 - 600		عبدالسلام بن اسماعيل . . ابن اللمغاني[105] 598 - 605	عبداللطيف بن البخاري[] 601 - 611

عبدالله بن الحسين ،

ابو القاسم الدامغاني[٨٦]

٦٠٣ - ٦١١

محمد بن احمد الزنجاني[٨٧]

محمد بن يحيى بن علي ،

ابن فضلان[٨٨] ٦١٦ - ٦٢٢

علي بن روح النهرواني[٩٢]

احمد بن محمود بن احمد بن

عبدالله الواسطي[٩٤] ٦١٤ - ٦١٦

اللمغاني[١٠٦] (غ) ٦٠٥

عبدالرحمن بن اللمغاني[١٠٩]

الحسن بن عبدالسلا...

الحبير[١١٢]

محمد بن يحيى بن

المظفر . . ابن الحبير[١١٣]

الخليفة	قاضي القضاة	الجانب الغربي	حريم دار الخلافة
الظاهر ٦٢٢	نصر بن عبدالرزاق ، ابو صالح الجيلي[١١٤] ٦٢٢ - ٦٢٣	كذلك	محمد بن نصر الجيلي[١٢١]
			عبدالرحمن بن علي بن بن احمد التانرايا[١٢٢]
			عبدالرحمن بن مقبل الواسطي[١٢٣]
المستنصر ٦٢٣	محمود بن احمد بن بختيار الزنجاني[١١٥]		
	عبدالرحمن بن مقبل الواسطي[١١٦] ٦٢٣ (نائباه عبدالرحمن بن عبدالسلام بن اللمغاني وعبدالرحمن بن يحيى التكريتي[١٢٤])		
	عبدالرحمن بن عبدالسلام اللمغاني[١١٧] ٦٣٣ - ٦٤٤		
المستعصم ٦٤٠	سراج الدين النهرقلي[١١٨] ٦٥٤	فخرالدين بن نصر الدين بن علي ابن عبدالرشيد[١٢٥] ٦٤٢	نظام الدين عبدالمنعم البندنيجي[١٢٧] ٦٥٥
	عبدالله بن المبارك ، نجم الدين البادرائي[١١٩] ٦٥٥ (١٥) يوما		
	نظام الدين عبدالمنعم البندنيجي[١٢٠] ٦٥٥ - ٦٩٨	عزالدين احمد بن محمود الزنجاني[١٢٨] ٦٥٥	فخر الدين عبدالله بن عبدالجليل الطهراني[١٢٩]

(١) وكيع ٢٤١/٣ ، وكل الاشارات التالية مأخوذة من الجزء الثالث من كتابه اخبار القضاة ولابد من الاشارة ان بغداد انشئت في عهد المنصور ، وقد ذكرنا قاضي السفاح هذا استكمالاً للقائمة علما بانه مارس عمله قبل بناء بغداد .

(٢) وكيع ٢٤٢ الخطيب : تاريخ بغداد ١٠٢/١٤ اليعقوبي ٤٦٨/٢ العيون والحدائق ٢٦٩/٣

(٣) وكيع ٢٤٥ الخطيب ٣٤٥/٧ ، ٣٠٦/١٠

(٤) وكيع ٢٤٩ الخطيب ٣٠٦/١٠ ، ٣٤٥/٧ ، اليعقوبي ٤٦٨/٢

(٥) وكيع ٢٥١ ابن سعد ٧ ـ ٦٨/٢ طبري ٤٩١/٣ المسعودي ٣١٦/٣ اليعقوبي ٤٨٣/٢ الخطيب ٣٨٩/٥ ، ٤٧٩/٨ ، ٣٠٨/١٢ العيون والحدائق ٢٨١/٣ (يخلفه اخاه زياد على عسكر المهدي) الخطيب ١٩٦/١١ ، ٤٧٩/٨ ، ٣٨٩/٥

(٦) وكيع ٢٥١ الخطيب ٣٨٩/٥ ، ٣٠٨/٢ اليعقوبي ٤٨٣/٢ العيون والحدائق ٢٨١/٣

(٧) وكيع ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، وهو يذكر في ص ٢٨٢ انه اول قاضي قضي على الشرقية ، الخطيب ١٩٦/١١ ، ٣٠٨/١٢ طبري ٤٩١/٣ ، وكان يخلف محمد بن عبدالله بن علاثة ثم ثبته المهدي على الشرقية

(٨) وكيع ٢٥٣ الخطيب ١٤ ـ ٣٦٨

(٩) وكيع ٢٥٤ (وهو يذكر في ص ٢٥٦ ان أبا يوسف كان قاضي موسى في جميع بغداد ، وان عمر بن حبيب كان على الشرقية الخطيب ٢٤٢/١٤ . المسعودي ٣٥٠/٣ . العيون والحدائق ٢٩٠/٣ .

(١٠) وكيع ٢٦٤ العيون والحدائق ٢٩٠/٣

(١١) وكيع ٢٥٦ ، ٥٩٤ الخطيب ١٤٢/١٤ ، ١٨٩/٨ . المسعودي ٣٥٠/٣

(١٢) الخطيب ١٨٩/٨ . ٢٤٣/١٤ ابن سعد ٧ ـ ٧٥/٣

(١٣) وكيع ٢٨٨ ، ٢٩٤ الخطيب ٤٤٣/١١

(١٤) الخطيب ٤١٥/١١

(١٤) الخطيب ٤١٥/١١

(١٥) وكيع ٢٨٨ ، ٢٩٤ الخطيب ٤١٥/١١ ، ٤٤٥

(١٦) الخطيب ٣٤١/٥

(١٧) وكيع ٢٨٢/٢٥٥ الخطيب ٣٤١/٥ ، ٢٤٣/١٢ (يخلف اباه) ابن سعد ٧ ـ ٧٨/٧

(١٨) ٢٨٢ الخطيب ٣٤١/٥ ، ٤٦٤

(١٩) انظر هامش ٧

(٢٠) وكيع ٢٨٥ الخطيب ٣١٥/١٣

(٢١) ٢٨٥ الخطيب ٢٩/٨ ، ١٨٩ ، ٣١٨/١٣ (ت ١٨٢ وهو على الجانب الشرقي) ابن سعد ٢٧١/٦ ، ٧ ـ ٧٤/٢

(٢٢) الخطيب ٢٩/٨ ، ٣٢ ، ١٦/٧ ابن سعد ٧ ـ ٧٤/٢

(٢٣) ١٦/٧ سعد ٧ ـ ٧٤/٢ ، ويقول وكيع انه عين بعد حفص بن غياث (٢٨٥)

(٢٤) وكيع ٢٨٦ الخطيب ٤٤٣/١١ سعد ٢٨٠/٦

(٢٥) انظر هامش ١٥

(٢٦) الخطيب ٦٧/٩ سعد ٤ ـ ١٤/٢ : ٧ ـ ٦٩/٢ نسب قريش للمصعب ٤٠٠ ابن حزم انساب ١٥٤ وكيع ٢٥٤ ، ٢٦٤ على الجانب الشرقي دون تعيين .

(٢٧) الخطيب ١٩٧/١١ (على الرصافة)

(٢٨) وكيع ٢٦٤ الخطيب ٢٩/٨ ، ٣٢ سعد ٧ ـ ٧٤/٢

(٢٩) الخطيب ٤٠٨/١٠ وكيع ٢٦٧

(٣٠) وكيع ٢٦٨ الخطيب ٢٩٢/١٢ (بعد العوفي)

(٣١) الخطيب ٤٠٩/٥ (بعد العوفي) ٢٤٣/٦ وكيع ٢٦٨

(٣٢) وكيع ٢٦٨ الخطيب ٢٤٣/٦ لعيون والحدائق ٣ ـ ٣٤٢

(٣٣) وكيع ٢٦٩ العيون والحدائق ٣٤٢/٣ الخطيب ٤٨١/١٣ (يذكر ان الرشيد عينه) .

(٣٤) وكيع ٢٧٣ ، ٢٩٤ المسعودي ١٨/٤ الخطيب ٧ ـ ١٦١

(٣٥) ٢٨٩ الخطيب ٢٧٦/٥ بعد فتنة المهدي ثم ضمت اليه الشرقية .

(٣٦) الخطيب ٣٤٢/٥ ، ٨١/٧ ، ٢٦٣/١٢ ، ويذكر وكيع ٢٨٢ انه كان على قضاء الشرقية ثم ضمت اليه المدينة بعد عزل محمد بن سماعة .

(٣٧) وكيع ٢٨٢ الخطيب ٨١/٧ ، ٢٦٠/١٠

(٣٨) الخطيب ٢٦٠/١٠ ويقول وكيع (٢٨٢) انه كان على قضاة الشرقية ثم ضم اليه عمل بشر .

(٣٩) وكيع ٢٨٩ الخطيب ٣٧٦/٥ ، ٣٦٤/١٢ الطبري ١٠٦٦/٣ .

(٤٠) وكيع ٢٨٩/٣ الخطيب ٢٦٣/١٢ ـ ٤

(٤١) الخطيب ٢٩/٨

(٤٢) وكيع ٢٩/٨ ويذكر وكيع (٢٩٠) ان عكرمة تلاه اسماعيل بن حماد .

(٤٣) وكيع ٢٦٩/٣ الخطيب ١٢٣/٩ ، ٤٦٣/١١ سعد ٧ ـ ٨٣/٢

(٤٤) ٢٦٩/٣ الخطيب ٤٦٣/١٢ (اثناء فتنة ابراهيم بن المهدي على الجانب الشرقي)

(٤٥) ٢٧٠/٣ الخطيب ٣/٣ ، ٣٠٩ سعد ٧ ـ ٧٧/٢ (توفي سنة ٢٠٧) العيون والحدائق ٣٨٠/٣

(٤٦) وكيع ٢٧١ الطبري (١٠٦٦/٣) الخطيب ٨١/٧ ، ٢ ـ ٣٠٩ العيون والحدائق ٣٠/٢ .

(٤٧) وكيع ٢٧٣ ، الخطيب ٨١/٧ العيون والحدائق ٢٨٠/٣ .

(٤٨) وكيع ٢٧٣ الخطيب ١٦١/٧ وعن هارون بن عبدالله انظر الخطيب ١٠/١٤

(٤٩) وكيع ٢٩٤ الخطيب ١٤٢/٤ ، ٣١٨/١٠ ، ٣١٨/١٠ (خليفته ابنه الوليد) العيون والحدائق ٤١٠/٣ .

(٥٠) الخطيب ٢٦٠/١٠ ، ١٥٦/١١ ، ٢٣ وكيع ٢٥٦ ، ويذكر مؤلف العيون والحدائق (٤١٠/٣) ان قضاة المعتصم ايضا محمد بن سماعة وشعيب بن سهل وعبدالله بن غالب .

(٥١) وكيع ٢٧٧ الخطيب ٢٤٣/٩ ، ١ ـ ٣١٩

(٥٢) الخطيب ١٤٢/٤ المسعودي ٨٤/٤ .

(٥٣) الطبري ١٤١٠/٣ ، ١٤٢٠ وكيع ٣٠٠/٣ الخطيب ٢٠١/١٤ .

(٥٤) الخطيب ٢٦٤/٧ ، ٢٤٣/٩ ، ٧٣/١٠ ، ٣١٨ ، ٢٦٠ .

(٥٥) الخطيب ٧٣/١٠ ، ٢٧٩ ، ٣١٩ ، ٣٦٤/٧ ، وكيع ٢٨٣/٣

(٥٦) الخطيب ٧٣/١٠ ، ٣١٩ ، وكيع ٢٩٠ .

(٥٧) ٧٣/١٠ ، ٣١٨ ، ٢٤٣/٩ وكيع ٢٢٧ .

(٥٨) الخطيب ٣١٨/١٠ ، ٣٣٩ ، ١١ ـ ٥٢ وكيع ٢٧٧ .

(٥٩) طبري ١٤١٠/٣ ، ١٤٢٠ وكيع ٣٠٠ الخطيب ٢٠١/١٤ ، ٨ ـ ٢٨٥

(٦٠) طبري ١٤٢٠/٣ ، ١٥١٤ وكيع ٣٠٣ الخطيب ٢٨٧/٦ ، ١٧٤/٧ ، ٤١٠ ١٠ ـ ٢٠١ المنتظم ١١/٥ ، ٢٧ ، ١٥٢ .

(٦١) وكيع ٣٠٣ الخطيب ١٦٢/٧ .
(٦٢) وكيع ٣٠٣ .
(٦٣) طبري ١٤٣٤/٣ الخطيب ١٠/٥ ، ٣٦١/٧
(٦٤) وكيع ٢٨٤ الخطيب ١٠/٥ ، ٦ ـ ٢٥ .
(٦٥) وكيع ٢٩١ الخطيب ٤١٦/٥ ، ٢٨٥/٨ طبري ١٣١٤/٣ .
(٦٦) وكيع ٢٩١ ، ٢٥٦/٧ ، ٣٦٤ ، ٤١٦/٥ .
(٦٧) وكيع ٢٩١ ـ ٢ الخطيب ٣٥٦/٧ ، ٣٦٤ ، طبري ١٤٢٤/٣ .
(٦٨) ٢٩١ الخطيب ٣٧٦/٣ .
(٦٩) وكيع ٧٢٧ الخطيب ٢٨٥/٨ ، ٥٢/١١
(٧٠) وكيع ٢٨٠ الخطيب ٢٨٧/٦ المنتظم ١٥٢/٥
(٧١) طبري ١٦٨٤/٣ ، ١٨٩١ ، الخطيب ٢٨٧/٦ ، ٤١٠/٧ المنتظم ١٥٢/٥ .
(٧٢) وكيع ٢٨٤ الخطيب ٢٥/٦ ، ١٠/٥ ، ٢٠١ المنتظم ٢٠٦/٥
(٧٣) وكيع ٢٨٤ الخطيب ٢٠١/٥ .
(٧٤) وكيع ٢٩٣ الخطيب ٦٢/٥ (دون تعيين مكان) ٦ ـ ٢٨٨
(٧٥) وكيع ٢٨٤ .
(٧٦) وكيع ٢٧٤ الخطيب ٢٠١/٥ .
(٧٨) وكيع ٣٠٣ اخطيب ٢٨٧/٦ المنتظم ٢٧/٥ ، ١٥٢ .
(٧٩) وكيع ٢٨١ الخطيب ٢٨٧/٦ ، ١٢ ـ ٤٢٩ المنتظم ١٥٢/٥ .
(٨٠) طبري ١٩٠٧/٣ الخطيب ٢٨٨/٦ ، ٤١/٧ المنتظم ٣٣/٥ ، ١٥٢ وكيع ٣٠٣ .
(٨١) وكيع ٢٨٤ الخطيب ٦ ـ ٢٨٨ المنتظم ٥ ـ ١٥٢ ، ٤٥ دون الاعمال المتصلة بها .
(٨٢) انظر هامش ٧٤ .
(٨٣) الخطيب ٢٨٨/٦ المنتظم ٣٣/٥ .
(٨٤) كذلك .
(٨٥) الخطيب ٢٨٩/٦ المنتظم ٥ ـ ١٥٢ .
(٨٦) الخطيب ٦/ ٢٨٨ .
(٨٧) انظر هامش ٧٨ .
(٨٨) انظر هامش ٨٣ .
(٨٩) وكيع ٢٨٥ طبري ٣ ـ ٢١٥٩ المنتظم ٥ ـ ١٦٢ ، ١٧٠ . انظر آنفا الخطيب ١٢ ـ ٥٩ .
(٩٠) وكيع ٢٨٥ طبري ٣ ـ ٢١٦١ الخطيب ٣ ـ ٤٠١ ، المنتظم ٥ ـ ١٧٠ ، ٦ ـ ٢٤٧

(٩١) وكيع ٣ ـ ٢٩٣ الخطيب ، ١١ ـ ٦٣ ـ ٧ المنتظم ٦ ـ ٥٣
(٩٢) وكيع ٢٨٢ الخطيب ١٤ ـ ٣١٠ المنتظم ٥ ـ ١٦٢ ، ٦ ـ ٢٤٧ ، ٩٦
(٩٣) وكيع ٢٨٥ الخطيب ١٠ ـ ١٠ المنتظم ٦ ـ ١٢٥ ، ٥ ـ ١٦٢ .
(٩٤) وكيع ٢٩٢ ، مسكويه ١ ـ ٧ الخطيب ٣ ـ ٤٠٢ منظم ٦ ـ ٢٤٧ ، ٥ ـ ١٧٠
(٩٥) الخطيب ٣ ـ ٤٠١ ، ١١ ـ ٢٣٠ ـ المنتظم ٦ ـ ٢٤٧ المسعودي ٤ ـ ٣١٠
(٩٦) وكيع ٢٨٥ الخطيب ١ ـ ٢٧٨ ، ٤ ـ ٣٠ ، ١١ ـ ٢٣٧ المنتظم ٢ ـ ١٤٦ ـ ١٦٦ ـ ٢٣٢ المسعودي ٤ ـ ٣١٠

(٩٧) الخطيب ٧ - ٣٤٠ ، ١١ - ٢٣٦ المنتظم ٦ - ١٦٦ ، ٢٩٠ .
(٩٨) الخطيب ٧ - ٣٤٠ المنتظم ٦ - ٢٩٠
(٩٩) وكيع ٢٨٢ ، ٢٩٣ الخطيب ٥ - ٤٣٦ ، ١٠ - ١٠ المنتظم ٦ - ٩٧ ، ١٢٥ .
(١٠٠) الخطيب ١١-٢٢٩ ، ٥ - ٣٦ .
(١٠١) مسكويه ١ - ٣٦٥ تكملة الطبري ١٠١ الصولي ص ٨٧ ، ١٤١ المنتظم ٦ - ٢٩٦ الخطيب ١٤ - ٣٢٢ .
(١٠٢) الخطيب ١٤ - ٣٢٢ المنتظم ٦ - ٣٠٠ الصولي . اخبار الراضي والمتقي ١٤٢ .
(١٠٣) الخطيب ٨ - ٨٢ ، ١٤ - ٣٢٢ المنتظم ٦ - ٣٠٠
(١٠٤) الخطيب ١٤ - ٣٢٢ . ويذكر ابن الجوزي ٦ - ٣٠٠ انه اقره على الجانب الشرقي دون ان يذكر الشرقية .
(١٠٥) الخطيب ١ - ٣١٣ المنتظم ٧ - ٩٠ الصولي ١٩١ .
(١٠٦) الخطيب ٢ - ٤٠٣ ، ١٤ - ٣٢٢ الصولي ١٩١ .
(١٠٧) الخطيب ٤ - ٢٣١ ، ٤٤٩ المنتظم ٦ - ٣٨٩ ، ٧ - ١٠٢ الصولي ٢٢٦ .
(١٠٨) الخطيب ٢ - ٢٠٠ ، ٤٠٣ ، ١٢ - ٣٢٠ ، المنتظم ٦ - ٣٥٧ ، الهمداني ١٤٧ .
(١٠٩) الخطيب ١٢ - ٢٠ ، ٢ - ٤٠٤ ، ٥ - ٣٦٤ المنتظم ٦ - ٣٥٧ ، الهمداني ١٤٧ .
(١١٠) الخطيب ٥ - ٣٦٣ ، ١٢ - ٣٢٠ المنتظم ٧ - ٦ مسكويه ٢ - ٨٣ تكملة الطبري ١٤٧ .
(١١١) الخطيب ٥ - ٣٦٣ المنتظم ٦ - ٣٤١ .
(١١٢) الخطيب ١-٣١٤ الهمداني ١٤٧ ويذكر ابن الجوزي خطأ انه كان على الجانب الشرقي ٦-٣٤١ .
(١١٣) الخطيب ٥ - ٣١٤ ، ١٢ - ٣٢٠ الهمداني ١٤٧ المنتظم ٦ - ٣٥٧ .
(١١٤) الخطيب ١٢ - ٣٢٠ المنتظم ٦ - ٣٦٤ ، ٦ مسكويه ٢ - ٢٢٣ الهمداني ١٦٠ ، ١٧٩ ، ابن الاثير ٨ - ٤٨٤ .
(١١٥) الخطيب ١١ - ٢٥٠ المنتظم ٧ - ٢ مسكويه ٢ - ١٨٨ ، الهمداني ١٧٩ ، ابن الاثير ٨ - ٥٣٦ .
(١١٦) الخطيب ١١ - ٢٥٠ ، ١٠ - ٣٦٥ مسكويه ٢ - ١٩٦ الهمداني ١٨٤ ابن الاثير ٨ - ٥٤٩ المسجد المسبوك ٤ ب .
(١١٧) الخطيب ١٠ - ٣٦٥ المنتظم ٧ - ٥٤ مسكويه ٢ - ٣٩٩ المسجد المسبوك ٦ أ .
(١١٨) الخطيب ٢ - ٢٠٠ ، ٤٠٣ ، ١٢ - ٣٢٠ المنتظم ٧ - ١٢٣ ، ٦ - ٣٥٠ الهمداني ١٥٠ ، ١٥٩ .
(١١٩) الخطيب ٥ - ٣٦٤ المنتظم ٦ - ٣٥٠ ، ٣٥٧ الهمداني ١٥٩ .
(١٢٠) المنتظم ٧ - ٣٨
(١٢١) المنتظم ٧ - ٣٨ ، ٥٤ .
(١٢٢) المنتظم ٧ - ٥٤ شذرات الذهب ٣ - ٦٥ يخلف ابن معروف على الجانب الشرقي ، ابن الاثير ٨ - ٦٩٨ .
(١٢٣) انظر هامش ١١٧
(١٢٤) المنتظم ٧ - ٦٤ تكملة تاريخ الطبري ٢١٣ المسجد المسبوك ٧ أ مسكويه ٢-٣٩٩ .
(١٢٥) تكملة تاريخ الطبرري ٢٢١ المنتظم ٧-٧١ الخطيب ٥-٣٦٣ (يذكر انه توفي سنة ٣٦٦ دون الاشارة الى سنة التولية) شذرات الذهب ٣-٤٩
(١٢٦) مسكويه ٢-٣٩٩ المنتظم ٧-٩٨ ابن الاثير ٨-٧١ المسجد المسبوك ٩ ب
(١٢٧) الروذراوري ٣-١٣٦ المنتظم ٧-١٣٢ (يذكران انه كان بهذا المنصب سنة ٣٧٦ دون الاشارة الى سنة التعيين). وقد توفي سنة ٣٨١) . الخطيب ١٠-٣٦٧ المنتظم ٧-١٦٦ . وقد قلد بهاء الدولة ابا احمد الحسين

بن موسى قضاء القضاة سنة ٣٩٤ ولكن الخليفة لم يأذن له فأبطل التقليد ، الرررودراوري ٣-١٨٠ المنتظم ٧-٢٢٦ ، ٢٤٧ المسجد المسبوك ١٦ أ .

(١٢٨) الروذراوردي ٣ - ٢٦٣ (ولعل المقصود ابو الحسن عبدالعزيز الخرزي) .

(١٢٩) الخطيب ١٠ - ١٢١ المنتظم ٧ - ٢٣٠ ، ٢٧٣ (يذجر ان بغداد جمعت له ، ولكنها يذكران في مكان اخر (انظر مصادر هامش ١٣٠) انه كان قاضي القضاة ، ابن الاثير ٩ - ٢٥٢ المسجد المسبوك ١٦ أ

(١٣٠) الخطيب ٥ - ٤٧ المنتظم ٧ - ٢٧٠ ، ٨ - ٢٥ ، المسجد المسبوك ١٧ ب ، ٢٠ ب البداية والنهاية ١١ - ٣٥٣ .

(١٣١) مسكويه ٢ - ٣٩٩ هلال الصابي ٣ - ٣٧٢ المنتظم ٧ - ٢٧ (يذكر انه كان على المدينة سنة ٣٩٠) الخطيب ١٠ - ١٤١ .

(١٣٢) ابن النجار (٨٣ أ) نقلا عن كتاب التاريخ لابي طاهر احمد بن الحسن الكرخي «كان يخلف القاضي ابن معروف بالجانب الغربي على الفرض ؟» سنة ٣٦٦ .

(١٣٣) مسكويه ٢ - ٣٩٩ (على الشرقية) الخطيب ١٠ - ٣٠٠ المنتظم ٩ - ٦٩ (على ربع الكرخ دون تحديد سنة الولاية ، سوى انه توفي في سنة ٣٨٦) .

(١٣٤) الخطيب ٨ - ١٤٦ المنتظم ٧ - ٢٤٠ (ربع الكرخ)

(١٣٥) انظر هامش ١٢٢ .

(١٣٦) مسكويه ٣ - ٣٩٩ (من حد المخرم والى الطرف الاعلى منه) الخطيب ٢ - ٣٢١ (يتولى عسكر المهدي) وناب عنه المعافي بن زكريا المنتظم ٨ - ٢١٣ ، ويحدد الخطيب انه ناب عنه بباب الطاق ٨ - ٢٣٠ .

(١٣٧) مسكويه ٢ - ٣٩٩ (من حد المخرم الى الطرف الاسفل) الخطيب ١٠ - ٤٦٦ (الجانب الشرقي من حد المخرم الى اخر باب الازج) المنتظم ٨ - ٢١٨ (بالمخرم وحريم دار الخلافة وباب الازج والنهروانات وطريق خراسان) الفهرست لابن النديم ٣٠٧ (الربع الاسفل من الجانب الشرقي من مدينة السلام) .

(١٣٨) هلال الصابي ٣ - ٤٠٢ المنتظم ٧ - ٢١٥ . ويذكر ابن الجوزي انه ممن وقع محضر الطعن في نسب الخلفاء الفاطميين سنة ٤٠١ (المنظم ٧ - ٢٥٦) مما قد يدل على انه كان قاضيا في تلك السنة ، انظر البداية والنهاية ١١ - ٣٤٦ .

(١٣٩) المنتظم ٧ - ١٥٦ (. . ما كان لابي بكر ؟) .

(١٤٠) هلال ٣ - ٣٧٢ الخطيب ٨ - ١٤٦ (ربع الكرخ) المنتظم ٧ - ٢٠٧ (مدينة المنصور والكرخ) ، ٧ - ٢٤٠ .

(١٤١) الخطيب ٥ - ٥١ المنتظم ٨ - ٨٠ (الجانب الشرقي باسره ومدينة المنصور في ايام ابن الاكفاني ، ثم عزل ورد ابن الاكفاني الى عمله) انساب السمعاني ١ - ١٠٨ النجوم الزاهرة ٤ - ٢٧٩ البداية والنهاية ١٢ - ٣٧ (ولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الاكفاني) .

(١٤٢) الخطيب ١٢ - ٨ (لايذكر سنة التولية بل يذكر وفاته سنة ٤١٥) .

(١٤٣) الخطيب (٣ - ١٠٨) المنتظم (٨ - ٢٨٣) . الوافي بالوفيات ٤ - ١٣٧ . (يذكرون انه ولي سنة ٤٠٩ على مدينة المنصور) البداية والنهاية ١٢ - ١٠٨ . (يذكر انه ولي الحكم سنة ٤٠٩ وانه حكم ٥٦ وتوفي سنة ٤٦٥ دون تعيين مكان الحكم) ويذكر البنداري : تاريخ بغداد ٤٦ أ (ولي القضاء بمدينة المنصور وما اتصل بها . توفي سنة ٤٦٥ هـ) .

(١٤٤) هلال ٣ - ٣٧٢ الخطيب ١١ - ٣٠ ويذكر كل من الخطيب (١٠ - ١٤١) والمنتظم (٧ - ٢٧٣) انه ولي قضاء الطاق وضم اليه سوق الثلاثاء ويذكر ابن الجوزي في مكان آخر (٧ - ٢٠٧) انه ولي (الرصافة واعمالها) ويذكر هلال (٣ - ٤٠٧) انه ولي على كل بغداد سنة ٣٩٢ .

(١٤٥) المنتظم (٧ - ٢٦٣) (كان يسكن باب الازج وتقلد النظر في الحكم هناك) ويذكر انه توفي سنة ٤٠٣ دون

الاشارة الى سنة التقليد .

(١) الخطيب ٨/ ٨٠ المنتظم ٨ ـ ٤٤ ، ١٦٧ ابن الاثير ٩/٦١٥ ابنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ١٠ العسجد المسبوك ٢٠ ب طبقات الشافعية للسبكي ٣/١٥٢ .

(٢) الخطيب ٣/١٠٩ ، ٩/٢٣ المنتظم ٨/١٦٥ ، ٩/١٥ ، ٢٣ ، ابن الاثير ١٠/١٤٦ البنداري ١٠ العسجد المسبوك ٢٥ ب السبكي ٣/٨٣ البداية والنهاية ١٢/٦٧ ، شذرات الذهب ٣/٣٦٢ (توفي سنة ٤٧٨) .

(٣) الخطيب ٥/٤٧٦ انساب السمعاني ٢/٣٩٨ السبكي ٣/٦٣ الوافي بالوفيات ١/١٢١ (لايذكرون سنة التولية) .

(٤) الخطيب ٨/٧٩ ، ٩/٣٥٩ المنتظم ٨/١١٩ الجواهر المضية ١/٢١٤ اللباب في الانساب ٢/٦٦ ـ ٧ شذرات الذهب ٣/٢٥٦ ، البداية والنهاية ١٢/٥٢ وقد ذكره البنداري في ذيل تاريخ بغداد ٣٨ أ ، ٤٤ ي ٥٥ ب .

(٥) الخطيب ٩/٣٥٩ المنتظم ٨/١٩٨ ابن الاثير ٩/٥٢٧ اللباب ٢/٨١ شذرات الذهب ٣/٢٨٥ البداية والنهاية ١٢/٥٢ وقد نقل عنه الخطيب روايات كثيرة . وقد تردد ذكره عند البنداري ٣ أ ٢٧ أ ٤٣ ب ٥٩ ب ٦٣ ب .

(٦) الخطيب ٣/٩٥ (رد اليه القضاة بالحريم من شرقي بغداد وبالكوفة وغيرها من سقي الفرات . . توفي سنة ٤٣٣) ولا يذكر سنة التولية شذرات الذهب ٣/٢٥٦ . البغدادي ٤٢أ ويلاحظ انه كان ممن نقل عنهم الخطيب روايات كثيرة في عدد من اجزاء تاريخ بغداد كما روى عنه البنداري ٢٠ أ ٣٥ ب ٤٢ أ ٥٤ ب ١٠٤ ب .

(٧) المنتظم ٨/٢٤٣ طبقات الحنابلة ٢/٢٠٠ .

(٨) الخطيب ٧/١٣٦ المنتظم ٨/٢١٧ ياقوت ٢/١٧٩ طبقات الشافعية للاسنوي ٦٢ البداية والنهاية ١٢/٩٥ .

(٩) طبقات الحنابلة ٢ / ٢٠٠ (استنابه ابن الفراء بدار الخلافة ونهر المعلى) . المنتظم ٩/١٨ «ابو الحسن هبة الله بن محمد بن السيبي قاضي الحريم بنهر المعلى . توفي سنة ٤٧٨» البداية والنهاية ٢/١٣٠ .

(٩أ) الخطيب ١٠/١٤٤ (في الزج) البداية والنهاية ١٢/٦٦ (في الكرخ) .

(١٠) يقول ابن الفراء ان محمد بن الحسين بن الفراء «رد القضاء بباب الازج الى الجيلي وجعل صاحبه أبا علي يعقوب (ابن ابراهيم البرزبيني) مشرفا عليه ، فلما تبين من حال الجيلي الاختلال عزله ، ثم رد النظر في عقد الانكحة والمداينات بباب الازج الى تلميذه أبي يعقوب» (طبقات الحنابلة ٢/٢٠٠) اما السمعاني فيذكر ان يعقوب كان على باب الطاق ؛ أنساب ٢/١٥٦ وعن عزل البرزبيني انظر طبقات الحنابلة ٢/٢٤٦ شذرات الذهب ٣/٣٨٢ .

(١١) ابن الاثير ٩/٣٤٣ (قلد قضاء الرصافة وباب الطاق) ويذكر ابن كثير انه في سنة ٤١٢ تولى الحسبة والمواريث ببغداد (البداية والنهاية ١٢/١١) .

(١٢) ابن الاثير ٩/٥٢٧ (يذكر انه ولي بعد الصيمري قضاء الكرخ مضافا الى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق) البداية والنهاية ١٢/٥٢ .

(١٣) الخطيب ٧/١٣٦ المنتظم ٨/٢١٧ السمعاني ٣/٤٦٢ البداية والنهاية ١٢/٨٥ .

(١٤) المنتظم ٨//٢٨٧ الجواهر المضية ١/٩٦ ابداية والنهاية ١٢/١٠٩ .

(١٥) المنتظم ٩/٢٠٨ ابن الاثير ١٠/٥٦١ مرآة الزمان ٨/٨١ ابن النجار اب ابن كثير ١٢/٢٨٥ .

(١٦) المنتظم ٩/١٥ ، ٩٥ ابن الاثير ١٠/١٤٦ ، ٢٠٣ ، ٤٨٨ ، السبكي ٣/٨٣ شذرات الذهب ٣/٣٩١

البداية والنهاية ١٢/١٢٧ البنداري ٧١ ب .

(١٧) انساب السمعاني ٢/٣٩٨ الاسنوي ٤ب (توفي سنة ٤٦٨) . الوافي ١/١٢١ البنداري ٧ ، ب .

(١٨) الجواهر المضية ١/٢٨٩ (عن ابن النجار)شذرات الذهب ٣/١٥١ (ولي القضاء مدينة المنصور والكوفة) .

(١٩) انظر المصادر في هامش (٩) كذلك البداية والنهاية ١٢/١٤٩ .

(٢٠) ابن النجار ٢ ب ، المنتظم ٩/٢٠٨ «ولي باب الطاق وما كان الى جده ابي امه القاضي ابي الحسن احمد بن ابي جعفر السمناني من القضاء» .

(٢١) ابن الاثير ١٠/١٤١ .

(٢٢) المنتظم ٩/٨٠ طبقات الحنابلة ٢/٢٤٦ ابن الاثير ١٠/٢٢٧ . شذرات الذهب ٣/٣٨٢ ، وانظر ايضا ذيل طبقات الحنابلة ١//٩٢ (طبعة لاوست) .

(٢٣) المنتظم ٩/١٢٦ ابن الاثير ١٠/٢٢٧ ، ٣٢٦ (يذكر انه توفي سنة ٤٨٨ اما ابن الجوزي (١٠/٣٢٦) والاسنوي ١٣٢ ب وشذرات الذهب ٣/٤٠١ البداية والنهاية ١٢/١٦٠ فيذكرون انه توفي سنة ٤٩٤ .

(٢٤) ابن النجار ١٨ ب الجواهر المضية ١/٣٧٤ .

(٢٥) المنتظم ٩/١٧٦ طبقات الحنابلة ٢/٢٥٧ شذرات الذهب ٤/١٧ (توفي سنة ٥٠٧ ، ذيل طبقات الحنابلة ١١ - ١٣٧ طبعة لاوست) .

(٢٦) المنتظم ٩ - ٨٣ ، ٢٠٨ ابن الاثير ١٠ ٥٦١ الجواهر المضية ١ - ٣٧٣ . شذرات الذهب ٤ - ٤٠ .

(٢٧) المنتظم ٩ - ١٢٥ السبكي ٣ - ٣٤ (ينوب في القضاء بربع الكرخ عن القاضي أبي محمد الدامغاني ثم ولي الحسبة بالجانب الغربي ت٤٩٤) . البداية والنهاية ١٢ - ١٦٠ (توفي سنة ٤٩٥) .

(٢٨) المنتظم ٩ - ٢٥١ «على ربع الكرخ من قبل اخيه . . ثم ترك ذلك سنة ٥٠٢» .

(٢٩) ابن الدبيثي ٢ - ٨٨أ «ولاه ابوه قضاء الجانب الغربي من مدينة السلام وواسط وغير ذلك . وشافهه بالولاية سنة ٥٠٢ ت ٥١٩» .

(٣٠) المنتظم ٩ - ٨٧ ابن النجار ٣٨أ ٧٣أ السبكي ٤ - ٢٦٩ .

(٣١) الجواهر المضية ٢ - ١٣٧ «على حريم دار الخلافة وما يليه من النواحي والاقطار وديار مضر وربيعة» استناب أبا سعد المبارك بن علي المخرمي الحنبلي على باب المراتب ، وأبا محمد الحسن بن محمد بن احمد بن علي الاستراباذي الحنفي على باب النوبي ٥٠٢ - ٥٠٤) . ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥١٣ «وصل القاضي الهروي» (المنتظم ٩ - ٢٠٦ ، كما يذكر ان أبا الحسن علي بن محمد الدامغاني عندما ولي قضاء القضاة سنة ٣٨٨ «كان عليه اسم قاضي القضا وهو معزول في المعنى بالسيبي والهروي ولم يكن له الاسماع البينة بالجانب الغربي» (المنتظم ٩ - ٢٠٨) كما يذكر ان ابا سعد المخرمي «ناب في القضاء عن السيبي والهروي ثم عزل عن القضاء سنة ١١ (٥) (٩ - ٢١٥) .

(٣١أ) الحوادث الجامعة ١٣٩ .

(٣٢) المنتظم ٩ - ١٢٠ ، ٢٤٣ ، ابن النجار ٨٣أ ، ٧٣أ .

(٣٣) المنتظم ٩ - ١٢٠ ، ٢١٦ ، الحوادث الجامعة ١٣٩ ذيل طبقات الحنابلة ١ - ١٩٩ طبعة لاوست .

(٣٤) المنتظم ٩ - ٣ (ولاه اخوه القضاء بالرصافة وباب الطاق ومن أعلى بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد) ويذكر ايضا (٩ - ١٥٠) كان اليه القضاء بربع الطاق وقطعة كبيرة من البلاد نيابة عن اخيه» كذلك الجواهر المضية (١ - ٢٨٧) .

(٣٥) المنتظم ٩ - ٢٠٤ ، ١٠ - ١٣٤ ابن الاثير ١٠ - ٥٦١ ، ١١ - ١٤٦ الجامع المختصر ٢٣ اسبكي ٤ - ٣٢٢ الجواهر المضية ١ - ٣٥٠ ، ٣٦٢ وقد تردد ذكره عند ابن الدبيثي في معرض تراجم عدد كبير ممن تمت تزكيتهم في زمنه .

(٣٦) المنتظم ٩ ـ ٢٢٧ ، ١٠ ـ ١٠٤ ، «يذكر ان الزينبي استنابه دون تعيين المكان» وقد ذكر عرضا في ١٠ ـ ٤٢ ، وكان من شهود التعديل في زمن الزينبي سنة ٥٣٤ الدبيثي ١ ـ ١٠٠ب ، ٥٥٢ب .

(٣٧) ابن الدبيثي ١٨٨ أ .

(٣٨) ابن الاثير ١٠ ـ٢٥٣ .

(٣٩) المنتظم ١٠ ـ ٢٥ «ولي القضاء والحسبة بنهر المعلى» ويذكر في مكان آخر انه توفي سنة ٥٢٧ وانه ولي القضاء بالحريم والحسبة ايضا (١٠ ـ ٣١) ويذكر ايضا انه كان في سنة ٥١٣ قاضيا (٩ ـ ٢٢٢) اما السبكي فيذكر انه «ولي القضاء بالحريم الظاهري والحسبة ٤ ـ ٣٨ .

(٤٠) ابن الدبيثي ٣ ـ ٩٩أ وهو يذكر ان تزكيته تمت سنة ٥١٧ وانه توفي في سنة ٥١٨ فالراجح انه ولي القضاء بين هذين التاريخين .

(٤١) ابن الدبيثي ٢ ـ ٨٩أ .

(٤٢) المنتظم ١٠ ـ ٢٩ .

(٤٣) الجواهر المضية ١ ـ ٢٧٠ . وقد ناب في القضاء عن ابن الزينبي محمد بن الحسين بن المعلم الحنفي ، المنتظم ١٠ ـ ٦١ المختصر المحتاج اليه ٢٧ ولكن لا نعلم مكان نيابته .

(٤٤) المنتظم ٩ ـ ٢٣٢ الجواهر المضية ١ ـ ٢٨٩ عن ابن النجار (استناب عبدالله بن محمد بن محمد البيضاوي) .

(٤٥) يذكر ابن الجوزي ان محمد بن احمد بن محمد ابو طاهر الكرخي المتوفي سنة ٥٥٦ ولي قضاء باب الازج وقضاء واسط وقضاء الحريم وقد ولي في زمن خمسة خلفاء : المستظهر والمسترشد والراشد والمقتفي والمستنجد ، وهو الذي حكم بفسخ ولاية الراشد (المنتظم ١٠ ـ ٢٠٢) ويذكر ايضا انه ولي واسط سنة ٥٢٢ (١٠ ـ ٩) كما يذكر ان الذين شهدوا على عزل الراشد «ابن الكرخي والهيتي وابن البيضاوي ، ونقيب الطالبيين وابن الرزاز ، وابن شافع وروح ابن الحديثي وقالوا ان ابن البيضاوي شهد مكرها وحكم ابن الكرخي قاضي البلد بخلعه» (١٠ ـ ٦٠) وهذا يدل على ان ابن الكرخي كان من قضاة بغداد آنذاك . ومما يؤيد هذا ان ابن الدبيثي يذكر في مواضع مختلفة من كتابه شهادة ابن الكرخي على تزكية عدد من الشهود بين سنتي ٥٢٧ ـ ٥٣٥ (٥٥٢ب ، ١١٦ ب ، ١٤٠ب ١٥٢أ ٥٥٣ب ، ٦٩ب ، ١١٩ب ، ١١٩ب مما يرجح انه كان في تلك الفترة قاضيا ببغداد ، غير ان المصادر لم تذكر زمن او مكان حكمه في بغداد . ويلاحظ ان ابن الدبيثي لم يذكر انه كان يشغل منصب القضاء خلال ذلك ، وان كان كلام ابن الجوزي (١٠ ـ ٢٠٢) يدل على انه استمر في اشغال القضاء .

(٤٦) المنتظم ٢٠ ـ ١٣٤ ، ١٩٥ ابن الاثير ١٠ ـ ١٣٤ ، ٥١٣ ، ١١ ـ ١٤٦ ، ٢٥٠ الجامع المختصر ٢٣ ، ٥٥ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ابن الدبيثي ١ ـ ٢١٣أ ، ٢ ـ ٥ب المسجد المسبوك ١٣٨أ الجواهر المضية ١ ـ ٣٥٠ ابن النجار ١٦٩ .

(٤٧) البنداري : تاريخ بغداد ٥٧ب .

(٤٨) الدبيثي ٢ ـ ٢١٣ الجواهر المضية ١ ـ ٣٥٠ (عبدالله بن احمد ولي ربع الكرخ بعد وفاة ابيه) . ابن النجار ١٦٩ .

(٤٩) ابن الدبيثي ١ ـ ٥ ب ، ويذكر في ١ ـ ٢١٣ أنه استناب في الحكم بحريم دار الخلافة الى ان عزل سنة ٥٥٥ ، الجواهر المضية ٢ ـ ١٩ .

(٥٠) ابن الدبيثي ٢ ـ ٣ ب الجواهر المضية ١ ـ ١٨٨ .

(٥١) المختصر المحتاج اليه من ابن الدبيثي ١٦٥ الجواهر المضية ٢ ـ ٩٢ (عن ابن النجار) .

(٥٢) ابن الدبيثي ٢ ـ ١٠ ب المختصر المحتاج اليه ٢٨٢ (بالجانب الغربي سنة ٥٧٥) الجواهر المضية ١ ـ ١٩٩

(بربع الكرخ) .
(٥٣) ابن الدبيثي ٢ ـ ١٧٣أ (تمت تزكيته سنة ٥٣٢ ، وكان على القضاء بباب النوبي ، دون ذكر سنة توليته .
(٥٤) الدبيثي ١ ـ ١٠٠ ب (تولى القضاء بباب النوبي بعد وفاة ابيه . الى ان توفي سنة ٥٥٧) .
(٥٥) الدبيثي ٢ ـ ١١٦ ب
(٥٦) الجواهر المضية ١ ـ ٣٣٢ عن ابن النجار «القضاء بباب الازج وطريق خراسان»
(٥٧) المنتظم ١٠/١١٧ .
(٥٨) الجواهر المضية ٢ ـ ٦٢ دون تعيين المكان .
(٥٩) المنتظم ١٠ ـ ١٩٥ .
(٦٠) الجواهر المضية ٢ ـ ٦٢
(٦١) ابن الدبيثي ١ ـ ١١٥ ب .
(٦٢) المنتظم ١٠ ـ ١٩٦ ـ ٦ ابن الاثير ١١ ـ ٢٥٨ الجواهر المضية ١ ـ ١٧٩ .
(٦٣) المنتظم ١٠ ـ ١٩٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ الجامع المختصر ٧٤ ابن الدبيثي ١ ـ ٢٧٢ ، ٣ ـ ١٤٤أ ابن الاثير ١١ ـ ٣٣٢ الجواهر المضية ١ ـ ١٧٩ .
(٦٤) طبقات الشافعية للاسنوي ١٦٣أ (تولي قضاء ربع الكرخ ثم عزل وسجن الى ان مات سنة ٥٦٣ ، (لا يعين زمن التولية) .
(٦٥) المنتظم ١٠ ـ ١٩٩ الجواهر المضية ١ ـ ٢٢٧ (دون تعيين المكان) .
(٦٦) ابن الدبيثي ٣ ـ ١٨٩ب السبكي ٤ ـ ٢١٤ .
(٦٧) المنتظم ١٠ ـ ١٩٤ .
(٦٨) ابن الدبيثي ٢/١٣٥ «هو ابن عم احمد بن موهوب المتوفي سنة ٥٦» ولا يذكر سنة توليته .
(٦٩) الجواهر المضية ١ / ٧١ «القضاء والحسبة بالجانب الغربي» .
(٧٠) الجواهر المضية ١/٤١١ (ولاه المستنجد قضاء بغداد) تاج التراجم ٥١ .
(٧١) المنتظم ١٠/٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥ ابن الدبيثي ١/٥٢أ
(٧٢) المنتظم ١٠/٢٥٠ ابن الدبيثي ١/٢١٣ الجامع المختصر ٧٣ ، ابن النجار ٧٠أ المسجد المسبوك ١٣٨أ
(٧٣) الجواهر المضية ١/٧١ «القضاء والحسبة بالجانب الغربي»
(٧٤) الجواهر المضية ١ / ٢٧٠ .
(٧٥) ابن الدبيثي ١/١٩٦ب (تمت تزكيته سنة ٥٦٦) ويقول ابن النجار انه ولي القضاء بدار الخلافة ثم القضاء بربع سوق الثلاثاء (١١٣ ب) انظر ايضا ابن الاثير ١١/٤٦١ .
(٧٦) ابن الدبيثي ١/٥٢ب ، ١/١٣٧ب ابن النجار ٧٦ ، ١١٢ ب .
(٧٧) ابن الدبيثي ٣/٨٩ب .
(٧٨) ابن الدبيثي ٢/٢١٣ الجواهر المضية ١/٢٠٧ (استنابه اخوه ابو الحسن في الحكم بحريم دار الخلافة وما يليها .
(٧٩) ابن الدبيثي ٣/٨٩ب .
(٨٠) الجامع المختصر ٩ ابن الاثير ١٢/١٣٠ (يذكر وفاته سنة ٥٩٥) ابن الدبيثي ٣ (١٥١ ، ٢٢٢ الذهبي تاريخ الاسلام ٨/١٣أ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الالقاب ٤ ـ ٢/٧٨٥ .
(٨١) ابن الدبيثي ١/١٩١أ ، ٨٨ب الجامع المختصر ٩ـ١٠ الذهبي ٨/٢٠أ المختصر المحتاج اليه ٥٦ (٣٠) البداية والنهاية ١٣/٢٢ .
(٨٢) ابن الدبيثي ١/٩١أ الجواهر المضية ١/٨٢ انظر ايضا البداية والنهاية ١٣//١٥ .

(٨٣) الجامع المختصر ١١٣ الجواهر المضية ١/٨٢ المختصر المحتاج اليه ٣٨٩ (١٩٨) .
(٨٤) الجامع المختصر ١/٤٥ ، ١٠٢ - ٣ البداية والنهاية ١٣/٢٠ .
(٨٥) الجامع المختصر ٨٠ ، ١١٥ ابن الفوطي ، تلخيص مجمع ٤-٢/٨٨٤ . الجواهر المضية ١ / ٣٦٤ العسجد المسبوك ١٣٨أ البداية والنهاية ١٣/٣٧ .
(٨٦) الجامع المختصر ٢٠١ ابن الدبيثي ١//٩١أ ، ٢/٤٢ب مرآة الزمان ٨/٥٢٩ المختصر المحتاج اليه ٧٧١ (١٤٢) تلخيص مجمع الالقاب ٤ - ٢/٧٤٨ شذرات الذهب ٥/٦٣ الذهبي ٨/٨٤أ .
(٨٧) مرآة الزمان ٨/٥٦٩ ، وانظر ايضا ابن الدبيثي ١/٧٠أ ، ١٦٩أ ، ٢١٧ب ، ٢/٢٢ب ٢٥ب .
(٨٨) السبكي ٥//٤٤ الحوادث الجامعة ٦٤ . شذرات الذهب ٥/١٤٦ .
(٨٩) الجواهر المضية ١/٢٧٧ «القضاء والحسبة بالجانب الغربي من بغداد والبلاد المزيدية والككوفة» .
(٩٠) المختصر المحتاج اليه ٨٣٨ الاسنوي ١٨ب .
(٩١) المختصر المحتاج اليه ٨٣٨ الاسنوي ١٨٤ب الجامع المختصر ٢٨١ - ٢ يذر وفاته سنة ٦٠٦ بعد ان عزل عن نيابة اخيه شذرات الذهب ٥/٩٥ .
(٩٢) الجواهر المضية ١/٨٢ .
(٩٣) ابن الدبيثي ١/٩١أ لما ولي ابو القاسم الدامغاني جعل «نوابه بمدينة السلام اخوه القاضي ابو عبدالله محمد والقاضي ابو الحسن علي بن روح النهرواني» ويذكر الجامع المختصر ان ابا القاسم الدامغاني استناب سنة ٦٠٤ ابا الحسن علي بن روح في الحكم عنه بجانبي بغداد (٢٣٧) .
(٩٤) ابن الدبيثي ٣/٦٤ب الاسنوي ١٨٤ب تلخيص مجمع الالقاب ٤ - ١/١٨ ، ٤ - ٩٦٢ (بالجانب الغربي) الجامع المختصر : ٢٩٠ تلخيص مجمع الالقاب ٤ - ٢/٤٢٦ ويذكر في ٥/١٦٥ ان «الحسن بن نصر الله تولى قضاء الجانب الغربي هو وابوه وجده وانه ولد سنة ٦١٨ .
(٩٥) ابن الدبيثي ١/٢١٣أ (دون تعيين المكان) الجامع المختصر ٢٣ «ولاة قاضي القضاة علي بن الدامغاني القضاء بحريم دار الخلافة المعظمة وما يليها فلم يزل على ذلك الى ان توفي قاضي القضاة المذكور» .
(٩٦) ابن الدبيثي ٢/٩٤أ الجواهر المضية ٢/٩٦ (دون تعيين المكان) .
(٩٧) ابن الدبيثي ٢ - ٣٥ب «استنابه اقضى القضاة ابو طالب علي بن علي البخاري . وقبل شهادته سنة ٥٨٣ . . الى سنة ٥٨٤» المختصر المحتاج اليه ٦٦(٣٥) .
(٩٨) الجامع المختصر ٢٩٧ .
(٩٩) ابن الدبيثي ١ - ٩١أ «تولى اولا القضاء والحكم بمدينة السلام في رجب سنة ٥٨٦ . . ولما توفي قاضي القضاة العباسي . . انفرد القاضي ابو القاسم هذا بالقضاء والحكم بمدينة السلام الى ان ولي قاضي القضاة ابو طالب علي بن علي بن البخاري المرة الثانية وهو على حكمه وقضائه وتوفي قاضي القضاة ابو طالب هذا سنة ٥٩٣ فانفرد القاضي ابو القاسم ايضا بالحكم ببغداد الى ان عزل سنة ٥٩٤ وكانت ولايته ثمان سنين الجامع المختصر ٢٠١ .
(١٠٠) الجامع المختصر ٢٣ «استخلفه القاضي عبدالله بن الحسين الدامغاني على الحكم بمدينة السلام في سنة ٥٨٦ فكان على ذلك الى ان عزل القاضي عبدالله بن الحسين المذكور في رجب ٩٤(٥) .
(١٠١) الجامع المختصر ٢٧٦ «ناب عن قاضي القضاة ابي طالب . . في الانكحة والمطالبات» ابن الدبيثي ١ - ١٤٢أ دون تعيين الزمن .
(١٠٢) ابن الدبيثي ٣ - ٣٩ب الجامع المختصر ١١٣ المختصر المحتاج اليه ٧٦٤ (١٣٧ - ٨) الجواهر المضية ١ - ٣٢٥ .
(١٠٣) الوافي ٤ - ٢٣٩ .
(١٠٤) ابن الدبيثي ٣ - ٧٢ب .

(١٠٥) ابن الدبيثي ١ - ١٤٢أ الجامع المختصر ٨٠ ، ٢٧٦ «في عقود الانكحة والمطالبات بدار الخلافة المعظمة .

(١٠٦) الجامع المختصر ٨٠ «علي بن سلمان الحلي . . استناب في الحكم عنه والد كمال الدين عبدالرحمن بن عبدالسلام بن المغاني ثم ولده الحسين ، ولم يأذن لهما في سماع بينة ولا سجال» .

(١٠٨) ابن الدبيثي ٩١أ الجامع المختصر ٢٠٢ (ولا يعينان المكان ابن النجار ٤٢ المختصر المحتاج اليه ٧٨ (٤٠) الجواهر المضية ٢ - ٤٨ .

(١٠٩) تلخيص مجمع الالقاب ٥ - ٩٥ (ناب عن الزنجاني وابن فضل الله والحلي وعبدالرحمن بن مقبل (دون تعيين المكان) العسجد المسبوك ١٧١ب شذرات الذهب ٥ - ٦١ وعن نيابته عن ابن مقبل الحوادث الجامعة ٧٢ البداية والنهاية ١٣ - ١٨١ .

(١١٠) ابن الدبيثي ٢ - ٤٩ب المختصر المحتاج اليه (اضافة مصطفى جواد ٢٩٨) .

(١١١) الجامع المختصر ١٤٩ ويذكر ابن الدبيثي ١ - ١٦٣ب (تولى اولا القضاء بربع باب الازج سنة ٦٠١ ثم ولي القضاء والحكم بجميع شرقي مدينة السلام سنة ٦٠٨ . . فلم يزل على ذلك الى أن ولي صدرية المخزن المعمور والنظر في اعماله سنة ٦١١) العسجد المسبوك ١٨٤ب .

(١١٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢ - ٦٢ طبعة الفقي شذرات الذهب ٥ - ٣١ دون تعيين المكان او السنة .

(١١٣) طبقات الشافعية للسبكي ٥ - ٤٤ شذرات الذهب ٥ - ٢٠٥ لم تذكر المصادر محل تعيينه وتعيين من قبله .

(١١٤) الحوادث الجامعة ٨٦ ، ٥٧ ، ١٥٧ ، العسجد المسبوك ١٤٠أ ، ١٥٢أ شذرات الذهب ٥ - ١٦١ .

(١١٥) الحوادث الجامعة ٨٤ - ١٥٧ العسجد المسبوك ١٦٠أ ، ١٩٣أ تاريخ علماء المستنصرية لناجي معروف ١ - ٢١٢ .

(١١٦) الحوادث الجامعة ٨٤ ، ١٥٧ العسجد المسبوك ١٦٠أ البداية والنهاية ٣ - ١٠٨ .

(١١٧) الحوادث الجامعة ١٥٧ العسجد المسبوك ١٦٠أ تلخيص مجمع الالقاب ٥ - ١٩٥ . تاريخ علماء المستنصرية ١ - ١٢٤ البداية والنهاية ١٣ - ١٨١ (لقب اقضى القضاة وتوفي سنة ٦٤٩) .

(١١٨) الحوادث الجامعة ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٣١٦ .

(١١٩) الحوادث الجامعة ٣٢٢ السبكي ٥ - ٥٩ ، شذرات الذهب ٥ - ٢٦٩ اليونيني ١/ ٧١ البداية والنهاية ١٣ - ١٩٦ .

(١٢٠) الحوادث الجامعة ٣٤٣ .

(١٢١) شذرات الذهب ٥ - ٨٤ ، وينقل السبكي عن ابن النجار انه ناب عن ابي صالح الجيلي بحريم دار الخلافة (٥ - ٧١) ذيل طبقات الحنابلة ٢ - ٢٦٥ .

(١٢٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢ - ١٧٣ .

(١٢٣) شذرات الذهب ٥ - ٢٠٤ السبي ٥ - ٧١ عن ابن النجار ، ابن كثير ١٣ - ١٥٨ .

(١٢٤) الحوادث الجامعة ٧٢ (لايعين مكان عمل كل منهما ، ويذكر الصفدي انه استناب محمد علي بن نصر الابري في عقود الانكحة والطلاق والديون (الوافي ٤ - ١٥٥) .

(١٢٥) الحوادث الجامعة ٢٩٠ تلخيص مجمع الالقاب ١ - ٣/ ٤٢٦ ويقول في ٥/ ١٦٥ أن «الحسن بن نصر الله تولى قضاء الجانب الغربي هو وابوه وجده وانه ولد سنة ٦١٨» .

(١٢٦) الحوادث الجامعة ٣٢٣ ، ٣٦٣ .

(١٢٧) الحوادث الجامعة ٣٦٣ .

(١٢٨) الحوادث الجامعة ٣٢٣ ، ٣٤٣ .

(١٢٩) الحوادث الجامعة ٣٦٣ (استنابه نظام الدين دون تعيين زمن او مكان الاستنابة) .

الفصل السادس

المواصلات والجسور في بغداد
دراسة في توزيع المراكز الحيوية

استهدف المنصور من بناء بغداد ان تكون مركزا له ولجنده والمتصلين به ، وان تتوفر فيها الاحوال التي تمكنها من ان تصبح مركزا حضريا متوسعا ، وهذا يقتضي توفر المواد الغذائية والحاجات الاخرى للسكان وتيسر المواصلات معها . وقد ذكرت المصادر ان المنصور راعى في اختيار البقعة التي شيد عليها عاصمته هذين العاملين بالاضافة الى حسن موقعها الصحي ، فيروي انه عندما جاء منطقة بغداد وسأل عن احوالها ذكر له احد القسس ان من خصائصها المفضلة «انك تنزل اربعة طساسيج ، في الجانب الغربي طسوجين وهما قطربل وبادوريا ، وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوق وكلواذي ، فانت تكون بين نخل وقرب الماء ، فان اجدب طسوج وتاخرت عمارته كان من الطسوج الاخر العمارات»[1] .

وكان لابد ان يتوفر في الموقع المختار سهولة المواصلات ، لانه اذا اقام» في موضع لا يجلب اليه من البر والبحر شيء غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس»[2] .

وكان للموقع الجديد مواصلات متيسرة «فانه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة الانهار ولا يحمل الجند والعامة الامثلة»[3] . وقد قال «هذا موضع ارضاه : تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ومن هذه الصراة»[4] .

وقد اورد الطبري نصا فيه تفاصيل اوفى عن هذه المواصلات ، فقد قال القس للمنصور «وانت يا امير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من المغرب من الفرات وتجيئك طرائق مصر والشام ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط من دجلة . وتجيئك الميرة من الروم وامد والجزيرة والموصل من دجلة . وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر وقنطرة ، فاذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل اليك عدوك .

وانت بين دجلة والفرات لا يجيئك احد من المشرق والمغرب الا احتاج الى العبور»[5].

ويتبين من النصوص الأنفة الذكر ان المنصور فضل هذا الموقع لتوفر المواصلات النهرية فيه ، فنهر دجلة يمر عموديا عليها من الشمال الى الجنوب ، وبالنظر لطوله وموقعها في منتصفه تقريبا فانه يصلها باقاليم ومدن بعيدة ، كما ان اتصاله عند المصب بالبحر يربطه ببلاد ابعد ذات منتوجات لها اهمية خاصة للمجتمع في تلك العصور . ويتميز دجلة ايضا

بسعته وعمقه وعدم وجود السدود وقلة وجود الجسور المعرقلة للملاحة ، وبذلك تستطيع السفن والزوارق والكارات من المخور فيه والوصول الى بغداد .

اما الفرات فيتميز بطوله وسعته ايضا ، غير ان اقسامه الجنوبية بعد منطقة الانبار ، تكثر عليها القناطر والسدود والجسور ، كما انه يتشعب الى انهر كثيرة يكون كل منها صغيراً ، مما تعرقل الملاحة وسير السفن ، وخاصة المتوسطة والكبيرة منها .

وقد اختار المنصور لبناء مدينته منطقة زراعية كانت فيها عدة قرى ، كما كان يقام فيها سوق مؤقت للمنتوجات الزراعية للمنطقة . وقد وزع المنصور الاراضي في هذه المنطقة على السكان ، وبذلك تحولت الى اراضي سكنية دون ان يخصص منها أراضي للزراعة او يزودها بالماء الكافي لارواء المزارع او حتى لاقامة الارحاء الضرورية لحياة السكان . والواقع انه لم يعرف في اقطاعات الجانب الغربي ما اصبح مزرعة سوى العباسية التي تقع جنوبي المدينة المدورة بين الصراتين ، وكانت عند تأسيس بغداد «مضربا لبن مدينة السلام» ثم اقطعها المنصور عمه العباس بن محمد «وكان العباس اول من زرع فيها الباقلاء ، فكان باقلاؤها نهاية ، فقيل له الباقلى العباسي ، وربما قيل لها جزيرة العباس لكونها بين الصراتين ، ومن اجل باقلائها وجودته صار الباقلاء الرطب يقال له العباسي»[٦] .

اما الجانب الشرقي فقد قرر المنصور توطين الناس فيه بعد سكن الجانب الغربي بسنوات قليلة ، وقد ذكرت المصادر الخططية اسماء عدد قليل مما فيه من الاقطاعات والقصور والاسواق ، كما ذكرت الانهار التي جرت اليه ، وقد وصف اليعقوبي هذا الجانب بانه «كان اوسع الجانبين ارضا ، لان الناس سبقوا الى الجانب الغربي وهو جزيرة بين دجلة والفرات فبنوا فيه وصار فيه الاسواق والتجارات ، فلما ابتدىء البناء في الجانب الشرقي امتنع على من اراد سعة البناء»[٧] . وقد ذكرت في الجانب الشرقي عدة بساتين ، غير انه لم تذكر فيه مزارع ، علما بان المعلومات المتوفرة لدينا لا تكفي للجزم بعدم وجود المزارع ، غير انه يمكن القول بان عدم اشارة المصادر الى المزارع في الجانب الشرقي يدل على قلة هذه المزارع ، ان وجدت .

غير ان كلا الجانبين الشرقي والغربي كانت حوله منطقة وفيرة الماء ، خصبة التربة وانتاجها الزراعي وافر ، وهذه المنطقة ذات ميل خفيف نحو الانهار ، ويسقى الجانب الغربي بالانهار الاخذة من الفرات ، اما الجانب الشرقي فكانت انهاره تأخذ من دجلة

والقاطول ، اي ان المنطقة تعتمد على عدة انهار وليس على نهر واحد ، وبذلك لا تتوقف مياهها على مصدر واحد قد يهددها الى حادث يؤثر فيه ، وهكذا «فان اجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الاخر العمارات»[٨] .

وقد اورد ابن خرداذبه[٩] مقدار الجباية من طساسيج السواد ، ومنها الطساسيج المحيطة ببغداد او قريبة منها وهي كما يلي :

الطسوج	عدد رساتيقه	البيادر	الحنطة	الشعير	الورق
بادورا	١٤	٤٢٠	٣٥٠٠	٢٠٠٠	٢٫٠٠٠٫٠٠٠
قطربل	١٠	٢٢٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	٣٠٠٫٠٠٠
مسكن	٦	١٥٠	٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٥٠٫٠٠٠
الانبار	٥	٢٥٠	٢٣٠٠	١٤٠٠	١٥٠٫٠٠٠
كلواذي ونهرين	٣	٣٤	١٦٠٠	١٥٠٠	٣٣٠٫٠٠٠
نهر بوق	—	—	٢٠٠	١٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠
الراذان	١٦	٣٦٢	٤٨٠٠	٤٨٠٠	١٢٠٫٠٠٠
بزرجسابور	٩	٢٦٣	٢٥٠٠	٢٢٠٠	٣٠٠٫٠٠٠

وهذه الارقام لا تختلف كثيرا عما ذكره قدامة ابن جعفر[١٠] عن هذه الطساسيج ، وهي توضح احوال القرن الثالث الهجري ، والراجح انها تعبر عن معدل انتاج هذه الطساسيج في العصور الاسلامية الاولى وحتى القرن الرابع الهجري حيث حدثت تبدلات في اوضاع الانهار اثرت في انتاجية هذه الطساسيج ولابد ان المنتوجات الزراعية لهذه الطساسيج كانت تنقل الى بغداد لسد حاجة اهلها .

غير انه بالرغم من كبر مقدار منتوج الطساسيج القريبة من بغداد ، فانها لم تكف لسد كل حاجات السكان وخاصة ابان ازدهار بغداد التي كانت تستورد ايضا من منطقتي واسط والموصل «وبغداد تمير نفسها اربعة اشهر ، وتميرها واسط اربعة اشهر ، وتميرها الموصل اربعة اشهر»[١١] .

الفُرَض :

ويبدو ان كثيرا من منتوجات هذه المناطق الواقعة قرب دجلة كانت تنقل بالنهر وتفرغ

على ضفافه فتوزع على بغداد ، ومن هنا نشأت على دجلة الفرض لافراغ هذه السلع ، ولما كان الجانب الغربي هو الذي عمرت فيه بغداد في اول العهد وكان فيه مقام الخليفة واتباعه ، كما كان مزدحم السكان منذ اوائل انشائه لذلك كان من المنتظر ان تكون فيه نهايات المواصلات ، وان تنشأ فيه الفرض .

ذكر ياقوت عند كلامه عن باب الشعير «قالوا كانت ترفأ اليه سفن الموصل والبصرة[١٢]» ويظهر من هذه الرواية التي تمثل الاحوال في السنين الاولى من تأسيس بغداد ، وان لم يصرح بذلك ، انه كانت في الجانب الغربي فرضة واحدة رئيسة تأتيها السفن الماخرة دجلة من الشمال والجنوب ، ومما قد يؤيد كلام ياقوت ان هذه الرقعة تسمى باب الشعير الذي هو احد المحاصيل الرئيسة التي تستوردها بغداد . وكانت الفرصة في القرن الثالث الهجري قريبة من هذه المنطقة .

وعند باب الشعير عقد المنصور احد الجسور الرئيسة التي تربط الجانبين الشرقي والغربي[١٣] .

ولعله اختار هذه البقعة لجسره بسبب قربها من الفرضة ، ولعل من دوافع اختيار هذه المنطقة لانشاء الجسر هو تيسير نقل المواد الغذائية من هذه الفرضة الرئيسة الى الجانب الشرقي الذي لم تكن فيه انذاك فرضة رغم تزايد سكانه .

وقد ظلت هذه المنطقة مكان الجسر الثاني الرئيس في بغداد ، ويلاحظ عندما اعيد انشاء جسر ثان في بغداد في سنة ٤٤٨ كان يمتد من مشرعة الحطابين الى مشرعة الروايا[١٤] .

ويلاحظ ايضا ان المنطقة التي تتلو باب الشعير ، هي الكرخ ونهر الدجاج ونهر البزازين ، كانت من اشد مناطق بغداد ازدحاما بالسكان ، ومن اكبر مراكز النشاط التجاري والاقتصادي فيها ، كما كان يمتد فها شارع يصل النهر ، وهذا الشارع هو الشريان الرئيس للحياة في تلك المنطقة .

ولا ريب في ان اقامة جسر على دجلة يعرقل ، ولكنه لا يعطل كليا ، سير الزوارق . ثم ان التوسع الكبير في المدينة اقتضى انشاء فرض جديدة لا في الجانب الغربي فقط ، بل في الجانب الشرقي ايضا .

فاما الجانب الغربي فقد كان فيه في القرن الثالث الهجري فرضتان ، احداهما في الشمال ، والاخرى في الجنوب .

فاما في الشمال فان اليعقوبي في كلامه عن القطائع التي في الطرف الشمالي يقول

«. . ثم قطيعة البغيين اصحاب حفص بن عثمان ودار حفص هي التي صارت لاسحق بن ابراهيم ، ثم السوق على دجلة في الفرضة ، ثم قطيعة لجعفر بن امير المؤمنين صارت لام جعفر ناحية باب قطربل تعرف بقطيعة ام جعفر»[١٥] ولعل هذه هي الفرضة التي يقول الخطيب «جعفر بن ابي جعفر الذي ينسب اليه فرضة جعفر»[١٦] وكانت على دجلة بقرب فرضة جعفر دار ابي عبدالله الموساوي العلوي»[١٧] والراجح ان هذه الفرضة كانت ترسو فيها المنتوجات والسلع القادمة من المناطق الشمالية . ويذكر الصولي انه في سنة ٣٣٣ «ضمنت دجلة والمأصر الاعلى بخمسمائة دينار[١٨]، ولعل هذا المأصر كان عند الفرضة الشمالية .

وقد وردت في المصادر اشارة الى مشرعة باب خراسان[١٩] الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة المدورة ، ولكن الاخبار عنها قليلة ، ولعل ذلك راجع الى انها لم تكن ذات اهمية لوقوعها قرب الجسر .

اما الفرضة الجنوبية فان اليعقوبي يذكر «نهر عيسى الاعظم الذي يأخذ من معظم الفرات تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحمل فيها الذقيق والتجارات من الشام ومصر ، تصير الى فرضة عليها الاسواق وحوانيت التجار ، لا تنقطع في وقت من الاوقات ، فالماء لاينقطع»[٢٠] ويفهم من هذا ان نهر عيسى كان يستعمل لملاحة السفن النهرية العظام ، وقد يفهم منه ان الفرضة كانت عليه ، غير اننا نشك في دقة كلام اليعقوبي ، لان كثرة رواضع نهر عيسى في منطقة بغداد ، وكثرة القناطر التي عليه لابد انها كانت تعطل ملاحة السفن الكبار . ثم انه لم يرد في اي مصدر وقوع الفرضة على نهر عيسى .

وقد ذكر الخطيب ما يحدد موقع الفرضة اذ انه في كلامه عن انهار الجانب الغربي يذكر «نهرا يقال له نهر القلائين حدثنا من ادركه جاريا يلتقي في دجلة تحت الفرضة»[٢١] علما بانه يذكر في مكان اخر ان نهر القلائين يصب في نهر الدجاج ثم يصير النهر الى نهر طابق ثم يصب في نهر عيسى»[٢٢] اي ان نهر القلائين كان بين نهري طابق والدجاج ، والى شمالي نهر عيسى . وقد ظلت هذه الفرضة حتى اواخر القرن الخامس ، اذ يذكر ابن الجوزي انه عند بناء النظامية «نقضت الدور التي كانت للناس بمشرعة الروايا والفرضة وباب الشعير ودرب الزعفراني»[٢٣] ويظهر هذا النص ان الفرضة كانت بالقرب من مشرعة الروايا وباب الشعير .

وقد اشار الطبري الى فرضة البصريين[٢٤] ولكنه لم يحدد موقعها .

اما في الجانب الشرقي فقد ذكرت فرضة باب الطاق ، فيذكر الخطيب فذكر لي غير ابن شادان ان الجسر الذي كان محاذي الميدان نقل الى الفرضة بباب الطاق ، فصار هناك جسران يمضي الناس على احدهما ويرجعون على الآخر[٢٥] وفي هذه الفرضة كانت دار ابن الجهشيار التي هدم بابها سنة ٣٠٩ وبني موضعه مستغلا[٢٦] .

ويذكر هلال بن الحسن ان «دار المملكة التي باعلى المخرم محاذية الفرضة»[٢٧] ومع ان سياق النص يوحي بوجود فرضة واحدة مشهورة ، الا انه يصعب القول بان هذه الفرضة هي نفس فرضة باب الطاق ، لطول المسافة بين المخرم وباب الطاق ووجود الرصافة بينهما . ولعل هذه الفرضة كانت ترسو فيها السفن التي تمون الرصافة بالبضائع والسلع .

وقد ذكر الخطيب شريعة ابي عبيدالله في الجانب الشرقي عند شارع عبدالصمد[٢٨] وذكر ان هذا الشارع قرب قنطرة البردان[٢٩] .

ومن المشارع التي تردد ذكرها في الجانب الشرقي هي مشرعة الحطابين وعندها دار هلال بن محمد[٣٠] ودار محمد بن عمر القاضي[٣١] ، وكان وراءه المعترض حيث كان ينزل عبدالله بن عمر بن شاهين[٣٢] .

ويذكر مضمار الحقائق «عمرت ام الخليفة مسجدا بمشرعة السقائين على شاطىء دجلة بمشرعة الحطابين[٣٣] وذكر ابن الجوزي ان «السقائين قريبا من سوق السلاح»[٣٤] .

مراكز العمال :

اسس ابو جعفر المنصور عاصمته ليسكنها الخليفة وحاشيته وحرسه وجنده ، اي ان سكانها الاولين اناس مختارون من ذوي الطابع العسكري بالدرجة الاولى ، ثم الاداري ، يعتمدون في معاشهم بالدرجة الاولى على العطاء الذي تقدمه لهم الدولة ، ويسدون حاجاتهم من السلع التي يقتنونها بالشراء ولا يصنعونها بايديهم ، وهي سلع محدودة وذلك لان حرفة غالبيتهم هي العسكرية . وان دخلهم محدود . الا ان اسرة الخليفة والمتصلين به وحاشيته كان مستوى معيشتهم اعلى ، ومواردهم اكبر ، فكانوا بحاجة الى سلع اكثر تنوعا واغلى ثمنا ، وكان يعوض عن قلة عددهم النسبي زيادة استهلاكهم .

وقد رافق بناء بغداد ونموها تقاطر عدد كبير من العمال والصناع واهل السوق للقيام بما يسد حاجات السكان ، وادرك المنصور هذه الحاجات فانشأ اسواقا محلية في مختلف

ارجاء بغداد ، غير انها كانت اسواقا للبيع وليست للصناعة ، وكان النمو العمراني يتطلب عددا كبيرا من اصحاب الحرف كالبنائين والنجارين والحدادين الا انه لم تذكر في بغداد اسواق مخصصة لهؤلاء ، فالاسواق غالبها للباعة وليست للصناعة .

غير ان الجانب الغربي كان اسبق في التشييد ، وشهد توسعا كبيرا منذ فترة مبكرة وهذا ما جعله الجانب الاهم حتى القرن الرابع الهجري حيث اصاب الانحطاط بغداد بجانبيها .

اما الجانب الشرقي فقد تأخر استيطانه ونموه عن الجانب الغربي ، ولم تذكر المصادر من الاقطاعات والمساكن التي كانت فيه الا ما كان لعدد قليل من رجال الاسرة العباسية وكبار الموظفين والقواد ، كما ذكرت عددا من القصور ومن الاسواق الضخمة ، ولم تذكر اسماء ما كان في الجانب الشرقي من محلات مما قد يستدل منه على نوع وجنس السكان وازدحامهم فيه . وهذا يرجح ان الجانب الشرقي كان اقل ازدحاما بالسكان ، وان كانت مساحة الرقعة المسكونة فيه كبيرة ولا تقل كثيرا عن نظيرتها في الجانب الغربي . وان كثرة القصور والاسواق الغنية بالامتعة المترفة في الجانب الشرقي ، يدل على النشاط الاقتصادي القائم على بيع السلع الاستهلاكية المترفة .

وكان الجانب الشرقي بحاجة الى العمال والحرفيين اللازمين لمواجهة التوسع الكبير والسريع في اعمار المدينة ، ولابد ان عددا كبيرا من هؤلاء الحرفيين كانوا يقيمون في الجانب الشرقي الذي يعملون فيه ، غير ان هذا لا ينفي احتمال الحاجة الى صناع وحرفيين يوميين او موسميين يقدمون من الجانب الغربي ، الامر الذي يساهم في نشاط التنقل بين الجانبين .

مراكز الصناعة في بغداد :

ان سعة بغداد وغناها وازدهارها المادي يستلزم نمو صناعة محلية لسد بعض حاجات اهلها ، غير ان المصادر لم تذكر الا عددا قليلا من المصنوعات التي اختصت بها بغداد ، واشارت الى قليل من الاماكن التي تركزت فيها بعض الصناعات ببغداد ، علما بان هذه الاشارات ترجع الى القرن الرابع الهجري فما بعد ، حيث كانت هذه الصناعات قد وصلت مستوى عاليا من الاستقرار والازدهار لم تصل اليه بعد مرور زمن طويل عليها ويمكن ارجاع قلة المعلومات عن المصنوعات البغدادية وعن المناطق التي تركزت فيها الى

اعتماد اهل بغداد الكبير على استيراد السلع التي يحتاجونها ، والى ان مراكز الصناعات كانت موزعة وان كثيرا منها كانت «بيتية» فلم تنحصر في منطقة واحدة ، يذكر الهمداني ان بغداد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الاقاليم من انواع التجارات والصناعات ، ولهم الذي لا يشركهم فيه احد : الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الاقداح والاقحاض والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية ولهم الدارش واللكاء[٣٥] . ويذكر ايضا ان المذرائين والمقاريض الهيثمية والامشاط الطاهرية والسكاكين الكتابية ، وكثيرا مما يصنع من الابنوس والعاج والعام الموجود من العطر والزجاج[٣٦] .

واشتهرت بغداد بالسقلاطونيات والعتابي ، لا يشاركها فيهما غير نيسابور[٣٧] كما اشتهرت بالحصر[٣٨] .

وفي المصادر اشارات بعضها صريحة وبعضها ضمنية عن تركز الصناعات في بغداد فأما صناعات الجانب الشرقي فان الهمداني يصرح انه الدارش واللكاء «فيهما اعجوبة وذلك ان الدارش يتخذ من هذا الجانب واللكاء من ذلك الجانب ، فلو جهد صاحب الدارش ان يتخذ من جانب صاحب اللكاء لأعوزه ، وكذلك لو جهد صاحب اللكاء ان يتخذ من جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، على انهم قد امتحنوا ذلك وجربوه فقد تعذر عليهم»[٣٩] .

وقد ورد في المصادر ذكر للعمامة الرصافية التي كان يلبسها الخلفاء[٤٠] وقد يدل اسمها على المكان الذي كانت تصنع فيه ، وهو في الجانب الشرقي من بغداد .

يتردد في المصادر ذكر دار القطن في الجانب الغربي عند قطيعة الربيع التي كانت من اكبر المراكز التجارية والنشاط الاقتصادي ، وكان اسمها يطلق على محلة سكنها عدد من الفقهاء وعلماء الحديث ونسبوا اليها . غير ان المصادر لم تذكر سبب نسبتها الى القطن وهل كانت في الاصل محلا لبيعه ام لصنعه ، وما اذا كانت قد ظلت فيما بعد مركزا للقطن الخام او المصنوع[٤١] .

ويذكر الصابي انه في سنة ٣٨٩ «كان ابو نصر سابور قد حاول وضع العشر على ما يعمل من الثياب الابريسمات والقطنيات بمدينة السلام ، فثار اهل العتابيين وباب الشام من ذلك وقصدوا المسجد الجامع بالمدينة . . ومنعوا الخطبة والصلاة . . واستقر الامر على اخذ العشر من قيم الابريسمات خاصة . ونودي بذلك بالجانب الغربي من يوم الاحد . . وبالجانب الشرقي من يوم الاثنين ، وثبت هذا الرسم ورتب في جبايته ناظرون ومتولون ،

وافرد له ديوان على دار بالبركة ووضعت الختوم على جميع ما يقطع من المناسج ويباع ويختم»[42] . وواضح من هذا النص ان اهل باب الشام والعتابيين هم الذين كانوا يعملون هذه المنسوجات آنذاك في بغداد .

فأما باب الشام فهو احد الابواب الاربعة لمدينة المنصور المدورة ، وكان يقع في جهتها الشمالية الغربية ، وقد نشأت حوله محلة واسعة سميت باسمه وظلت مزدهرة حتى اواخر العصر العباسي ، ولم تنغمر بالفتن الطائفية التي شاركت فيها كثير من محلات الجانب الغربي .

اما المنطقة الواقعة وراء باب الشام ، اي في الجهات الشمالية الغربية فان ما فيها من قطاعات ومحلات ومعالم خططية ذكرته المصادر المؤلفة في اواخر القرن الثالث الهجري ، وقد اورد كل من اليعقوبي في كتاب البلدان ، وابن الفقيه الهمداني في الفصل الذي كتبه عن بغداد وسهراب فيما كتبه عن الانهار التي تأخذ من دجيل وتجري في شمالي المدينة المدورة[43]، اسماء كثيرة من الاقطاعات والمعالم الخططية في هذه المنطقة ، واشار اليعقوبي الى ازدحام هذه المنطقة واصول بعض سكانها وفيهم من اهل اليمامة ، والكوفة ، وخوارزم ، ومروالروذ ، وطخارستان وبخارى ، كما يذكر ان عند سوق باب الشام «تمتد في شارع عظيم فيه الدروب الطوال ، كل درب ينسب الى اهل بلد من البلدان ينزلونه في جنبتيه جميعا الى ربض حرب بن عبدالله البلخي . وليس ببغداد ربض اوسع ولا اكبر ولا اكثر دروبا واسواقا في الحال منه ، واهله اهل بلخ واهل الختل واهل بخارى واهل اسبيشاب واهل اشتاخنج واهل كابل شاه ، واهل خوارزم . ولكل اهل بلد قائد ورئيس»[44] ، وقول اليعقوبي «في الحال» يدل على انه يصف الوضع في زمن كتابة كتابه (اي حوالي سنة ٢٨٠ هـ) كما ان قوله ان «لكل اهل بلد قائد ورئيس» قد يدل على انهم كانوا قوة عسكرية ومع ان اليعقوبي يدعي ان «هذه القطائع والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على ما رسمت في ايام المنصور ووقت ابتدائها» الا انه يصعب موافقته على ان ما ذكره عن هذه المنطقة يرجع الى زمن المنصور (اي حوالي ١٥٠ هـ) لانه لا يوجد ما يدل على كثرة اهل هذه المدن في جيش المنصور . والواقع ان اليعقوبي يتابع كلامه فيقول ان هذه الخطط «قد تغيرت ومات المتقدمون من اصحابها وملكها قوم بعد قوم ، وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع ، وملك قوم ديار قوم ، وانتقل الوجوه والجلة والقواد واهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى في سنة ٢٢٣»[45] . ويبدو ان معظم سكان هذه

المنطقة استقروا فيها بعد خلافة المنصور ، وربما في خلافة الرشيد او بعده . ولم يرد في المصادر ذكر لقيام الصناعة في هذه المنطقة حتى اوائل القرن الرابع الهجري ، سوى ما ذكره اليعقوبي من ان درب الاقفاص الذي يقع في هذه المنطقة «متصل بدرب القصارين[٤٦]» . غير ان عدم ذكر المصادر للصناعات في هذه المنطقة لا يكون دليلا قاطعا على عدم قيامها انذاك ، لان مصادرنا لم تعن بذكر مراكز الصناعة .

لقد ذكرت من قبل قول الصابي ان اهل باب الشام والعتابيين احتجوا على فرض الضرائب على المنسوجات . فاما العتابية التي نسب اليها العتابيون فلم يرد لها ذكر في الكتب التي بحثت في خطط بغداد او اشارت اليها ، مما كتب منها او او اعتمد على رواة لها عاشوا عند اول او قبل بداية القرن الرابع الهجري ، كاليعقوبي ، وابن الفقيه الهمداني وابن طيفور ، وسهراب ، ووكيع الذين اعتمد عليها الخطيب في مقدمته الخططية . كما اني لم اجد لها ذكرا في الحوادث التي سبقت اشارة الصابي انفة الذكر . الامر الذي يدل على ان هذه المحلة لم تظهر ، او تشتهر ، الا بعد ذلك التاريخ .

ذكر الخطيب في تراجمه عددا ممن عاش او توفي في شارع العتابيين واقدم الذين ذكرهم هو ابو الحسين بن سمعون الذي توفي سنة ٣٨٧[٤٧]، اما الاخرون الذين ذكرهم فكانت وفاتهم بين سني ٤١٩ ـ ٤٤٥ هـ[٤٨] والواقع ان «العتابيين» يتردد ذكرها بعد هذا التاريخ ، وقد وصفها بعضهم بانها محلة ، وان فيها مسجدا . ولم يذكر اي مصدر اطلعت عليه هوية من نسبت اليه هذه المحلة[٤٩] .

ذكر الخطيب ان شارع العتابيين من المربعة[٥٠] وهي التي ذكرتها المصادر المؤلفة قبل القرن الرابع الهجري وكانت تقع بين الانبار وباب الحديد ، وبقربها قطائع الخوارزمية والبخارية والسرخسية والكوفيين واليماميين[٥١]، غير ان المصادر لم تشر الى تركز الصناعات والمناسج في هذه المنطقة في الفترة التي سبقت القرن الرابع كما اشرنا من قبل .

لقد ذكرنا من قبل ان مما اشتهرت به بغداد هو النسيج العتابي ، وهو نسيج مخطط ، يشبه بتخطيطه الحمر[٥٢]، وبطيخ الشمام[٥٣]، وهو ينسج ايضا في نيسابور واصبهان[٥٤] ويبدأ ذكره في اخبار الثلث الثاني من القرن الرابع الهجري حيث يروي ابن الجوزي ان سبكتكين صاحب عز الدولة خلف عشرة الاف ثوب دبيقي عتبي[٥٥]، كما روى ان بختيار اهدى ناصر الدولة الحمداني ثوبا عتابيا[٥٦]، كما اهدى طغرلبك ملك الروم ثيابا منها عتابية[٥٧] ، ويقول ابن جبير ان العتابي نسيج من حرير وقطن[٥٨] .

وبالقرب من العتابية نشأت دار القز ، وهي محلة يدل اسمها على انها كانت مركزا لمعالجة القز ، وربما نسجه ايضا ، فهي مركز صناعي للنسيج كمجاورتها العتابية ، ولكنها ايضا لم تذكر الا في اخبار القرن الخامس الهجري ، مما يدل على ازدهارها فيه ، كما ان عدم ورود ذكرها قبل ذلك التاريخ يدل على تأخر ظهورها .

ويذكر ياقوت ان دار القز صارت كالمدينة وعليها سور ، وانه كان يصنع فيها في زمنه الكاغد[٥٩] ، ولكن لم اجد في المصادر اشارة الى زمن ظهور صناعته في بغداد عموما ، وفي هذه المحلة خصوصا كما لم اجد في انواع الكاغد ما يسمى باسم هذه المحلة[٦٠] . ولعل تركز صناعة الورق في هذه المحلة وما يجاورها راجع الى توفر المواد الاولية من بقايا القطن ونفايته في هذه المنطقة .

ويلاحظ ان بالقرب من هذه المحلات كانت تقع دار الرقيق التي يذكر اليعقوبي انها ربض «كان فيه رقيق ابي جعفر الذين يباعون من الآفاق ، وكانوا مضمونين الى الربيع مولاه»[٦١] . ومن المحتمل ان هؤلاء الرقيق ، او عددا منهم ، كان يستخدم في الصناعات ايضا منذ زمن ابي جعفر ، وان وجودهم في هذه المنطقة كان من العوامل التي ادت الى تركزه نحو الصناعة في هذا القطاع .

ولابد ان وجود هذه المراكز الصناعية كان من عوامل نمو «الشارع الاعظم الماد الى الجسر الذي على دجلة ، وفيه سوق ذات اليمين وذات الشمال»[٦٢] .

اما الجانب الشرقي فلم تذكر فيه محلة او منطقة تركزت لصناعة النسيج كالذي حدث في الجانب الغربي ، ولكن المصادر ذكرت عدة قرى في شماليها كان في كل منها صناعة للنسيج مشهورة ومن هذه القرى الحضيرة «ينسج فيها الثياب والكرباس الصفيق ويحملها التجار الى البلاد»[٦٣] «وباقدرا بينها وبين بغداد اربعون ميلا ، وتعمل بها ثياب من القطن غلاظ صفاق يضرب اهل بغداد بها المثل»[٦٤] ، ويلاحظ انه كانت في هذه المنطقة عدة قرى مشهورة بالخمور منها القفص[٦٥] وصريفون[٦٦] .

لم تذكر المصادر غير هذه المراكز الصناعية في بغداد وما يجاورها ويلاحظ انها موزعة بين الجانبين ، ولا يعقل ان استهلاك كل منها اقتصر على اهل الجانب الذي قامت فيه . وان كثرة الاسواق في بغداد هو مظهر على ازدحام السكان وحاجتهم الى السلع وليس دليلا قاطعا على ازدهار الصناعة وتعدد مراكزها ، اذ ليس من الضروري ان تكون مراكز الصناعة متجمعة في مكان واحد او ان تكون قرب الاسواق . وكل هذا يقتضي تبادل السلع بين

الجانبين وضرورة تنظيم المواصلات بينهما .

التجارة بين اقاليم المشرق والمغرب :

لقد ذكرنا ان المصادر ذكرت ان ابا جعفر المنصور عند اختياره موقع عاصمته الجديدة راعى ارتباط هذا الموقع مع الشمال والجنوب بالمواصلات النهرية . غير ان لهذا الموقع اهمية كبيرة في المواصلات بين اقاليم المشرق واقاليم المغرب . فمن المعلوم ان اقاليم المشرق كانت منذ ازمنة قديمة غنية ببعض المحاصيل والمنتوجات المهمة للعراق ولاقاليم البحر المتوسط ، فضلا عما يمر بها من طرق تصل الصين واواسط اسيا بالغرب . وقد ازدادت اهمية الاتصال بين اقاليم المشرق بالمغرب بعد الفتح الاسلامي الذي وحد اقاليم الشرق الاوسط من اواسط اسيا حتى المحيط الاطلسي تحت ظل دولة واحدة نشرت الامن والاستقرار وازالت الحواجز والعقبات التي وضعتها الدول المتنافسة السابقة بوجه الانتقال ، وكانت الدولة الاسلامية تسير على مبدأ حرية التنقل والتجارة ، وكانت الاحوال فيها تقتضي زيادة هذا التنقل ، لان الاماكن المقدسة الرئيسة في الاسلام كانت في الحجاز الذي عاش فيه الرسول ومارس اعماله وطبق سنته وكان فيه اغلب الصحابة والتابعين الذين صاروا المصدر الرئيس للعلم بالدين والفقه ، ولا يخفى ان الحج الى مكة فريضة اسلامية واجبة .

ثم ان الدولة كانت تعتمد في صدر الاسلام على الجزيرة العربية لتجهيزها بالمقاتلة ولما كانت اقاليم المشرق تكون اطراف الدولة ، فان مقاتلتها الذين كانت بحاجة مستمرة لهم ، كانوا يأتون من الجزيرة الى تلك الاقاليم ، وكثير منهم كان يحتفظ بعلاقته مع عشيرته في الجزيرة ، وادى ذلك الى تزايد اهمية الطرق بين اقاليم المشرق والمغرب لتنقل الجند .

وقد ادى زوال الحواجز والعقبات امام التنقل ، وزيادة موارد اقاليم المغرب وخاصة الحجاز وبلاد الشام ، وارتفاع مستوى معيشة اهلها وتزايد قوتهم الشرائية الى زيادة طلب اهل هذه الاقاليم على سلع ومنتوجات اقاليم المشرق وكثرت في الاقاليم الغربية ، ولابد انه رافقها ازدياد نشاط القوافل وتنقل التجار وربما القيام بنشاطات اقتصادية اخرى .

وترتبط اقاليم المشرق بالمغرب عن طريقين رئيسين : جنوبي وشمالي ، فاما الطريق الجنوبي فهو الذي يمر بالبصرة وتأتي عنه منتوجات اقاليم جنوب الهضبة الايرانية وكابل اما الطريق الشمالي فهو الذي يمر بوسط العراق وتأتي عن طريقه بعض سلع الصين واواسط

اسيا وكذلك سلع اقليم خراسان والاقاليم التي في شمال ووسط الهضبة الايرانية وكلها اقاليم غنية وثيقة الصلة بالعالم الاسلامي .

والطريق الشمالي قديم الاستعمال ، كانت تسلكه القوافل ، وازدادت اهميته في العصر الروماني وخاصة بعد زمن اغسطوس ، وقد وصفه إيسيدور الكرخي في كتابه المشهور «المحطات الفرثية»(٦٧). وكان يدخل العراق من خانقين ويعبر دجلة من جسر المدائن ثم يتجه غربا الى الحيرة ، التي اقيمت قربها الكوفة ، او الى وادي الفرات حيث يذهب الى بلاد الشام . وكانت المدائن تتصل باقاليم شمال العراق وارمينية وبالمناطق الجنوبية من العراق عن طريق دجلة ، كما تتصل بافميم الشام عن طريق الفرات ونهر الملك . ولما كانت المصادر الاسلامية لم تذكر اي جسر على دجلة غير جسر المدائن ، فالراجح ان هذا الطريق هو الذي كان مستعملا في صدر الاسلام(٥).

غير ان تأسيس بغداد على مسافة ثلاثين كيلومتراً شمالي المدائن كان لابد ان يؤثر في نهايات هذا الطريق ، لكي يرتبط ببغداد بدل ارتباطه بالمدائن .

ثم ان الطريق البري الى شمالي العراق ، بما في ذلك سامراء والموصل ، كان يسير على الجانب الشرقي من دجلة .

وكل هذا يؤدي ان يكون الجانب الشرقي من بغداد هو المحطة الرئيسة لطريق خراسان والموصل ويستلزم انشاء جسر في منطقة بغداد لا لتيسير ربط الجانب الغربي بالشمال والشرق فقط ، بل ايضا لتأمين تنقل البشر والتجارات بين اقاليم المشرق والمغرب .

الصلات العسكرية بين الشرق والغرب :

اختار ابو جعفر المنصور موقع عاصمته في الجانب الغربي من دجلة ، ووضع بنفسه خطتها واسس تنظيمها ، وكان الجزء الرئيس فيها هو المدينة المدورة التي تقع قرب دجلة والصراة ، يفصلها عنهما رقعة صغيرة من الارض . وكانت لها اربعة ابواب متناظرة ليس فيها اي باب متعامد على دجلة . فالمدينة المدورة لم يتحكم في تخطيطها النهر ، ولم يكن في التخطيط الاول لابي جعفر المنصور ان يجري في المدينة المدورة او ارباضها اي نهر او قناة حتى للشفة والطواحين . وقد ظل هذا الوضع حتى نبهه بطريق الروم الى اهمية الماء في تشغيل الطواحين وفي سقي المزروعات التي تضفي على المدينة جمالا(٦٨). وقد استجاب

المنصور لملاحظة البطريق فجر الى المدينة المدورة ترعا تأخذ ماءها من الدجيل في الشمال ومن الصراة في الجنوب ، وكانت هذه الترع صغيرة وتجري في بعض الاماكن في قنى تحت الارض[٦٩] مما يقطع بانها لم تستعمل للمواصلات .

وقد جعل في المدينة المدورة حوالي خمسين شارعا منتظما تتفرع كلها من الساحة المركزية وتنتهي عند الاسوار ، فهي كمحاور العجلة ولا تتصل بالخارج . اما الارباض التي حول المدينة المدورة فكانت فيها طرق ودروب متعددة تتفرع باشكال غير منتظمة ، ولم تذكر المصادر انه جعل فيها شارعا عريضا وطويلا كالمحور .

وفي خلال السنوات الاولى من بناء المدينة كانت صلة الخليفة بالاقاليم الغربية اقوى ، فكان العراق اغنى اقليم تعتمد عليه الخلافة وتتفاعل معه ، كما حدثت في ارمينية واقاليم المغرب احداث اثارت الخلافة اكثر مما اثارتها الاحداث في اقاليم المشرق التي اقتصر في معالجتها على حملة قادها محمد المهدي ولي العهد ، وقضى اربع سنوات في معالجتها متخذا طوالها من الري مركزا له دون ان يحتاج الى امدادات جديدة من بغداد .

لذلك كان الخليفة ومستوطنو الجانب الغربي اشد اتصالا بالاراضي والاقاليم الغربية فيعتمدون عليها في سد مطالبهم دون حاجة شديدة الى الجانب الشرقي الذي بالامكان الاتصال به عن طريق القوارب والزوارق .

الصلة بين الجانبين :

غير ان الحاجة الى استيطان الجانب الشرقي ظهرت مبكرة ، فمن المعلوم ان ابا حنيفة وابن اسحق ، وهما من اعاظم العلماء الذين عاشوا في بغداد ، توفيا سنة ١٥٠ هـ[٧٠] ودفنا في مقبرة بالجانب الشرقي ، ولابد ان دفنهما في تلك المقبرة يرجع الى كونهما كانا عند وفاتهما يسكنان الجانب الشرقي ، وانهما لم يكونا وحدهما في هذه السكنى بل ان عددا آخر يصعب تقديره كان قد استوطن الجانب الشرقي . وتجدر الاشارة الى ان ابا حنيفة هو من اهل الكوفة في الاصل ، وان ابن اسحق هو من اهل الحجاز ، اي انهما من المهاجرة الى بغداد وليسا من قدماء سكانها .

يذكر الطبري بان الاعمار في الجانب الشرقي بدأ سنة ١٥١ ، وهو يذكر رواية عن الشروي في ان الرصافة بنيت على اثر قدوم المهدي من خراسان في تلك السنة ، ورواية اخرى عن محاولته قسمة جيشه كوسيلة للسيطرة عليه ، وافتعاله حادثة لتبرير نقل بعض

الجيش الى الجانب الشرقي ، ثم يقول بعد ذلك «وكان ذلك سبب البناء في الجانب الشرقي وفي الرصافة واقطاع القواد هناك»[71] غير ان هذا التاريخ قد ينطبق على بدء بناء الرصافة وبدء توزيع الاقطاعات ، اي على الزمن الذي بدأت به الخلافة «رسميا» اعمار الجانب الشرقي ، وهوزمن متأخر عن بدء سكن الناس فيه .

ويروي الطبري عن موسى بن محمد بن ابراهيم العباسي انه «تولى صالح صاحب المصلى القطائع في الجانب الشرقي»[72]، ويعدد اليعقوبي والخطيب اقطاعات الجانب الشرقي[73] غير ان الاقطاعات التي ذكراها قليلة العدد ، ومعظمها لرجال كان لهم دور بارز في خلافة المهدي او بعده ، مما يدل على ان المعلومات التي اورداها تعكس احوال فترة متأخرة عن سنة ١٥٠ التي لم يكن لمعظم هؤلاء المقطعين دور بارز فيها او فيما قبلها[74].

وذكر اليعقوبي الشوارع والاسواق التي تخترق الجانب الشرقي ، وهي تتفرع من باب الطاق الذي كان عليه الجسر . ويبدو من كلامه ان الجسر كان محور تنظيم الجانب الشرقي ، في حين ان المعلومات والدلائل الاخرى تشير الى ان جسر باب الطاق تأخرت اقامته ، ولا يوجد ما يدل على ان المنصور اراد ان يجعل التنظيم الخططي للجانب الشرقي قائما على الجسر . فالصورة التي تتكون من وصف اليعقوبي تنطبق على احوال فترة متأخرة عن زمن المنصور . كما لا يوجد ما يدل على ان المنصور جعل الجانب الشرقي قائما على تنظيم مقرر كالذي فعل في الجانب الغربي .

ويروي احمد بن محمد الشروي عن ابيه «ان المهدي لما قدم من خراسان امره المنصور بالمقام بالجانب الشرقي ، وبنى له الرصافة ، وعمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا ، واجرى له الماء ، فكان يجري الماء من نهر المهدي الى الرصافة»[75].

ويتبين من هذا النص ان المنصور هو الذي قرر توطين المهدي وجيشه في الجانب الشرقي وبنى له الرصافة ، وقد يفهم من سياق الكلام ان المنصور هو الذي وضع بنفسه تخطيط الرصافة ، وان محمد المهدي لم يكن له رأي نافذ في ذلك التخطيط ومما يؤيد ذلك ان المهدي لما ولي الخلافة لم يقم طويلا في الرصافة ، بل اقام في قصر الطين ثم في قصر السلامة بعيساباذ[76].

لم تذكر المصادر مساحة الرصافة او تفاصيل الخطط والمحال والدروب التي فيها كما هو الحال في المعلومات التي اوردتها عن المدينة المدورة في الجانب الغربي . غير ان النص الذي اوردناه اعلاه يبين ان الرصافة تتميز على المدينة المدورة من حيث ان فيها ميدانا

ويستانا ونهرا يدخل فيها .

تنقل العمال والصناع والمصلين :

ويبدو ان المنصور لم يهدف من استيطان الجانب الشرقي في ان ينشيء مدينة ثانية ، فان الطبري يذكر انه في سنة ١٥٩ «بنى المهدي مسجد الرصافة وفيها بنى حائطها وحفر خندقها»(٧٧) ويذكر الخطيب رواية عن يعقوب بن سفيان ان المهدي بنى المسجد الذي بالرصافة سنة ١٥٩(٧٨) . وقد يكون هذا هو المقصود بقول يحيى بن الحسن ان بناء الرصافة استتم سنة ١٥٩(٧٩) .

لقد كان البناء في الجانب الشرقي اقل منه في الجانب الغربي ، ومع هذا فقد استغرق حوالي تسع سنوات (١٥١ - ١٥٩) مما يدل على بطء العمل فيه ، وعلى انه كان يتم تدريجيا . ونظرا لصغر الجانب الشرقي وبطء العمل فيه ، فان العمال والصناع الذين عملوا في بناء الجانب الشرقي عددهم اقل من عدد من بنى الجانب الغربي ، غير انه ينبغي الا نبالغ في قلة عددهم وبالنظر لاتصال البناء واستمراره ، فلابد ان عددا من هؤلاء العمال والصناع كان يقيم دائميا في الجانب الشرقي ، وانهم جلبوا معهم اسرهم وعوائلهم ، كما ان عددا لايستهان به من غير العمال اخذ يستوطن هذا الجانب الذي صار يوفر مجال الرزق للكسبة .

غير ان عددا اخر ممن عمل في بناء الجانب الشرقي واعماره ، او وجد فيه الرزق ، ظلت اقامته الدائمية في الجانب الغربي ، فكان عليه ان يعبر النهر للوصول الى محل عمله .

ثم ان مستوطني الجانب الشرقي لم تنقطع صلتهم كليا مع اهل الجانب الغربي ، فقد كان للكثير منهم اقارب ومعارف في الجانب الثاني ، فكان لابد من عبور النهر عند الاتصال بين اهل الجانبين .

ويبدو ان المنصور عندما بدأ في بناء الجانب الشرقي لم يكن يعتزم ان يجعل منه مدينة مستقلة قائمة بذاتها او مركزا خليفيا رسميا . فكانت الرصافة متصلة بما حولها ، ولم يفصلها شيء حتى بنى لها المهدي سورا وخندقا عندما ولي الخلافة كما انها ظلت خالية من مسجد جامع الى ان ولي المهدي الخلافة فبنى الجامع . وقد تطلب وجود جامع واحد في الجانب الغربي للجمعة ان يعبر الحريصون على صلاة الجمعة من اهل الجانب الشرقي الى الجانب الغربي كل جمعة على الاقل . كما ان تركز الدواوين والمؤسسات الادارية استلزم

مستخدميها ومراجعيها من اهل الجانب الشرقي ان يعبروا النهر للوصول اليها .

مراكز الادارة :

ان بناء المهدي على اثر توليه الخلافة ، جامع الرصافة وخندقها وسورها يعبرّ عن عزمه على جعل الجانب الشرقي مدينة مستقلة عن الجانب الغربي ، وقد ظل جامع الرصافة هو الوحيد في الجانب الشرقي ، وثاني اثنين في بغداد حتى عودة الخلفاء من سامراء في اواخر القرن الثالث الهجري . وقد احتفظ جامع الرصافة باهميته وظل بناؤه قائما عامرا حتى بعد ان اندثرت كافة الابنية حوله في اواخر القرن الرابع الهجري . وكان هذا الجامع من مراكز الحياة الفكرية ، فكان عدد غير قليل من العلماء البارزين يلقون دروسهم فيه ، الامر الذي يحمل من يريد الاستماع لهم او الاتصال بهم من اهل الجانب الغربي الى عبور النهر للوصول الى الجامع .

ان بناء القصر في داخل الرصافة ، واحاطتها بالسور والخندق جعلها مفصولة عن باقي اراضي الجانب الشرقي بحاجز مادي يحددها ويمنع توسعها ، ويؤثر في جعل الحياة فيها معزولة عن الحياة في اطرافها . وقد احتفظ قصر الرصافة بطابعه «الملكي» حتى بعد ان ترك الخلفاء الاقامة فيه ، او انه ظل مسكونا يقيم فيه عدد من كبار افراد الاسرة العباسية ، وخاصة النساء . وبوجود القصر في وسط الرصافة واحاطتها بالسور والخندق ، اصبحت الرصافة قريبة الشبه بمدينة المنصور المدورة في الجانب الغربي ، من حيث انها اصبحت مدينة مسورة في وسطها جامع بلصقه قصر خليفي وحولها ربض مكشوف .

غير ان المهدي لم يقم طويلا في الرصافة ، ففي سنة ١٦٣ انتقل الى قصر الطين ، وفي السنة التالية انتقل الى قصر السلامة في عيساباذ التي كان فيها مقامه ومقام ابنه موسى الذي تلاه في الخلافة . وفي خلافة الرشيد والامين عاد الخلفاء الى الجانب الغربي ، غير ان المأمون لما عاد الى بغداد استقر في الجانب الشرقي واقام في قصر بناه على بعد من الرصافة ، ولما عادت الخلافة من سامرا استقرت في القصر الحسني القريب من قصر المأمون ، وقد نما هذا المركز الجديد فاصبح دار الخلافة وظل كذلك حتى سقوط الخلافة العباسية .

يتبين من هذا ان الجانب الشرقي ظل مركز الخلافة منذ زمن المهدي ، الا في فترات محدودة غير ان مقام الخلفاء في الجانب الشرقي لم يكن مستقرا في العهود الاولى ، فقد تنقل من قصر الرصافة الى قصر الطين فعيساباذ فقصر المأمون فالحسني وكان التنقل نحو

الجنوب ، ولكنه عموما لم يبعد عن ضفاف النهر .

ان بناء الجانب الشرقي ونمو الاعمار فيه وتزايد سكانه تطلب قيام مؤسسات ادارية لمعالجة القضايا والمشاكل التي قد تظهر بين اهله ، وخاصة فيما يتعلق بالامن والقضايا والجباية ويبدو من الاشارات القليلة التي وردت في المصادر ان الادارة ببغداد كان لها مركز واحد في السنين الاولى ، ولم تظهر المؤسسات المزدوجة في كل جانب الا بعد امد غير قصير . وكان وجود مركز واحد للمؤسسات في بغداد يتطلب تنقل ذوي المصالح والموظفين وعبورهم الى الجانب الذي كانت فيه المؤسسات ان كانوا من اهل الجانب الثاني .

حاشية الخليفة وحرسه والدواوين :

غير ان التنقل بين الجانبين كان اشد تأثرا بتنقل مقام الخلفاء ومراكزهم . فالخليفة باعتباره رأس الدولة والمسؤول الاكبر عن ادارتها وعن ما يتصل بها من الدواوين المركزية ، كان يرتبط به شخصيا عدد من الجند والحرس والحاشية والاتباع ، فضلا عن الدواوين المتصلة به ، وقد ذكرت المصادر التنقلات التي حدثت في مقام الخلفاء الاولين لا بين الجانبين فحسب ، بل وفي عدة اماكن من الجانب الواحد ايضا ،وان هذا التنقل كان يصحبه انتقال المتصلين بالخليفة والمراجعين له تبعا لتنقله . ومن البديهي ان الذين يعيشون في قصر الخليفة من افراد اسرته وخدمه وعبيده وجواريه ، كانوا يتبعون الخليفة وينتقلون بانتقاله ثم يستقرون في سكناهم معه .

والمفروض ان الحرس الخاص للخليفة ينتقلون معه ويقيم في او قرب قصره . غير ان افراد الحرس ، وهم احرار وليسوا رقيقا ، كانت لهم اسر متصلة بهم ، والراجح ان اسر الحرس لم تكن تقيم في قصر الخليفة او قربه لان ذلك يعرض الخليفة الى كشف حياته الخاصة واثارة الحسد واحتمال التجسس على حياته الخاصة ، فضلا عن اثره في تشويه الحياة والجمال حول القصر ، غير ان عدم سكن اسر الحرس في قصر الخليفة او حوله لا يعني انها جميعا ظلت في اماكن سكناها الاولى ، والراجح ان عددا غير قليل منهم انتقلوا الى الجانب الذي كان يقيم فيه الخليفة ، وان عددا اخر ظل مقيما في اماكنه القديمة في الجانب الغربي . وفي كلتا الحالتين ينشط عبور النهر ، اما عند نقل اسر او اثاث افراد الحرس ، او عند تنقل هؤلاء الافراد او اسرهمَ اذا كان مقام الاسر في غير الجانب الذي تقتضي واجبات الحرس اقامتهم فيه .

وينطبق على الجند المتصلين بالخليفة ما ذكرناه عن الحرس في تنقلهم واسرهم بين

الجانبين .

وعندما بنى المنصور المدينة المدورة واعمر الجانب الغربي ، جعل الدواوين في داخل المدينة المدورة ، واقطع من كان عليها قطائع قريبة من دواوينهم خارجها ويبدو ان معظم الكتاب استوطنوا محلة الانباريين على الصراة قرب باب البصرة خارج المدينة المدورة . والراجح ان قرب الدواوين من مقام الخليفة وقرب سكن الكتاب من الدواوين ظل طيلة حياة المنصور ، اما الكتاب الرئيسيين الذين كانوا يقومون بعمل الوزارة ، فكانت لكل منهم اقطاعات في الارباض التي حول المدينة وخاصة في شماليها ، فمساكن هؤلاء «الوزراء» غير بعيدة عن قصر الخليفة ولا يحتاج الاتصال بينهما الى عبور النهر .

غير ان المهدي اقام عندما ولي الخلافة ، في الجانب الشرقي ، في الرصافة اولا ثم في عيساباذ فيما بعد . اي انه نقل مقام الخلافة الى الجانب الشرقي الذي لم يستقر فيه مكان واحد ، وكان لوزرائه والمقربين اليه اقطاعات في الجانب الشرقي ، الامر الذي يدل على سكناهم في ذلك الجانب قريبا من الخليفة .

اما الدواوين فليست لدينا نصوص واضحة عن مواقعها في زمن المهدي ، والراجح انها انتقلت الى الجانب الشرقي الذي لم يكن يتم بدون عبور النهر . والواقع ان الدواوين اذا كانت قد بقيت في زمن المهدي والهادي في الجانب الغربي فان ذلك كان يتطلب عبور الوزراء والكتاب باستمرار للتوفيق بين الاتصال بالخليفة والاشراف على سير الدواوين اما اذا كانت الدواوين قد انتقلت الى الجانب الشرقي ، فان انتقالها يستلزم نقل الكتاب محل سكناهم ليكونوا بقربها ، او تنقلهم باستمرار اليها اذا ظلوا يقيمون مع اسرهم في الجانب الغربي . ومن المعلوم انه كان يستخدم في الدواوين كتاب يختلف عددهم وتنظيمهم ومقدار رواتبهم باختلاف الدواوين ومراكزهم فيها ، وهم يتميزون بالبستهم وبالتقاليد التي يسيرون عليها في حياتهم وفي اساليب عملهم . وكان عملهم يوميا ومنتظما ويخضع الى اشراف دقيق ودخلهم محدود ، فكان راتب الرؤساء منهم ثلاثمائة درهم في الشهر ، وراتب الاعتياديين ثلاثين درهما[٨٠] في الشهر وهو مبلغ لا يمكن من حياة مادية مترفة فضلا عما يهددهم من اخطار العزل والبطالة ، وكان هذا يقضي عليهم الاقامة بقرب دواوينهم وان تيسر لهم وسائل الوصول الى دواوينهم .

يتبين من كل ما ذكرنا ان الحاجة الى عبور دجلة لتأمين الاتصال بين الجانبين قد بدأت منذ اوائل تأسيس بغداد في الجانب الغربي ، غير انها اتسعت بعد اعمار الجانب

الشرقي ، وازدادت شدة على اثر نقل الخلفاء مراكز اقامتهم من جانب لاخر . وكانت هذه الحاجة شاملة ، ولكن بدرجات متفاوتة ، لانواع متعددة من المنتوجات الغذائية والسلع التجارية ، وذلك لاصناف كثيرة من الناس ، وخاصة العمال والصناع واصحاب الاعمال والكتاب والموظفين والحرس والجند . ولاريب في ان ازدياد عدد المتصلين بالحكومة ممن يتطلب عملهم التنقل بين جانبي بغداد القى على الحكومة مسؤولية تنظيم هذا الانتقال .

عندما اسس المنصور مدينة السلام في الجانب الغربي من بغداد ، لم يضع في تخطيطه الاول لها انشاء جسر على دجلة ، فلم تذكر المصادر انه جعل على هذا النهر موقعا تتفرع منه طرق ، او انه شيد عليه ما يمهد لبناء جسر ، فقد جعل قصره والجامع في وسط المدينة المدورة التي كان يفصلها عن النهر شريط من الارض اقطعه لبعض اولاده وكان يقابل النهر بعض سور المدينة ، ولم يجعل فيه بابا مواجها لدجلة ، كما لم يسم اي باب باسم دجلة . وكان اثنان من ابواب المدينة الاربعة ، هما باب خراسان وباب الشام لايقع اي منهما مواجها للنهر ، بل كانا منحرفين عنه .

ودجلة في المنطقة التي بنيت فيها بغداد مجراه بطيء نسبيا ، وخاصة في مواسم انخفاض الماء التي لا تقل عن تسعة اشهر في السنة ، وشواطئه ترابية رخوة معظمها بطيئة الانحدار ولا تكون جروفا عالية . ومجراه محصور مستقيم تقريبا ليس فيه التواءات حادة كثيرة ، بل توجد فيه انحناءات تدريجية قليلة ، مما يجعل الاماكن الشديدة التيار فيه قليلة . وكانت فيه بعض الجزر ابرزها جزيرتان اولاهما قريبة من الضفة الغربية عند دار عبدالله ابن طاهر ، وكانت كبيرة ذكرت المصادر انه اجتمع فيها عدد كبير من الناس[٨١] وعسكر فيها بعض الجيش .

والجزيرة الثانية قرب الشاطىء الشرقي عند بستان ام موسى في المخرم ، وقد ذكرها ابو يوسف في كتاب الخراج كمثل للجزر التي تظهر في الانهار ، ونصح بعدم السماح في البناء فيها ، لان ذلك يضر بالابنية التي على شاطىء النهر[٨٢] .

وتقع على شواطىء دجلة بعض القصور التي كان للكثير منها مسنيات ، اي حيطان عمودية تقريبا على النهر لحماية القصر من مياه الفيضان . غير ان الناس عموما لم يفضلوا بناء بيوتهم على الشاطىء ، ولذلك فان معظم قصور وبيوت الكبار والاغنياء كانت بعيدة عن النهر وليست عليه ، ولعل من اهم اسباب ذلك الامن ، اذ ان الدور الشاطئية اذا كانت فيها فتحات وشبابيك فانها تتعرض للسرقة والغرق ، واذا لم يكن فيها ذلك فان فائدة

النهر لها تنعدم . وكانت الجوامع الرئيسة والمساجد والدواوين لا تقع على الشاطىء ، الا القليل منها في العهود العباسية المتأخرة . وقد وزع ابو جعفر معظم الاراضي الواقعة على دجلة اقطاعات للعباسيين . وقد اجمل وصف ذلك ابن عرفه فيما نقله عنه الخطيب بقوله «واما شاطىء دجلة فمن قصر عيسى الى الدار التي ينزلها في هذا اليوم على قرن الصراة ابراهيم بن احمد فانما كانت اقطاعا لعيسى بن علي - يعني ابن عبدالله بن عباس - واليه ينسب نهر عيسى وقصر عيسى ، وعيسى بن جعفر وجعفر بن ابي جعفر ، واليه ينسب فرضة جعفر . . واما شاطىء دجلة من قرن الصراة الى الجسر ، ومن حدا الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ثم صارت لاحمد بن ابي اسرائيل ثم هي اليوم بيد خاقان المفلحي الى باب خراسان فذلك الخلد ، ثم ما بعده الى الجسر فهو القرار نزله المنصور في آخر ايامه ثم اوطنه الامين»[٨٣]. ويقول في مكان اخر «واما شاطىء دجلة من الجانب الشرقي ، فاوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت ، ودار دينار ودار رجاء بن ابي الضحاك ، ثم منازل الهاشميين ، ثم قصر المعتصم وقصر المأمون ، ثم منازل آل وهب الى الجسر كانت اقطاعا لناس من الهاشميين ومن حاشية الخلفاء»[٨٤].

يظهر مما سبق ان شواطىء دجلة نظرا لتدرج انحدارها وقلة جروفها ورخاوة تربتها تصلح لتكون فيها المشارع اي الاماكن التي ترسو فيها القوارب والزوارق التي تفضل المياه الهادئة والشواطىء القليلة الانحدار . ولا ريب في ان وجود القصور يعرقل انشاء المشارع ، لان لمعظم القصور مسنيات ، ولان اصحاب القصور يفضلون ان تكون المشارع قريبة منهم وليست في دورهم ، ولعل هذا من الاسباب التي لم تسم - بسببه - اية مشرعة في بغداد باسم صاحب قصر او متنفذ ، اللهم الا فرضة جعفر . غير انه يجدر ان نلاحظ ان القصور لم تشغل كل شواطىء دجلة ، فكانت فيها اماكن تصلح للمشارع .

القناطر والجسور :

مهما كانت الخدمات التي تؤديها والاغراض التي تحققها الزوارق في النقل النهري بين جانبي بغداد فانها لا تكفي للتعويض عن اقامة معابر ثابتة ، حيث ان الكلفة العامة للنقل في هذه المعابر ارخص وعدد الايدي العاملة فيها اقل ، ثم انها بتحدد موقعها وثباتها تكون قاعدة لتنظيم المواصلات وحياة الناس وتنقلاتهم .

والمعابر الثابتة التي يتردد ذكرها في المصادر العربية هي اما قناطر او جسور ،

فالقنطرة : «ازج يبنى بالآجر وبالحجارة على الماء يعبر عليه»[٨٥]اما الجسر فيبنى عادة من الخشب على قوارب ضخمة تثبت بسلاسل ويصف عليها الواح الخشب ليتيسر السير عليها وعبورها ، وقد ورد في اخبار خطط بغداد ذكر عدد من القناطر على الترع والانهار الصغيرة ، بعضها مسماة باسم المحلة التي اقيمت فيها ، او النهر الذي نصبت عليه ، ولكن كثيرا منها سميت باسماء اشخاص لم تذكر الكتب التي اهتمت بذكر رجال السياسة والادارة والحرب ، او العلماء شيئا عنهم ، ولذلك لا نستطيع الجزم بسبب هذه التسميات ، وهل انه راجع الى ان الشخص الذي سميت به القنطرة هو رجل محلي مشهور في المنطقة ، ام انه باني القنطرة .

اما الجسور الكبيرة على دجلة فكلها مما انشأه الخلفاء او اصحاب السلطة في بغداد ، وتكون اقامتها وصيانتها والعناية بها من عمل الدولة نظرا لكلفتها ولتأديتها الخدمات العامة للناس وتحقيقها بعض اغراض الحكومة لنقل الجند ومستخدمي الحكومة . وكانت كلفتها في سنة ٣٠٦ هـ ، وهي الوحيدة التي وصلتنا في ذلك ثلاثمائة دينار في الشهر[٨٦] .

يجري دجلة في منطقة بغداد في ارض تربتها رسوبية رخوة خالية من الصخور والحصى ، ويسير مجراه في منخفض من الارض غير عميق ، وبعض مناطق مجراه عريضة واسعة ، وبعضها ضيقة نسبيا وذات جروف عالية خاصة في فصل الصيف الحار وبذلك تكون اشد ملاءمة لنصب الجسور ، وهي مناطق غير قليلة فكانت تنشأ عندها الجسور . ومثل هذه الطبيعة الجغرافية تجعل بالامكان عدم التقيد بنقطة واحدة في انشاء الجسر ، بل الاختيار بين اكثر من بقعة او انشاء اكثر من جسر واحد عبر دجلة ، وان يكون العامل الاساس في انشاء الجسور هو الاحوال الادارية ، او الاجتماعية والاقتصادية .

جسور ابي جعفر :

كان هدف ابي جعفر المنصور من انشاء بغداد واضحا محددا ، وهو ان يتخذ منها مقرا ثابتا لنفسه واهله وحاشيته وحرسه ودواوينه ومع انه ادرك القابلية الجغرافية لهذا الموقع ان يتوسع فيصبح مركزا حضريا كبيرا ذا نشاط اقتصادي واجتماعي واسع ، الا انه اهتم في البداية ان يجعله مركزا اداريا محصنا مكتفيا بذاته ، وقد وضع بنفسه تخطيط المدينة الجديدة وجعله بالشكل الذي يحقق اغراضه .

وقد اختار المنصور انشاء مدينته في الجانب الغربي ، وكان اهم ما فيه هو المدينة المدورة التي احتوت قصره ودواوينه والمسجد الجامع ومقام شرطته وحرسه ، وهي محاطة بسور محكم له اربعة ابواب تحكمت فيها التخطيطات الداخلية للمدينة ، ولم يجعل فيها

شارعا او بابا متعامدا على النهر ، بل كانت المنطقة المواجهة للنهر يمتد فيها سور بين باب البصرة وباب خراسان ، وكلاهما منحرف عن النهر ، ويحصر بين السور وشاطىء النهر شريط ضيق من الارض توزعت ارضه اقطاعـات بني على كـل منها قصـر لاحد اولاد المنصور ، فلم تنشأ فيها محلة او يقام فيها سوق ، اي انها لم تكن مركزا لنشاط سكاني او اقتصادي قد يستلزم انشاء جسر فيها .

وكان اهتمام ابي جعفر عند انشاء بغداد منصبا على الجانب الغربي ، فعمل على ان يعتمد في معاشه على ما تنتجه المنطقة الواقعة حوله ، اي في الجانب الغربي ، وهي منطقة خصبة غنية بمنتوجاتها ومرتبطة بالاقاليم الشمالية والغربية والجنوبية ، ولم يراع في تخطيطه الاعتماد الكبير على الجانب الشرقي . والواقع ان اعمار الجانب الشرقي تأخر عن تأسيس المدينة المدورة ، فلم تكمل الرصافة وجامعها الا في سنة ١٥٩ ، اي بعد ان مر على تحول المنصور الى المدينة الجديدة اربع عشرة سنة حدثت خلالها تطورات كبيـرة ، حيث نمى الاعمار في الجانب الغربي وازداد سكانه واتسع النشاط الاقتصادي فيه ، وتوسعت علاقاته بالجانب الشرقي ، وبذلك ظهرت الحاجة الى ربط الجانبين وانشاء الجسور بينهما .

الجسور الاولى :

ورد على الجسور الاولى نص رواه كل من الخطيب ، وابن الجـوزي وابن الفقيه الهمداني ، ولكن في رواياتهم بعض الاختلافات .

فاما الخطيب فانه يذكر بسنده عن محمد بن خلف «قال احمد بن الخليل ابن مالك عن ابيه قال :

كان المنصور قد امر بعقد ثلاثة جسور : احدهما للنساء ، ثم عقد لنفسه وحشمه جسرا بين باب البستان وكان بالزندورد جسران عقدهما محمد .

وكان الرشيد قد عقد عند باب الشماسية جسرين .

وكان لابي جعفر جسر عند سويقة قطوطا .

فلم تزل هذه الجسور الى ان قتل محمد ، وبقى منها ثلاثة الى ايام المأمون ، ثم عطل واحد»[٨٧] . وقد نقل ابن الجوزي هذا النص ، واشار الى نقله اياه من الخطيب ولكنه ذكر ان جسري الزندورد عقدهما المهدي ، كما انه اكتفى من الجملة الاخيرة من النص بقوله : «فلما قتل الامين عطلت»[٨٨] .

اما ابن الفقيه فقد روى هذا النص كما يلي :

«قال الخليل بن مالك[89] كان المنصور قد امر بعقد ثلاثة جسور ، جسر يعبر عليه ، وجسر يرجعون منه ، وجسر في الوسط للنساء . وعقد بعد ذلك بباب البستان جسرين ، جسر له ولولده ، وجسرا لخدمه وحشمه .

وعقد الرشيد بعد ذلك عند باب الشماسية جسرين .

وكان لام جعفر جسر عند مشرعة فرج الرخجي بالقرب من سويقة قطوطا .

فلم تزل هذه الجسور قائمة الى ان قتل محمد بن زبيدة ، ثم عطلت الا الثلاثة التي عند مجلس الشرطة فانها باقية الى وقتنا هذا[90]».

وعند مقارنة الروايات الثلاث يتبين .

١ - لم يذكر الهمداني جسري الزندورد ، ولعل ذلك سقط من الناسخ . وذكر ابن الجوزي ان باني هذين الجسرين هو المهدي ، وبذلك ازال الالتباس في نص الخطيب عندما ذكر ان بانيهما هو محمد ، الذي قد يكون المهدي ، او الامين .

٢ - ان كلا من الخطيب والهمداني ذكر ان المنصور بنى خمسة جسور ، اثنان منها في باب البستان ، ولكن نص الهمداني اوسع حيث بين خصائص واغراض كل جسر .

٣ - ذكر الخطيب ان الجسر الذي عند سويقة قطوطا عقده ابو جعفر . اما الهمداني فذكر ان الذي عقده هو ام جعفر ، ولا ريب في ان تنظيم سياق النص يرجح رواية الهمداني .

٤ - ان الخطيب يذكر انه بعد مقتل الامين بقيت ثلاثة جسور ، ثم عطل واحد ، اي انه بقى بعد المأمون جسران .

اما الهمداني فيذكر ان الجسور الثلاثة ظلت الى زمن الخليل بن مالك .

وعند تنسيق روايتي الخطيب وابن الفقيه الهمداني يمكن ان نصنف الجسور الاولى الى المجموعات التالية :

١ - المجموعة الاولى عقدها المنصور ، وتتكون من ثلاثة جسور احدها للذهاب ، والثاني للاياب ، والثالث للنساء . ولم يذكر الخطيب موقع هذه الجسور ، غير انه ذكر انها بقيت بعد ان عطل منها واحد في زمن المأمون . اما ابن الفقيه فذكر ان هذه الجسور الثلاثة المنصوبة القديمة التي عند مجلس الشرطة ، فانها باقية الى وقتنا هذا .

٢ ـ المجموعة الثانية ، وهي الجسران اللذان عند باب البستان ، احدهما له ولولده ، والثاني لخدمه وحشمه .
٣ ـ المجموعة الثالثة وهي الجسران اللذان بالزندورد ، وعقد عقدهما المهدي ،
٤ ـ المجموعة الرابعة وهي جسرا الرشيد عند باب الشماسية .
٥ ـ المجموعة الخامسة وهي جسر ام جعفر عند سويقة قطوطا .

وجسور كل من هذه المجكوعات متقاربة وفي موقع واحد ، وبذلك يمكن اعتبار كل منها «جسرا واحدا» تيسيرا للبحث .

لم يحدد النص بدقة تاريخ انشاء هذه الجسور ، علما بان كلا من المنصور والرشيد ظل في الخلافة زهاء عشرين عاما ، وان كلا من المهدي والامين ظل في الخلافة زهاء خمسة اعوام .

ويلاحظ ان المجموعة الاولى تتكون من ثلاثة جسور ، وان المجموعة الخامسة تتكون من جسر واحد ، اما المجموعات الثلاث الاخرى فيتكون كل منها من جسرين . وقد حدد النص اغراض كل من الجسور التي عقدها المنصور ، فاما المجموعة الاولى فأحد جسورها للذهاب ، والثاني للاياب ، والثالث وهو الوسط للنساء .

واما المجموعة الثانية فهي جسران احدهما لنفسه ولولده ، والثاني لخدمه وحشمه . اما جسرا كل من المجموعتين الاخريين فلم يحدد النص الغرض من كل منهما . وصراحة النص تنفي اي زعم بان كل مجموعة كانت جسرا واحدا قسم الى ثلاثة اقسام لغرض تنظيم السير فيه .

غير ان حرفية النص تثير بعض التساؤلات ، ومنها :

١ ـ ما هي الأسباب التي دفعت الى انشاء جسرين ، اوثلاثة ، في مكان واحد بدلا من انشاء جسر واحد ؟ هل ان ذلك راجع الى قصور في فن بناء الجسور ، كعدم اتقان انشاء قوارب ضخمة تكفي للجسر الكبير؟ ام انه لاغراض امنية وتنظيمية ، وان ما ذكر عن المجموعة الاولى التي احد جسورها للذهاب والاخر للاياب ينطبق على جسور المجموعات الاخرى ؟

٢ ـ ان ادعاء النص ان جسري المجموعة الثانية كان احدهما للخليفة ولولده ، والثاني لخدمه وحشمه ، يعني انها كانت جسورا خاصة للخليفة وتوابعه وليس للعامة ، وهذا لا ينسجم مع الاتجاهات السياسية العامة للخليفة المنصور ، فهل ان النص

دقيق ومنطبق على الواقع ؟ وهل ان جسري المجموعتين الثالثة والرابعة كانت لنفس الاغراض ؟ علما بان المجموعة الاولى التي عند درب سليمان لم تذكر المصادر التالية انها كانت ثلاثة جسور ، بل تردد انها جسر واحد . فهل ان هذا يعني ان النص غير دقيق ، ام ان جسور المجموعة الاولى ، على الاقل ، ادخلت عليها تغييرات فيها بعد فصارت جسرا واحدا .

لقد بينا ان نص الخطيب لم يذكر موقع جسور المجموعة الاولى كما لم يصرح بالمجموعة التي بقيت جسورها بعد المأمون ، اما ابن الفقيه فقد نص ان الجسور عطلت «الا الثلاثة المنصوبة القديمة التي عند مجلس الشرطة فانها باقية الى وقتنا» . ومعنى هذا ان هذه الجسور عند درب سليمان ، وستتحدث عنها فيما بعد بتفصيل اوفى .

اما المجموعة الثانية فقد اتفق الخطيب وابن الفقيه على انها كانت في باب البستان ، ويظهر سياق النص ان هذا الموقع كان ثابتا مشهورا في تاريخ كتابة النص ، غير ان النص لم يذكر في اي من جانبي بغداد يقع باب البستان ، ولا اسم المكان الذي امتد اليه الجسر في الجانب المقابل ، ولما كانت المصادر لم تذكر بستانا مشهورا ، او باب بستان في الجانب الغربي[٩١]، فلابد ان يكون باب البستان هذا يقع في الجانب الشرقي من بغداد .

اما في الجانب الشرقي فان الخطيب ذكر باب البستان فيه في عدة مواضع من كتابه[٩٢]. غير انه لم يذكر اسم البستان الذي نسب اليه هذا الباب ، كما انه لم يشر الى موقعه بدقة .

وذكرت بعض كتب التاريخ باب البستان وما فيه من معالم . فقد ذكر الصابي ان فيه دار علي ابن عيسى[٩٣]، وذكر مسكويه ان فيه دارا لابن مقلة[٩٤]. وذكر الصابي في موضع من كتابه ان دار علي بن عيسى تقع في بستان الزاهر[٩٥]، كما ذكر ابن الجوزي ان دار ابن مقلة في ذلك البستان ايضا[٩٦]، وهذا يقطع بان البستان الذي نصب الجسر ببابه هو بستان الزاهر . وذكر سهراب موقع بستان الزاهر حيث ذكر ان نهر موسى يمر «ملاصقا لقصر المعتصم الى ان يخرج الى الشارع الاعظم ، ثم يخرج الى شارع عمرو الرومي ، ثم يدخل بستان الزاهر فيسقيه ، ثم يصب في دجلة اسفل البستان بشيء يسير»[٩٧]. ويتبين من وصف سهراب

لانهار الجانب الشرقي ان بستان الزاهر يقع اسفل المخرم ، ولما كان موقع المخرم عند العيواضية الحالية ، فيكون البستان الزاهر عند موقع مدينة الطب او وزارة الدفاع ويكون موقع المجموعة الثانية من الجسور ، عند جسر باب المعظم الحالي .

ذكر يعقوب بن سفيان الفسوي انه في «سنة ١٥٧ ابتنى ابو جعفر قصره الذي يعرف بالخلد ، وفيها عقد الجسر عند باب الشعير»[٩٨] .

ومن المعلوم ان باب الشعير تقع في الجانب الغربي ، وهي تقابل بستان الزاهر ، كما حددنا موقعه اعلاه ، لذلك يمكن القول ان هذا الجسر هو نفس جسور المجموعة الثانية التي ذكرها الخليل بن مالك وبين مواقعها بالنسبة للجانب الشرقي . وبالنظر لاهمية هذا الجسر الموازية لاهمية سابقه ، فاننا نرجيء الكلام عنه الى ما بعد استكمالنا الحديث عن جسور المجموعات الثلاث التي ذكرها الخليل بن مالك .

لقد ذكرنا ان الخليل بن مالك ، فيما نقله عنه الخطيب وابن الجوزي ذكر ان الخليفة محمد المهدي كان له جسران بالزندورد ، وانهما مما تعطل على اثر مقتل الامين ، ولم يرد ذكر هذا الجسر في النص الذي رواه ابن الفقيه الهمداني الذي اشار الى زوال كافة الجسور ما عدا التي عقدها المنصور .

فاما الزندورد التي كان الجسران فيها ، فقد ورد ذكرها في نصين ، احدهما للخطيب حيث قال «ان المعتمد والمعتضد والمكتفي ماتوا بالقصور من الزندورد»[٩٩] فمن المعلوم ان هؤلاء الخلفاء وافاهم اجلهم في القصر الحسني الذي كانوا يقيمون فيه[١٠٠]، وهذا يظهر ان الزندورد هي المنطقة التي كان فيها القصر الحسني ودار الخلافة التي موقعها عند شارع البنوك حاليا . اما النص الثاني فهو الذي رواه ياقوت عن الشابشتي حيث قال «الزندورد في الجانب الشرقي من بغداد ، وحدها من باب الازج الى الشفيعي ، وارضها كلها فواكه واترج واعناب ، وهي من اجود الاعناب التي تعصر ببغداد»[١٠١] .

ومن المعلوم ان باب الازج يقع عند مرقد الشيخ عبدالقادر ، وذلك يقتضي ان يكون موقع هذا الجسر من الجانب الغربي بين موقع الشواكة والصالحية ، اي انه جهة جسر الاحرار.

يذكر النص ان المهدي انشأ هذا الجسر لنفسه ، اي لخدمة اغراض محدودة

بالخليفة وليس للاغراض العامة ، خاصة وان اعمار الجانب الغربي لم يتجاوز في العصور العباسية نهر عيسى الذي كان يصب قرب جسر الشهداء الحالي ، جعل فوائده العامة محدودة ، ولعل هذا من اسباب تعطله بعد فترة وجيزة من عقده ، وانه لم يعقد مكانه بعد ذلك اي جسر .

اما المجموعة الرابعة فهي جسرا باب الشماسية اللذان عقدهما الرشيد ، وموقعها يقتضي ان تكون نهايتها الغربية عند قطيعة ام جعفر اي قرب المحيط في الكاظمية . ولاريب في ان هذه المجموعة يمكن ان تخدم اغراضا عامة لانها تصل بين منطقتين كانتا مزدهرتين ، وهما الشماسية وقطيعة ام جعفر ، كما انها تيسر اتصال الجانب الغربي بطريق خراسان وطريق سامراء اللذين كانا يمران بجهة الشماسية .

اما المجموعة الخامسة فهي الجسر الذي عقدته ام جعفر «عند سويقة قطوطا» في نص الخطيب ، او «عند مشرعة فرج الرخجي بالقرب من سويقة قطوطا» في قول ابن الفقيه الهمداني .

فاما سويقة قطوطا فقد ذكر الطبري ما يحدد موقعها حيث قال في كلامه عن الاضطراب ببغداد سنة ٢٥٥ » ومضى ابن اوس من وجهه الى منزله ، وكان ينزل في دار لآل احمد بن صالح بن شيرزاد بالدور مما يلي قصر جعفر بن يحيى بن برمك ، وجد اهل بغداد في آثارهم والقواد معهم حتى تلقوهم ، فكانت بينهم وقعة بالدور . . واعان ابن اوس جيرانه من اهل سويقة قطوطا واصحاب الزواريق من ملاحي الدور»[١٠٢] . وواضح من هذا النص ان سويقة قطوطا تقع قرب الدور التي فيها دار آل شيرزاد وقصر جعفر البرمكي .

اما مشرعة فرج الرخجي فلم تذكرها المصادر ، والراجح انها كانت قرب دار فرج الرخجي الذي تردد ذكره في المصادر ، فقد ذكر ابن الفقيه الهمداني انها «فوق سوق يحيى . . وداره اقطاع من الرشيد ، ولم يكن على شاطىء دجلة بناء احكم من بنائها ، ثم هدمت فيما هدم من منازل عمر بن فرج لما قبضت»[١٠٣] وفي قصر فرج التي على دجلة كانت دار طازاد التي نزلها البريدي عندما جاء بغداد سنة ٣٣٣[١٠٤] .

وعند قصر فرج كانت بستان الحميري التي بنى معز الدولة سنة ٣٥٠ هـ داره

فيها «وهدم ما جاورها من العقارات»[١٠٥] و«قلع الابواب الحديد التي على مدينة المنصور والتي بالرصافة ، ونقلها اليها ، ونقض قصور الخلافة بسر من رأى ، ونزل في المسناة ستة وثلاثين ذراعا ، ولزمه على بنائها ثلاثة عشر الف الف درهم»[١٠٦] .

ويتبين مما ذكرناه ان جسر ام جعفر كان باقصى اعلى الجانب الشرقي ، اي فوق باب الشماسية ، قرب الدور ، فهو اذا فوق المجموعة الرابعة التي شيدها الرشيد ، ولم تذكر المصادر المعالم الخططية التي كانت في طرف الجانب الغربي من الجسر .

يذكر الطبري ان طاهر بن الحسين عند حصار بغداد «امر بعقد جسر على نهر دجلة فوق الشماسية»[١٠٧] . ومن الواضح ان الغرض من عقد هذا الجسر هو تيسير نقل الجند بين جانبي بغداد ، اي لاغراض عسكرية وان عقده يدل على ان جسري الرشيد وام جعفر كانا مخربين ، والا لم تكن هناك حاجة الى عقده .

يتبين من العرض الذي قدمناه ان المجموعتين الاوليتين من الجسور وهي التي عقدها ابو جعفر المنصور ، هي الجسور الاساسية التي ظلت مستعملة حقبة طويلة من الزمن ، ولابد ان هذا يرجع الى ان الجسور الاولى ظلت تؤدي خدمات اساسية للحكومة والناس مما اقتضى العناية بها وصيانتها لضمان بقائها ، اما الجسور الاخرى فلم تكن تؤدي مثل هذه الاغراض ، ولم تعقد في اماكن مهمة ولذلك تعطلت منذ ايام المأمون ، اي بعد فترة قصيرة من تشييدها ولم تجر محاولة لاعادة بنائها . وقد ذكرت المصادر تاريخ عقد الجسر الثاني ، وهو سنة ١٥٧ اي في السنة الاخيرة من خلافة المنصور ، وهو الشمالي ، الامر الذي يجعلنا نرجح انه عقد قبل الجسر الثاني ، ومع ان المصادر لم تذكر ما يساعد على تحديد زمن عقده ، الا اننا نرجح انه تم حوالي سنة ١٥٠ هـ حين عاد المهدي بجيشه من الري وبدىء ببناء الرصافة في الجانب الشرقي .

لقد انشأ المنصور الجسور بعد عدة سنوات من اكتمال بناء بغداد وانتقاله اليها ، لذلك يمكن القول انها لم تكن ضمن الخطة الاساسية الواسعة الاولى للمدينة ، وان تأسيسها المتأخر نسبيا يرجع الى ما بعد تأسس المدينة من حاجات مستجدة كان لابد من العمل على تحقيقها على ان لا يؤثر ذلك في الاسس التي حرص المنصور على السير عليها في

تاسيس مدينته ، ولعل من ابرز هذه الاسس هي ان تبقى المدينة المدورة منطقة دفاعية محصنة يقيم فيها مع دواوينه وحرسه ، ولذلك لم يكن في خطته انشاء جسور لربط المدينة المدورة بأجزاء اخرى فلم يجعل لهذه المدينة شوارع متعامدة على النهر او متصلة بالفرض لتكون منافذ تتصل بالجسور . ويبدو انه عندما اسس مدينته في الجانب الغربي ، وكانت صغيرة نسبيا ، راعى فيها الاعتماد على المناطق والاقاليم الواقعة في غربي دجلة ، فلم يعن بربطها بالجانب الشرقي ، غير انه سرعان ما بدأت تظهر وتتزايد اهمية الجانب الشرقي لدرجة انه قرر الاهتمام باعماره وتوطين الناس فيه ، هذا فضلا عن ظهور اهمية الصلة بالاقاليم الشرقية الواسعة والغنية .

اختار المنصور للجسر في الجانب الغربي رقعة غير بعيدة عن باب خراسان ، اي في الجبهة الشمالية الشرقية من المدينة المدورة ، فهي متصلة بمنطقة باب التبن والحربية والجهات الشمالية التي كانت فيها اقطاعات ومساكن لعدد كبير من الناس اي لمعظم جيشه . حيث ان الجهة الجنوبية كانت في البداية ضيقة الرقعة سكنها العرب والصحابة وكتاب الدواوين ، او ما يمكن اعتبارهم «علية القوم» ولم تتفرع عند رأس الجسر شوارع كثيرة ، ولكنه ادى بالتدرج الى نمو شارع كبير هو الوحيد الرئيس الذي يتصل بالجسر . وكانت المنطقة التي قرب بدايته القريبة فيها اقطاعات وقصور اولاده ، ثم انشأ له قصر الخلد ، كما كان فيها بعض المؤسسات العامة كالسجن والشرط . ويلاحظ انه لم ينشأ عند هذا الجسر سوق كبير مما يدل على ان الغرض الاول من انشائه هو غرض عسكري ، اي لتيسير نقل الجند بين الجانبين .

اما نهاية الجسر من الجانب الشرقي فقد جعلت على بعد من الرصافة التي استهدف من انشائها ان تكون مقرا محصنا لابنه ، فاحاطها بسور وخندق كالذي في المدينة الغربية . ويبدو ان سعة الفسحة امام النهاية الشرقية ، وقلة الاقطاعات فيها ادى الى اقامة عدة شوارع واسعة صار كل منها سوقا كبيرا فيذكر اليعقوبي عن الجانب الشرقي «وسوق هذا الجانب العظمى التي تجتمع فيها اصناف التجارات والبياعات والصناعات على رأس الجسر ، مارا من رأس الجسر مشرقا ذات اليمين وذات الشمال من اصناف التجارات والصناعات» ثم ذكر ان طرق الجانب الشرقي خمسة .

١ ـ طريق مستقيم الى الرصافة الذي فيه قصر المهدي والمسجد الجامع .

٢ ـ طريق من السوق الذي يقال له سوق خضير وهو معدن طرائف الصين ويخرج منه

الى الميدان ودار الفضل بن الربيع .

٣ - طريق ذات اليسار الى باب البردان وهناك منازل خالد بن برمك وولده .

٤ - طريق الجسر من دار خزيمة الى السوق المعروفة بسوق يحيى بن الوليد والى الموضع المعروف بالدور الى باب بغداد المعروف بالشماسية ومنه يخرج من اراد الى سر من رأى .

٥ - وطريق الجسر الاول الذي يعبر عليه من أتى من الجانب الغربي يأخذ على دجلة الى باب المقير والمخرم وما اتصل بذلك(١٠٨).

ولا ريب في ان هذه الاسواق ازدهرت بعد عقد الجسر ، وان قيام الجسر كان عاملا فعالا في ازدهارها ، وقد يكون لمرور طريق الى سر من رأى والى خراسان من هذا الجسر اثر في ازدياد اهميته وفي سرعة نمو هذا السوق ، وعلى اي حال فان الاسواق المعمرة في الجانب الشرقي كانت في الشمال ، بعكس الجانب الغربي ، وان كلا من الرصافة والمدينة المدورة ظلت مدينة جامدة تفتقد الحيوية والنشاط .

اما الجسر الثاني ، وهو الواقع جنوب المدينة المدورة ، فقد عقده المنصور في السنة الاخيرة من خلافته ، اي بعد ان نقل التجار واصحاب الحرف من المدينة المدورة الى الكرخ التي بدأت تزدهر كمركز للحياة التجارية والاقتصادية ، وقد انشىء هذا الجسر في نفس السنة التي بنى المنصور فيها قصر الخلد واتخذه مسكنا له ، ولابد انه قصد من عقد الجسر الجنوبي ان ييسر للناس الانتقال بين الجانبين ، مع تحاشي المرور من المدينة المدورة أو قربها او المناطق الجنوبية من الجسر الشمالي ، اذ ان هذه الاماكن كانت فيها قصوره وقصور اولاده .

لم يكن هذا الجسر يربط بين المدينة المدورة والرصافة ، بل كان يربط الكرخ بالمنطقة المقابلة لها من الجانب الشرقي ، اي انه يربط بين منطقتين كل منهما جنوب المدينة «الرسمية» وخارجة عنها ، فغرضه تجاري صرف ولخدمة الناس ، وخاصة من التجار والصناع واصحاب الحرف . ويقع طرفه الغربي في باب الشعير وهي محلة كانت قد نمت فيها الحياة التجارية ، ولذلك فان عقده يخدم بالدرجة الاولى المناطق الجنوبية من الجانب الغربي ، اي الكرخ الذي يعتبر باب الشعير احد محاله . ويلاحظ ان هذا الجسر انشىء في الوقت الذي كان الجانب الغربي هو مركز الخليفة والدواوين .

والمنطقة التي ينتهي عندها الجسر في الجانب الشرقي لم تكن مزدهرة انذاك ، اذ كانت فيها قصور متفرقة لعدد من افراد الاسرة العباسية الذين كانوا حريصين على الانتقال الى الاجزاء الجنوبية من الجانب الغربي ومما يدل على ضعف اعمارها انذاك قلة الانهار فيها ، حيث ان الانهار فيها مسماة باشخاص ظهر دورهم بعد زمن المنصور ، كما ان سوق الثلاثاء الذي كان يمتد قربه ، لم يرد له ذكر في المصادر الاولى التي دونت المعلومات في اول القرن الرابع او قبله . لذلك يمكن القول بان الجسر انشيء لتيسير اعمال اهل الجانب الغربي ، وانه ادى الى نحو المنطقة التي ينتهي عندها من الجانب الشرقي .

في ثنايا اخبار القرنين اللذين تليا تأسيس بغداد اشارات غير قليلة تتعلق بجسور بغداد ، وقد وردت في هذه الاشارات تعابير منوعة ، منها الجسر ، والجسر الشرقي ، والجسرين ، والجسر الاعلى ، و«رحبة الجسر» و«ناحية الجسر» و«رأس الجسر» و«مجلس الجسر» .

فاما تعبير «الجسر» ، فقد ورد في بعض النصوص دون تخصيص او دلالة على موقعه :

فيذكر الطبري ان طاهر بن الحسين عندما كان يحاصر الامين «امر هرثمة ليقطع الجسور» وانه «وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى بن ماهان على جسر دجلة فقطعاه»[١٠٩] .

ويذكر الطبري ايضا انه عند مقتل ايتاخ «شحن ابراهيم (والي بغداد) الجسر بالجند والشاكرية»[١١٠] .

وفي سنة ٢٥٢ هـ حدثت فتنة بين جند بغداد واصحاب محمد بن عبدالله ابن طاهر ، فسار الثوار «ثم مضوا يريدون الجسر في شارع الحدادين . . ودفعوهم عن الجسر حتى صيروهم الى باب عمرو بن مسعدة»[١١١] كما يذكر «الشارع النافذ الى الجسر»[١١٢] .

ويذكر مسكويه انه في سنة ٢٩٨ هـ «غرقت فاطمة القهرمانة في طيارها تحت الجسر»[١١٣] .

ويتردد ذكر الجسر عند الصولي ، فهو يقول : «دفن هارون في داره بقرب الجسر»[١١٤] و«نهبت دار علي بن خلف بن طياب في الجانب الغربي بقرب

الجسر»[115] وان المتقي وابن رائق « . . سار من داره الى الجسر وركب الماء ، وفي الوقت الذي ركب الخليفة الماء من الجسر رجع الى قصره انقطع الجسر وانخلع الكرسي وهو مملوء بالنضارة فغرق خلق كثير من رجال ونساء وصبيان»[116] وانه «صعد ناصر الدولة وقطع الجسر وسار من الجانب الغربي»[117] وان توزون «رحل الى بغداد . . فمضى في شارع المخرم الى الجسر»[118].

وذكرت المصادر عددا من الولاة «للجسر» . فيذكر مسكويه ان عبدالله بن طاهر ولى «اسحق بن ابراهيم امر الجسر وجعله خليفته»[119] ويذكر الطبري انه في سنة ٢٣٥ «كانت وفاة اسحق ابن ابراهيم صاحب الجسر»[120] وانه كان «محمد ابن عبدالله بن طاهر على الجسر»[121].

وذكرت المصادر «باب الجسر» اطلاقا دون ان تحدده ، وان كانت تذكر احيانا معالم خططية قد تساعد في تحديده .

فمما ذكره الطبري ان صالح صاحب المصلى تولى القطائع في الجانب الشرقي فله بباب الجسر وسوق يحيى . . مواضع بناء[122].

وفي حصار طاهر بن الحسين بغداد «قصد طاهر الى مدينة ابي جعفر فاحاط بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد من لدن باب الجسر الى باب خراسان»[123].

وفي سنة ٢٤٩ «اجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء ففتحوا سجن نصر بن مالك واخرجوا من فيه وفي القنطرة بباب الجسر»[124].

وفي سنة ٢٥٢ حصلت فتنة وكان محمد بن عبدالله واليا على بغداد «فأمر الحوانيت التي على باب الجسر والتي تتصل بدرب سليمان ان تحرق يمنة ويسرة»[125].

كما انه يذكر ان العباس بن عبدالله خرج فأتى حسين بن علي «ثم وقف عند باب الجسر»[126] وانه في سنة ٢٥٠ قتل يحيى بن عمرو واخذ رأسه «الى بغداد لينصب بها بباب الجسر»[127] ، وفي سنة ٢٥١ «صلب الموكل على الجسر فلم يزل مصلوبا على باب الجسر الى ان انزل مع ما انزل من الرؤوس»[128].

وذكر طيفور خبر رجلين تنازعا بباب الجسر[129].

واذا كانت المعالم الخططية التي ذكرت في النصوص الاربعة الاولى قد تدل على ان الجسر المقصود هو الذي بين درب سليمان وباب الطاق ، فان الثلاثة الاخيرة ليس فيها دليل قاطع على ذلك .

وذكرت ايضا رحبة الجسر التي اخرج اليها الحلاج عندما قتل ثم «نصبت رأسه يومين على الجسر»(١٣٠).

وذكر ايضا رأس الجسر اذ كانت «دار عبدالله بن عبدالله (ابن طاهر) عند رأس الجسر»(١٣١).

وقد ورد تعبير رأس الجسر في الكلام عن دار خزيمة بن خازم ودار علي بن الجهشيار .

فيذكر اليعقوبي ان خزيمة بن خازم «اقطاعه على رأس الجسر»(١٣٢) ويذكر الخطيب «ان دار خزيمة هي التي صارت لعلي بن الجهشيار»(١٣٣) ويذكر الهمداني في كلامه عن طاق اسماء «وكان في دارها التي صارت لعلي بن الجهشيار ـ بمشرعة الصخر ، اقطعه اياها الموفق ، ثم اقطعها ازكوتكين بن ساتكين»(١٣٤) .

ويذكر الطبري ان «دار علي بن الجهشيار وكانت في الخراب على باب الجسر الشرقي»(١٣٥) ويذكر عريب ان «اللصوص كبسوا دار صاحب الشرطة محمد بن عبدالصمد ، وكان ينزل الجانب الشرقي في الدار المعروفة لعلي بن الجهشيار»(١٣٦) ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٣٠٩ «هدم دار علي ابن الجهشيار»(١٣٧) ويذكر الطبري «دار ابن ابي ليلى ابن عبدالعزيز ابي دلف وهي دار علي بن الجهشيار على رأس الجسر»(١٣٨) .

ومن المعلوم ان طاق اسماء ، ودار علي بن الجهشيار تقع على رأس الجسر الذي بدايته من الجانب الغربي عند درب سليمان فيكون هو المقصود بهذه النصوص .

وذكر اليعقوبي «الجسر» في نصوص يدل سياقها على ان المقصود هو الجسر الذي يربط منطقة باب خراسان بباب الطاق .

فقد ذكر «والربع من باب الشام الى ربض حرب وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك الى الجسر على منتهى دجلة . . ومن باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة مادا في الشارع على دجلة الى البغيين»(١٣٩) .

وذكر ايضا «ومن باب الشام في الشارع الاعظم الماد الى الجسر الذي على دجلة سوق ذات اليمين وذات الشمال ، ثم ربض يعرف بدار الرقيق»(١٤٠) .

ثم يذكر «والربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة ، وما بعد ذلك بازائها الخلد ، وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض ، وقصر يشرع على دجلة . . فاذا جاوز موضع الجسر فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة الجسر ، فاذا جاوزت ذلك فاول القطائع

قطيعة سليمان بن ابي جعفر»[141].

ووصف اليعقوبي بعض اماكن الجانب الشرقي من الجسر فقال «طريق الجسر من دار خزيمة الى السوق المعروفة بسوق يحيى بن الوليد (برمك ؟) والى الموضع المعروف بالدور من باب بغداد المعروف بالشماسية ، ومنه يخرج من اراد من سر من رأى»[142].

وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه «قصر خزيمة الذي على رأس الجسر»[143]، ويلاحظ ان بعض المصادر ذكرت «درب سليمان بقرب الجسر»[144].

وفي المصادر ذكر لمجلس الجسر ، ومجلس الجسر الشرقي ، ومجلس الشرطة بالجسر . فيذكر الطبري انه في فتنة المستعين انتهب مجلس الجسر[146]. ويذكر ايضا انه لما ولي يعقوب بن الليث الصفار الشرطة في بغداد ، كان للشرطة «اعلام ومطارد وترسة في مجلس الجسر»[147].

ويذكر الجهشياري ان الرشيد «جلس في مجلس الجسر الشرقي واحرق جثة جعفر بن يحيى البرمكي»[148].

ويذكر الطبري ان العامة في فتنة المستعين «هاجوا ابا مالك الموكل بالجسر الشرقي ، فدخل داره وغلمانهم فانتهبوا ما في مجلسه»[149].

غير انه يذكر ان الموفق امر ان تقطع يد الدويلي ورجله من خلاف «فقطع في مجلس الجسر بالجانب الغربي»[150].

فاما مجلس الشرطة بالجسر فقد اوردنا من قبل النص الذي جاء في اليعقوبي عند وصفه المعالم الخططية في الجانب الغربي حيث قال : «فاذا جاوز موضع الجسر ، فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة الجسر»[151] .

وذكر طيفور : «وكان صاحب الجسر اذا انصرف عياش من مجلسه جلس في المسجد الذي في ظهر مجلس الشرطة ، وكان الآخر اذا انصرف السندي صار الى مسجد حسنة ام ولد المهدي ، ، وهو المسجد الذي بباب الطاق في الحدادين ، وهناك دار حسنة»[152].

وذكر الصولي انه «وصل ابو بكر بن مقاتل الى مجلس الشرطة من الجانب الغربي فرأى الجسر مقطوعا»[153].

وذكر الطبري انه «سار جماعة من الغوغاء والعامة الى المجلس الذي يعرف بمجلس الشرطة في الجسر من الجانب الشرقي . . وتهدم حيطان مجلس الشرطة»[153].

ويبدو من سياق الحوادث ، ومن المعالم الخططية المذكورة في هذه النصوص ان «الجسر» المذكور فيها هو الجسر الذي يمتد بين باب خراسان وباب الطاق ، وان تردد ذكره يرجع الى اهمية موقعه في القرن الثالث الهجري ، حيث كان يربط الارباض الشمالية للمدينة المدورة مع المناطق الشمالية للرصافة ، ويمر به طريق خراسان وسامراء ، ولذلك فان تجارات المشرق تمر به ، كما انه وسيلة الاتصال بين الحربية وما حولها بالاطراف الشمالية من الجانب الشرقي وبالرصافة ، التي كانت قد انمت حركة اقتصادية نشطة ، وان وروده في الكتب باسم «الجسر» كاسم علم يدل على اهميته وشهرته ، ولا يستلزم حتما ان يكون دليلا على وجود جسر واحد في بغداد ، ولما كان باب الطاق قد اصبح يطلق على المحلة التي فيها قبر ابي حنيفة فيمكن تحديد موقعه التقريبي عند الجسر الجديد الذي يربط شارع ١٤ رمضان بالاعظمية حالياً والواقع انه توجد اشارات غير قليلة في المصادر الى «الجسرين» و«الجسر الاعلى» و«الجسر الاسفل» .

فاما تعبير الجسرين فقد ورد منذ ايام الرشيد حيث ان الجهشياري قال ان الرشيد عندما عزم على نكبة البرامكة كان السندي بن شاهك «يلي الجسرين ببغداد» وان السندي قال بعد نكبة البرامكة «فلما امسيت قمت ليلتي بالجسر بالجانب الشرقي . . كتاب الرشيد الي بصلب كل نصف على احد الجسرين»[١٥٤] .

وعند مقاتلة الامين امر طاهر بمحاصرة الجسر ، فقال حسين الخليع :

انـاخ بجسـري دجلة القـطع والقنـا

شـوارع والارواح في راحة العضب[١٥٥]

ولما ولي طاهر بن الحسين الشرطة استشار الفضل بن الربيع فاختار له «السندي بن يحيى وعياش بن القاسم فولاهما الجسرين»[١٥٦]، وقد استخلف المأمون هذين الرجلين «على الجسرين»[١٥٧] .

وفي سنة ٢٠٦ هـ ولي عبدالله بن طاهر اسحق بن ابراهيم الجسرين[١٥٨] .

وقد صلب بابك في الجانب الشرقي بين الجسرين بمدينة السلام[١٥٩] .

ولما سمع اهل بغداد بمقتل عمر بن عبدالله الاقطع وعلي بن يحيى الارمني في الثغور «هاجوا ففتحوا سجن نصر بن مالك واخرجوا من فيه وفي القنطرة بباب الجسر . . وقطعوا احد الجسرين وضربوا الاخر بالنار ، وانحدرت سفنه»[١٦٠] .

وفي سنة ٢٥٢ احرق ابن طاهر الجسرين لما رأى الجند قد ظهروا على اصحابه[١٦١] .

ولما اشيع موت الموفق اثار ابو الصقر اضطرابا «وقطع الجسرين ووقف قوم على الجسر في الجانب الشرقي يحاربون اصحاب ابي الصقر»(١٦٢).

وفي سنة ٢٥٥ هـ ولي سليمان بن عبدالله ، ابراهيم اسحق بن ابراهيم «ما كان الحسين بن اسماعيل يتولاه لعبيدالله من امر جسري بغداد وطساسيج قطربل ومسكن»(١٦٣).

وفي سنة ٢٨٥ هـ خرج المعتضد من بغداد قاصدا آمد «واستخلف ببغداد صالحا الامين الحاجب وقلده المظالم والجسرين»(١٦٤).

وكانت «نفقات الجسرين وثمن ما يبدل من سفنهما والفاوس وارزاق الجسارين من جملة ثلاثمائة دينار في الشهر : عشرة دنانير (في اليوم)» وذلك في التقدير الذي وضعه علي بن عيسى سنة ٣٠٦ هـ(١٦٥).

وفي المصادر ذكر للجسر الاعلى ، وترجع اول اشارة اليه الى زمن المهدي حيث يقول الطبري ان المهدي بعد ان قبض على يوسف البرم وجماعته «صلبهم على جسر دجلة الاعلى مما يلي عسكر المهدي(١٦٦)» . ثم ينقطع ذكر هذا الجسر حتى اواسط القرن الثالث ، حيث يتردد ذكره ، فقد ذكر الطبري ان ابا الاغر جلب اسرى وجثث قتلى ونصبت الرؤوس على رأس الجسر الاعلى والجانب الشرقي»(١٦٧) كما ذكر ايضا «صلب بدر القرمطي في طرف الجسر الاعلى ببغداد»(١٦٨) وعندما ارتاع اهل بغداد من الزبزب في سنة ٣٠٤ اخذ السلطان حيوانا «فصلب عند رأس الجسر الاعلى بالجانب الشرقي»(١٦٩).

ويبدو ان «الجسر الاعلى» هذا هو نفس «الجسر» المشهورين باب خراسان وباب الطاق ، فقد ذكر الخطيب «درب سليمان بن جعفر حيال الجسر الاعلى»(١٧٠)، وذكر الطبري ان الجند تقدموا في بعض احداث فتنة المستعين «وصاروا الى درب اسد بن مرزبان فشحنوا الشارع النافذ الى درب الرقيق . . ووكلوا بباب درب سليمان بن ابي جعفر جماعة ، ثم مضوا يريدون الجسر في شارع الحدادين ودفعوهم عن الجسر حتى صيروهم الى باب عمرو بن مسعدة . وكان ابن طاهر قد اعد سفينة شوك وقصب ليضرم النار ويرسلها الى الجسر الاعلى ، ففعل ذلك ، فاحرقت عامة سفنه وقطعته الى الاخر ، فادركها اهل الجانب الغربي ففرقوها واطفأوا النار التي تعلقت بسفن الجسر . . واحرق ابن طاهر الجسرين لما رأى الجند قد ظهروا على اصحابه ، وامر الحوانيت التي على باب الجسر التي تتصل بدرب سليمان ان تحرق يمنة ويسرة ، ففعل ، فاحترق فيها للتجار متاع كثير(١٧١)» .

ان موقع الجسر الاعلى عند درب سليمان يدل على انه هو الجسر المشهور نفسه ، كما

دل نص الطبري على انه كان بقرب جسر اخر ، لعله الاسفل الذي سنذكره في الفقرة التالية ، كما ان نص الطبري يدل على ان الجسرين كانا متقاربين ، لان النار التي احرقت عامة سفن الجسر الاعلى سرعان ما صارت الى الاخر . وقد يدل هذا على ان احد الجسرين كان للذهاب ، والاخر للاياب .

وقد ورد في طيفور ذكر للجسر الاسفل ، اذ ذكر ان المأمون ضرب اعناق اربعة «فلما كان بالغداة صلبهم على الجسر الاسفل»[172] ثم قال ان المأمون بعد ذلك «أمر بانزالهم ، وكانوا مصلبين على الجسر الاسفل»[173] .

وورد في المصادر ذكر «الجسر الاول» فقد ذكر الطبري «الجسر الاول من الجانب الشرقي من الدار التي لعبيدالله بن عبدالله»[174] الا ان المصادر لم تذكر موقع هذه الدار مما كان يعيننا على تحديد موقع الجسر .

وذكر اليعقوبي في كلامه عن الطرق الخمسة في الجانب الشرقي «وطريق عند الجسر الاول الذي يعبر عليه من اتى الجانب الذي يأخذ على دجلة الى باب المقير والمخرم وما اتصل بذلك»[175] ، ويفهم من هذا النص ان الجسر الاول يقع عند باب المقير والمخرم ، فهو بعيد عن الجسر الاعلى المشهور بين باب خراسان وباب الطاق ، فيكون موقعه اقرب الى موقع الجسر الذي اقامه المنصور سنة ١٥٧ هـ والذي كان بين باب الشعير ومشرعة الروايا .

يتبين مما تقدم انه كان في بغداد في القرن الثالث الهجري جسر مشهور فكان يسمى في المصادر «الجسر» او «الجسر الاعلى» ، وهو يقع بين درب سليمان في الجانب الغربي ودار خزيمة في الجانب الشرقي . ولهذا الجسر اهمية كبيرة لوقوعه قرب دور آل طاهر ، ولاة بغداد ، والحريم الطاهري الذي استوطنه اولاد الخلفاء بعد عودتهم من سامراء ، ولانه كان بقربه مجالس الشرطة ، وكذلك لانه يقع في الجهات الشمالية فهو اقرب الى الحربية والى طريق سامرا .

الجسر الاسفل من مشرعة الروايا

وبالقرب من الجسر الاعلى كان يقع جسر اخر هو الجسر الاسفل ، وهو اقل شهرة وذكرا من الاعلى . ومن المحتمل ان هذين الجسرين كان احدهما للذهاب والآخر للاياب . وقد انشأ هذين الجسرين ابو جعفر المنصور الذي كان قد انشأ جسرا ثالثا للنساء ثم بطل استعماله في زمن المأمون لسبب لا نعلمه .

وكان في بغداد جسر اخر سماه اليعقوبي «الجسر الاول» ويبدو انه هو الذي عقده المنصور بين باب الشعير ومشرعة الروايا . ولكن لم تكن له شهرة الجسر الاعلى ، وموقع

هذا الجسر شمالي جسر باب المعظم الجديد .

المنصور بين باب الشعير ومشرعة الروايا . ولكن لم تكن له شهرة الجسر الاعلى

ويتردد في المصادر ذكر «الجسرين» والراجح ان المقصود بذلك مجموعة جسري باب الطاق ، وجسر باب الشعير ، وان قول الخليل ان الجسور ببغداد عطلت بعد مقتل الامين وبقي منها ثلاثة الى ايام المأمون ، ثم عطل منها واحد ، ينبغي ان يفهم منه انه بقيت منها مجموعتان ، وليس جسران .

الجسر الاعلى :

ويذكر الصولي ان الراضي عمل الجسر الفوقاني بمال اوصى به ابو الوليد من ثلثه ؟ واوصى بان يعمل به الجسر»[176] ، وابو الوليد هو ناصر الدولة ابن حمدان الذي توفي سنة ٣٣٧ هـ ولما كان الراضي توفي سنة ٣٢٩ هـ ، فيكون هذا الجسر قد عقد بين سنتي ٣٢٧ هـ ، ٣٢٩ هـ . وتدل صفته «الفوقاني» على ان موقعه فوق ، او شمالي الجسر المعروف آنذاك ، وهو الجسر الاعلى عند باب الطاق ، وهذا يقتضي ان يكون موقعه عند باب الشماسية .

ويذكر مسكويه انه في سنة ٣٦٣ «انتقل المطيع لله ووالده بختيار وجماعة من الحرم والاولاد الى القصر (الذي) بناه معز الدولة بباب الشماسية على طريق التحصن ، وعقد ابو اسحق جسرا في هذا الموضع على دجلة»[177] ولابد ان هذا الجسر كان صغيرا ومحدود الغرض .

ويقول ابن مسكويه في كلامه عن اعمار عضد الدولة بغداد سنة ٣٦٩ «وكذلك جرى امر الجسر ببغداد ، فانه كان لا يجتاز عليه الا المخاطر بنفسه ، لا سيما الراكب لشدة ضيقه وضعفه وتزاحم الناس عليه ، فاختير له السفن الكبار المتقنة وعرض حتى صار كالشوارع الفسيحة ، وحصن بالدربزينات ووكل به الحفظة والحراس»[178] . ويتبين من هذا ان عضد الدولة لم ينشىء في بغداد جسرا ، بل اصلح الجسر القائم ، دون ان يحدد مسكويه موقع هذا الجسر .

يظهر نصا الصولي ومسكويه انه انشىء في سنة ٣٢٨ جسر فوقاني ، ثم انشىء في سنة ٣٦٣ جسر عند الدار المعزية ، وانه كان في سنة ٣٦٩ جسر واحد مشهور ببغداد ، وهذا يعني اما ان الجسرين الاخرين قد زالا ولم يعد لهما وجود في زمن عضد الدولة ، او انهما كانا صغيرين وغير مهمين ، وان الشهرة تركزت في جسر واحد كان هو العلم «الجسر» . والواقع ان نص مسكويه عن الجسر من زمن عضد الدولة لا يقطع بعدم وجود جسور اخرى في بغداد .

ويروي الخطيب عن ابي علي بن شاذان (٣٣٩ ـ ٤٢٦ هـ) انه قال : «ادركت ببغداد ثلاثة جسور : احدها يحاذي سوق الثلاثاء ، واخر بباب الطاق والثالث في اعلى البلد عند الدار المعزية يحاذي الميدان»[١٧٩] وكلمة «ادركت» قد تدل على ان زمن وجود الجسور الثلاثة كان في ايام صبا ابن شاذان ، اي حوالي سنة ٣٦٠ ، وان الوضع قد تبدل في زمن قوله . وهو يذكر ثلاثة جسور رئيسة دون ان يحدد اهمية كل منها .

وقد تابع الخطيب بعد ما رواه عن ابن شاذان كلامه فقال : «فذكر لي غير ابن شاذان ان الجسر الذي كان يحاذي الميدان نقل الى الفرضة بباب الطاق فصار هناك جسران يمضي الناس على احدهما ويرجعون على الاخر»[١٨٠]، اي ان الجسر الذي عند الشماسية نقل الى باب الطاق التي صارت فيها مجموعة مكونة من جسرين ، احدهما للذهاب والاخر للاياب . والذي يفهم من النص الاخير ان جسر سوق الثلاثاء ظل باقيا في مكانه . غير ان هذا النص لايذكر التاريخ الذي نقل فيه جسر الشماسية الى باب الطاق ، ومن المحتمل ان ذلك تم بعد زمن عضد الدولة ، وعلى اي حال فلابد ان يكون قد تم قبل سن ادراك الخطيب (ت ٤٦٣ هـ) .

ويلاحظ ان موقع الشماسية متطرف نسبيا في الشمال ، وان جسورا اقيمت فيها قبل زمن معز الدولة ، ولكن ايا منها لم يبق مدة طويلة لان فائدته للناس محدودة بسبب تطرف موقعها ، ولعل هذا الجسر شيده معز الدولة للافادة منه بعد ان بنى داره المشهورة ، ولكنه لم يبق طويلا لانه لم يكن يؤدي خدمات عامة واسعة للناس ويقتضي ان يكون موقعه شمالي جسر الكاظم الحالي .

جسر سوق الثلاثاء :

اما الجسر المحاذي لسوق الثلاثاء فليس في المصادر اشارة تساعدنا على تحديد موقعه بدقة ، لان سوق الثلاثاء كان يقع جنوب المخرم ويمتد موازيا للنهر ، ولا نعلم فيما اذا كان الجسر يقع في اول ، او وسط او نهاية سوق الثلاثاء .

ويلاحظ ان بغداد تعرضت منذ اوائل الربع الثاني من القرن الرابع الهجري الى فتن واضطرابات واسعة ادت الى تدهور احوال كثير من المناطق التي كانت مزدهرة من قبل .

فاما في الجانب الغربي فقد جفت كثير من الانهار التي كان يعتمد عليها السكان واخليت كثير من المناطق ، وخاصة مدينة المنصور المدورة ، التي صارت تدعى «باب البصرة» كما عم الخراب كثيرا من المناطق على شاطىء النهر .

واما الجانب الشرقي فقد وصف ياقوت ما آلت اليه الرصافة وما حولها بعد ان كانت من اكبر مراكز الحيوية والنشاط الاقتصادي ، فقال : «وخربت تلك النواحي كلها ولم يبق الا الجامع وبلصقه مقابر الخلفاء لبني العباس وعليهم وقوف وفراشون برسم الخدمة ، لولا ذلك لخربت وبلصقها محلة ابي حنيفة الامام وبها قبره ، وهناك محلة وسويق ويلاصقها دار الروم ، ولم يبق شيء غير هذا»(١٨١) .

والواقع انه جرت محاولات لاعادة اعمار بغداد ، ومن ابرزها ما قام به عضد الدولة عند قدومه بغداد سنة ٣٧٢(١٨٢)، غير ان هذه المحاولات لم تفلح في اعادة المناطق المخربة الى ما كانت عليه من اعمار .

فلما عاد الانعاش الى بغداد في اواخر القرن الخامس ، صار الازدهار مركزا في الجانب الغربي على المحلات الواقعة في اقصى الشمال كالحريم والمارستان والعتابية ودار القز ، وكذلك الواقعة قرب نهر عيسى ، اي في اقصى الجنوب . اما الجانب الشرقي فقد تركز الاعمار على المناطق الممتدة من المخرم الى باب الازج ، اي جنوبي المنطقة التي كانت معمرة في القرون الثلاثة الاولى .

اما جسور بغداد بعد عضد الدولة فقد اجمل ذكرها الخطيب نقلا عن هلال بن المحسن حيث قال :

«عقد جسر بمشرعة القطانين في سنة ٣٨٣ فمكث مدة ثم تعطل . ولم يبق ببغداد بعد ذلك سوى جسر واحد بباب الطاق الى ان حول في سنة ٤٤٨ هـ فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي وبين مشرعة الحطابين من الجانب الشرقي . ثم عطل في سنة ٤٥٠ هـ ثم نصب بمشرعة القطانين»(١٨٣) .

فاما جسر مشرعة القطانين فان ابن الجوزي يذكر في حوادث سنة ٣٨٣ «وفي يوم الاربعاء لاربع بقين من جمادي الاولى وقع الفراغ من الجسر الذي عمله بهاء الدولة في مشرعة القطانين بحضرة دار مؤنس ، واجتاز عليه من الغد ماشيا وقد زين بالمطارد(١٨٤) . ويلاحظ انه في تلك السنة تقدم القادر بالله «بعمارة مسجد الحربية وكسوته واجرائه مجرى الجوامع في الصلاة»(١٨٥)، وانه في السنة السابقة كان ابو الحسن بن المعلم الذي كان قد استولى على امور السلطان «شرع في حفر الانهار المخترقة لاسواق الكرخ وما يتصل بها حتى من ارباب العقار مالا جزيلا»(١٨٦)، وهذا يدل على ان تشييد الجسر المذكور هو جزء من خطة عامة لاعادة اعمار الجانب الغربي الذي كان قد انهكته الاضطرابات والفتن

العالمية .

فاما موقع الجسر فيوضحه قول ابن الجوزي انه في «مشرعة القطانين بحضرة دار مؤنس» ، وكانت دار مؤنس تقع في سوق الثلاثاء[187]، وقد صارت المدرسة النظامية فيما بعد «من جملة دار مؤنس»[188] وكانت هذه الدار من اشهر دور بغداد في القرن الرابع الهجري ، فقد كان ينزلها ابن رائق ، وبجكم ، والبريدي ، وتوزون ، ومعز الدولة ، وعميد الدولة[189]، وقد اعاد بهاء الدولة تعميرها بعد ان هدم الدار المعزية واستعمل اجرها في البناء الجديد[190]، وتقع دار مؤنس بالقرب من دار الخلافة ، وعلى مسافة من جنوبي النقطة المقابلة لمصب نهر عيسى ، اي ان الموقع التقريبي لهذا الجسر ، هو عند جسر الشهداء الحالي .

فهذا الجسر يربط طرف دار الخلافة بالجانب الغربي .

لم تذكر المصادر سنة تعطل جسر مشرعة القطانين ، ولكن النص يظهر انه عند تعطله وحتى سنة ٤٤٨ لم يكن في بغداد جسر في اسفل بغداد ، وان الاتصال الوحيد بين جانبي بغداد كان عن طريق جسر باب الطاق الذي يقع في جهة متطرفة في الشمال ، فيزيد من العزلة بين دار الخلافة والجانب الغربي .

ويلاحظ ان المقدسي الذي الف كتابه في اواخر القرن الرابع الهجري ذكر في كلامه عن بغداد «الجسر عند باب الطاق الى جانبه بيمارستان بناه عضد الدولة»[191].

اما الجسر الذي عقد في سنة ٤٤٨ ، فان هلال بن الحسين يذكر انه نقل من باب الطاق ، اما ابن الجوزي فيذكر ما يدل على انه جسر قائم بذاته حيث يقول في حوادث سنة ٤٤٨ «وفي المحرم ابتدى بعقد الجسر من مشرعة الحطابين الى مشرعة الروايا ، زيد في زوارقه لعلو الماء ، فعصفت ريح شديدة فقطعت الجسر ، فانحدرت زوارقه الى الدراعين ؟»[192] ويلاحظ انه في السنة السابقة قدم طغرل بغداد ، واتخذ مقامه بدار المملكة عند المخرم ، وان هذا الجسر يقع فيما يظهر جنوبي المخرم .

لم يذكر ابن الجوزي مصير الجسر بعد ان عصفت به الريح ، ولكن يبدو انه اعيد تشييده ، فكان الجسر الوحيد الذي يربط الجانبين .

يذكر هلال ان الجسر عطل في سنة ٤٥٠ ، اما ابن الجوزي فيذكر انه في سنة ٤٥٠ زادت دجلة زيادة كبيرة[193]، ولعل هذه الزيادة هي التي ادت الى قطع الجسر ، ولكن في تلك السنة شرع البساسيري «في اصلاح الجسر فعقده بباب الطاق وعبر عسكره»[194] ،

اي ان البساسيري نقل الجسر الى باب الطاق . ويلاحظ ان البساسيري كانت داره في الحريم الطاهري ، وان الجانب الشرقي كان قسمه العلوي قد خرب انذاك ، فاعادة الجسر الى باب الطاق كان بدافع شخصي وعسكري من البساسيري .

ةفي سنة ٥٢٥ قام السلطان داود «بقطع الجسر من رأس نهر عيسى ، ونصب بباب الغربة يوم الاحد ٢٣ ذي القعدة فكثرت الاراجيف لنقله وصار متنزها مليحا يجتمع الناس بعد العصر تحت الرقة كما كانوا يجتمعون في الرحبة»(١٩٥) وهذا معناه ان الجسر الذي كان عند نهر عيسى قد نقل فلم يبق مكانه جسر . ومصب نهر عيسى عند ثانوية الكرخ حاليا .

ويذكر سبط ابن الجوزي انه في سنة ٥٤٣ قطع الجسر ببغداد ، ويقال ان شحنة مسعود قطع الجسر ، وكان الغزنوي الواعظ تولى عمله ، وعمل له درابزينات من الجانبين(١٩٦)، وهو يذكر «المشهور في الوعاظ ان الغزنوي الذي يعظ ببغداد هو ابو الحسن علي بن الحسين الغزنوي ووعظ بها ونصر مذهب الاشعري»(١٩٧)، ولم اجد في المصادر ذكرا لزمن تجديد الغزنوي ، ولا ما يدل على المقصود من القطع ، وهل هو دائمي ام مؤقت .

وفي سنة ٥٥٢ توترت العلاقة بين الخليفة ومحمد شاه ، واستعد الطرفان للقتال «وضرب محمد شاه بالدحلة لقطع الجسر ، وجيء به الى التاج»(١٩٨) اي انه نقل الى جنوب باب الضربة ، ويلاحظ انه في خلال هذه الحوادث عاد اصحاب محمد شاه «ونصبوا الجسر وعبر اكثر العساكر»(١٩٩) ثم «قطع كوجك الجسر وقلع الخيم وضرب النار في زوارق الجسر»(٢٠٠) وعلى اي حال فهو غير الجسر الذي نقل الى التاج ويلاحظ ان قصر التاج من قصور دار الخلافة التي تقع عند شارع البنوك وشارع النهر ، اي ان الجسر نقل من موقعه عند مصب نهر عيسى (قرب جسر الشهداء الحالي الى موقع قرب السفارة البريطانية الحالي .

ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٧٠ «نصب جسر جيد امرت بعمله جهة من جهات المستضيء بأمر الله تلقب بنفشة وكتبت اسمها على حديدة في سلسلة ، وجعل تحت الرقة مكان الجسر العتيق ، وحمل الجسر العتيق الى نهر عيسى الى ان حول في هذه الايام نحوا من خمسين سنة ، فوجد الناس له راحة تامة بوجود جسرين(٢٠١)» ، ويقول ابن الكازروني انه في ايام المستضيء «عمل جسر ومد على دجلة مع الجسر العتيق ، وعبر الناس عليه في اواخر المحرم سنة ٥٧٠»(٢٠٢)، ويذكر ابن الساعي ان بنفشة امرت بعمل جسر على دجلة(٢٠٣).

ولما زار ابن جبير بغداد سنة ٥٧٩ نزل المربعة «على شط دجلة بمقربة من الجس فحملته دجلة بمدها السيلي ، فعاد الناس يعبرون بالزوارق . . والعادة ان يكون جسران : احدهما مما يقرب من دور الخليفة والاخر فوقه ، لكثرة الناس ، والعبو الزوارق لا ينقطع»[٢٠٤].

ومن الواضح ان الجسر الذي يذكر ان مد دجلة جرفه ، هو الذي عند الرقة تقابل دار الخلافة غير انه لم يذكر موقع الجسر الاخر الذي اشار اليه ، ولا فيما اذا كان الجسر المجروف قد اعيد تصليحه .

ويذكر ابن الطقطقى الذي الف كتابه سنة ٧٠٠ هـ «ان الظاهر (٦٢٢ - ٦٣٦ الذي عمل هذا الجسر الجديد الموجود الان ببغداد»[٢٠٥] غير ان ابن الطقطقى لم يذكر الجسر الجديد ، ولا الجسور الاخرى ، ان وجدت .

ولما حاصر هولاكو بغداد امر بانشاء جسرين واحد اعلاها والاخر اسفله وبالطبع ان هذين الجسرين انشئا لاغراض عسكرية مؤقتة ولا علاقة لهما بالجسور الا القائمة ، ان كانت موجودة .

ولما زار ابن بطوطة العراق كان «لبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة ذكرناها في جسر مدينة الحلة ، والناس يعبرونهما ليلا ونهارا رجالا ونساء ، فهم في ذا نزهة»[٢٠٧] غير انه لم يذكر موقع اي من هذين الجسرين .

المشارع :

من ابرز الخصائص التي تميزت بها منطقة بغداد التي اختارها المنصور لـ عاصمته فيها هو انها تتصل بمختلف المراكز الغنية في الدولة عن طريق المواصلات النـ ورغم كثرة الترع والانهار التي تجري فيها الزوارق ، فان دجلة هو الشريان الرئيس تعتمد عليه بغداد في المواصلات النهرية . وهو نهر يتميز بعرضه ووفرة مياهه ، وخا فصول الشتاء والربيع واوائل الصيف ، وقاعه غير عميق ، وشواطئه مكونة مـ رسوبية رخوة ، ومراه غير مستقيم او ثابت ، كما ان فيه عددا من الجزر . وقد بنيـ ضفتيه قصور لم تكن كثيرة العدد بالنسبة الى سعة بغداد وازدهار حضارتها وطول الخلافة فيها . ويلاحظ ان القليل من هذه القصور والدور الشاطئية كانت لها مسنياد وكبيرة .

وبالنظر لقلة الجسور في بغداد ، فقد اعتمد السكان في تنقلهم بين الجانب

الزوارق ، وقد روت المصادر كثرة الزوارق في بغداد فيروي الخطيب عن هلال بن المحسن انه «احصيت السميريات المعبرانيات بدجلة في ايام الناصر لدين الله وهو ابو احمد طلحة الموفق ، فكانت ثلاثين الفا ، قدر من كسب ملاحيها في كل يوم تسعون الف درهم»[٢٠٨]. ومن المعلوم ان استعمال السميريات يتطلب وجود مشارع ، اي مناطق منخفضة ومستوية تصلح لوقوف الزوارق واستخدام الناس لها .

وتتطلب المشارع اماكن ملائمة لوقوف الزوارق بحيث يستطيع الناس الركوب فيها او النزول بسهولة ويسر ، وقد ذكرنا ان انبساط مجرى دجلة وتربة شواطئه الرسوبية وقلة المسنيات عليه توفر اماكن كثيرة لهذا الغرض .

وتتوقف اهمية المشرعة على مدى حاجة الناس الى العبور من منطقة معينة دون اخرى ولذلك تزداد اهمية المشارع في المناطق القريبة من الاسواق حيث تزداد الحاجة الى نقل السلع او اهل الاعمال والمصالح بين الجانبين . فظهور المشارع وانتعاشها او انحطاطها يرتبط الى حد كبير بمدى ازدهار الحركة الاقتصادية . غير ان المشارع تحتفظ عادة بأسمائها القديمة التي كانت تسمى بها عند بدىء استعمالها . ومعظم معلوماتنا عن المشارع مستمدة من اخبار القرن الرابع الهجري فيما بعد . غير ان كثرا من المشارع التي ذكرت خلال ذلك او بعدها كانت مستعملة قبل ذلك التاريخ ولكننا لا نستطيع الجزم بتحديد الزمن الذي بدء فيه استعمالها ، رغم ما لهذا التحديد من اهمية لمعرفة بداية وتطور الازدهار الاقتصادي والحضاري في مناطق بغداد .

وتكون المشارع عادة متقابلة بين الجانبين ، اي ان كل مشرعة تقابلها اخرى في الجانب الاخر ، ولكن ليس من الضروري ان يكون التقابل تاما او دائما ، لان وجود المشرعة يتوقف على طبيعة الشاطيء وعلى منافذ المسالك العامة .

فاما مشارع الجانب الغربي فقد ورد في الاخبار ذكر عدد منها :

١ ـ مشرعة باب البصرة وقد ورد ذكرها حيث نزلها قريش بن بدران عندما كان يقاتل البساسيري الذي كان في مشرعة الروايا[٢٠٩]. وباب البصرة كان يطلق في الاصل على الباب الجنوبي الشرقي من مدينة المنصور المدورة ، وموقعه على مسافة من شاطىء النهر ، ثم صار الاسم يطلق منذ اواسط القرن الخامس الهجري على محلة واسعة تشمل كل المدينة المدورة . فموقع هذه المشرعة اما قريب من باب البصرة الاول ، او في الطرف الشرقي من المدينة المدورة ، اي انها عند مكان سايلو الحبوب حاليا او في شماليه .

٢ ـ مشرعة المارستان التي نقل اليها البساسيري عسكره[٢١٠] ولعلها كانت عند المارستان العضدي الذي شيد في مكان قصر الخلد .

٣ ـ مشرعة الرباط ، وقد ورد ذكرها في حوادث القرن السادس[٢١١] ولكن لم اجد اشارة تساعدني على تعيين موقعها والراجح انها قرب مصب نهر عيسى حيث توجد عدة ربط .

٤ ـ مشرعة الساج . وقد ذكرت في اخبار اوائل القرن الرابع الهجري حيث استتر عندها سلامة سنة ٣٢٢[٢١٢] ، وكان فيها دار ابن[٢١٣] عبدون وكذلك الدار المعروفة بالموزة[٢١٤] ، كما دفن عندها علي بن محمد بن بشار[٢١٥] الذي لا يزال قبره معروفا اليوم وهو جامع الشيخ بشار ، فالمشرعة تقع اذا قرب الشيخ بشار .

٥ ـ مشرعة الروايا وكانت تقع عند باب الشعير ، وهي من اشهر المشارع واقدمها ، فكانت معروفة منذ الازمنة الاولى لتأسيس بغداد . وهي في الاصل «المشرعة التي كان يصعد منها اصحاب الروايا»[٢١٦] ، وكان يقعد في طريقها وكيع بن الجراح[٢١٧] . وقد دفن فيها ابو الحسن الاشعري «في تربة الى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام ، وهي عن يسار المار من السوق الى دجلة»[٢١٨] غير ان قبره اصبح «عافي الاثر لا يلتفت اليه» في اواخر القرن السادس الهجري[٢١٩] . وفي مشرعة الروايا عند قبر الاشعري دفن احمد بن محمد الفوركي[٢٢٠] ولما سيطر البساسيري على بغداد دخل مرة الكرخ «وخرج الى مشرعة الروايا»[٢٢١] .

وفي سنة ٤٤٨ عقد جسر من مشرعة الحطابين الى مشرعة الروايا ، غير ان الرياح عصفت بالجسر فقطعته وحدرت زوارقه[٢٢٢] .

لعل الجسر الذي عقده ابو جعفر المنصور في سنة ١٥٧ عند باب الشعير[٢٢٣] كان موقعه عند مشرعة الروايا .

اما في الجانب الشرقي فقد ذكرت فيه عدة مشارع :

١ ـ مشرعة الصخر ، وقد ذكرت فيها عدة دور منها دار سليمان بن وهب[٢٢٤] ودار نقل منها بهاء الدولة اخته زوجة الطائع لله حيث بقيت حتى وفاتها[٢٢٥] . ولما كانت دار سليمان بن وهب بالمخرم[٢٢٦] ، وهي التي اصبحت في اول القرن الرابع الهجري دار الوزارة ، فتكون مشرعة الصخر عند المخرم ، اي قرب مدينة الطب حاليا .

٢ ـ مشرعة باب البستان[٢٢٧] ، والراجح انها كانت قرب بستان الزاهر ، كما سنتحدث

فيها بعد عن الجسور .

٣ ـ مشرعة دار الملك[٢٢٨] ولعلها قرب دار المملكة اي قرب المشرعتين السالفتين حيث تقع عندها دار المملكة اي قرب وزارة الدفاع حاليا .

٤ ـ مشرعة باب الطاق[٢٢٩] وهي كما يدل اسمها ، تقع في باب الطاق الذي ينتهي عنده الجسر الاعلى في بغداد .

٥ ـ مشرعة باب الازج[٢٣٠] ، ولابد ان موقعها في الجهات الجنوبية من بغداد حيث يقع باب الازج .

٦ ـ مشرعة الصباغين ، وقد ورد ذكرها في اخبار حريق شب سنة ٥٥٨ وامتد اليها من باب درب فراشة[٢٣١] .

٧ ـ مشرعة قصب وقد ذكرت ان فيها دار ابي الحسن بن الشيب العلوي[٢٣٢] ودار شفيع اللؤلؤي المجاورة لدار ابن الصريفيني[٢٣٣] .

٨ ـ مشرعة الحطابين وكانت في الجانب الشرقي[٢٣٤] ، امام المعترض[٢٣٥] ، وكان عندها على شاطىء دجلة مسجد[٢٣٦] ولعله المسجد الذي عمرته ام الخليفة بمشرعة السقائين على شاطىء دجلة بمشرعة[٢٣٧] الحطابين وفي مشرعة الحطابين كان طرف الجسر الذي نصب سنة ٤٤٨ وطرفه الاخر في مشرعة الروايا من الجانب الغربي[٢٣٨] ، فهي اذا تقابل مشرعة الروايا ، اي ان موقعها قرب وزارة الدفاع الحالية .

٩ ـ مشرعة القطانين ، وكانت «بحضرة دار مؤنس»[٢٣٩] ، وعندها الجسر الذي عقده بهاء الدولة سنة ٣٨٣ فلم يلبث الا قليلا ثم تعطل[٢٤٠] ، ولما كانت دار مؤنس عند النظامية ، فالراجح ان موقع هذه المشرعة عند شارع المأمون وفي اول جسر الشهداء الحالي .

(١) الطبري ٣/٢٧٥ .
(٢) الطبري ٣/ ٢٧٣ .
(٣) الطبري ٣/٢٧٤ .
(٤) الطبري ٣/٢٧٦ ، ٢٧٧ وانظر بغداد لابن الفقيه ٨١ .
(٥) الطبري ٣/٢٧٥ ، وانظر ايضا ٢٧٣ .
(٦) ياقوت : معجم البلدان ٣/٦٠١ بغداد لابن الفقيه ٥١ .
(٧) البلدان ٢٥١ . وقد وصفت في مقال نشرته في مجلة سومر بعنوان «ادارة بغداد في العهود العباسية الاولى» احوال الجانب الشرقي بالمقارنة مع الجانب الغربي من الناحية العمرانية والسكنية .
(٨) الطبري ٣/٢٧٥ .
(٩) المسالك والممالك ٨ ـ ٩ ، ١٢
(١٠) نبذة من كتاب الخراج ٢٣٧ ـ ٢٣٨ . ويلاحظ ان هاتين القائمتين ، وهما الوحيدتان الشاملتان اللتان وصلتانا وسيكون تحليلهما موضوع مقال آخر .
(١١) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ١٢٥ .
(١٢) ياقوت ١/٤٤٥ .
(١٣) الطبري ٣/٣٨٠ . الخطيب ١/١٦١ مناقب بغداد ٢٠ .
(١٤) المنتظم ٨/١٦٩ . ومشرعة الروايا عند باب الشعير ، وقد انجزت دراسة مستوعبة لخطط هذه المنطقة في العصر العباسي الاول .
(١٥) البلدان ٢٤٩ .
(١٦) الخطيب ١/٩٠ .
(١٧) الخطيب ٢/١٤٨ المنتظم ٦/٣٩٤ تكملة الطبري ٣/٤ ، والموقع التقريبي لهذه الفرضة عند جسر الائمة الحالي من جهة الكاظمية .
(١٨) اخبار الراضي والمتقي ٢٧٦ .
(١٩) الطبري ٣/٩٢٨ مروج الذهب ٣/٤١٩ .
(٢٠) البلدان ٢٥٠ .
(٢١) الخطيب ١/٧٩ .
(٢٢) الخطيب ١/١٣٣ .
(٢٣) المنتظم ٨/٣٨ مرآة الزمان ٢٢١ طبعة سويم .
(٢٤) الطبري ٣/٢٢٥١ .
(٢٥) الخطيب ١/١١٦ .
(٢٦) المنتظم ٦/١٥٩ .
(٢٧) الخطيب ١/١٠٥ .
(٢٨) الخطيب ١/١٠٥
(٢٩) الخطيب ٤/٤١١
(٣٠) الخطيب ٤/٧٥ المنتظم ٨/١٥ .
(٣١) الخطيب ٣/٣٨١

(٣٢) الخطيب ١٠/٣٨٦ المنتظم ٨/١٣٨ .
(٣٣) مضمار الحقائق ١٧٨ .
(٣٤) المنتظم ٧/٨٧ .
(٣٥) البلدان ٢٥٢ .
(٣٦) بغداد ٧٣
(٣٧) لطائف المعارف ١٩٥ وانظر عن سقلاطون بغداد لطائف المعارف ٥٥ ، ٢٣٥ .
(٣٨) لطائف المعارف ٢٣٦ ، ثمار القلوب ٥٣٨ .
(٣٩) البلدان ٢٥٣ .
(٤٠) الطبري ٣/٢٣٦٨ رسوم دار الخلافة ٩٠ .
(٤١) انظر عن اشتهار بغداد بالقطن : بغداد لابن الفقيه ٧٥ ويذكر الصابي بعض موظفي الجباية في بغداد ومنهم «عامل دار القطن» (الوزراء ١٧٦) .
(٤٢) ذيل مسكويه ٣/٣٦٣ .
(٤٣) انظر مقالتنا «مصادر دراسة خطط بغداد» مجلة المجمع العلمي العراقي م ١٤ سنة ١٩٦٧ .
(٤٤) البلدان ٢٤٨ .
(٤٥) البلدان ٢٥٤ وقد اعددت دراسة مفصلة عن تطور خطط هذه المنطقة .
(٤٦) البلدان ٢٤٧ .
(٤٧) الخطيب ١/٢٧٧ ، ٨/١٥ .
(٤٨) انظر الخطيب ٢/٤٣ ، ٤/٢١٢ ، ٢٩٤ ، ٨/١٥ ، ٤٧ ، ٩/٣٩٨ ، ١٠/١٣٨ ، ٣٨٦ ، ١١/٨٠ .
(٤٩) المعروف باسم العتابي وهو الشاعر المشهور كلثوم بن عمرو ، وهو تغلبي قدم بغداد في زمن الرشيد (انظر عنه الاغاني ١٢/ معجم الادباء ١٧/٢٦ الخطيب ٦٩٦١ ولكن لا توجد اشارة او دليل على نسبة المحلة اليه . ويذكر سهراب ان الصراة الصغير يصب عند القنطرة الجديدة ويعرف عند مصبه باسم نهر عتاب (١٣٢) ولكنه لم يذكر هوية من نسب اليه هذا النهر البعيد عن محلة العتابيين .
(٥٠) الخطيب ٨/١٥ .
(٥١) سهراب ١٣٤ الخطيب ١/١١٤ وانظر ايضا بغداد لابن الفقيه ٤٨ ، ياقوت ٤/٤٨٥ ، ٢/٧٥٠ .
(٥٢) يذكر الرشيدي «حمارا عتابيا جسده كخلقة العتابي» (الذخائر والتحف ١٩٣) ويذكر الغرناطي ان حمير الزنج كالعتابي المخطط (تحفة الالباب) .
(٥٣) جامع الادوية المفردة ١/١٠١ ، ٤/١١٠ .
(٥٤) لطائف المعارف ١٩٤ ثمار القلوب ٥٤٠ ابن الفقيه ٢٥٤ وعن عتابي نيسابور انظر المقدسي ٣٢٣ ، وعن عتابي اصفهان انظر الاصطخري ٩٩ .
(٥٥) المنتظم ٧/٧٧ .
(٥٦) الذخائر والتحف ٦٦ .
(٥٧) الذخائر والتحف ٨٠ .
(٥٨) الرحلة ٢١٢ (طبعة حسين نصار) .
(٥٩) ياقوت ٢/ ١٦٧ ، ٥٢٢ . ويذكر ابن حجلة ان دار القز احد مدن بغداد السبع .

(٦٠) سأفرد للكاغد وصناعته بحثا مستقلا .
(٦١) البلدان ٢٤٨ .
(٦٢) المصدر نفسه .
(٦٣) ياقوت ٢/٢٩٢ .
(٦٤) ياقوت ١/٤٧٥ .
(٦٥) ياقوت ٤/١٥٠ .
(٦٦) ياقوت ٣/٣٨٤ .
(٦٧) نشرت ترجمته العربية في مجلة سومر .
(*) يذكر البلاذري انه عند الفتوح «عبر المسلمون جسرا كان معقودا عند قصر سابور الذي يعرف اليوم بقصر عيسى» (فتوح البلدان ٢٤٨) ، ولكن لم يتردد ذكر هذا الجسر في الاخبار مما يدل على قلة اهميته . ولعله في موقع الجسر الاسفل عند جسر الاحرار الحالي .
(٦٨) الخطيب ١/٧٨ .
(٦٩) الخطيب ١/٧٩ .
(٧٠) عن سنة وفاة ابي حنيفة انظر الخطيب ١/١٢٥ ، ٣/٣٢٤ ، ٤/١٧٦ وعن وفاة محمد بن اسحق انظر تاريخ خليفة ١٥٤ الخطيب ١/٢١٤ ، ٤/١٧٦ .
(٧١) الطبري ٣/٣٦٧ .
(٧٢) الطبري ٣/٣٦٧ .
(٧٣) البلدان ٢٥١ ـ ٤ الخطيب ١/٩٣ ـ ٩٦
(٧٤) انظر الفصل الثالث .

(٧٥) الطبري ٣/٣٦٤ ـ ٥ .
(٧٦) انظر الفصل الاول .
(٧٧) الطبري ٣/٤٦٠ .
(٧٨) الخطيب ١/١٠٩ .
(٧٩) الخطيب ١/٨٢ .
(٨٠) الوزراء والكتاب للجهشياري .
(٨١) الطبري ٢ .
(٨٢) الخراج لابي يوسف ٩٢ .
(٨٣) الخطيب ١/٩٢ .
(٨٤) الخطيب ١/٩٨ .
(٨٥) لسان العرب ٦/٤٣١ .
(٨٦) الصابي : الوزراء ٢٦ .
(٨٧) الخطيب ١/١١٦ .
(٨٨) المنتظم ، مخطوطة آيا صوفيا حوادث سنة ١٤٥ (٣٨أ) .
(٨٩) ذكر الخطيب «احمد بن الخليل بن مالك بن ميمون بن سعيد ، ابو العباس مولى علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، يماني الاصل ، ويعرف بجور ، حدث عن ابي بكر عياش وابي اسامة وعبدالملك بن قريب الاصمعي وزينب بنت بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس» (٤/١٣١) ولم يذكر سنة وفاته ، كما

انه لم يترجم لابنه ، ومن الواضح ان جده سعيد هو مولى علي بن عبدالله ، ويبدو من شيوخه ان اباه ان معاصرا لهم ، وانه عاش في اوائل القرن الثالث .

(٩٠) بغداد مدينة السلام ٥٥ .

(٩١) ورد ذكر لبستان ام القاسم ابنة المنصور بباب الشام (طبري ٤٤٥) وبستان مؤنسه الذي اتخذه طاهر بن الحسين مقرا عند حصاره بغداد ، وهو بباب الانبار (طبري/ ٩١٧ ، ٩٣٤ وانظر ايضا ٨٦٧ ، ٩٣٤) غير ان كلا من الموضعين بعيد عن نهر دجلة

(٩٢) انظر الخطيب ١٢٢/٥ ، ١٤٨ ، ٤٦٨/٩ ، ٥٦/١١ وقد ذكر في المكانين الاخيرين المقبرة التي كانت في باب البستان .

(٩٣) الوزراء ٣١١ ، ٣٣٦ تكملة الطبري ٥٠ .

(٩٤) مسكويه ٢٦٥/١ تكملة الطبري ٧٨ .

(٩٥) الوزراء ٣٩١ . .

(٩٦) المنتظم ٣١٠/٦ .

التي تنحر تحتها الذبائح (٢٥٥/٢) وكل هذه الابواب من دار الخلافة وهي بعيدة عن النهر .

(٩٧) سهراب ١٣٠ ، الخطيب ١١٥/١ .

(٩٨) المعرفة والتاريخ ١//١٤٤ ، الخطيب ١١٦/١ . وقد ذكر الطبري هذا النص (٣٨٠/٣) دون سند ولكنه اضاف في كلامه عن الجسر «وجرى ذلك على يد حميد القاسم الصيرفي بامر الربيع الحاجب» ولم يذكر مصدره . وقد اشار الخطيب في موضع آخر (٧٥/١) الى عقد هذا الجسر .

(٩٩) الخطيب ٦٩/١ .

(١٠٠) انظر ٢١٣٣/٣ و٢٢٠٦/٣ ، وعن وفاة هؤلاء الخلفاء .

(١٠١) ياقوت ٦٦٥/٢ وهذا النص مفقود من مخطوطة الديارات التي نشرها الاستاذ كوركيس عواد .

(١٠٢) الطبري ١٧٣٠/٣ .

(١٠٣) بغداد مدينة السلام ٥٦ ، وانظر ياقوت ٥٢٢/٢ .

(١٠٤) مسكويه ٧٨/٢ ، تكملة الطبري ١٤٤ .

(١٠٥) مسكويه ١٨٣/٢ .

(١٠٦) تكملة الطبري ١٧٩ .

(١٠٧) الطبري ٨٩٧/٣ .

(١٠٨) البلدان ٢٥٣ ـ ٤ .

(١٠٩) الطبري ٩٠٤/٣ ويلاحظ ان الطبري يقول «فقال حسين الخليع في قطع الجسر» ثم يروي له قصيدة يشير في اولها الى جسري بغداد !

(١١٠) الطبري ١٣٨٥/٣ .

(١١١) الطبري ١٦٦٥/٣ .

(١١٢) الطبري ١٦٦٥/٣ .

(١١٣) مسكويه ٢٠/١ .

(١١٤) اخبار الراضي والمتقي ٧٥ .

(١١٥) كذلك ١٤٩ .

(١١٦) كذلك ٢٢٣ .

(١١٧) كذلك ٢٤١ .

(١١٨) كذلك ٢٦٧ .

(١١٩) مسكويه ٤٥٢ (طبعة كايتاني) .
(١٢٠) الطبري ٣/١٤٠٣ .
(١٢١) الطبري ٣/٢٠٢٧ .
(١٢٢) الطبري ٣/٣٦٧ .
(١٢٣) كذلك ٣/٩٠٦ .
(١٢٤) كذلك ٣/١٥١٠ .
(١٢٥) كذلك ٣/١٦٦٥ .
(١٢٦) كذلك ٣/٩٥٥ .
(١٢٧) كذلك ٣/١٥٢٢ .
(١٢٨) كذلك ٣/١٥٧٩ .
(١٢٩) طيفور .
(١٣٠) الخطيب ٨/١٢٦ تكملة اطبري ٢٥ .
(١٣١) الطبري ٣/٢١٥٩ .
(١٣٢) البلدان ٢٥١ .
(١٣٣) الخطيب ١/٩٣ .
(١٤٣) بغداد مدينة السلام ٥٥ وانظر ياقوت ٣/٤٨٩ .
(١٣٥) الطبري ٣/١٦٣٢ .
(١٣٦) عريب ٥٦ .
١٣٧) [illegible] /١٥٩ .
(١٣٨) [illegible] / ٢١٢٢ .
(١٣٩) ال[illegible] ٢[illegible] .
(١٤٠) البلدان ٢٤٨ .
(١٤١) البلدان ٢٤٩ .
(١٤٢) البلدان ٢٥٣ .
(١٤٣) التاريخ ٣/٢١٠ .
(١٤٤) اخبار الراضي والمتقي ٢٠٩ .
(١٤٥) الخطيب ١١/٥٨ .
(١٤٦) الطبري ٣/٢١٢١ .
(١٤٧) الطبري ٣/٢١١٢ .
(١٤٨) الجهشياري ٢٣٧ .
(١٤٩) الطبري ٣//١٦٣٠ .
(١٥٠) الطبري ٣/٢١٠٩ .
(١٥١) البلدان ٢٤٩ .
(١٥٢) طيفور ٤٣ .
(١٥٣) اخبار الراضي والمتقي ٢٠٧ .
(١٥٣أ) الطبري ٣/١٦٦٤ .
(١٥٤) الجهشياري ٢٣٦ ، ويذكر اليعقوبي انه كان ولبغداد يومئذ ثلاثة جسور (التاريخ ٣/١٥٢)

(١٥٥) الطبري ٣/٩٠٤ .
(١٥٦) طيفور . ويذكر مسكويه ان ابا السرايا عندما اسر «صلب نصفين على الجسرين في كل جسر نصف (مسكويه ٤٢٤ طبع كايتاني) غير ان الطبري يروي انه صلب نصفين على الجسر ، في كل جانب نصف (٣/٩٨٢) .
(١٥٧) طيفور ٩٢ .
(١٥٨) الطبري ١٠٦٢ .
(١٥٩) الطبري ٣/١٢٣١ .
(١٦٠) الطبري ٣/١٥١٠ .
(١٦١) الطبري ٣/١٦٦٥ .
(١٦٢) الطبري ٣/٢١٢١ .
(١٦٣) الطبري ٣/١٧٢٧ .
(١٦٤) الطبري ٣/٢١٨٥ .
(١٦٥) الوزراء للصابي ٢٦ .
(١٦٦) الطبري ٣/٤٧١ .
(١٦٧) الطبري ٣/٢١٩٢
(١٦٨) الطبري ٣/٢٢٤٦
(١٦٩) مسكويه ١/٣٩ المنتظم ٦/١٣٩ .
(١٧٠) الخطيب ١٢/٣٨٨ .
(١٧١) الطبري ٣/١٦٦٤ .
(١٧٢) طيفور ٩٨ .
(١٧٣) طيفور ١١٣ .
(١٧٤) الطبري ٣/٢٢٥٢ .
(١٧٥) البلدان ٣٥٣ .
(١٧٦) اخبار الراضي والمتقي ١٣٨ .
(١٧٧) تجارب الامم ٢/٣١٧ .
(١٧٨) تجارب الامم ٢/٤٠٦ .
(١٧٩) الخطيب ١//١١٥ .
(١٨٠) الخطيب ١/١١٥ .
(١٨١) ياقوت ٢/٧٨٣ .
(١٨٢) مسكويه ٢//٤٠٦ ، وقد نشرنا عن تطور اعمار بغداد كتاباً مستقلاً .
(١٨٣) الخطيب ١/١١٦ .
(١٨٤) المنتظم ٧/١٧١ ، والراجح ان هذا الجسر هو الذي ذكره ابن الجوزي في ترجمته فخر الملك وزير بهاء الدولة انه «عمل الجسر ببغداد وكان قد نسي وبطل وعمل له درابزينات» (المنتظم ٧/٢٨٦) .
(١٨٥) المنتظم ٧/١٧١ .
(١٨٦) المنتظم ٧/١٦٨ .
(١٨٧) مسكويه ١/٣٩٦ تكملة الطبري ١١٠ .
(١٨٨) تكملة الطبري ١٤٨ .

(١٨٩) عن نزولهم انظر بالتتابع : تكملة الطبري ١١٠ ، ١١٩/١١٠/١٢٧ ، ٢٢٤/١٣٤/١٤٨/٢١٤ وانظر ايضا عن نزول بجكم بها : مسكويه ١/١٩٦ وعن نزول معز الدولة انظر ايضا رسوم دار الخلافة ١٣٦ المنتظم ٧/١٣٦ وعن نزول ابن رائق فيها مسكويه ٢/٢٥ وعن نزول البريدي مسكويه ٢/٢٥ .

(١٩٠) المنتظم ٨/٣١ .

(١٩١) احسن التقاسيم ١٥٠ ، ويلاحظ ان البيمارستان العضدي بني على موقع الخلد قرب درب سليمان .

(١٩٢) المنتظم ٨/١٦٩ .

(١٩٣) المنتظم ٨/١٩٨ .

(١٩٤) المنتظم ٨/١٩٢ .

(١٩٥) المنتظم ١٠/٢١ .

(١٩٦) مرآة الزمان ٨/١٩٦ .

(١٩٧) مرآة الزمان ٨/١٤ ، وانظر عن وعظه ١٨٤ .

(١٩٨) المنتظم ١٠/١٦٩ .

(١٩٩) المنتظم ١٠/١٧٤ .

(٢٠٠) المنتظم ١٠/١٧٥ .

(٢٠١) المنتظم ١٠/ ٢٥٠ .

(٢٠٢) خلاصة الذهب المسبوك ٢٣٩ .

(٢٠٣) الجامع المختصر ٨٥ .

(٢٠٤) الرحلة ٢١١ طبعة حسين نصار .

(٢٠٥) الفخري ٢٨٧ طبعة علي الجارم .

(٢٠٦) العراق في عهد المغول الايلخانيين للدكتور جعفر خصباك نقلا عن نصير الدين الطوسي ٥٢ .

(٢٠٧) تحفة النظار ١/١٤٠ طبعة الازهرية .

(٢٠٨) الخطيب ١/١١٧ .

(٢٠٩) المنتظم ٨/١٩٢ .

(٢١٠) المنتظم ٨/١٩٦ .

(٢١١) المنتظم ٩/١٤٦ ، ٢٤٩ .

(٢١٢) مسكويه ١/٢٨٨ .

(٢١٣) الصابي . الوزراء ١٥٧ .

(٢١٤) تكملة الطبري ١٩٥ .

(٢١٥) الخطيب ٦/٧ المنتظم ٦/١٩٩ .

(٢١٦) الخطيب ١٣/٤٧٠ .

(٢١٧) الخطيب ١٣/٤٧١ .

(٢١٨) الخطيب ١١/٤٣٧ .

(٢١٩) المنتظم ٦/٣٣٣ .

(٢٢٠) المنتظم ٩/١٧ .

(٢٢١) المنتظم ٨/١٩٢ .

(٢٢٢) المنتظم ٨/١٤٩ وانظر الخطيب ١/١١٦ .

(٢٢٣) يعقوب بن يوسف . المعرفة والتاريخ ١/١٤٤ . الخطيب ١/١٥٧ .

(٢٢٤) عريب ٦٥ .
(٢٢٥) المنتظم ١٦٣/٧ وقد وردت في الروذراوري «مشرعة الصحراء» (ذيل تجارب الامم ٢٠٨/٣) وهو خطأ .
(٢٢٦) سنفرد لها بحثا خاصا ، وانظر عن موقعها في المخرم تكملة الطبري ٥ ، ٨ الوزراء للصابي ٢٨ - ٩ .
(٢٢٧) المنتظم ١٧٧/٨ .
(٢٢٨) المنتظم ١٢٧/٧ .
(٢٢٩) المنتظم ٦٩/٨ .
(٢٣٠) المنتظم ١٦٢/٨ .
(٢٣١) المنتظم ٢٠٥/١٠ .
(٢٣٢) تكملة الطبري ٢٣٥ .
(٢٣٣) الوزراء للصابي ٣٣١ .
(٢٣٤) الخطيب ٣٨/٣ ، ١٨٦/١٠ .
(٢٣٥) الخطيب ٣٨٦/١ ، ٧٥/١٤ . المنتظم ١٣٨/٨ .
(٢٣٦) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٢٦ ب .
(٢٣٧) مضمار الحقائق ٧٨ .
(٢٣٨) الخطيب ١١٦/١ والمنتظم ١٤٩/٨ .
(٢٣٩) المنتظم ١٧١/٧ .
(٢٤٠) الخطيب ١١٦/١ والمنتظم ١٧١/٧ .

المحتويات

رقم الايداع ٨٧٨ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٨